

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء السابع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت ٨١٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنشد بعده : وهو الشاهد الحادى بعد الخمسمائة :

٥٠١ (أَمَا ترى حيثُ سُهَيلٍ طالعًا)

وبعده :

« نجمًا يضئ كالشِّهاب ساطعا »

على أَنَّ حيثُ مضافةٌ إلى مفرد بِنُدرة ، وسهيل مجرور بإضافة حيثُ إليه . وفى هذه الصورة يجوز بناء حيثُ وإعرابها . ورُوىَ برفع سهيل على أَنَّه مبتدأٌ محذوف الخبر ، أى موجود ، فتكون حيث مبنيَّةً مضافة إلى الجملة ، وهى هنا على كلِّ تقديرٍ وقعت مفعولا (١) لترى ، لا ظرفًا له . هذا محصَّل كلام الشارح المحقق .

قال أَبو على (فى إيضاح الشعر) : هذا البيت أَنشده الكسائىُّ وجعل حيثُ اسما ولم يعربْه ، لأَنَّ كونه اسما لا يُخرجه عن البناء ، كقوله تعالى : ﴿ من لدُنْ حكيم خبير (٢) ﴾ . يريد أَنَّ موضع حيث

---

(١) ش : « مفعولة » .

(٢) الآية الأولى من سورة هود . وفى ش : « حكيم عليم » من الآية ٦ من سورة النمل .

النصبُ بترى ، فإنْ قلت : إنّ حيث إنّما جاءَ اسما فى الشعر ، وقد يجوز أن تجعل الظروف أسماءً [1] فى الشعر . فالجوابُ أنّ ذلك قد جاء اسمًا فى غير الشعر . وقد حكى أحمد بن يحيى عن بعض أصحابه أنهم قالوا : هى أحسنُ الناس حيثُ نظرَ ناظرٌ ، يعنى الوجه . فهذا قد جاء فى الكلام . وممَّا جاءَ مفعولاً به قوله تعالى : ﴿ الله أعلمُ حيث يجعل رسالاته [2] ﴾ كما تقدم . اهـ .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : مذهب البصريِّين أنَّه لا يجوز إضافتها إلى المفرد ، وما سُمِع من ذلك نحو : ١٥٦

« حَيثُ لىِّ العمائم [3] »

نادر . وأجاز الكسائى الإضافة إلى المفرد قياسًا على ما سمع [من] إضافتها إلى المفرد . اهـ .

ولا يخفى أنَّ إعراب هذا الشعر مشكل . والذى أراه أنَّ الرؤية بصرية ، وأنَّ حيث مفعول به لترى ، وسهيل مجرور بإضافة حيث إليه ، وطالعا حال من سهيل . ومجىء الحال من المضاف إليه وإن كان قليلا فقد ورد منه كثيرٌ فى الشعر . قال تأبَّط شرًّا :

سَلبتَ سلاحى بائسًا وشتمتَنى فيا خير مسلوبٍ ويا شرَّ سالبِ

فبائسا حالٌ من الياء .

قال [4] أبو على (فى المسائل الشّيرازيات) : قد جاءَ الحال

(١) ط : « اسما » .

(٢) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام . وهذه قراءة الجمهور . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالإفراد ، ووافقهما ابن محيصن . إتحاف فضلاء البشر .

(٣) انظر الشاهد ٥٠٠ فى الجزء السادس .

(٤) ش : « وقال » .

من المضاف إليه فى نحو ما أنشده أبو زيد :

عَوذ وبُهثةُ حاشدونَ ، عليهم حَلَقُ الحديدِ مُضاعَفًا يتلهَّبَ (١)

ومضاعفًا حال من الحديد . اهـ .

وقال الشاطبى (فى شرح الألفية) : مثلُ هذا إنما يكون على توهُّم إسقاط المضاف ، اعتبارًا بصحَّة الكلام دونه . ومِن هنا أجاز الفارسىُّ فى قول الشاعر (٢) :

أرى رجلاً منهم أسيفًا كأنَّما يضمُّ إلى كشحيهِ كَفًّا مخضَّبا

أنْ يكون مخضبّا حالا من الهاء فى كَشحيه وهو مضاف ، ولكنَّه فى تقدير : يضمُّ إليه ، لأنَّه إذا ضمَّه إلى كشحيه فقد ضمَّه إليه ، فكأنه قال : يضمّ إليه ، فهو فى التقدير حال من المجرور بحرف ، وهو جائزٌ كما تقدم . وكذلك جَعْلُ مضاعفًا من قوله « حلق الحديد مضاعفا يتلهَّب » حالًا من الحديد . اهـ .

وكذلك المعنَى هنا ، فجاء طالعًا حالاً من سهيل على توهُّم أنَّه مفْعول وسقوط حيث ، فيكون نحمًا على هذا بيانًا لسهيل أوْ بدلاً منه . ويجوز أن يكون منصوبا على المدح .

ونقل الدمامينى (فى الحاشية الهندية) عن شارح اللباب أنَّ طالعًا مفعول ثان لترى ، أو حال من سهيل إن جعلت حيثُ صلة ، بمنزلة مقامَ فى قوله :

---

(١) من شواهد الخزانة ٣ : ١٧٣ . وهو لزيد الفوارس .

(٢) الأعشى . ديوانه ٨٩ وابن الشجرى ١ : ١٥٨ ، ٢٢٧ والإنصاف ٧٧٦

* نفيت عنه مقام الذئب [١] *

وإن لم يُجعَل [٢] صلة يكون حالا ، والعامل معنى الإضافة ، أى مكانا مختصا بسهيل حال كونه طالعا . ويجوز أن يكون حيث فى البيت باقيًا على الظرفية ، وحذف مفعول ترى نَسْيا [٣] كأنّه قيل : أما تُحدِث الرؤية فى مكان سهيل طالعا . اهـ .

قلت : جعلُ العاملِ معنى الإضافة غير مرضيّ عندهم ، وكذا القولُ بزيادة حيث ، والأوْلى أن تُجعلَ الحال من ضميرٍ يعود إلى سهيل حذف هو وعامله للدلالة عليه ، أى تراه طالعا . هذا كلام الدماميني .

وقال اللَّبْلِيّ [٤] (فى شرح أدب الكتاب) [٥] : من جرَّ سهيل نصب طالعًا حالًا من حيث ، لأنَّ الحال من المضاف إليه ضعيفة . والتقدير : حيث سهيل طالعا فيه ، وحيث مفعول . [وإن جعلت] [٦] ترى بمعنى تعلم كان طالبا مفعولًا ثانيا . ولا يجوز أن يكون حيث ظرفًا لفساد المعنى . اهـ .

---

(١) قطعة من بيت للشماخ فى ديوانه ٩٢ . وتمام إنشاده :

دعرت به القطا ونفيت عنه   مقام الذئب كالرجل اللعين

وهو من شواهد الخزانة ٤ : ٣٤٧ .

(٢) ش : « تجعل » .

(٣) النسى ، بالكسر والفتح : النسيان . والنسيان يأتى بمعنى الترك .

(٤) فى ط : « النيلى » ، وفى ش : « النسمى » والوجه ما أثبت ، وانظر الحاشية التالية .

(٥) فى النسختين : « هذا الكتاب » والوجه ما أثبت ، وانظر ما سبق فى الجزء السادس ص ١٠١ .

ومن المعروف أن أدب الكاتب لابن قتيبة يسمى أيضا أدب الكتاب ، وعلى ذلك ألف ابن السيد كتابه : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من ش .

وقال العينى : حيث معرب إمّا منصوبٌ على الظرفيّة أو على المفعولية ، ويكون ترى عِلمْية مفعولهُ الأول حيث ، ومفعوله الثانى طالعا ، أو تكون ترى بصرية فتكون حيث مفعولا به وطالعا حالا من حيث ، لا من سهيل . هذا كلامه .

وأمَّا إن رفع سهيل [١] فطالعا حالٌ من ضمير خبر سهيل ، ونجما منصوب على المدح . وسُهيلٌ : نجمٌ عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضى القيظ . والشِّهاب : شعلة من نار ساطعة أى مرتفعة ، فيكون ساطعا حالاً مؤكِّدَةً . والهمزة فى أمَا للاستفهام . وهذا الشعر لم أعرف قائله ، والله سبحانه أعلم .

١٥٧

وقال التبريزى (فى شرح الكافية الحاجبية) : وأمَّا قوله :

وأننى حيثُ مايدنى الهوى بَصَرى   من حيث ماسلكوا أدنو فأَنظورُ [٢]

فمن جَوَّز إضافته إلى المفرد فما مصدرية ، أى من حيث السلوكِ : ومن لا يجوِّز يجعله [٣] فى محل المبتدأ وخبره محذوف ، فيكون مضافا إلى الجملة ، أو ما زائدة اهـ .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : والجملة التى تضاف إليها حيث شرطها أن تكون خبرية اسمية أو فعلية ، مثبتة ، مصدَّرة بماض أو مضارع مثبتين ، أو منفيَّين بلم أو لا . فأمّا قوله من حيث ما سلكوا فما زائدة .

* * *

(١) ش : « وان رفع سهيل » .

(٢) من شواهد الخزانة ١ : ١٢١ . والبيت لابن هرمة فى ديوانه ١١٨ عن سر الصناعة وشرح المعلقات للزوزنى ٢٨٦ . وقد أغفلت نسبته فى الجزء الأول من الخزانة ، فلتثبت فى الحاشية .

(٣) ش : « لا يجعله » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الخمسمائة :

٥٠٢ (لَدَى حيثُ أَلقتْ رحلَها أُمُّ قَشْعِم)

هذا صدر وعجزه :

« فشدَّ ولم تُفْزَع بيوتٌ كثيرةٌ » .

على أنَّ (حيث) المضافة إلى الجملة والمفرد قد تفارق الظرفية فتجرّ ، كما فى البيت ، فإنَّها فى موضع جرّ بإضافة لدى إليها ، وقد تنصب على المفعوليَّة كما فى قوله تعالى : ﴿ الله أَعلم حيثُ يجعلُ رسالاتِه ﴾ [1].وقد تنصب على التمييز كما فى : هى أَحسن الناس حيثُ نظرَ ناظرٌ ، يعنى وجهًا .

قال ابن هشام (فى المغنى) : والغالب كونها فى محل نصبٍ على الظرفية أو خفضٍ بمن ، وقد تخفض بغيرها كقوله :

« لدى حيثُ أَلقتْ رحلها أُمُّ قشعم »

وقد تقع مفعولاً به وِفاقًا للفارسى ، وحمل عليه : ﴿ الله أَعلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رسالاته ﴾ ، إذ المعنى أَنه تعالى يعلم نفسَ المكان المستحِقّ لوضع الرسالة فيه لا شيئًا فى المكان . وناصبها يعلم محذوفًا مدلولاً عليه بأَعلمُ لا بأَعلم نفسِه ، لأَنّ أَفعل التفضيل لا ينصب المفعول به . فإنْ أَوّلته بعالم جاز أَن ينصبه فى رأْى بعضهم . ولم تقع اسماً لإِنَّ ، خلافًا لابن مالك ، ولا دليل له فى قوله :

إنَّ حيث استقر من أَنت راعيـ ـهِ حِمًى فيه عزَّةٌ وأَمانُ [2]

---

(١) الآية ١٢٤ من الأنعام . وقد سبق التعليق عليها قريبا .

(٢) البيت غير مسنوب . انظر العينى ٢ : ١٤ والهمع ١ : ١١١ . وما بعد البيت إلى كلمة « اسما » ساقط من ش .

لجواز تقدير حيث خبرًا وحمى اسمًا . فإنْ قيل : يؤدِّى إلى جعل المكان حالاًّ فى المكان . قلنا : هو نظير قولك : إنّ فى مكة دارَ زيد . ونظيره فى الزمان : إن فى يوم الجمعة ساعةَ الإجابة . اهـ .

وقوله : « والغالب كونُها فى محل نصب على الظرفية أو خفض بمنْ » ، بقىَ عليه خفضُها بالباء وبغيرها . قال أبو حيان فى (الارتشاف) : إنَّها جُرّت بمن كثيرًا ، وبِفِى شاذًّا ، نحو :

* فأصبح فى حيث التقينا شريدهم (١) *

وبعلَى . قال :

* سلامٌ بنى عمرو على حيثُ هامُكم *

وبالباء ، نحو :

* كانَ منا بحيثُ يُعْكَى الإزارُ (٢) *

وبإلى ، نحو :

* إلى حيثُ ألقت رحلَها أمُّ قشعمِ *

وأُضيفت لدى إليها فى قوله : « لدى حيث ألقت رحلها » . وتمام الدليل فى الآية أنْ يقال : لا يجوز أن تكون حيث ، ظرفا ، لأنّ عِلْمَ الله لا يختصُّ بمكان دون مكان . ولا يجوز أن تكون مجرورة بإضافة أعلم إليها ، لأنَّها ليست بصفة وهى شرطٌ فى إضافة أفعل التفضيل . ولا يجوز أن تكون منصوبة به ، لأنَّ أفعل التفضيل لا يعمل النصب فى الظاهر .

---

(١) وكذا ورد هذا الصدر فى الهمع ٢ : ٢١٢ .

(٢) ط : « يعلى » تحريف ، صوابه فى ش والدرر اللوامع ١ : ١٧١ . يعكى : يشد البطن .

١٥٨ وإذا بطل ذلك تعيَّن أَن يكون منصوبا على المفعول به بفعل مقدّر دلَّ عليه أَعلم ، أى الله أَعلم يعلم حيث يجعل ، كقوله :

* وأَضربَ منَّا بالسيوف القوانسا *

أى أَضرب منَّا يَضرِب القوانس بالسُّيوف .

وجوَّز السفاقسى أَن تكون باقية على الظرفيَّة ، قال : فإِنَّه لا مانع من عمل أَعلم فى الظرف . والذى يظهر لى أَنَّه باق على ظرفيته ، والإشكال إنَّما يردُ من حيث مفهوم الظرف ، وكم موضع تُرك فيه المفهوم لقيام الدليل على تركه . وقد قام الدليل القاطع فى هذا الموضع . اهـ .

وقوله:لا دليل له فى قوله إنَّ حيث استقر إلخ ، يريد : أَنَّ حيث فيه ظرف ، وهو خبر مقدَّم ، وحمى اسم إنَّ مؤخَّر كقولهم : إن عندك زيدًا . ويرِدُ عليه أَنَّ هذا الحمل غير مراد ، وإنَّما المعنَى إنَّ مكانا استقر فيه جماعةٌ أَنت راعيهم وحافظُهم هو حمًى فيه العزَّة والأَمان . فتأَمَّلْ . والحمى : المكان المحميُّ من المكروه .

وقد ذكر أَبو حيان (فى تذكرته) أَن حيث تقع اسما لكأَنَّ ، وتقع مبتدأً ، وأَورد مسائل تمرين لحيث فلا بأْس بايرادها هنا ، قال :

إذا قيل : حيث نلتقى طيِّبٌ ، حكم على حيثُ بالرفع لأَنَّه اسم المكان الذى خبره طيِّب ، وهو نائب عن موضعين أَسبقهما محدود خبره طيِّب ، وآخرهما مجهول ناصبه نلتقى . تلخيصه : الموضع الذى نلتقى فيه طيّب . وقال الشاعر :

كان حيثُ نلتقى منه المحلّ من جانبيه وَعِلانِ ووَعِلْ

* ثلاثةٌ أُشْرِفنَ فى طَود عُتُلّ *

أُنشد هذا الشعرَ هشام وقال : ثلاثة خبر كان .

وإذا قيل إنَّ حيث زيد ضربت عمرًا ، ففيها وجهان : رفع زيد ونصب عمرو ، ونصب زيد وعمرو . فعلى الأوَّل أُبطل إنَّ فى ظاهر الكلام ، ونصب عمرًا بضربت ، ورفع زيدًا بحيث لنيابة زيد عن محلَّين أُسبقهما يطلبه الضرب وآخرهما يرفع زيدا ، وتقديرها : إنَّ فى المكان الذى فيه زيد ضربت زيدا . والكسائى يقول : ليس لإنّ اسم ولا خبر . لأنَّها مبطَلة عن ضربت ، إذ لم تكن من عوامل الأفعال . والبصريون يضمرون الهاءَ مع إنَّ ، ويجعلون الجملة الخبر . والفراء يقول : ضربتُ سدَّ مَسَدَّ ضاربًا أُنا . وقال هشام : يقال حيثَ زيدٌ عمرٌو ، بفتح الثاء ورفع زيد وعمرو ، وحيثَ زيدٍ عمرو بفتح الثاء وخفض زيد . وأما الفتح مع رفع زيد فمُفارقٌ للقياس يجرى مجرى قول من يقول : حيثُ زيدٍ عمرو ، فيضمُّ الثاء ويخفض بها زيدًا . قال :

* أما ترى حيثَ سهيلٍ طالعا *

وقد حكوا عن العرب حيثُ سهيلٍ بضم الثاء وخفض سهيل ، وهو فاسدُ العلَّة ، لأنَّ ضم الثاء يوجب رفع سهيل ، كما أن فتح الثاء يُوجَب به خفض سهيل . ولا ينبغى أن يبنى إلَّا على الأكثرِ والأعرف والأصحِّ علة .

وإذا قيل : إنَّ حيث أبوك كان أخوك ، رفع الأخ بكان وحيث

خبر كان ، والأب رفع بحيث لنيابتها عن محلّين أحدهما خبر كان والآخر رافع الأب وإنَّ مبطَلة عن كان ، والتقدير : إنَّ فى المكان الذى فيه أبوك كان أخوك . ويجوز إنَّ حيث أبوك كان أخاك ، فأخاك اسم إنَّ وحيث خبرا إنَّ ، وأبوك رفع بالراجع من كان ، وحيثُ خبر كان ، والتقدير : إنّ أخاك فى المكان الذى كان فيه أبوك .

وإذا قيل إنَّ حيث أبوك قائم أخاك جالس ، نصب الأخ بإنّ وجالس خبر إنّ ، ورفع قائم بالأب ، وحيث نائبة عن محلين : أحدهما صلة الجالس (١) وهو الأسبق ، وآخرهما صلة قائم . ويجوز : إنَّ حيث أبوك قائمًا أخاك جالس ، الأخ وجالس على ما كانا عليه (٢) والجواب الأول ، وقائمًا نصبٌ على الحال من أبيك ، وحيث متضمنة لمحلّين أوّلهما صلة الجالس (٣) وآخِرُهما رفع للأب . ويجوز : إنَّ حيث أبوك قائمًا أخاك جالسًا ، أخاك اسم إنَّ وحيث خبر إن ، وهى رافع الأب وقائماً حال الأب وجالسا حال الأخ . ويجوز إنَّ حيث أبوك قائم أخاك جالسًا ، أخاك اسم إنّ وحيث متضمِّن محلين أولهما خبر إنّ وآخرهما صلة قائم ، وقائم رفع بأبيك ، وجالسا نصب على الحال من أخيك . وإن فتحت ثاء حيث وأضيفَتْ قيل : إن حيثَ أبيك قائمًا أخاك جالسٌ وجالسًا ، على التفسير المتقدم . انتهى ما أورده أبو حيان .

وقال (فى الارتشاف) : لم يجئ فاعلا ولا مفعولا به ولا مبتدأً . وقد فرَّع الكوفيون صورًا على حيثُ ، منها : حيثُ نلتقى طيِّب .

١٥٩

---

(١) ش : « صلة الحالس » .

(٢) ش : « كان عليه » .

(٣) ط : « صمة جالس » وأثبت ما فى ش .

ثم ذكر بعض ما أورده فى التذكرة .

صاحب الشاهد

والبيت من معلقة زهير بن أبى سلمى ، ولا بدَّ من إيراد شيءٍ ممّا قبله ليتضَّحَ معناه. وهذه أبيات مما قبله ومما بعده :

أبيات الشاهد

(لَعمرِى لنعم الحىُّ جَرَّ عليهمُ بما لا يُواتيهم حصينُ بن ضَمضمِ
وكان طوَى كشحًا على مستكِنَّةٍ فلا هُوَ أبداها ولم يتقــدَّمِ
وقال : سأقضِى حاجتى ثُمَّ أتقى عدوِّى بألِفٍ من ورائىَ مُلْجِمِ
فشَدَّ ولم تفزع بيوتٌ كثيرةٌ لدى حيثُ ألقت رحلَها أمُّ قشعمِ
لدى أسدٍ شاكِى السلاح مقذَّفٍ له لِبَدٌ أظفــارُه لم تقلَّــم
جرىءٍ متى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بظلمه سريعاً وإلَّا يُبْدَ بالظُّلم يَظلِمِ)

أراد بالحىّ حىَّ مُرَّةَ مِن بنى ذبيان . وجَرَّ : ماضٍ من الجريرة ، وهى الجناية . ويواتيهم : يوافقهم . وحصين بن ضَمضم هو ابن عمِّ النابغة الذُّبيانى ، وكانت جنايته أنَّه لما اصطلحت قبيلةُ ذبيانَ مع قبيلةِ عبسٍ امتنع حصينٌ هذا من الصُّلح واستتر من القبيلتين ، لأنَّ وردَ بنَ حابسٍ العبسىَّ كان قتل هرِمَ بن ضَمضم ، وهو أخو حصين ، فحلف حُصينٌ لا يغسِلُ رأسَه حتَّى يقتل وَردا أو رجلًا منهم . ثم أقْبَلَ رجلٌ من بنى عبس فنزل بحُصين بن ضَمضم ، فلمَّا علم أنَّه عبسىٌّ قتله ، فكاد الصُّلحُ ينتقض ، فسَعى بالصلح وتحمَّل الديةَ الحارثُ بن عوف وهرم بن سنان . ولهذا مدحَهم زهير بقوله : لنعم الحىُّ .

وقد تقدم الكلام على هذه القصيدة وعلى سبَبها مفصلا فى

الشاهد السادس والخمسين بعد المائة [١] .

وقوله : « وكان طوَى كشحا » إلخ اسم كان ضمير حصين . والكشح : الخاصرة ، يقال طوى كشحَه على كذا ، أى أضمره فى نفسه . والمستكنَّة : المستترة . أىْ أضمر على غدرةٍ مستترة . وقولهُ : « فلا هو أبداها » أى : ما أظهر الغدرةَ المستكنَّة ولا تقدَّم فيها قبل الصُّلح . وروى « ولم يتجمجم » بجيمين ، أى لم يتنَهْنَه عما أراد مما كَتَم . وقال الأعلم : أى لم يدع التقدُّمَ فيما أُضمر ، ولم يتردَّد فى إنفاذه .

وشرح هذين البيتين تقدَّم فى الشاهد السادس والأربعين بعد المائتين [٢] .

وقوله : « وقال سأقضى حاجتى » إلخ فاعل قال ضمير حصين . وحاجتُه : ما كان أضمره فى نفسه من قتل عَبسِىّ . وورائى أى أمامى كقوله تعالى : ﴿ وكان وَراءهُمْ مَلِكٌ [٣] ﴾ ، وقوله : ﴿ ومِنْ ورائه عذابٌ [٤] ﴾ . وملجم يروى بكسر الجيم ، أى بألف فارس مُلْجِم فرسَه . ويروى بفتح الجيم ، أى بألف فرس مُلجَم . وأراد بها فُرسانها . قال الأعلم : أى سأدرك ثأرى ثم أَلقَى عدوّى بألف ، أى أجعلهم بينى وبين عدوِّى . يقال اتَّقاه بحقّه ، أى جعله بينه وبينه . وجعل ملجما على لفظ أَلف فذكَّره ، ولو كان فى غير الشعر لجاز تأنيثه على المعنى . اهـ . وذلك لأنَّ فرسًا ممَّا يذكر ويؤنَّث .

---

(١) الخزانة ٢ : ٥ .

(٢) الخزانة ٤ : ٣ – ٤ .

(٣) الآية ٧٩ من سورة الكهف .

(٤) الآية ١٧ من سورة إبراهيم .

وقوله : « فشدَّ » إلخ أى حمل حصينٌ على ذلك الرجل العبْسىِّ فقَتله ولم تَفزع بيوت كثيرة ، أى لم يعلم أكثرُ قومِه بفعله . وأراد بالبيوت أحياءً وقبائل . يقول : لو علموا بفعله لفزِعوا ، أى لأغاثوا الرجل العبسىَّ ولم يَدعُوا حصينًا . وإنما أراد بقوله هذا أنْ لا يُفسِدوا صلحَهم بفعله . وقوله : « حيثُ ألقت رحلَها » أى حيث كان شدّة الأمر ، يعنى موضع الحرب . وأمُّ قشعم : كنية الحرب ، ويقال كنية المنيَّة . والمعنى أنَّ حُصَينًا شدَّ على الرجل العبسىِّ فقتله بعد الصُّلح ، وحين حطَّت رحلها الحرب ووضعت أوزارَها وسكنت . ويقال هو دعاء على حُصين ، أى عدا على الرجل العبسىِّ بعد الصلح وخالف الجماعة ، فصيَّره الله إلى هذه الشدة ! ويكون معنى ألقت رحلها على هذا : ثَبتَتْ وتمكّنت .

هذا كلام الأعلم (فى شرح الأشعار الستة) . وتَفزَع على روايته بالبناء للفاعل .

وقال التبريزى : معناه شدَّ على عدُوِّهِ وحدَهُ فقتله ، ولم تَفزع العامَّة بطلب واحد [١] وإنَّما قصد الثأر ، أى لم يستعن على قتله بأحد .

ونقَل صَعُوداءُ [٢] (فى شرح ديوان زهير) عن قوم ، أنّ أمَّ قشعم على هذه الرواية هى أمُّ حصين ، أى فلم تفزع البيوت التى بحضرة بيتِ أمِّه ، لأنَّه أخذَ ثأره . فلدى على قول الأعلم ظرف متعلِّق بشدَّ ، وعلى

---

(١) أى بطلب واحد منهم .

(٢) ش : « صاعوراء » ، تحريف . وهو محرز بن هبيرة الأسدى أبو سعيد النحوى الكوفى ، وهو أستاذ عبد الله بن المعتز . معجم الأدباء ١٩ : ١٠٥ وإنباه الرواة ٢ : ٨٥ وتاريخ بغداد ٣ : ٣٧٠ وابن النديم ٧٤ . قال القفطى : « ولقبه أشهر من اسمه » . ولذا أورده فى رسم الصاد .

قول صَعوداء يكون لدى متعلقا بمحذوف على أنّه صفة ثانية لبيوت أو حالٌ منه .

وروى الزوزنى : « ولم يُفزع بيوتًا » ، على أن فاعله ضمير حصين ، وقال : أى لم يتعرَّض لغيره عند مُلقى رحلِ المنيَّة . ومُلْقَى الرِّحال : المنزل ، لأنَّ المسافر يُلقى به رحله ، أى أثاثه ومتاعه . أراد : عند منزل المنيَّة . وجعله منزل المنيَّة لحلولها فيه . فعلى هذا يكون لدى متعلقا بتُفْزَع مضارع أفزعه أى أخافه ، بخلاف الأوَّل فإنَّه مضارع بمعنى أغاث أو علم . والمشهور رواية « فشدَّ ولم ينظُرْ بيوتًا كثيرة » فيكون فاعل ينظر أيضا ضمير حصين ، ثمَّ اختلفوا فرواه صعوداء [1] بفتح أوَّله وقال : لم ينظر أى لم ينتظر ، يقال نظرتُ الرجل أى انتظرنه . وعلى هذا يكونُ المعنى لم ينتظر حصين أن ينصره قومُه على أخذ ثأره . وروى أبو جعفر « ولم يُنظِر » بضم أوله وكسر ثالثه ، وقال : معناه لم يؤخِّر حصينٌ أهلَ بيتِ قاتل أخيه فى قتله ، لكنه عجِلَ فقتله . فيكون يُنظر مضارع أنظرَهُ ، بمعنى أمهله وأخَّره . وعلى هذين الوجهين يكون لدى متعلقا بشدّ ، وكذلك على قول من فسّر أم قشعم بالعنكبوت ، وهو أبو عبيدة ، أو بالضبع ، كما نقله صَعُوداء . ويكون المعنى : فشدَّ على صاحب ثأره بمضِيعةٍ من الأرض . قال صعوداء : أُمُّ قشعم عند الأصمعى : الحرب الشديدة . ومن جعلها العنكبوت أو الضبع فمعناه وجدَه بمضِيعةٍ فقتله . وقال ابن الأثير (فى المَرَصَّع) : أُمُّ قشعم هى المنية ، والداهية ، والحرب ، والنَّسر ،

---

(١) ش : « صاعودا » فى هذا الموضع وتاليه . وانظر الحاشية السابقة .

والعنكبوت ، والضبع ، والذئب ، واللبؤة ، وفسِّر بأحد هذه الأشياء . قال زهير :

* لدى حيثُ ألقت رحلَها أمُّ قشعمِ *

هذا كلامه .

وقشعم : فَعْلَمٌ من قشعتِ الرِّيحُ الترابَ فانقشع ، وأقشع القومُ عن الشيء وتقشَّعوا ، إذا تفرَّقوا عنه وتركوه . ١٦١

وقوله : « لدى أسدٍ شاكى السلاح » إلخ هذا البيت فى الظاهر غير مرتبط بما قبله ، ولا يعرف متعلقُ لدى أسدٍ . وقد فحصت عنه فلم أجدْ من ربَطَه مع أنَّه من أبيات علم المعانى ، أُوردَ شاهدًا لِجَواز الجمع بين التجريد والترشيح . وقد رجعت إلى (معاهد التنصيص للعباسى) فلم أر فيه غير هذه الأبيات ، ولم يتكلَّم عليها بشيءٍ ، ففزعت إلى قريحتى وأعملت الفكرة ، فأرشدنى الله إلى وجهه ، وهو أنَّ لدى أسد متعلق بألقت رحلها أمُّ قَشعم ، على تفسير أمّ قشعم بالحرب ، ومعنى ألقت رحلها حطَّت رحلها الحرْبُ ووضعت أوزارها وسكنت ، فيكون الإلقاء عبارة عن السُّكون والهدوءِ ، كما قال الشاعر [1] :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوى كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

ويكون المراد من الأسد الحارثَ بنَ عوفٍ المرىّ ، فإنه هو الذى أطفأ نار الحرب بين عبسٍ وذبيان ، بعد ما جرى بينهما فى يوم

---

(١) هو مضرس الأسدى كما فى البيان ٣ : ٤٠ أو معقر بن حمار كما فى المؤتلف ٦٩٢ والاشتقاق ٤٨١ . وفى اللسان (عصا) نسبته إلى عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى ، أو معقر . ونسب فى كتاب العصا من نوادر المخطوطات ١ : ١٩٣ إلى راشد بن عبد الله .

داحس ، وسَعَى فى الصُّلح بينهما بتحمُّل الديات مع عمِّه هرِم بن سِنان المرى . وعلى هذا يتَّضح الأرتباط ويضمحل مافسِّر به أُمُّ قَشعَم من سائر المعانى ، ولله الحمدُ والمنة .

وقال الزوزنى : البيت كلُّه من صفة حُصين بن ضمضم .

وقال الأعلم والتّبريزى : أَراد بقوله لدى أُسدِ الجيشَ ، وحمل لفظ البيت على الأَسد .

ولا يخفى أنَّه لا يصحُّ الارتباط بكلٍّ من هذين القولين .

وقوله : « شاكي السِّلاح » وهو مقلوبُ شائك كما بيِّن فى الصَّرف ، أَى سلاحُه شائكة حديدة ذاتُ شوكة .

والمقذَّف ، بصيغة اسم المفعول ، قال الأَعلم وأَبو جعفر : هو الغليظ الكثير اللحم ، فيكون ترشيحًا . كقولِه : « له لبَدٌ » إلخ . وقال الزوزنى : أَى يُقذفُ به كثيرًا إِلى الوقائع والحروب . فعلى هذا يكون تجريدًا كشاكى السلاح . وروى صَعُوداءُ والتبريزى : « مقاذِف » بكسر الذال وفسَّراه بمرامى [١] أَى يَرامى بنفسه فى الحروب . وهذا تجريد أَيضاً .

وقوله : « له لبد » هو بكسر اللام وفتح الموحَّدة ، جمع لِبْدة . قال الأَعلم : اللِّبدة : زُبرة الأَسد . والزُّبْرَة : شعرَ متراكِب متلبِّد بين كتفى الأسد إذا أَسنَّ . وأَراد بالأَظْفار السِّلاح . يقول : سلاحُه تامٌّ حديد . وأَوَّل من كنى بالأَظفار عن السِّلاح أَوس بن حجر فى قوله :

لعَمرِكَ إنّا والأَحاليفَ هَؤُلا   لفى حِقْبةٍ أظفارُها لم تقلَّمِ

ثم تبعه زهيرٌ والنابغةُ فى قوله :

---

(١) كذا فى النسختين . والوجه « بمرام » .

آتُوكَ غيرَ مقلَّمِى الأَظفَارِ [١] اهـ

وقوله : « جرىءٍ » هو وصف أَسد ، ويُظلم الأَوَّل ويُبْدَ كلاهما بالبناءِ للمفعول ، ويعاقِب ويظلم الثانى بالبناءِ للفاعل . قال الأَعلم : قوله وإِلا يبدَ بالظلم إِلخ . يقول : إِن لم يُظلمَ بدأَهم ، لعزَّة نفسه وجراءَته . ومتى جازم لفعلين . وسريعا إِمّا حال من ضمير يُعاقِب وإِمّا مفعول مطلق ، أَى عقابا سريعا . ويُبْدَ أَصله يُبدأُ بالهمزة ، فأَبدلها أَلفا ثم حذفت الأَلف للجازم .

وقد أَوردهَ الشارح المحقق (فى أَول شرح الشافية) لما ذكرنا .

وترجمة زهير بن أَبى سلمى تقدمَّت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة [٢] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الخمسمائة :

٥٠٣ (للفَتَى عقـلٌ يعيشُ به   حَيْثُ تَهدِى ساقَه قَدمُه) [٣]   ١٦٢

على أَنَّ الأَخفش قال : إِن حيث قد تأْتى بمعنى الحينِ ، أَى ظرف زمان ، كما فى هذا البيت .

قال أَبو على (فى إِيضاح الشعر) : زعم أَبو الحسنِ أَنَّ حيث قد يكون اسماً للزمان ، وأَنشد :

للفتى عقل يعيش به   البيت

---

(١) صدره فى ديوان النابغة ١٠٠ :

« وبنو قعين لا محالة أنهم »

(٢) الخزانة ٢ : ٣٣٢ – ٣٣٦ .

(٣) مجالس ثعلب ٣ : ٣٢٨ وابن الشجرى ٢ : ١٦٢ وابن يعيش ١٠ : ٩٢ والهمع ١ : ٢١٢ وديوان طرفة ١٩ .

فجعل حيث فيه حينًا .

فإن قلت : فهل يجوز على هذا أن يكون موضع الجملة بعد حيث جرًّا ، لإضافةِ حيثُ إليه ، كما تضاف أسماءُ الزمان إلى الجمل ، فالجواب : أنَّ ذلك لا يمتنع فيه إذا كان زمانا . اهـ .

وقال ابن مالك : لا حجَّة للأخفش فيه ، لجواز إرادة المكان على ماهو أصله . ويدلُّ لما قاله أنَّ المعنى على الظرفية المكانية ، إذ المعنى أين مشى ، لا حين مشى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وإذا اتصل بحيث ما الكافَّة ضمِّنت معنى الشَّرط وجزمت الفعلين ، كقوله [1] :

حيثُما تستقمْ يُقدِّرْ لك اللـ ـهُ نجاحاً فى غابر الأزمانِ

وهذا البيت دليلٌ عندى على مجيئها للزمان . قال الدماميني (فى الهندية) : كأنَّ ذلك جاء من قِبلَ قوله : فى غابر الأزمان ، فصرَّح بالزمان . وليس بقاطع ، فإنَّ الظرف المذكور إمَّا لغو متعلِّق بيقدِّر ، وإما مستقرٌّ صفة لنجاحًا . وذلك لا يوجب أن يكون المراد بحيث الزمان ، لاحتمال أن يكون المراد : أينما تستقمْ يقدِّر لك النجاح فى الزمان المستقبل .

وقوله : (حيث تَهدِى) قال فى الصحاح : « وهدَاه أى تقدَّمه » . وأنشد البيت . (وساقه) : مفعول مقدَّم ، وقدمُه فاعل مؤخر .

والبيت آخر قصيدة عدتُّها ثلاثةٌ وعشرون بيتاً لطرفةَ بن العبد .

---

(١) المغنى ١٣٣ والعينى ٤ : ٣٢٦ والأشمونى ٤ : ١١ والهمع ٢ : ٣٧ . ولم يعرف له قائل .

وأوردَ أبو عبيدٍ (فى الغريب المصنف) البيتَ الذى قبل هذا ، فلنقتصر عليه ، وهو :

الهبيتُ لا فؤادَ له والثَّبيت ثبته فَهَمُه

قال أبو عبيد : الهبيت : الذاهب العقل . وقال شارح أبياته ابن السِّيرافى : المعنى أنَّ الجبان يذهب عقلُه ويطير قلبُه من الفزع ، فلا يهتدِى للصَّواب ، والثابت القلب يَعرِفُ وجه الرَّأى فيأتيه . وقوله « للفتى عقل » ، أى للفتى العاقل عقلٌ يعيش به ، أين توجَّه انتفع به . اهـ .

وقال ابن السكيت (فى شرح ديوانه) : الهبيت : الذى فيه هَبْتةٌ أى ضربةٌ بالعصا . وقال أبو عمرو : الهبيت المبهوتُ جُبْنًا . ويروى : « والثَّبيتُ قلبُه قيمه » ، أى قوامه . وقوله : « حيث تهدِى » الخ أى عقل حيثما مشى . اهـ .

وقال الأعلم : (فى شرح الأشعار الستة) : الهبيت : المبهوت ، يقال رجل هبيت ومهبوت ومبهوت بمعنىً ، وهو الجبان المخلوع الفؤاد . وقوله : « والثبيت ثبته فهمه » أى من كان ثابت القلب ففهمهُ يُثبِّت عقله . وهذا مثلٌ ضربه لشدَّة الحرب . وقوله : « للفتى عقل » يقول من كان عاقلاً وفتىً متصرِّفا عاش ، حيثما نقلته قدمُه وذهبت به من أرضٍ غربة وغيرها . اهـ .

وكلُّهم حملوا حيث على أصلها كما هو ظاهر من كلامهم .

وترجمة طرفة تقدَّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة [(١)] .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ٤١٩ – ٤٢٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الخمسمائة وهو من شواهد س [(١)]:

٥٠٤ (ترفع لى خِندفٌ واللهُ يرفعُ لى نارًا إذا خَمَـدَتْ نِيرانُهُـمْ تَقِــدِ)

١٦٣ على أنَّ إذا قد تجزم فى الشعر فعلين كما هنا ، فإنَّ جملة خمدت فى محلِّ جزم شرطُ إذا ، وتقِدِ جوابها ، وهو مجزوم وكسرة الدال للرَّوىّ .

قال سيبويه : وقد جازَوْا بها ، أى بإذا ، فى الشعر مضطرِّين ، شبَّهوها بإنْ حيث رأوها لما يُستقبَل ، وأنَّها لابدَّ لها من جواب .

وقال قيْس بن الخطيم :

إذا قصُرت أسيافُنا كان وصلُها خُطانا إلى أعدائنا فنضاربُ

وقال الفرزدق :

ترفع لى خندفٌ والله يرفع لى .... (البيت)

وقال بعض السَّلوليِّين :

إذا لم تزلْ فى كلِّ دار عرفتَها لها واكفٌ من دمع عينيكَ يَسجُمِ [(٢)]

فهذا اضطرارٌ ، وهو فى الكلام خطأٌ ، ولكن الجيِّد قولُ كعب بن زهير :

وإذا ما تشاءُ تبــعثُ منها مغرِبَ الشَّمس ناشطاً مذعورا . اهـ

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٤ . وانظر المقتضب للمبرد ٢ : ٦٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٣ وابن يعيش ٧ : ٤٧ وديوان الفرزدق ٢١٦ .

(٢) فى النسختين : « تسجم » بالتاء هنا وفى المواضع التالية . والوجه ما أثبت من سيبويه والشنتمرى .

وقوله : « إذا قصرت أسيافنا » إلخ يأتى شرحه إن شاء الله بعد بيت الفرزدق .

وقوله : (ترفع لى خندفٌ) إلخ ، قال الأعلم : الشاهد فيه جزم تقِدِ على جواب إذا ؛ لأنَّه قدّرها عاملةً عمَل إنْ ضرورةً . يقول : ترفع لى قبيلتى من الشَّرف ماهو فى الشُّهرة كالنار الموقَدَةِ إذا قعدَتْ بغيرى قبيلتُه . وخِندِف : أمُّ مدركةَ وطابخةَ ابنَي الياس ، فلذلك فخر بخندِفٍ على قيس عيلان بن مضر .

وقوله : « إذا لم تزل فى كل دار » إلخ قال الأعلم : الشاهد فى جزم تَسجُم على جواب إذا كما تقدَّم . وتقدير لفظ البيت : إذا لم تَزل فى كلِّ دار عرفْتَها من ديار الأحبّة يسجمْ لها واكفٌ من دمع عينَيك . ومعنى يَسجُم ينصَبُّ (١) . والواكف : القاطر . ورفعه بإضمار فعلٍ دلّ عليه يَسجُم . ويجوز أن يكون مرتفعا به على التقديم والتأخير ضرورة . ويروى: « يسكب » .

والبيت لجرير فى قصيدة بائية ، ونسب إلى غيره فى الكتاب ، وغيِّرت قافيته غلطًا . ويحتمل أن يكون لغيره ، من قصيدة ميمية . صاحب الشاهد

وقوله : « وإذا ما تشاءُ تبعث » إلخ قال الأعلم : الشاهد فيه رفع مابعد إذا على ما يجب فيها . وصف ناقته بالنشاط والسُّرعة بعد سَير النهار كلِّه ، فشبَّهها فى انبعاثها (٢) مسرعةً بناشط قد ذُعر من صائدٍ أو سبُع . والناشط : الثور يخرج من بلد إلى بلد ، فذلك أوحَشُ له وأذعَر . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « ومعنى تسجم تنصب » . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) فى النسختين : « بانبعاثها » ، والوجه ما أثبت من الشنتمرى .

وروى بيت الفرزدق « إذا ماخبَتْ نيرانهُم تَقِدِ » . وعليه فلا ضرورة فيه . ووقع بهذه الرواية (فى بعض نسخ اللُّباب) وقال : إنه قليل . قال شارحه الفالى [(١)] : هذا البيت لم يوجد مذكورا فى نسخةٍ مقابَلة بنسخه المصنّف ، والظاهر أنَّه إلحاق ، والصواب إذا خمدت ، لأنَّ إذا بدون ماهو المبحث ، وأَما مع ما فتجويزُ الجزم به قد لا يستبعد ، لأَن إذْ مع « ما » جُوِّز الجزمُ بها ، فإذا مع « ما » أجدَر . انتهى .

ولم يرتضِ الشارح المحقِّق الجزمَ بإذاما أَيضًا كما سيأْتى فى آخر الكلام على إذَا وإذْ .

وقوله : « ترفعُ لى خندف » بكسر الخاء المعجمة والدال ، قال ابن هشام (فى السِّيرة) : قال ابن إسحاق : ولد الياس بن مضر ثلاثةَ نفر : مدركة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقِمَّعَة بن الياس ، بكسر القاف وتشديد الميم المفتوحة [(٢)] ، وأُمهم خِندف : امرأَة من اليمن ، وهى خندف بنت الحافِ بن قُضاعة . انتهى .

والخَندَفةُ : مِشيةُ كالهرولة ، ومنه سميِّت خندف ، واسمها ليلى ، نُسب ولد الياس إليها وهى أُمّهُم . وإنَّما افتخر بها الفرزدقُ لأَنَّه تميمى ، ونسب تميم ينتمى إليها . وتنوين خندف للضرورة . وقوله (والله يرفعُ لى) ١٦٤

---

(١) فى النسختين « القالى » ، صوابه بالفاء ، كما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٢) هذا ضبط غريب . والمعروف أن قمعة بفتحتين ، كما فى التهذيب والقاموس واللسان ، وكما ضبط فى كتب الأنساب . وقال فى التهذيب ١ : ٢٩٣ : « يقال إنه لقب بقمعة لأنه انقمع فى ثوب حين خرج أخوه مدركة بن الياس فى بغاء إبل له ، وقعد الأخ الثالث يطبخ القدر ، فسمى باغى الإبل مدركة ، وسمى طابخ القدر طابخة ، وسمى المنقمع فى ثوبه قمعة » .

أى إنَّ الرافع فى الحقيقة هو الله . وخمدت النار خُمودا من باب قعد : ماتت فلم يبق منها شىء ، وقيل سكنَ لهبُها وبقى جمرها . وأَما خَبَتِ النارُ خُبُوًّا من باب قعد أَيضًا [1] فمعناه خمَد لهبها . و (تقد) مضارع وقدت النار وَقْدًا من باب وعَد ، ووقودا ، أى اشتعلت .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أَوائل الكتاب [2] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه [3] :

٥٠٥ (إذا قصُرَتْ أَسيافُنا كانَ وصلُها خُطانـــا إلى أَعدائِنـــا فنُضاربِ)

على أَنَّ (إذا) جازمة للشرط والجزاء فى ضرورة الشعر ، بدليل جزم نضارب بالعطف على موضع جملة كانَ وصلُها إلخ الواقعة جوَابًا لإذا . ولولا أَنَّ جملة الجواب فى موضع جزم لما عطف عليه نضارب مجزوما . وأَما كسرة الباء فهى للروىّ .

والبيت الذى قبل هذا ظهر أَثر الجزم فيه على نفس الجواب ، بخلاف هذا البيت فإنَّه ظهر أَثره فى تابعه ، ولهذا قدَّمه على هذا البيت . وقد تقدَّم نقل كلام سيبويه .

وإلى متعلِّقة بوصلُها . ويجوز أَن يكون متعلِّقا بالخُطَا . والمعنى فنخطو إلى أَعدائنا . كذا قال اللَّخمُى .

وفيه على الأَوَّلِ الفصل بين المصدر ومعموله بمعمول غيره ، لأَنَّ خطانا

---

(١) وتقال من باب نصر أيضا ، والمصدر خبوا كنصرا .

(٢) الخزانة : ١ : ٢١٧ — ٢٢٣ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٣٤ والمقتضب ٢ : ٥٧ وابن الشجرى ١ : ٣٣٣ ، وابن يعيش ٤ : ٩٧ / ٧ : ٩٧ . وديوان قيس بن الخطيم ٤١ .

خبر كانَ ، والعامل فى إذا شرطها ، لأَنَّها ليست حينئذ مضافة إليه .

قال اللَّخْمىّ : ويجوز أَن يكون العامل كان .

وقال الأَعلم : يقول : إذا قصُرت أَسيافنا فى اللقاء عن الوصول إلى الأَقران وصَلْناها بخطانا مُقْدِمين عليهم حتَّى ننالَهم .

وقال اللّخمى (فى شرح أَبيات الجمل) : معنى البيت : إذا ضاقت الحرب عن مَجال الخيل واستعمال الرماح نزلنا للمضاربة بالسُّيوف ، فإن قصُرت عن إدراك الأَقران خطونا إليهم إقدامًا عليهم فأَلحقناها بهم . انتهى .

قال ابن الشجرى (فى أَماليه) : وإنَّما لم يجزموا بإذا فى حال السَّعة كما جزموا بمتى ، لأَنَّه خالف إنْ ، من حيث شرطوا به فيما لابدَّ من كونه ، كقولك : إذا جاءَ الصيف سافرت ، وإذا انصرم الشتاءُ قَفَلت . ولا تقول : إن جاءَ الصيف ولا إن انصرم الشتاءُ ، لأَنَّ الصَّيف لابدَّ من مجيئه والشّتاءَ لا بد من انصرامه . وكذا لا تقول : إن جاء شعبان كما تقول إذا جاءِ شعبان . وتقول : إن جاء زيدٌ لقيته ، فلا تقطع بمجيئه . فإن قلت إذا جاء ، قطعتَ بمجيئه . فلمَّا خالفتْ إذا إنْ ، فيما تقتضيه إنْ من الإبهام ، لم يجزموا بها فى سَعة الكلام . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ بائية مجرورةٍ لقيس بن الخطيم ، ووقع أَيضا فى شعرٍ رويُّه مرفوع .

أَما القصيدة المجرورة فعدَّتها ثمانية وثلاثون بيتا ، أَوردها محمد

ابن المبارك بن محمد بن ميمون (فى منتهى الطلب ، من أشعار العرب) ، ذكر فيها يوم بُعاث ، وكان قبل الإسلام بقريب . ومطلعها :

(أتعرِفُ رسماً كالطِّراز المذَهَّبِ   لعمرةَ وحشًا غيرَ موقف راكبِ

ديارَ التى كادت ونحنُ على مِنًى   تحُلُّ بنا لولا نجاءُ الرَّكائبِ

تبدَّتْ لنا كالشَّمس تحت غمامةٍ   بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ) ١٦٥

إلى أن قال :

(إذ مافرَرْنا كان أسْوَا فِرارِنا   صُدودَ الخدودِ وازوِرَارَ المناكبِ

صُدودَ الخدودِ والقنا متشاجرٌ   ولا تبرحُ الأقدامُ عند التضاربِ

إذا قصرت أسيافنا كان وصلُها   البيت)

قال ابن السِّيد : ورُوِىَ [1] : « إلى أعدائنا للتقارب » ، فلا شاهَد فيه . ورُوِىَ أيضا : « وإن قصرت أسيافنا ، فنضاربُ » بالرفع على الإقواء . وأسوا أصله مهموز فأبدل الهمزة ألفاً ، بمعنَى أقبح . يقول : لا نفرُّ فى الحرب أبدا وإنَّما نصدُّ بوجوهنا ونُميل مَناكبَنا عند اشتجار القنا ، أى تداخلِ بعضِها فى بعض . وهذا لا يسمَّى فرارا وإنَّما يسمَّى اتِّقاءً . وهذا ممدوحٌ فى الشُّجعان ، أى فإن كان يقع منَّا فرارٌ فى الحرب فهو هذا لا غير .

وأمَّا الذى رويُّه مرفوع فقد وقع فى شعرين أحدُهما فى قصيدة للأخنس ابن شِهاب التغلبىّ ، أوَّلها :

---

(١) ط : « روى » .

لِابنةِ حِطَّـانَ بنِ عوفٍ منـازلُ كما رقَّش العُنوانَ فى الرَّقِّ كاتبُ [١]

ثم ذكر بعض قبائل العرب ومدح قبيلته فقال :

فوارسُها من تغلبَ ابنة وائل حماةٌ كُماةٌ ليس فيها أشائبُ
وإن قصرت أسيافنا كان وصلها .... (البيت)

هكذا رواه المفضَّل بإن بدل إذا ، ولكن روى المصراع الثانى كذا :

* خطانا إلى القوم الذين نضارِبُ *

ورواه أبو تمام أيضًا بإنْ ، إلا أنَّه رواه : « إلى أعدائنا فنضارب » فيكون نُضارب خبر مبتدأٍ محذوف ، أى فنحن نضارب .

والقصيدة فى رواية المفضَّل الضبى فى (المفضليات) سبعة وعشرون بيتا ، وشرحَها ابن الأنبارىَ . ورواها أبو عمرٍو الشَّيبانى (فى أشعار تغلب) ثلاثين بيتا . وأوردها أبو تمام (فى الحَماسة) ثلاثة وعشرين بيتاً . ونقلها الأعلم الشنتمرىُّ (فى حماسته) . وهذا مطلعها عنده :

فمن يك أمسى فى بلادٍ مُقامُه يسائل أطلالًا بها ما تجاوبُ
فلابنة حِطَّانَ بنِ عوف منازلٌ .... (البيت)

وأورد منها (فى مختار أشعار القبائل) سبعة أبيات لا غير .

وأما الشِّعر الثانى فهو من قصيدةٍ عدتها أربعة وعشرون بيتًا لرُقيم أخى بنى الصَّاردة [٢] . وأوردها أبو عمرو الشيبانى (فى أشعار

---

(١) المفضليات ٣٠٤ .

(٢) فى النسختين : « الصادرة » بتقديم الدال ، صوابه بتقديم الراء ، كما سيأتى فى ٣٠٤ بولاق .

قبيلة محارب بن خَصَفة بن قيس عيلان) ، وهى عندى فى نسخة قديمة تاريخ كتابتها فى صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكاتبها أبو عبد الله الحسين بن أحمد الفزارى ، قال : نقلتها من نسخة أبى الحَسن الطُّوسى [١] وقد عُرضتْ على ابن الأعرابى . وهذا أولُها :

عَفت ذِورةٌ من آل ليلى فعازبُ فَمَيْثُ النَّقا من أهله فالذَّنائبُ

وهذه أسماء أماكنَ أربعة . إلى أن قال :

وقد علمتْ قيس بن عيلانَ أنَّنا لنا فى محلَّيها الذُّرى والذوائبُ
وإنَّا لنَقرِى الضَّيف من قَمع الذُّرا إذا أخلفَتْ أنواءَهُنَّ الكواكبُ
ونحن بنو الحربِ العَوانِ نشبُّها وبالحرب سُمِّينا فنحن مُحاربُ
إذا قَصُرت أسيافُنا كان وصلُها خطانا إلى أعدائنا فنضاربُ
فذلك أفنانَا وأبقى قبائلًا توقَّوْا بنا إذ قارعتنا الكتائبُ
نقلِّب بيضًا بالأكفِّ صوارماً فهُنَّ لهاماتِ الرجال عصائبُ

ثم ذكر حروبَهم وغلبتَهم فيها ، وختم القصيدة بقوله :

فتلك مساعينا لمن رام حربَنـا إذا ما التقتْ عند الحفاظ الكتائبُ

وأورد أبو محمد الأعرابىُّ الأسود (فى كتاب ضالَّة الأديب) أربعة أبيات من هذه القصيدة ، ولم يصرِّح باسم قائلها ، وهى :

تمنَّى دُرَيْدٌ أن يلاقىَ ثُلَّة فقارعَه من دون ذاك الكتائبُ
فنحن قتلنا بِكرَه وابنَ أُمِّه ونحن طعنَّا فى استِه وهو هاربُ

---

(١) اسمه على بن عبد الله بن سنان ، كما فى إنباه الرواة .

ونحن بنو الحرب العَوانِ نشبُّها .... (البيت)
إذا قصرت أَسيافنا كان وصلُها .... (البيت)

والبيتان الأَولان غير مذكورَين فى رواية أَبى عمرو الشَّيْبانى (١) ، والظاهر أَنَّهما من قصيدةٍ لآخر ، لأَنَّ رُقيمًا قال فى قصيدتهِ :

ويوم دُريد قد تركناه ثاويًا به داميات فى المَكَرِّ جوالبُ

وقال أَبو محمد الأَعرابى : سبب هذا الشعر أَنَّ دريد بن الصمة هجَا زيدَ بنَ سهْل المحاربى فى قصيدة قالها دريد ، حين غزا غطفان غزوة ثانية ، فأَغار على بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فهرب عياضُ بن ناشب الثعلبى ، ثم غزاهم فأَغار على أَشجع فلم يصبْهم ، فقال دريد فى ذلك :

قتلنا بعبْدِ الله خيرَ لِداته ذؤابَ بن أَسماءَ بنِ زيد بن قاربِ

وهى ثمانية عشر بيتا ، ومنها :

تمنَّيتنى زيدَ بنَ سَهلٍ سفاهةً وأَنت امرؤٌ لاتَحتويك مقانبُ
وأَنت امرؤٌ جَعْدُ القفا متعكِّسٌ من الأَقِطِ الحولِّىّ شَبعانُ كانبُ

وهذان البيتان بالرفع على الإقواء . والمتعكس : المتثنِّى غضونِ القفا . والكانب ، بالنون : الممتلئ الغليظ . وآخرها :

فليت قبورًا بالمِراضَيْن حُدِّثَتْ بشَدَّتنا فى الحىِّ حىِّ محاربِ (٢)

(١) كلمة « الشيبانى » ساقطة من ش .

(٢) قال ياقوت : تثنية المراض بلفظ جمع مريض ، ثنى بعد أن سمى . قال الليث : المراضان : واديان ملتقاهما واحد ، وقال : المراضان والمرايض : مواضع فى ديار تميم ، بين كاظمة والنقيرة ، فيها أحساء ، ليست من باب المرض ، والميم فيها ميم مفعل ، من استراض الوادى ، إذا استنقع فيه الماء .

قال أبو محمد : ولمَّا ذكر دريد محاربًا قال بعضُهم يردُّ عليه . وذكر الأبيات الأربعة .

وقد أورد الشريف الحسَينى هبة الله (فى حماسته) البيْتَ الشاهد مع بيتين آخرين من القصيدة التى رواها أبو عمرٍو الشَّيبانى ونسبها لِسَهْمِ بن مُرَّة المحاربى ، وهى :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلُها .... البيت

ونحن بنو الحرب العَوانِ نشبُّها .... البيت

فذلك أفنانا وأبقى قبائلا .... البيت

والله أعلم بحقيقة الحال .

فظهر ممَّا ذكرنا أنَّ البيت من ثلاث قصائد .

قال ثعلب : هذا البيت يتنازعه الأنصار ، وقريش ، وتغلب . وزعمت علماء الحجاز أنَّه لضِرار بن الخطَّاب الفِهْرى ، أحد بنى محاربٍ من قريش .

وقال ابنُ الأنبارى (فى شرح المفضليات) : هو للأخنس ١٦٧ ابن شِهاب . قال : هو أوَّل العرب وَصَل قِصَر السيوف بالخُطَى — فى قوله :

وإن قصُرت أسيافنا .... البيت

ومنه استرقَ كعبُ بن مالك الأنصاريُّ صلةَ السُّيوف فقال :

نَصِلُ السُّيوفَ إذا قصُرنَ بخَطْونا فُدُمًا ونُلحِقها إذا لم تَلحق

انتهى .

وهذا هو الصحيح ؛ لأنَّه قاله قبل أن يُخلق هؤلاءِ بدهرٍ ، كما

سيأتى . ومنه تعلم خطأ جماعةٍ اعترضوا على سيبويه فى روايته البيت بالكسر ، منهم ابن هشام اللخمى ، قال (فى شرح أبيات الجمل) : روى سيبويه هذا البيت بكسر الباءِ من نضارب على أن يكون معطوفًا على موضع كان ، والبيت من شعرٍ كلُّه مرفوع . وكذلك أدخله أبو تمام (فى حماسته) فيحتمل أن يكون سيبويه رواه مُقْوًى لقيس بن الخطيم ، والصَّحيح أنَّه للأخنس بن شهاب . هذا كلامُه .

واعلم أنَّ جماعةً من الشُّعراء تداوَلوا هذا المعنى ، وقد أوردْنا جملةً ممَّا قالوه فى الشاهد السادس والخمسين بعد الأربعمائة ، عند بيت كعب بن مالك الأنصارى (١) .

وزعم المبرِّد (فى الكامل) أنَّ قول أبى مخزوم النهشلى :

إذا الكُماةُ تنحَّوْا أن يَنالَهـمُ حَدُّ الظُّباتِ وصلْناها بأيدينا (٢)

مأخوذٌ من بيت كعب بن مالك . وليس كما زعمَ ، كما بيَّنَّا .

وممن تبع الأخنسَ بن شهاب فى المعنى جِنَاك بن سَنَّة العَبْسى الجاهلى — وهو بكسر المهملة وتخفيف النون وآخره كاف ، وسَنَّة بفتح السين المهملة وتشديد النون — قال :

أبنِى جَذيمة نحنُ أهلُ لِوائكمْ وأقلّكمْ يومَ الطِّعان جَبانا

كانت لنا كرمُ المَوَاطن عادةً نصِلُ السيوفَ إذا قصُرْن بخُطانا

أوردهما الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) .

---

(١) الخزانة ٦ : ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٢) فى النسختين : « تنالهم » بالتاء ، وأثبت ما فى الكامل ٦٥ .

ومنهم : أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ، قال :

والسيفُ إن قصَّره صانعٌ طوَّله يوم الوَغَى باعى [1]

ومنهم : وَدَّاك بن ثَمِيل المازنى ، قال :

مقاديمُ وصَّالون فى الرَّوع خطوَهم بكلِّ رقيقِ الشَّفرتينِ يَمَانى

ومنهم : نَهشل بن حَرِّىٍّ ، قال :

فتًى كان للرُّمح الأَصمِّ محطِّما طِعاناً وللسَّيف القصيرُ مطِيلَا [2]

ومنهم : عُبيد الله بن الحُرِّ الجُعْفى ، قال :

إذا أخذَتْ كفِّى بقائمِ مُرهَفٍ وكان قصيرًا ، عاد وهو طويلُ

ومنهم : نابغة بنى الحارث بن كعب ، واسمه يزيد بن أبان ، قال :

وإذا السيوف قصُرنَ بلَّغهَا لنا حَتَّى تناوَلَ ماتريدُ خطانا

ومنه قول عبد الرحمن بن سَلامة الحاجب :

ويومٍ تقصُر الآجالُ فيه نُطاوِلُه بأَرماحٍ قصارِ

وقال آخر :

تُطيل السيوفُ المرهَفَاتُ لدى الوغى خُطانا إذا ارتدَّتْ خُطًى وسيوفُ ١٦٨

وقد أخذه مسلم بن الوليد وزاد فيه وأجاد :

---

(١) الذى فى المفضليات ٢٨٦ :

وأضرب القونس يوم الوغى بالسيف لم يقصر به باعى

(٢) ط : « للرمح الأسن » ، صوابه فى ش .

إنْ قصَّر السيفُ لم يَمْشِ الخطى عددًا أو عرَّدَ السَّيفُ لم يَهمُمْ بتعريدِ [١]

قال ابن الأثير : (فى المثل السائر ، فى السرقات الشعرية) :
الضرب السادس : السَّلخ ، وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنًى آخر . فممَّا جاء منه قول الأخنس بن شهاب ، وأخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه . وأنشد البيتين .

وأخطأ الخالديَّان (فى شرح ديوان مسلم) ، فى زعمهما أنَّ مسلمًا أخذه من قيس بن الخطيم .

وروى أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ الحُصْرى (فى كتاب الجواهر ، فى الملح والنوادر) أنَّ بعض الأمراء أعطى سيفًا لرجل ، فقال : هو قصير . قال : صِلْه بخُطْوتك . قال : الصِّينُ أقربُ من تلك الخطوة !

ومثله ما رواه الخالديَّانِ قالا : روىَ أنَّ المهلَّب نظر إلى سيف مع بعض ولده فقال له : إنَّ سيفك لقصير . قال : ليس بقصيرٍ من يصِلُه بخَطْوه . فقال بعضُ من حضر المجلس : تلك الخُطوة أصعبُ من المشرق إلى المغرب .

وروى أنَّ الحجَّاج سأل المهلَّبَ أن يريَه سيفَه ، فلما نظر إليه قال : يا أبا سعد ، إنَّ سيفَك لقصير . قال : إذا كان فى يدى فَلَا .

قيس بن الخطيم

وأما قيس بن الخطيم فهو شاعرٌ فارس أنصاريٌّ ، مات كافرًا .
قال ابن حجر (فى الإصابة) : قيس بن الخطيم الأنصارى ، ذكره

---

(١) فى النسختين : « إن قصر السيف الخطا عددا » ، وتكملته من ديوان مسلم ١٥٩ ، وفى شرحه : « يقول : ان قصر الرمح عن إدراك من أراد أن يطعنه به لم يمش الخطا تباطؤا كمثل من يعد خطاه ، بل يسرع هو عند ذلك » .

علىّ بن سعد العسكرى [١] فى الصَّحابة ، وهو وهمٌ فقد ذكر أَهلُ المغازى أَنَّه قدِم مكة فدعاه النبىُّ ﷺ إلى الإسلام وتلا عليه القرآن فقال : إنِّى لأَسمعُ كلامًا عجيبًا ، فدعْنى أَنظرُ فى أَمرى هذه السنة ثم أَعودُ إليك . فمات قبلَ الحَول . وهذا هو الشاعر المشهور ، وهو من الأَوس ، وله فى وقعة بُعاثَ التى كانت بين الأَوس والخزرج قبلَ الهجرة أَشعارٌ كثيرة . انتهى .

والخَطيم ، بفتح الخاءِ المعجمة وكسر الطاءِ المهملة .

وهذه نسبته : قيس بن الخطيم بن عدِىّ بن عمرو بن سَواد بن ظَفَر — وظفر هو كعب — ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أَوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاءِ بن عمرو بن عامر — وهو ماء السماء — بن حارثة الغِطريف .

وقيسٌ شاعر الأَوس ، وهو القائل [٢] :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيس طعنةَ ثائرٍ ... لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أَضاءَها

ملكتُ بها كفِّى فأَنهرتُ فتقَها ... يَرى قائمٌ من دونها ما وراءَها

وكنت امرأً لا أَسمعُ الدَّهرَ سُبَّة ... أُسَبُّ بها إلَّا كشفتُ غِطاءَها

وإنِّىَ فى الحرب الضَّروسِ مُوكَّلٌ ... بإقدام نفسٍ لا أُريد بقاءَها

إذا سَقِمت نَفْسى إلى ذى عداوة ... فإنِّى بنصل السَّيف باغٍ دواءَها

متى يأْتِ هذا الموتُ لم تَبقَ حاجةٌ ... لنفسىَ إلَّا قد قضيتُ قضاءَها

---

(١) فى الإصابة : « على بن سعيد » .

(٢) ديوانه ٧ — ١٠ .

وقائم فاعل يرى . ودون ووراء من الأضداد ، فإن كان الأوَّل بمعنى قُدّام كان الآخر بمعنى خلف ، وإن كان الأوَّل بمعنى خلف كان الثانى بمعنى قُدّام . وملكت بمعنًى شددت وضبطت . وأنهرت : أوسعت : وقد ضمَّن المصراعَ الصفىُّ الحِلّىُّ فى قوله :

تزوَّجَ جارى وهو شيْخٌ صبيّةً ... فلم يستطعْ غِشيانَها حين جاءَها
ولو أنَّنى بادرتُها لتركتُها ... يَرى قائمٌ من دونها ما وراءَها

١٦٦

وابن عبد القيس الذى قتله هو رجلٌ من قبيلة عبد القيس . كان قتل أباه الخطيم فأخذ ثأْرَه منه .

ومن شعر قيْس :

وما بعضُ الإقامةِ فى ديارٍ ... يُهانُ بها الفتى إلَّا عَياءُ (١)
يريد المرءُ أن يُعطَى مناه ... ويَأْبَى اللهُ إلَّا ما يشاءُ
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بقومٍ ... سيأْتِى بعد شِدَّتها رخاءُ
ولا يُعطَى الحريص غنًى بحرصٍ ... وقد يَنمِى على الجود الثَّراءُ
غِناء النَّفس ما عَمِرَتْ غِناء ... وفقر النفس ما عَمِرَت شقاءُ (٢)
وليس بنافعٍ ذا البخلِ مالٌ ... ولا مُزْرٍ بصاحبه السَّخاءُ

(١) فى ديوانه ٩٦ : « إلا عناء » . وفى الحماسة بشرح المرزوقى ١١٨٧ : « إلابلاء » . ويقال داء عياء : لا دواء له . وقال المرزوقى : « قوله وما بعض الإقامة ، إنما بعَّضها لأنه أشار إلى الإقامة التى أوائلها تنزاح معها العلل ، ويسهل فى اختيارها الانفصال والترحل ، وأواخرها تتعرض بما يعرض فيها حتى يشق لها التلوم والتلبث » .

(٢) فى الديوان :

« غنًى النفس ما عمرت غنىٌّ »

وفى الحماسة :

« غنًى النفس ما استغنى غنىٌّ »

وبعضُ الداء ملتمَسٌ شفاه　　　وداءُ النُّوك ليس له شِفاءُ

قال صاحب الأغانى : قيس بن الخطيم هذا هو صاحب المنافسات مع حسان بن ثابت . وذلك أن حسّانًا كان يذكر ليلى بنت الخطيم أُختَ قيس فى شعره ، وكان قيس يذكر فى شعره امرأته عمرة ، كما ذكرها فى مطلع قصيدة البيت الشاهد .

وحكى المفضل قال : لما هدأت حربُ الأوس والخزرج تذكَّرت الخزرج قيسَ بن الخطيم ونكايتَه (١) فيهم ، فتواعَدوا إلى قتله ، فخرج عشيّةً من منزله يريد مالا له ، حتَّى مرَّ بأُطُم بنى حارثة ، فرُمِىَ منهم بثلاثة أسهمَ أحدُها فى صدره ، فصاح صيحةً سمعها رهْطُه ، فجاءُوهُ وحملوه إلى منزله فلم يَروْا له كفئاً إلَّا أَبا صعصعة بن زيد بن عوف ، من بنى النجَّار . فاندسَّ إليه رجلٌ حتَّى اغتاله فى منزله فضرب عنقه واشتمل [على] رأسِه ، وأتى به قيسًا وهو بآخرِ رمَقٍ فألقاه بين يديه وقال : يا قيسُ ، قد أدركتُ بثأرك . فقال : عَضِضتَ بأير أبيك إن كان غيرَ أبى صعصعة . فقال : هو أبو صعصعة . وأراه الرأس ، فلم يلبث أن ماتَ على كفره قبل قُدوم النبى ﷺ المدينة .

وأما الأخنس بن شهاب فقد قال ابنُ الأنبارى (فى شرح المفضليات) : هو الأخنس بن شهاب بن ثُمامة بن أرقم بن حُزابة بن الحارث ابن نُمير بن أسامة بن بكر بن معاوية بن غَنْم بن تغلب . والأخنس شاعر جاهلىٌّ قبل الإسلام بدهر . انتهى .

الأخنس بن شهاب

وأما رُقَيم أخو بنى الصَّاردة (٢) المحاربى فالظاهر أنَّه شاعرٌ إسلامى

---

(١) ط : « نكائته » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) انظر ما مضى فى ص ٢٨ .

لأن أبا عمرو الشبانى قال بعد تلك القصيدة : وقال رقيم أيضا وكان سعد بن مُعاذٍ الأنصارى خالَه :

اهتزَّ عرشُ الله ذى الجلالِ لموت خالى يومَ ماتَ خالى

ورُقَيم (بضم الراء وفتح القاف) . والصاردة اسمه سعد بن بَذاوة بن ذهل بن ثَعلف بن محارب . كذا (فى جمهرة الأنساب) .

ولم يذكرْهُ ابن حجر (فى الإصابة) . فإذا لم يكن صحابيا ولا مُخَضرمًا يكون تابعيًا ، ويكون سعد بن معاذ خالَ أبيه أو خالَ إحدى أمهاته . والله أعلم .

وقد أورد ابن حجر مَن اسمه رُقَيم من الصَّحابة [١] لكنَّه أنصارى لا محاربى . قال : أبو ثابت ، رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة الأنصارى الأوسى ، استُشْهِدَ بالطائف .

* * *

١٧٠ وأنشد بعده :

(إذَا الخصْم أبزَى مائِلَ الرَّأسِ أنكَبُ)

على أنَّ وقوع الجملة الاسمية بعد إذا شاذٌّ .

وتقدَّم ما يتعلَّقُ به فى الشاهد التاسع والخمسين بعد المائة [٢] . وهذا عجزٌ وصدرُه :

* فهلَّا أعَدُّونى لمثلى تفاقدوا *

(١) ش : « فى الصحابة » .

(٢) الخزانة ٣ : ٢٩ .

وهو من أبياتٍ مذكورة (فى الحماسةِ) وقد شرحناهَا هناك .

وإذا ظرفٌ لأعدُّونى . وجملة « تفاقدوا » اعتراضٌ بينهما . يقول : هلَّا جعلونى عُدَّةً لرجلٍ مثلى ، فقَدَ بعضهم بعضا ، وهلَّا ادَّخرونى ليومِ الحاجة إذا كان الخصمُ هكذا متأخِّر العَجُز مائِلَ الرأْس منْحرفًا . وهذا تصويرٌ لحال المقاتل إذا انتصب فى وجه مقصوده . ورجلٌ أَبزى بالزاء المعجمة : يخرج صدرهُ ويدخل ظهره . وأَبزى هنا مَثَلٌ ، ومعناه الراصد المخاتل ، لأَنَّ المخاتل ربَّما انثنى فيخرج عجزه . وفسَّره أَبو رياش بقوله : تحامَل على خصمه ليظلمه . فجعل أَبزى فعلا ماضيا ، وإنَّما المعروف بزَوْت الرجل ، ومنه اشتقاق البازى . وعليه فالخصم مرفوعٌ بفعل يفسِّره أَبزى ، فلا شذوذ حينئذ . قال فى القاموس : وبَزَى فلانًا : قَهره وبَطَشَ به [1] كأَبزى به . ويُرفع مائلُ الرأْس على أَنَّه بَدلٌ من الخَصم . والأَنكب : المائل ، وأَصله الذى يشتكى مَنكِبَيْه ، فهو يمشى فى شِقٍّ . ومائل الرَّأْس أَى مصعَّر من الكِبْر .

* * *

وأَنشد بعده . وهو الشاهد السادس بعد الخمسمائة :

٥٠٦ (حَتَّى إذا أَسلكوهمْ فى قُتَائدةٍ
شَلًّا كما تَطرد الجَمّالةُ الشُّردا [2])

---

(١) ط : « وتطيش به » ، صوابه فى ش والقاموس .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥٨ / ٢ : ٢٨٩ والإنصاف ٤٦١ والهمع ١ : ٢٠٧ وديوان الهذليين ٢ : ٣٨ .

على أنَّ جواب إذا عند الشارح المحقِّق محذوفٌ لتفخيم الأمر ، والتقدير : بَلغوا أَملَهم ، أو أَدركوا ما أَحبّوا ، ونحو ذلك .

وهذا هو الصواب من أَقوالٍ ثلاثة فى إذا .

قال ابن السِّيد (فى شرح أَبيات أَدب الكاتب) : هذا مذهب الأَصمَعىّ ، ومثله بقول الراجز :

لو قَدْ حَداهُنَّ أَبو الجودىّ برجَزٍ مُسْحَنْفِرِ الروِىّ

مستوياتٍ كنَوى البَرنىّ

أراد : لأَسْرَعْنَ .

وذهب جماعةٌ إلى أَنَّ شَلاًّ أَثر الجَوَاب ، إذ التقدير : شلُّوهم شلاًّ ، فاستغنى بذكر المصدر عن ذكر الفعل لدلالته عليه . منهم أَبو على (فى التذكرة) ، قال : شلًّا منتصب بجواب إذا .

ومنهم : ابن الشجرىّ (فى أَماليه) قال : البيت آخر القصيدة ، فلا يجوز أَن تنصب شلًّا بأَسلكوهم ، لئلًّا يبقى إذا بغير جوابٍ ظاهر ولا مقدَّر ، ولكن تنصبه بفعلٍ تضمره فيكون جوابَ إذا ، فكأَنَّكَ قلت : حتَّى إذا أَسلكوهم شلُّوهم شلًّا .

ومنهم : ابن الأَنبارى (فى مسائل الخلاف) قال : لم يأْت بالجواب ، لأَنَّ هذا البيت آخر القصيدة ، والتقدير فيه : حتَّى إذا أَسلكوهم شُلُّوا شلًّا ، فحذف للعلم به توخِّيًا للإيجاز .

وهذا المذهب غير سديد فى المعنى ، لأَنَّ الشلَّ أَي الطَّرد إنَّما كان قبل إسلاكهم فى قتائدة ، أَى إدخالهم فيها ، وكلامهم يقتضى

أن يكون بعد ذلك ، وهو فاسد ، وإنّما شلاً حال من الواو ، أى شالّين ، أو مِنْ هم ، أى مشلولين . والأقيس الأوّل لقوله كما تطردُ الجَمالة ، فشبّه الشلّ بشلّ الجمّالة ، وهم الطاردون . وإذا كان حالًا من ضمير المفعول وجَبَ أن يقول : كما تُطردُ الجمالُ الشُّرد ، وهو مع ذلك جائز لأنَّ العَرب قد توقع التشبيه على شىء والمراد غيره . والكاف فى كما فى موضع الصِّفة لشلًّا ، ١٧١ وما مصدريَّة ، كأنّه قال : شلاً كطرد .

و (الشُّرّد) بضمتّين : جمع شَرود : وهى مِن الإبل التى تفرّ من الشىء إذا رأته ، فإذا طُرِدت كان أشدَّ لفرارها ، فلذلك خصَّها بالذكر .

قال ابن السِّيد : وقال أبو عبيدة : إذا زائدة ، فلذَلك لم يؤت لها بجواب . فالميدانىُّ مسبوق بأبى عبيدة فى هذا لا أنَّهُ قولُه كما هو صريحُ كلام الشارح المحقّق . ويؤيِّده ما روَى أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمنى (فى ترجمة أبى عبيدة من طبقات النحويِّين) قال : حَدَّثونا عن رجل عن أبى حاتم قال : أملى علينا أبو عبيدة بيتَ عبد مناف بن رِبْع الهُذَلى :

حتَّى إذا أسلكوهم فى قتائدةٍ .... البيت

قال : هذا كلامٌ لم يجىءْ له خبر [1] .

وهذا البيت آخر القصيدة . قال : ومثله قول الله جل ثناؤه : ﴿ ولو أنَّ قُرآنًا سُيِّرت به الجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ به الأَرْضُ ﴾ إلى قوله : ﴿ بلْ للهِ

(١) المراد بالخبر هنا الجواب .

الأَمْرُ جميعًا ﴾ (١) ، قال : فجئت إلى الأَصمعىّ فأخبرتُهُ بذلك فقال : أخطأَ ابنُ الحائك ، إنَّما الخبر فى قوله شلاًّ ، كأَنه قال : شَلُّوهم شلاًّ . قال : فجعلت أُكتبُ ما يقول ، ففكَّر ساعة ثم قال لى : اصبر فإِنّى أُظنُّهُ كما قال ؛ لأَنَّ أَبا الجودىِّ الراجز أَنشدنى :

لو قد حَداهنَّ أَبو الجودىٌّ برجز مُسحَنْفرِ الـروىٌّ
مستويابٍ كنوىَ البَرنىٌّ

فهذا كلامٌ لم يجىءْ له خبر . انتهى .

وهذا النقل يخالف ما قاله ابن السِّيد ، وكذلك يخالفه قول شارح أُشعار هذيل السُّكَّرِىّ (٢) ، وهو غير أَشعار الهذليين ، فى شرح هذا الشعر ، قال الأَصمَعىُّ : هذا ليس له جوابٌ ، وقد سمعت خلفًا ينشد (٣) عن أَبى الجودىٌّ :

لو قد حداهنَّ أَبو الجودى .... (الأَبيات)

لم يجعل له جوابا . وقال : قد يقال إِنَّ قوله شلاًّ جوابٌ ، كأَنَّه قال : حتَّى إِذا أَسلكوهم شلُّوهم شلاًّ . انتهى .

فالنقل عن الأَصمعىِّ مضطربٌ كما ترى .

وقال فى الصحاح : إذا زائدة ، أَو يكون قد كفَّ عن خبره لعلم السامع . انتهى .

ولا ينبغى القولُ بزيادة إِذَا لأَنَّها اسم ، والاسم لا يكون لغوًا . وعلى تقدير القول يكون شلاًّ حالاً أَيضا كما قلنا .

(١) الآية ٣١ من سورة الرعد .
(٢) ط : « للسكرى » ، صوابه فى ش .
(٣) ش : « ينشدهن عن أبى الجودى » .

وقوله (أَسلكوهم) أَسلَك لغة فى سلَك ، يقال أَسلكت الشَّىء فى الشيء مثل سلكته فيه ، بمعنى أُدخلته فيه ، ولهذا أَنشد صاحبُ الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ فاسلُكْ فِيهَا من كلٍّ زوجين اثنين [1] ﴾ .

و(قُتائِدة) بضم القاف بعدها مثنَّاة فوقية وبعد الأَلف همزة : بعدها دال مهملة . قال ابن السِّيد : هى ثنيَّة ضيِّقة . وقال الأَصمعىُّ : كلُّ ثنيَّة قتُائدة . وقال فى الصحاح : قُتائدة : اسم عَقَبة . وأَنشد البيت وقال : أَى أَسلكوهم فى طريقِ قُتائدة . وقال البكرى (فى معجم ما استعجم) : قال اليزيدى عن ابن حبيب : هى جبلٌ بين المنصَرف والرَّوحاء . وعلى قول الأَصمعى لا يكون صرفها للضرورة . قال أَبو الفتح : همزة قتائدة أَصلٌ لأَنَّها حشو ولم يدُلَّ [2] على زيادتها دليل . قال : ولا تحملْها على حُطائط وجُرائض [3] لقلَّتهما . انتهى .

ونقل ياقوت (فى معجم البلدان) عن الأَزهرى أَنَّها جبل . وأَنشد البيت .

(والشَّلُّ) : الطرد . و (الجَمَّالة) : فاعل تَطْرُد . قال ابن السِّيد : والجمَّالة : أَصحابُ الجمال ، كما يقال الحَمَّارة لأَصحاب الحمير ، والبغَّالة لأَصحاب البغال . ولم يقولوا فَرَّاسة ولا خَيَّالة . انتهى .

وقال ابن الشجرىِّ (فى معانى التاء) : الضرب الرابع أَنْ يدلَّ

---

(١) الآية ٢٧ من سورة المؤمنون .

(٢) ط : « ولم يدخل » ، صوابه فى ش . وقد تنبه لذلك مصحح بولاق فقال : « لعله لم يدل » .

(٣) فى النسختين : « وجرائد » ، صوابهما ما أثبت .

١٧٢ لحاق التاء على الجمع ، كقولهم رجُلٌ جمَّال ورجالٌ جَمَّالةٌ ، وبغَّال وبغَّالة ، وحمّار وحَمَّارة ، وسيَّارٌ وسيَّارة . وأُنشد البيت .

(والشُّرُدُ) بضمتين كما تقدَّم ، قال فى الصحاح ، ويروى البيت بفتحتين أيضًا على أنَّه جمع شارد ، كَخَدمٍ جمع خادم . وقد وُصف فى هذا البيت قومٌ هزموا حتَّى أُلجئُوا إلى الدخول فى قتائدة .

وقد استشهد أبو على به على أنَّ تاء التأْنيث قد تجىء دالَّة على عكس دلالتها فى باب تمرة وتمر . قال أَحد شرَّاح أَبيات الإيضاح : أَلا ترى أَنَّ جمَّالة واقعٌ على الجمع ، فإنْ أَردت الواحد أَسقطت التاء فقلت جَمَّال . وتمرة واقعة على المفرد ، فإن أَردت الجمع أَسقطت التاء فقلت تمر . فإن قال قائل : لعل التاء لم تلحق جمالةً وأَمثاله لما ذكرتم من التَّفرقة بين الجمع والمفرد ، ولحِقتْه [1] من حيث كان صفة الجمع . أَلا ترى أَنَّ الأَصل كما تَطرد الرِّجالُ الجمالَةُ الشُّرُدَ . والجمعُ وإن كان لمذكّر قد تعامِلُه العربُ معاملةَ الواحدة من المؤنث ، ومن ذلك قولهم : « الرجال وأَعضادها ، والنساء وأَعجازها » . قيل له : الدليل على أَنَّ التاء فى جمَّالة دخلت لِما ذكر من الفرق ، أَنَّها من الصفات التى أَتت على معنى النَّسب كدارع ولابنٍ . أَلا ترى أَنَّها غير مأْخوذةٍ من فعل ، كما أَنَّ دارعا ولابنًا كذلك . وقياس الصِّفات التى تأْتى على معنى النسب التى ١٧١ لا تلحقها التاء وإنْ جرَت على مؤنث نحو حائض وطامث ، فكان ينبغى على هذا أن لا تلحق التاء ، لولا ما أُريد من التفرقة بين المفرد والجمع . وإنَّما أَدخلوها حين أَرادوا التفرقة فى صفة الجماعة ولم يدخلوها

---

(١) ط : « ولخفته » ، صوابه من ش

فى صفة المفرد ، لأنَّ جمع التكسير وإن كان لمن يعقل قد يُعامَل معاملة الواحدة من المؤنث كما تقدَّم ، فكانت بذلك (١) أَحقَّ بالتاء . إلى هنا كلامه .

صاحب الشاهد والبيت آخر قصيدةٍ عدّتها اثنا عشر بيتًا لعبد مناف بن رِبْع الجُرَبىّ (٢) . وهى :

أبيات الشاهد

(مَاذا يَغير ابنَتىْ ربعٍ عويلُهما	لا ترقُدان ولا بُؤسَى لمن رقدا
كلتاهما أُبطِنَتْ أَحشاؤها قصبًا	من بطن حَلْيَةَ لا رطبًا ولا نقِدَا
إذا تجرَّد نَوْحٌ قامتا معه	ضَربًا أَليمًا بسِبْتٍ يَلعَج الجِلِدا
من الأَسى أَهلُ أَنف يومَ جاءَهم	جَيشُ الحمارِ فجاءُوا عارضا بَرِدَا
لنعم ما أَحسَنَ الأَبياتَ نَهنهةً	أُولى العَدِىِّ وبَعْدُ أَحسَنُوا الطَّرَدا
إذ قدَّموا مائة واستأْخرت مائةٌ	وَفْياً وزادوا على كِلتيهما عددا
صابوا بِستة أَبياتٍ وأَربعة	حتَّى كأَنَّ عليهم جابئا لِبدا (٣)
شدُّوا على القوم فاعتطُّوا أَوائِلهم	جيشَ الحمارِ ولاقَوا عارضًا برِدَا
فالطعن شغشغة والضربُ هيقعةٌ	ضربَ المعوِّل تحت الدِّيمة العَضَدا (٤)

---

(١) ش : « لذلك » .

(٢) الجربى ، بضم ففتح : نسبة إلى جريب بن سعد بن هذيل كما سيأتى . وفيهم يقول المعترض بن حبواء الظفرى :

رغبنا عن دماء بنى جريب ونعشو بالصميم إلى الصميم

وانظر شرح أشعار الهذليين ٦٧٧ ، ٦٧٩ ، ٦٩٣ .

(٣) فى شرح السكرى ٧٦٤ : « ويروى : طافوا ، ويروى : جاءوا بستة » . وفى ش : « صعلبوا » مع أثر تغيير ، وليس بالوجه . وفى النسختين : « حابئا » صوابه بالجيم من شرح أشعار الهذليين .

(٤) ط : « فالطعن شفشفة » وكذا وردت فى الشرح . والصواب ما أثبت من ش فى الموضعين .

وللـقسيّ أزاميـلٌ وغمغمـــةٌ حِسُّ الجَنُوب تسوقُ الماءَ والبردا

كأنَّهمْ تحت صَيفيٍّ له نَحَمٌ مصرِّح طحَرتْ أسناؤه القَرَدا

حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة .... (البيت)

قوله : « ماذا يَغيرُ ابنتى رِبعٍ » إلخ قال شارح القصيدة : غارَ أهلَهُ : مارَهُم . وابنتا ربع هما أختا الشاعر . والعويل : رفع الصوت بالبكاء . لاترقدان : لا تنامان ، ومَنْ نام فلا بؤسى له ، فإنَّ الذى ينام مستريحٌ بخيرٍ فى راحة ، قريرُ العين ، وإنَّما البؤس على من حزن لسَهرٍ أو مرض . والبُؤس : الضِّيق والشدة .

١٧٣

وقوله : « كلتاهما » إلى آخره ، هذا مثل ، أى كأنَّ فى صدورها مزاميرَ من البكاء والحنين . « ومن بطن حلية » أى هذا القصب الذى يُزمَر به أُخذ من بطن حَلية ، بفتح المهملة وسكون اللام بعدها مثناة تحتية : اسم واد . والنَّقِد بفتحٍ فكسر : المتأكِّل .

وقوله : « إذا تجرَّد نَوْحٌ » إلخ جمع نائحة ، أى إذا تهيأ نساءٌ للنَّوح . وضربا ، أى وضَرَبنا ضربًا . بسِبْت [١] بالكسر ، وهو الجلد المدبوغ . كانَ النساء يَلطِمن خدودهنَّ بجلدة . ويَلعَج : يُحرِق ، يقال وَجَدَ لاعجَ الحزن ، أى حُرْقته ، والجِلِد بكسر اللام لغة فى سكونها ، أراد جلد وجهها .

وقوله : « من الأسى » إلخ الأسى : الحزن . وأنْف : بلدٌ به قُتلوا يومئذ . وقوله : « جيش الحمار » كانوا غزَوْا ومعهم حمارٌ يحملون

(١) ش : « بالسبت » .

عليه زادهم . والعارض : الجيش ، شبَّهه لكثرته بالعارض من السَّحاب الممتلئ ماءً . والبَرِد بكسر الراء : الذى فيه البَرَد بفتحتين .

وقوله : « لنعم ما أَحسن » إلخ وروى :

عمرى لقد أَحسن الأَبياتَ نهنهةً أُولى الخمـــــيس .....

والنهنهة : الرَّدُّ . وأُولى العَدىّ : العادية ، وهى الحاملة [(١)] . والأَبيات : قوم أُغير عليهم . وأَحسنوا الطرَد ، أى أَحسنوا طِرادهم . وأُولى مفعول لنهنهة . والمعنى : نعم ما أَحسنوا رَدَّ العدى ، وأَحسنوا مطاردتَهم بَعْدُ .

وقوله : إذْ قدَّموا مائة إلخ ، وروى أَبو عبد الله :

فقدَّموا مائة وأَخَّروا مائة كلتاهما قد وفَتْ وازدادَتا عدَدا

وقوله : « صابوا بستَّة » إلخ صابوا : وقعوا . وصابَ المطر : وقَع . والجابئ [(٢)] بموحَّدة فهمزة : الجراد . واللَّبِد ، بفتح فكسر : المتراكب بعضُه على بعض . واللُّبد بضم ففتح : الكثير . يقول : من كثرةِ ما وقع عليهم الناسُ كأَنَّ عليهم جرادًا منقضًّا .

وقوله : « شدُّوا على القوم فاعتطُّوا » : شقُّوا أَوائل القوم . وجيش الحمار بالجرّ بدل من ضمير الجمع المضاف ، وبالنصب بدل من أُوائل . وقيلَ له جيش الحِمار لأَنَّه كان فى الجيش حمارٌ جاءوا عليه . ويقال إنَّما

---

(١) فى اللسان (عدا ٢٥٨) : « العدى أول من يحمل من الرجالة وذلك لأنهم يسرعون العدو ... ويقال رأيت عدى القوم مقبلا ، أى من حمل من الرجالة دون الفرسان » .

(٢) فى النسختين : « الحابئ » بالحاء المهملة ، صوابه من شرح الهذليين واللسان (جبأ) .

كان معهم حِمارٌ يحمل بعضَ متاعهم . يقول : لَاقَوا جيشًا مثل العارض الذى فيه بَرَدٌ .

وقوله : « فالطعن شغشغة » (١) إلخ الشغشغة بمعجمتين : حكاية صوت الطَّعن فى الأَجواف والأَكفال . والهيقعة : حكاية صوت الضرب بالسيوف (٢) . والمعوِّل بكسر الواو المشددة : الذى يبنى عَالَة . والعالَة : شجر يقطعه الرامِى فيستظلُّ به من المطر . والعَضَد بفتحتين : ما قطع من الشجر ، والمضارع بكسر الضاد ، يقال عضد يَعضِد عَضْدا ، إذا قطع . وجعلَه تحتَ الدِّيمة لأنه أَسمع لصوته إذا ابتلّ .

وقوله : « وللقسى أزاميل » : جمع أَزمَل ، والياء من إشباع الكسرة . وأَزمَل كل شيءٍ : صوته . يريد أَنَّ لها أَصواتًا تختلط فتصير واحدًا . والغمغمة : صوتٌ لا يفَهم . والحِسّ : الصوت . والجَنُوب : الرِّيح . أَى لها صوتٌ كدوىّ الريح الجنوب .

وقوله : « كأَنَّهم تحت صيفىٌّ إلخ » ، أَى سحاب . له نَحَم بفتح النون والحاء المهملة ، أَى صوت ينتحم (٣) مثل نحيم الدابة . مصرِّح : صرَّح بالماء : صبَّه وانكشف فصار غيمًا خالصًا ، ونفَى عنه القَرَد بفتح القاف والراء المهملة ، وهو من السَّحاب : الصِّغار المتلبِّد المتراكبُ بعضُه

---

(١) ط : « شغشقة » فى هذا الموضع وتاليه ، والصواب فى ش وشرح السكرى واللسان والمقاييس (شغغ) والحيوان ٤ : ٤٠٦ .

(٢) ش : « الضرب بسيف » .

(٣) وكذا فى شرح السكرى ٦٧٥ . وفى ط : « ينحم » . وفى القاموس : « والانتحام : الاعتزام ، وقد انتحمت على كذا وكذا » . ومما يجدر ذكره أن البغدادى اعتمد اعتمادا كبيرا فى شرح هذه القصيدة على الأخذ من شرح السكرى .

على بعض . وطَحرت : دفعت . والأَسناء : جمع سنًا وهو الضوء . يقول : كأَنهم تحت مطرٍ صيفىٍّ مما يقع بهم ، له نَحَم ، أَى صوتُ رعد . ويروى : « لهم نحم » . ١٧٤

عبد مناف بن ربع

وعبد مناف : شاعرٌ جاهلى من شعراء هذيل ، وهو ابن رِبْع الجُرَبى ، بكسر الراء وسكون الموحّدة . والجُرَبى ، بضم الجيم وفتح الراء المهملة : نسبة إلى جُرَيب كقريش ، وهو بطنٌ من هذيل ، وهو جُرَيب بن سعد بن هذيل . وهذه الوقعة يقال لها : « يوم أَنْف » بفتح الأَلف وسكون النون ، وهو بلدٌ يلِى ديارَ بنى سُلَيم من ديار هذيل . وقال السكَّرى : أَنفٌ : داران ، إحدَاهُما فوق الأُخرى بينهما قريبٌ من مِيل . ويقال أَنف عاذ فيضاف ، بالعين المهملة والذال المعجمة ، كذا قال السكرى . وبدالٍ مهملة رواها أُبو عمرو .

وكانت بنو ظفر من بنى سُلَيم حربًا لهُذيل ، فخرج المعترضُ بن حَنْواء الظَّفَرى يغزو بنى قِرد من هذيل [(١)] ، وفى بنى سُلَيم رجلٌ من أَنفسهم كان دليلَ القوم على أَخواله من هذيل ، وأُمُّه امرأَةٌ من بنى جُرَيب بن سعد ، واسمه دُبَيَّة ، فدلَّهم فوجَد بنى قرد بأَنْف ، وبنو سليم يومئذ مائتا رجل ، وزامِلتُهم حمار . فلمَّا جاء دُبَيَّة بنى قرد قالوا له : أَى ابنَ أُختنا ، أَتخشى علينا من قومك مَخْشًى ؟ قال : مَعاذ الله . فصدَّقوه وأَطعموه ، وتحدَّثوا معه ساعةً من

(١) ش : « قرد بن هذيل » ، والصواب فى ط ومعجم ما استعجم ٢٠٢ ونسب عدنان وقحطان للمبرد ٦ . وفى تاج العروس : « قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل » وفيه المثل المشهور : « أزنى من قرد » . أمثال الميدانى والدرة الفاخرة ١ : ٢١٣ وغيرهما من كتب الأمثال .

الليل . ثم قام كلّ واحد منهم إلى بيته ، ورمقَه رجلٌ من القوم وأوجس منه خيفة ، حتّى إذا هدأ أهلُ الدار فلم يَسْمع رِكزَ أحدٍ ولا حِسَّه ، لم ير إلّا إيَّاه قد انسلَّ من تحت لِحافِ أصحابه . فحذَّر بنى قرد لذلك ، فقعد كلُّ رجل منهم فى جوف بيته آخذًا بقائم سيفه ، أو عَجْس قوسه ومعه نَبْله . وحَدَّث دُبَيَّةُ أصحابَه بمكان الدارَين [(١)] ، فقدِموا مائةً نحو الدار العليا ، وتواعدوا طلوعَ القمر ، وهى ليلةَ خمسةٍ وعشرين من الشهر ، والدارُ فى سفح الجبل ، فبدَا القمر للأسفلِينَ قبل الأعلَيْن ، فأغار الذين بدا لهم القمر فقتلوا رجلا من بنى قرد ، فخرجوا من بيوتهم فشدُّوا عليهم فهزموهم ، فلم يُرْعِ الأعلَيْنَ إلّا بنو قرد يَطرُدون أصحابهم بالسُّيوف ، فزعموا أنّهم لم ينج منهم ليلتئذٍ إلّا ستون رجلا من المائتين ، وقُتل دُبَيَّة ، وأُدرِك المعترضُ فقُتل أيضاً .

وقال عبد مناف بن رِبْع هذه القصيدةَ ، وذكر فيها هذا اليوم .

وقد أطلتُ الكلام هنا لأنّى لم أر من شرح البيت الشاهد كما ينبغى ، ولم يذكر أحدٌ القصيدةَ ولا اليومَ كان سبباً لها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الخمسمائة :

٥٠٧ (فأَضْحَى ولو كانت خُراسانُ دُونَه رآها مكانَ السُّوق أَو هِىَ أَقربا [(٢)])

(١) انظر ما سبق من قول السكرى : « أنف : داران ، إحداهما فوق الأخرى » .
(٢) الكامل ٢١٧ والأغانى ١٣ : ٤٠ .

لما ذكره . قال أبو على (فى التذكِرة القَصْرية) : هى لا تدخل فصْلًا فى قول أصحابنا قبل نكرة ، فإذا كانت أقربُ بمنزلة قريب لم تكن هى فصلًا ، وإذا لم تكن فصلاً كان « أو » عطفًا على عاملين . انتهى .

وفيه مسامحة ، إذ مُراده على معمولى عاملين ، فهى معطوف على مفعول ترى ، وأقرب معطوف على مكان .

وقال (فى إيضاح الشِّعر) : لاتخلو هى من أن تكون مبتدأً ، أو وصفًا ، أو فصلا . فلا تكون مبتدأً لانتصاب ما بعده ، فبقى أن تكون وصفًا أو فصْلاً . وذلك أنّ قوله : « رآها مكان السُّوق » دالٌّ على : أو رآها ، فحذفها من اللفظ لدلالة ما تقدَّم عليها ، فصار التقدير : أو رآها أقرَب ، أى أو رآها أقربَ من السوق ، فصارت هى فصلاً بين الهاء والخبر المنتصب .

١٧٥

وقد يجوز أن تجعل هى وصفًا للهاء التى هى المفعول الأوّل ، كما جاز ذلك فى : ﴿ تَجِدُوه عِنْدَ اللهِ هو خيرًا [١] ﴾ . والأوّل أوجه ، لأنّ المحذوف لحذفه يستغنى عن وصفه .

ويجوز أن يكون أقرب ظرفًا . فإذا جعلته ظرفًا ولم تجعله وصفًا كان مبتدأً وأقرب الخبر ، والتقدير : أو هى أقرب من السُّوق . ومثله : ﴿ والرَّكب أسْفَلَ مِنْكم [٢] ﴾ . انتهى .

---

(١) الآية ٢٠ من سورة المزمل .

(٢) الآية ٤٢ من الأنفال .

وهذا الأخير هو مراد الشارح المحقق . وأراد بالوصف التوكيد ، وهو تعبير سيبويه .

وقال أبو حيّان (فى تذكرته) : قال الفرّاء : إذا قيل منزلك بالحِيرة أو أقرب منها ، ففى « أقرب » الرّفعُ والنصب ، أى : أو منزلك أقرب من الحيرة أو مكانًا أقرب منها ، أو يكون موضع أقرب خفضًا بالنسق على الحِيرة ، معناه أو بأقرب منها . وأنشد الفراء :

فأضحى ولو كانت خُراسانُ دونه رآها مكان السُّوق أو هى أقربا

فنصب الأقرب على المحَلّ ، وتأويله : أو هى مكانًا أقرب من خراسان . على أنّه قد جوّز مجوّزٌ نصبَ أقرب فى البيت على خبر رأى المضمرة ، وقدّره : أو رآها هى أقرب . انتهى .

وقوله : أقرب من خراسان سَهوٌ ، وصوابه أقرب من السُّوق .

ثم قال أبو حيان : وقد قال الفراء : العرب تؤْثر الرفع مع أو . واحتجّ بقول الله تعالى : ﴿ فهى كالحجارَةِ أو أشدُّ قَسْوة [1] ﴾ . رفعت القُراء أشدّ ولم تحمِلْه على العطف ، وبَنَته على : أو هى أشدُّ قسوة . على أنّه يجوز فى النّحو أو أشدَّ قسوة بنصب أشدّ ، وموضعه خفض بالنسق على الحجارة ، أى كالحجارة أو كأشدَّ قسوة . فإنّما أُوثر الرفع مع أوْ لأنّها تأتى بمعنى الإباحة : إن شبّهتم قلوب هؤلاء بالحجارة أصبتم ، أو بما هو أشدُّ قسوة من الحجارة أصبتم ، وإن شبّهتم قلوبهم بالحجارة وما هو أشدُّ قسوة منها لم تخطئوا ، كما يقال : جالس الحسنَ أو ابنِ سيرين . يعنى قد أبحتُ إفراد أحدِهما

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

بالمجالسة ، والجمعَ بينهما فى ذلك . فلمَّا أَتت « أَوْ » بهذا المعنى اختارُوا أَن لا يعربوا ما بعدها بإعراب الذى قبلها إذا أَمكن الاستئناف ، ليدلَّ بذلك على استواء الجملتين اللتين إِحداهما قبلها والأُخرى بعدها . ولو لم يكن استئنافٌ اختلط الذى بعدها بالذى قبلها ، وسقط معنى الاختصاص بالإباحة . انتهى .

وهذا يؤيِّد كون أَقرب ظرفًا خبرًا لهى .

صاحب الشاهد والبيت آخر أَبيات خمسة لعبد الله بن الزَّبِير الأَسدىّ ، رواها المبرِّد (فى الكامل) وغيره ، وهى :

أبيات الشاهد

(أَقول لعبدِ الله يومَ لقيتُه أَرى الأَمر أَمسى منصِبًا متشعِّبا
تَجهَّزْ فإمَّا أَن تزور ابنَ ضابئٍ عُمَيرًا وإمَّا أَن تزور المهلَّبا
هما خُطَّتا خسفٍ نجاؤك منهما ركوبك حَوليًّا من الثَّلج أَشهبا
فما إن أَرَى الحجّاجَ يُغمِد سيفه يَدَالدهرحَتَّى يترك الطفلَ أَشيبا[1]
فأَضحى ولو كانت خراسان دونه رآها مكان السُّوق أَو هى أَقربا)

قوله : « أَقول لعبد الله » روى صاحب الأَغانى « أَقول لإبراهيم » . وأَوردَ منشأَ هذه الأَبيات مختصَرًا فقال :

لمَّا قدم الحجاج الكوفة صعِد المنبرَ وأَوعد أَهلَها وهدَّدهم ، ثم حثَّهم على اللَّحاق بالمهلَّب بن أَبى صُفرة ، وأَقسم إن وَجَد منهم أَحدًا

(١) ط : « يدى الدهر » ش : « يدا الدهر » ، والصواب ما أثبت . وفى اللسان : يد الدهر ، أى الدهر . هذا قول أبى عبيد . وقال ابن الأعرابى : معناه لا آتيه الدهر كله . قال الأعشى :

رواح العشى وسير الغدو يد الدهر حتى تلاقى الخيارا

١٧٦ اسمُه فى جريدة المهلَّب بعد ثالثة بالكوفة قتله . فجاءه عُمير بن ضابئ البرجُمىّ فقال : أيُّها الأمير : إنّى شيخٌ لا فضلَ فىَّ ، ولى ابنٌ شابٌّ جَلْد ، فاقبلْه بدلًا منى . فقال أبو عَنبسَة بن سعيد بن العاص : أيُّها الأمير ، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتولٌ فرفسَه وكسر ضِلَعين من أضلاعه ! فقال له الحجاج : فهلَّا يومئذ بعثت بدلًا ؟ ياحَرَسىُّ آضرِبْ عنقَه [1] فسمع الحجاج ضَوضاةً فقال : ما هذا ؟ فقيل : هذه البراجم جاءت لتنصُر عُميرًا . فقال : أتْحِفُوهم برأسه ! فولَّوا هاربين ، فازدحم الناس على الجسر للعُبور للمهلَّب حتَّى غرِق بعضُهم ، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسدى :

أقول لإبراهيم لمَّا لقيته ... (الأبيات المذكورة) .

والمُنْصِب : اسم فاعل من أنصبَه أى أتعبه . والمتشعِّب أيضًا : اسم فاعل من تشعَّب ، أى تفرَّق .

وقوله : « تجهَّزْ فإما » إلخ أى تهيَّأْ لأحد هذين الأمرين : إمَّا يقتلُك الحجاجُ كما قتل عُميرًا وإمَّا تلحقُ المهلَّب .

وقوله : « هما خُطَّتا خسفٍ » إلخ الخُطَّة بالضم : الحالة . والخَسْف بفتح المعجمة : الذُّل . ونجاؤك ، أى خلاصك . والحَولىّ ، هو من كلِّ ذى حافر ما استكمل سنةً ودخل فى الثانية . والأُنثى حوليَّة ، وأراد بِهِ هنا المُهْر . والأشهب من الخيل وغيره : ما غلب بياضُه على سوادِه . ومن الثُّلْج صِفة أُولَى لحولىٍّ ، وهو بالضم جمع أثْلَج ، وهو الفرحان

---

(١) ويروى : « أضربا عنقه » على إرادة نون التوكيد الخفيفة التى نقلب ألفا فى الوقف ، ثم يجرى الوصل مجرى الوقف .

وانظر ما سبق فى ٦ : ١٤٨ .

النشيط . ومُرادُهُ بهذا الفرار ، كما فَرَّ سوَّار بن المضرّب السَّعدى من الحجاج يومئذ ، وقال :

أقاتلىَ الحجاجُ إن لم أَزُرْ له دَرابِ وأَتركْ عند هندٍ فؤاديا [1]

فإن كان لا يرضيك حتَّى تردَّنى إلى قطَرِىٍّ ما إخالُكَ راضيا

إذا جاوزَتْ دربَ المجيرِينَ ناقتى فباستِ أَبى الحجاج لمَّا ثنانيا

أيرجو بنو مَرْوان سمعى وطاعتى وقومى تميمٌ والفَلاةُ ورائيا

وممّن هرب منه : مالك بن الرَّيب المازنى ، وقال :

فإن تُنصفونا يالَ مروانَ نقتربْ إليكمْ وإلَّا فأْذنوا ببعادِ

ففى الأرض عن دارِ المذلّة مذهبٌ وكلُّ بلاد أُوطِنَتْ كبلادِ

فماذا ترى الحجّاجَ يبلغُ جهدَه إذا نحنُ جاوزْنا حَفِير زيادِ

فلولا بنو مروانَ كان ابنُ يوسفٍ كما كان عبدًا من عبيدِ إيادِ

وقوله : « فما إن أرى » إلخ إن زائدة ، والحجاج مفعول أَوّل لأرى ، وجملة يغمد سيفه فى موضع المفعول الثانى . وأغمد سيفه : أدخله فى غِمده بالكسر ، أى قِرابه . ويَدَ الدهر [2] ، بفتح المثناة التحتية بمعنى مدَى الدهر ، بالميم بدلها . وقوله : « حتَّى يترك » حتَّى بمعنى إلَّا .

وقوله : « فأَضحى ولو كانت خراسان » الفاء سببيّة تسبَّب ما بعدها عن قوله: تجهَّزْ فإما أن تزور ... البيت . وأَضحى من الأفعال الناقصة

---

(١) دراب ، هى درابجرد : كورة بفارس .

(٢) فى النسختين : « يدى الدهر » . والوجه ما أثبت . وانظر ما سبق من الحواشى فى ص ٥٣ .

واسمها ضمير عبد الله أو إبراهيم ، وجملة رآها خبرها . وقد مرَّ أنَّ الشارح المحقِّق استشهد بقوله :

* وكان طوى كشحًا على مستكنّة (١) *

على وقوع الماضى خبرًا للأفعال الناقصة ، وعلى هذا تكون لو وصليَّةً لا جواب لها ، وعليه المعنى ، فإنه يريد أنَّ عبد الله صار كأنَّه رأى خراسان مكان السُّوق قريبة منه ، أو هى أقرب من السوق ، فذهب إليها من غير تأهُّب واستعداد ، لشدَّة خوفه من الحجاج ، وإن كانت خراسان فى نفس الأمر دونه بمراحل .

١٧٧

وزعم أبو على (فى إيضاح الشعر) أنَّ خبر أضحى محذوف ، فتكون لو شرطيّة ورآها جوابها . ولا يخفى ركاكة الشرطيَّة . وهذه عبارته :

« فأمَّا خبر أضحى فمحذوف تقديره : فأضحى مشمِّرًا أو مجِدًّا أو نحو ذلك ، ممَّا يدلُّ عليه ما تقدَّم » . انتهى .

وخراسان : ولايةٌ واسعة تشتمل على أُمّهاتٍ من البلاد ، منها نيسابور ، وهَراة ، ومَرْو ، وبلخ . واختُلف فى تسميتها بذلك ، فقال دَغفل النسَّابة : خرج خراسان وهَيْطل ابنا عابَر (٢) بن سام بن نوح عليه السلام ، لمَّا تبلبلت الألسن ببابل ، فنزل كلُّ واحد منهم فى البلد المنسوب إليه . يريد أنَّ هيطل نزل فى البلد المعروف بالهياطلة ، وهو ماوراءَ نهر جَيْحون . ونزل

---

(١) فى الشاهد ٢٤٦ أول الجزء الرابع .

(٢) ش : « عالم » تحريف . وفى القاموس (عبر) : « وعابر كهاجر : ابن أرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام » .

خراسان فى البلاد المذكورة ، فسمِّىَ كلٌّ بقعة بالذى نزل بها .

ونقل أبو عبيد البكرى (فى المعجم) عن الجرجانى أنَّه قال : معنى خُرْ : كُلْ ، وآسان معناه سهل ، أى كُلْ بلا تعب . وقال غيره : معنى خراسان بالفارسية مَطلِع الشمس . انتهى .

وقوله : « دونه » أى دون عبد الله . ودون بمعنى أمام . وزعم المبرد (فى الكامل) أنَّ الضمير للسَّفَر المفهوم من المقام . وقال : يعنى دون السفر . رآها مكان السوق للخوف والطاعة . وهذا كلامه [1] ولم يفسِّر من هذا الشعر غير هذا . « ومكانَ » ظرف ، والسُّوق مؤنَّث سماعىٌّ ، وتُذكَّر ، وهو محل البيع والشراء ، وهى ضمير خراسان ، وأقرب أفعل تفضيل منصوبٌ على الظرفية ، وهو وعامله خبر هى ، والألف للإطلاق .

روى صاحبُ الأغانى أنَّ ناظم هذه الأبياتِ لما قَفَل من حرب الأزارقة جاء يومًا إلى الحجَّاج وهو بقنطرة الكوفة يُعرَض عليه الجيش ، وجعل يَسْأَل عن رجلٍ رجل ، فمرّ به ابن الزُّبير فسأله من هو ، فأخبره ، فقال : أَنْت الذى تقول :

تَخيَّرْ فإما أَن تزور ابنَ ضابئٍ عميرًا وإمَّا أَن تزور المهلَّبا

قال : بَلَى . فقال الحجاج : فامض إلى بعْثك . فمضى فمات بالرّىّ .

---

(١) ش : « هذا كلامه » .

وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة (١) .

وهذه الوقعة وقعة الخوارج ، وكان أميرهم قَطَرىٌّ بن الفُجاءة ، وكان تغلَّب على شِيراز وكازَرُون ومايليها ، فى زمن عبد الملك بن مروان ، وكان عبد الملك أمَر أميرَ الكوفة أخاه ، وهو بشر بن مروان ، أنْ يولِّيَ المهلبَ بن أبى صُفرة لقتال الخوارج ، فولّاه وأمدَّه بجيشٍ من الكوفة كبيرُهم عبد الرحمن ابن مِخْنف ، وكانوا ثمانية آلاف رجل ولحقوا بالمهلَّب . وبعد شهر (٢) مات بِشْر ، فلما تسامعوا بموته تسلَّلوا من عند المهلَّب وجاءوا إلى الكوفة .

ثم إنَّ عبد الملك بن مروان ولّى الحجاجَ موضعَ أخيه ، وأمره أن يُمِدَّ المهلَّب ، فلما جاء الحجاجُ إلى الكوفة صَعِد المنبر وحثَّ أهل الكوفة باللَّحاق إلى المهلَّب ، وهدَّدهم وأعطاهم أرزاقهم ، وحلف إنْ وجد أحدًا منهم بعد ثلاثة أيامٍ ليضربنَّ عنقه . فهابه الناس وتسارَعوا فى السَّفر .

وقد فصَّل المبرد (فى الكامل) هذه الأخبارَ والحروبَ وما قيل فيها من الأشعار ، وشَرَحها .

وللحجاج خطبةٌ بليغة قالها على المِنبر حين دخوله الكوفة أميرًا عليها ، ستأتى إن شاء الله مشروحة فى أفعال المقاربة عند شعر عمير بن ضابئ . ١٧٨

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٢٦٤ – ٢٦٦ .

(٢) ش : « أشهر » ، وما أثبت من ط يطابق ما فى الكامل ٦٦٤ ، وفيه : « فلم يمكث برامهرمز إلا شهرا حتى أتاه موت بشير ، فاضطرب الجند على ابن مخنف » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الخمسمائة :

٥٠٨ (فبينَا نَسوسُ الناسَ والأَمرُ أَمرُنا
إذا نحن فيهم سُوقةٌ نَتنصَّفُ [١])

على أنَّ الأَغلب مجيء إذا الفجائية فى جواب بينا ، كما فى البيت .

وقد تقترن الفاء الزائدة بإذا ، كما قال ابن عَبْدَل ، وهو من شعراء الحماسة :

بيناهُمُ بالظَّهْرِ قد جَلَسَوا يوماً بحيث تُنَزَّع الذُّبَحُ [٢]
فإذا ابنُ هندٍ فى مواكِبِه تَهْدِى به خَطَّارةٌ سُرُحُ [٣]

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : يومًا منصوب لأَنَّه بدل من بينا ، أَلا ترى أَنَّ معناه بين أَوقات هُم قد جلسوا ، وذلك البَيْنُ هو اليوم الذى أَبدله منه [٤] . وليس يعنى باليوم المقدارَ المعروف من طلوع الشمس إلى غروبها ، وإنما يريد الوقت مبهمًا لا يخصُّ به مقدارًا من الزمان . وقد يكون برهةً من الدهر تشتمل على الأَيَّام واللَّيالى . وزاد الفاء فى قوله : « فإذا » ، وإنما أَراد : بيناهم كذلك إذا ابن هند قد فَعَل كذا . انتهى .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٧٥ والمغنى ٣١١ ، ٣٧١ والهمع ١ : ٣١١ والحماسة بشرح المرزوقى ١٢٠٣ .

(٢) الحماسة بشرح المرزوقى ١٧٨٣ ومعجم البلدان (الظهر) والرواية فيهما : « ينزع » بالياء . والذبح ، كزفر : نبت له أصل يفتش عنه ويخرج كالجزر ، ويقشر عنه جلد أسود ، وهو حلو يؤكل . والظهر ، بالفتح : موضع كانت به وقعة بين عمرو بن تميم وبنى حنيفة .

(٣) فى الحماسة : « تهوى به » ، أى تسرع . وتهدى ، بالدال بمعنى تتقدم . وهى بالدال رواية ابن جنى فى التنبيه على الحماسة الورقة ٢٤١ .

(٤) وكذا فى التنبيه لابن جنى . وفى ش : « أبدل منه » .

ويؤخذ منه أنَّ بينا يجوز اقتران جوابها بإذا ، وإن أُبدل منها ظرفُ زمانٍ آخر .

وقول الشارح المحقق : « ولا يجيء بعد إذا المفاجأةِ إلَّا الفعل الماضي » ، أراد : مع بينا وبينما ، وهو الظاهر كقوله :

* فبينما العسر إذْ دارت مياسير [1] *

وأمَّا مع غيرهما فلا تأْتى للمفاجأة . قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وتأْتى إذ للمفاجأة . قال سيبويه : بينا كذا إذْ جاء زيد . فهذا لما يوافقه ويَهجُم عليه . انتهى . ولا تكون للمفاجأة إلَّا بعد بينا وبينما . انتهى

وكذلك قال ابن هشام (فى المغنى) : تكون إذ للمفاجأة ، نصَّ عليه سيبويه ، وهى الواقعة بعد بينا وبينما .

وأجاز الرضىُّ مجيئَها لها فى غير جوابهما ، فيما يأْتى قبل إيراد قوله : « بينا تعنُّقه الكماة ... » البيت الآتى ، فقال : وقد تجيء إذْ للمفاجأة فى غير جواب بينا وبينما ، كما فى قولك : كنت واقفًا إذْ جاءنى عمرو .

هذا كلامه ، وهذا يحتاج إلى إثباته بكلام من يُوثَق به . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : قوله بينا نسوس الناس إلخ ، أراد بينَ فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفًا . قال أبو على : أصله بين أوقاتٍ نسوس الناس ، والعامل فى بينا ما دلَّ عليه قوله :

* إذا نحن فيهم سوقة نتنصَّفُ *

ألا ترى أنَّ معناه بين هذه الأوقات خدَمْنا الناس وذلَّلْنا ، كما

---

(١) لعثمان بن لبيد العذرى . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ١٥٨ . وصدره :

* استقدر الله خيرا وارضين به *

أنَّ قوله تعالى : ﴿ وإن تصبْهُمْ سيِّئة بما قَدَّمَتْ أيديهمْ إذا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (١) تأويله : قنطوا . فَوُقوع إذا هذه المكانيّة جوابًا للشرط من أقوى دليل على قوّة شبهها بالفعل . وإذا هذه منصوبة بالفعل بعدها ، وليست مضافة إليه . وكذلك إذْ التى للمفاجأة فى نحو قوله :

بينما الناسُ على عليائها إذ هووْا فى هُوّةٍ منها فغارُوا

إذْ منصوبة الموضع بهَوَوْا (٢) .

وقال أيضا (فى سرِّ الصناعة) : أشبع الفتحة فى بينا فحدث بعدها ألف . فإن قيل : فإلام أضاف بين وقد علمنا أنَّ هذا الظرف لا يضاف من الأسماء إلّا إلى ما يدلُّ على أكثر من الواحد ، وما عطف عليه غيره بالواو ، نحو المال بين زيد وعمرو ، وقوله : نسوس الناسَ جملة ، والجملة لا مذهب لها بعد هذا الظرف ؟ فالجواب : أنَّ ههنا واسطةً محذوفة ، والتقدير : بين أوقات نسوسُ الناس خدَمْنا ، أى خدَمْنا بين أوقات سياستنا الناس ، والجمل مما يضاف إليها أسماء الزمان ، نحو أتيتك زمنَ الحجّاجُ أمير . ثم إنّه حذف المضاف الذى هو أوقات ، وأولَى الظرفَ الذى كان مضافا إلى المحذوف الجملةَ التى أُقيمت مقام المضاف إليها ، كقوله عز وجل : ﴿ واسئَل القَرْية (٣) ﴾ أى أهلَها . هكذا علّقت عن أبى على فى تفسير هذه اللفظة وقتَ القراءة عليه ، وقلَّ من يضبط ذلك ، إلا مَن كان متقنا

١٧٩

(١) الآية ٣٦ من سورة الروم .

(٢) بعده فى إعراب الحماسة ١٧٢ : « وليست كاذ الزمانية فى نحو قولك : إذ قمت » .

(٣) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

أصيلًا فى هذه الصناعة . انتهى .

وهكذا كلُّ من شرح بينا قال : الألف نشأت عن إشباع الفتحة . وزعم الفراء أنَّ أصل بينا بينما فحذفت الميم . قال أبو على : هذا لا يُعرف إلَّا بوحي أو خبر نبيّ . كذا نقل ابن جنى فى شرح هذا البيت .

وقال زين العرب [1] (فى أوَّل شرح المصابيح) : وقول الجوهرى نشأت الألف من إشباع الفتحة ففيه نظر ، وهو أنَّ الألف إنَّما تتولد من الفتحة فى القافية . والحقُّ أن بينا أصله بينًا بالتنوين ، والتنوين فيه للعوض عن المضاف إليه المحذوف . وهو الأوقات ، ثمَّ أبدل الألف من التنوين فى الوصل إجراءً للوصل مجرى الوقف ، فثبتت الألف ثبوتَها فى الوقف بدل التنوين . وأمَّا بينَما فما فيهِ بمعنى الزمان فلا حذف فيه ، أو ما فيه زائدة [بين المضاف [2]] والمضاف إليه . انتهى .

وعلى هذا فألف بينا عوض العوض . ومثله غير معروف . ويقتضى أيضًا أن يكون بينا غير مضاف إلى الجملة .

وقول الشارح المحقق : « لمَّا قُصِدَ إلى إضافة بين إلى جملة زادوا عليه ما الكافَّة ، أو أشبعوا الفتحة [3] » . يريد أنَّ ما والألف كفَّتا بينَ عن الإضافة إلى المفرد ، وهيَّآها للإضافة إلى جملة . وهذا

---

(١) اسمه على بن عبد الله بن أحمد . قال فى كشف الظنون : « والذى فى شرح على القارى أنه مصرى » . والمصابيح التالية هى مصابيح السنة للبغوى المتوفى سنة ٥١٦ .

(٢) تكملة ليست فى إحدى النسختين .

(٣) هذه العبارة إيجاز شديد لما ورد فى شرح الرضى ٢ : ١٠٦ .

شيءٌ غريب ، والمشهور أَنَّ الأَلف من إشباع الفتحة ، وبين مضافة إلى الجملة من غير تعرُّض لكفٍّ وتهيئة . وذهب بعضهم إلى أَنَّ الأَلف زائدة من غير إشباع ، وهي كافَّة لبين عن الإضافة . كذا نقل ابن هشام في الأَلف اللَّيِّنة (من المغني) .

وقال أَيضا في بحث ما الكافَّة للظروف عن الإضافة : إنَّ « ما » تكون كافَّة لبين عن الإضافة ، كقوله :

بينما نحنُ بالأَراك معًا إذْ أَتى راكبٌ على جملِهْ

وقيل : ما زائدة ، وبين مضافةٌ إلى الجملة ، وقيل زائدة وبين مضافة إلى زمنٍ محذوفٍ مضافٍ إلى الجملة ، أَى بين أَوقات نحن بالأَراك ، والأَقوال الثلاثة في بين مع الأَلف في نحو قوله : فبينا نسوسُ الناسَ ، البيت . انتهى .

أَقول : صاحب القول الثاني لابُدَّ له من تقدير الأَوقات ، فلا يباين القول الثالث . ولم يتنبه له شُرّاحه .

وقوله : « والأَقوال الثلاثة في بين مع الأَلف » . فالأَول تكون الأَلف كافَّة عن الإضافة . والثاني أَنَّها زائدة وبين مضافة إلى الجملة . والثالث أَنَّها زائدة وبين مضافة إلى الزمن المذكور .

ويَرِدُ على هذا أَيضًا ما ذكرنا ، والصواب أَن القولين الأَخيرين فيهما قولٌ واحد .

وقال زين العرب : هذه الأَلف عوض عن الأَوقات المحذوفة ، وكذلك ما عوضٌ عنها .

وهذا غير قوله الأَوّل الذى جعله الحقَّ عنده .

والحاصل أَنَّ في أَلف بينا خمسة أَقوال :

أحدها : إشباعٌ لتهيئة بين للإضافة .

وثانيها : أنّها مجتلبة للكفّ عن الإضافة .

١٨٠ وثالثها : أنّها للعوض عن الأوقات المحذوفة .

ورابعها : أنّها بدلٌ من تنوين العوض .

وخامسها : أنّها بقيّة ما . وهو أبعد الأقوال .

والجيِّد ما ذهب إليه الشارح المحقّق .

صاحب الشاهد والبيتُ أوّل بيتين لحُرَقَة بنت النعمان بن المنذر ، أوردهما أبو تمام فى (الحماسة) ، والرواية : « بينا نسوس » بإسقاط الفاء على الخرم . والثانى :

(فأفٍّ لدُنيا لا يدومُ نعيمُها تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ)

تقول : بينا نستَخدم الناسَ وندبِّر أمورهم ، وطاعتُنا واجبةٌ عليهم ، وأحكامنا نافذة ، تقلَّبت الأمور واتَّضعت الأحوال ، وصرنا سُوقة تخدُم الناس .

و (نَسُوس) من ساسَ زيدٌ الأمرَ يسوسه سياسةً : دبَّره وقام بأمره . والسياسة لفظة عربية خالصة ، زعم بعضهم أنَّها معرَّب سِهْ يَسَا ، وهى لفظة مُركَّبة من كلمتين ، أُولاهما أعجمية ، والأخرى تركية . فسهْ بالفارسية ثلاثة ، ويسَا بالمُغُليَّة الترتيب ، فكأنَّه قال : التراتيب الثلاثة .

قال : وسببه (على ما فى النجوم الزاهرة [1]) أنَّ جَنكِزخان

---

(١) ش : « ما هو فى النجوم الزاهرة » . وانظر النص التالى فى النجوم الزاهرة ٦ : ٢٦٨ فى حوادث ٦٢٤ .

الملعون ، ملِكَ المُغُل ، قسَّم ممالكه بين أولاده وأوصاهم بوصايا أن لا يخرجوا عنها ، فجعلوها قانونًا فسمَّوها بذلك . ثم غيَّروها (١) فقالوا : سياسة .

وهذا شيء لا أصلَ له ؛ فإنها لفظة عربيَّة متصرِّفة تكلَّمت بها العرب قبل أن يُخلق جنكِزخان ، فإنه كان فى تاريخ السِّتِّمائة ، وصاحبةُ هذا البيت قبله بأربعمائة سنة . نعم لو قيل أفريدون بدل جَنكِزخان لكان له وجه ، فإنَّه قسَّم مملكته بين أولاده الثَّلاث : سَلْم ، وتور ، وإيرَج (٢) ، ورتَّب لهم قوانين ثلاثة .

وقولها : (والأمر أمرنا) فيه قصْر إفراد ، تُريدُ : لا أحد يشاركنا فى السَّلطنة ولا يد فوق أيدينا . و (السّوقة) بالضم ، قال الحريرى (فى درّة الغوَّاص) : ومنه أيضًا توهُّمهم أنَّ السُّوقة اسمٌ لأهل السُّوق . وليس كذلك ، بل السُّوقة الرعيَّة . سُمُّوا بذلك لأنَّ الملك يسوقهم إلى إرادته . ويستوى لفظ الواحد والجماعة فيه ، فيقال : رجل سُوقةٌ وقومٌ سوقة ، كما قالت الحُرَقة بنت النعمان : فبينا نسوق الناسَ .... البيت . فأمّا أهل السُّوق فهم السُّوقيون ، واحدهم سُوقىٌّ ، والسُّوق فى كلام العرب تذكَّر وتؤنث . انتهى

والمشهور فى رواية البيت : « بينا نسوس » بدل « نسوق » .

ومثله (فى لحن العامة للجواليقى) قال : يذهب عوامُّ الناس

---

(١) فى النجوم الزاهرة : « وانتشر ذلك فى سائر الممالك حتى ممالك مصر والشام ، وصاروا يقولون : سى يسا ، فثقلت عليهم فقالوا سياسة ، على تحاريف أولاد العرب فى اللغات الأعجمية » .

(٢) فى الطبرى ١ : ٢١٢ أنه كان له ثلاثة بنين ، اسم الأكبر سلم ، والثانى طوج ، والثالث أيرج » . وانظر بقية الخبر فيه .

إلى أنَّ السُّوقة أهل السوق ، وذلك خطأٌ ، إنَّما السُّوقة من ليس يَملك ، تاجرًا كان أو غير تاجر ، بمنزلة الرعية . وسمُّوا سوقة لأنَّ الملك يسوقهم فينْساقون له ، ويصرِّفهم على مراده . يقال للواحد : سُوقة وللاثنين : سُوقة . ورُبَّما جُمِع سُوَقا . قال زهير :

يطلب شأْوَ امْرَأين قَدَّما حَسَنًا نالا الملوك وبذَّا هذه السُّوَقا [١]

وأمَّا أهل السوق فالواحِد سوقيٌّ ، والجماعة سوقيُّون . انتهى .

ونقل الصاغانى (فى العباب) هذه العبارة ، وزاد : « ويستوى فيه المذكر والمؤنث » .

و (نتنصَّف) بالبناء للفاعل ، أى نَخدُم . قال ابن السكيت : نصفهم ينصُفهم وينصِفهم بضم الصاد وكسرها نِصافًا ونِصافة بكسرهما ، أى خدمهم . وكذلك تنصَّف . والناصف : الخادم ، والجمع نَصَف بفتحتين ، وكذلك المَنِصَف بفتح الميم وكسرها : الخادم ، والجمع مناصف . وظاهر تفسير ابن الشجرى إيّاه بقوله : « أى نُستخدَم » ، أنه بالبناء للمفعول . ووقع فى بعض نسخ مغنى اللبيب « ليس نُنصَف » بدل ننتَّصف ، أى نُعامل بالإنصاف . ولم أر من روى كذا . ١٨١

وقولها : « فأُفٍّ لدُنيَا » إلخ أى تحقيرًا لدُنيَا نعيمُها يزول ، وجمالها لا يدوم ، بل تتحوَّل وتتقلب بأهلها . وتَقَلَّبُ وتَصَرَّفُ كلاهما مضارع والأصل : تتقلَّب وتتصرَّف ، أى تتغير . وأُفّ بكسر الفاء وفتحها

(١) ط : « وهذا بذة السوقا » ، صوابه ى ش وديوان زهير ص ٥١ .

وضمها . وفيها لغات شرحها ابن جنى (فى إعراب الحماسة) .

حرقة بنت النعمان

وحُرَقة ، بضم الحاء وفتح الراء المهملتين بعدها قاف ، وهى بنت النعمان بن المنذر اللخمى ، ملك الحيرة بظهر الكوفة . وهى امرأة شريفة شاعرة . كذا ذكرها الآمدى (فى المؤتلف والمختلف [1]) . وأنشد لها هذين البيتين .

ولحرَقة هذه أخٌ اسمه « حُرَيق » مصغَّر اسمها . قال هانئ بن قَبيصة يوم ذى قار :

أُقسِمُ باللهِ نُسلِم الحلَقَه ولا حُريقًا وأُخته حُرَقه
حَتَّى يظلَّ الرئيسُ منجدلًا ويقرع السهمُ طُرَّةَ الدَّرَقه [2]

كذا ذكرها العسكرى (فى كتاب التصحيف) وأنشد لها البيتين وقال : ولها خبر مع سعد بن أبى وقَّاص .

وذكرها الجاحظ (فى كتاب المحاسن والمساوى) قال : زعموا أنَّ زياد ابن أبيه مرّ بالحِيرة فنظر إلى دَيرٍ هناك ، فقال لخادمه : لمن هذا ؟ قال : دير حُرَقة بنت النعمان بن المنذر . فقال : مِيلُوا بنا لنسمعَ كلامها . فجاءت إلى وراءِ الباب فكلَّمها الخادم فقال لها : كلِّمى الأمير . قالت : أُوجِزُ أم أُطيل ؟ قال : بل أَوجِزى . قالت : كنَّا أَهلَ بيتٍ طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحدٌ أعزَّ منا ، فما غابت تلك الشمسُ حتَّى رحِمَنَا عدوُّنا . قال :

(١) المؤتلف والمختلف ١٠٣ . وكلمة « والمختلف » ساقطة من ش . وعبارة « ملك الحيرة بظهر الكوفة » ، ليست فى نصه . كما أن وجهها : « بظاهر الكوفة » .

(٢) ط : « يظل الريس » ، صوابه فى ش والتصحيف للعسكرى ٣٨٢ .

فأمر لها بأوساق من شَعير ، فقالت : أَطعَمَتْك يدٌ شَبعَى جاعت ، ولا أَطعمتك يدٌ جوعَى شبِعت . فسُرَّ زيادٌ بكلامها فقال لشاعرٍ معه : قيِّد هذا الكلام لا يَنْدُرِسْ [1] . فقال :

سل الخيرَ أَهلَ الخير قِدمًا ولا تسلْ فتًى ذاق طعم الخير منذُ قريبِ

ويقال إنَّ فروة بن إياس بن قبيصة انتهى إلى دَير حُرَقة بنت النعمان ، فألفَاها وهى تبكى ، فقال لها : ما يُبكيكِ ؟ قالت : ما مِنْ دارٍ امتلأَت سرورًا إلَّا امتلأَت بعد ذلك ثُبورًا ! ثم قالت :

فبينا نسوسُ النَّاسَ والأَمر أَمرنا .... البيتين

قال : وقالت حُرَقة بنت النعمان لسعد بن أَبى وقَّاص : لا جَعَل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا زالت لِكريمٍ إليك حاجة ، وعَقَد لك المِنَنَ فى أَعناق الكرام ، ولا أَزال بك عن كريمٍ نعمة ، ولا أَزالها عنه بغيرك إلَّا جعلك سببًا لردِّها عليه . انتهى .

وأَورد خبر سعد بن أَبى وقَّاص معها بأَتمّ من هذا المعافَى بنُ زكريَّا (فى كتاب الجليس) بسندِه إلى حسَّان بن أَبان قال : لمَّا قدم سعدُ بن أَبى وقاص القادسيَّة أَميرًا أَتَتْه حُرَقة بنتُ النُّعمان بن المنذر ، فى جَوارٍ كلُّهن مثلُ زيِّها ، يطلبن صِلته . فلمَّا وقفن بين يديه قالَ : أَيَّتكنَّ حُرقة ؟ قلن : هذِه . قال لها : أَنت حُرَقة ؟ قالت : نعم ، فما تكرارك استفهامى [2] ؟ إنَّ الدنيا دار زوال ، وإنَّها لا تدوم على حال ، إنَّا كنا ملوك هذا المِصر قَبلك ، يُجبَى إلينا خراجُه [3] . ،

---

(١) فى المحاسن والأضداد ٨٧ : « ليدرس » ، وما هنا صوابه .

(٢) تعنى سؤاله عنها مرتين .

(٣) ش : « يجىء إلينا خراجه » ، والوجه من ط .

ويطِيعنا أهله زمانَ الدَّولة ، فلما أدبر الأمْرُ وانقضى ، صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا ، وشتَّت ملأنا . وكذلك الدهر يا سعد ، إنَّه ليس من قوم بسرور وحَبْرة إلَّا والدهرُ مُعْقِبُهم حَسْرة ! ثم أنشأت تقول : ١٨٢

فبينا نسوسُ النَّاسَ والأمر أمرُنا .... البيتين

فقال سعد : قاتل الله عدىَّ بنَ زيد ، كأنه ينظر إليها [1] حيث يقول :

إنَّ للدَّهر صَولةً فأحذرَنْها لاتبيتنَّ قد أمِنت السُّرورا [2]
قد يبيت الفَتَى مُعَافًى فيُرزَا ولقد كان آمنًا مسرورا [3]

وأكرمها سعدٌ وأحسن جائزتَها ، فلما أرادت فِراقَه قالت له : حتَّى أُحيِّيَك بتحية أملاكِنا بعضِهم بعضًا : لَا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا زال لكريم عندك حاجة ، ولا نزَعَ من عبدٍ صالح نعمةً إلَّا جعلك سببًا لردِّها عليه ! فلما خرجت من عنده تلقَّاها نساء المصر فقلن لها : ما صنع بكِ الأمير ؟ قالت :

حاط لى ذِمَّتى وأكرم وجهى إنَّما يُكرم الكريمَ الكريمُ [4]

انتهى نقلُه من شرح أبيات المغنى للسيوطى [5] .

---

(١) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٤٦ : « كأنه كان ينظر إليها » .

(٢) فى الديوان ٦٤ : « قد أمنت الدهورا » . وفى شرح شواهد المغنى : « قد أمنت الشرورا » .

(٣) فى الديوان : « قد ينام الفتى صحيحا فيردى » .

(٤) ورد هذا البيت فى النسختين منثورا ، وإنما هو بيت من بحر الخفيف . وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى : « إنما يكرم الكريم الكريما » .

(٥) شرح شواهد المغنى ٢٤٦ – ٢٤٧ .

ونسب ابن الشجرى (فى أماليه) هذين البيتين إلى هند بنت النعمان ابن المنذر . ولعلّ حرقة يكون لقبًا لهند أو أختًا لها . قال : هند بنت النُّعمان ، لها دَيرٌ بظاهر الكوفة باقٍ إلى اليوم . ولمّا كان المغيرة بن شعبة الثقفى واليًا بالكوفة من قِبَل معاوية – وكان أحد دهاة العرب – أرسلَ إلى هند بنت النعمان يخطبها ، وكانت قد عميَت ، فأبتْ وقالت : والصَّليبِ ما فىَّ رغبة لجمال ، ولا لكثرة مال ، وأىّ رغبةٍ لشيخ أعور فى عجوز عمياءَ ! ولكن أردتَ أن تفخر بنكاحى فتقول : تزوَّجْتُ بنتَ النعمان بن المنذر ! فقال : صدقتِ والله . وأنشأ يقول :

أدركتِ ما منَّيتُ نفسىَ خاليًا ... لله درُّكِ يا ابنةَ النُّعمانَ
فلقد رددتِ على المغيرة ذهنَه ... إنَّ الملوكَ ذكيَّةُ الأذهانِ (١)
إنِّى لِحِلْفك بالصَّليب مصدِّقٌ ... والصُّلْبُ أصدقُ حِلفة الرُّهبانِ !

وكانت بعد ذلك تدخل عليه فيُكرمها ويَبَرُّها . وسألها يومًا عن حالها فأنشدَتْ :

بينا نَسوسُ الناس والأمر أمرنا ... . البيتين

ورِوىَ أنَّ المغيرة هذا أدمَى ثمانين بِكرًا ، ومات بالكوفة وهو أميرها ، بالطَّاعون سنة خمسين . انتهى .

وأوردَ هندًا هذه إسماعيل الموصلى (فى كتاب الأوائل) قال : أوَّل امرأة أحبَّت امرأةً فى العرب هند بنتُ النعمان بن المنذر ، كانت تهوَى زرقاء اليمامة ، فلما قُتلت الزرقاء ترهَّبت هند ولبستِ المسوح ، وبنت

(١) فى الأغانى : « نقية الأذهان » ، وفى رواية أخرى عنده : « بطية الإذعان » .

وبنت لها ديرًا يعرف بدَير هند إلى الآن ، وأَقامت به حتى ماتت .

كذا ذكر أَبو الفرج الأَصبهانى (فى كتاب الأَغانى الكبير) (١) . وفيه نظر ، فإِنَّ هند بنت النعمان ماتت فى ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وزرقاء اليمامة من جديس ، ولهم خبَر مع طَسْم ، وكانوا فى زمن ملوك الطوائف ، وبينهما زمان طويل . فما أَعلم من أَين وقع لأَبى الفرج هذا . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده :

(حَتَّى إِذا أَسلكوهمْ فى قُتائدة)

تمامه :

* شَلاًّ كما يطرد الجمَّالة الشُّرُدا *

على إن إذا فيه زائدة . وقد تقدَّم الكلام عليه مفصلا قريبا (٢) .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الخمسمائة : ١٨٣

٥٠٩ (بينَا تعنُّقِهِ الكُماةَ وروْغهِ يومًا أُتيحَ له جرئٌ سَلفعُ)(٣)

على أَنَّه يجوز إضافة بينا دون بينما إلى المصدر ، كما فى البيت . والأَعرف الرفع على أَنَّه مبتدأٌ محذوف الخبر ، أَي تعنُّقه حاصلٌ .

أَقول : الأَوْلَى أَن يقول حاصلان ، لأَنَّ قوله وروغه معطوف عى تعنُّقه .

وقوله :يجوز إضافة بينا إلى المصدر ، يعنى إلى الأَسماء المفردة

---

(١) الأغانى ٢ : ٣١ .

(٢) انظر الشاهد ٥٠٦ ص ٣٩ .

(٣) جمل الزجاجى ٢٩٤ والخصائص ٣ : ١٢٢ وابن يعيش ٤ : ٣٤ ، ٩٩ والمغنى ٣٧١ ، ٥٢٢ والهمع ١ : ٢١١ والمفضليات ٢٤٨ والهذليين ١ : ١٨ .

إذا كان فيها معنى الفعل ، حملًا على معنى حين ، كقولك : بينا قيام زيدٍ أقبل عمرو ، أى حين قيام هذا أقبل ذاك . فإنْ وقع بعدها اسمُ جوهرٍ لم يكن إلّا رفعًا ، نحو : بينا زيدٌ فى الدار أقبل عمرو ، لأنّها ظرف زمان ، فلا تضاف إلى جثة كما لا تكون خبرًا عنها .

صاحب الشاهد

والبيت لأبى ذؤيب الهذلى ، من قصيدته المشهورةِ التى رثَى بها أولادَه ، وكانوا خمسةً وهلكوا فى عام واحد ، أصابهم الطاعون ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر .

وقد تقدّم شرح بعضٍ منها فى الشاهد السابع والستين [(١)] .

قال الإمام المرزوقى فى شرح هذه القصيدة : روى الأصمعىُّ : « بينا تعنُّقه ورَوغِه » مجرورًا . وكان يقول : بينا يضاف إلى المصادر خاصّة . والنحويُّون يخالفونه ويقولون : بينا وبينما عبارتان للحين ، وهما مبهمتان لا تضافان إلّا إلى الجمل التى تبيِّنها . فإذا قلت بينا أنا جالس طلع زيد ، فالمعنى حين أنا جالس أو وقتَ أنا جالس طلع زيد . وذكر سيبويه خاصّة أنَّ إذْ تقع بعدهما للمفاجأة تقول : بينما نحن نسير إذْ أقبل زيد . وكثير من النحويّين والأصمعى ينكرون هذا ويقولون : لا حاجة إلى إذْ ، ألا ترى أنّك تقول : حين زيدٌ جالس قام عمرو . وبينما بمنزلة حين . قالوا : وأشعارهم وردَتْ بلا إذْ . وممَّا استشهدوا به بيتُ أبى ذؤيب هذا وغيره . ومما يُستَشهَد به لسيبويه قوله [(٢)] :

---

(١) الخزانة ١ : ٤١٨ - ٤٢٤ .

(٢) هو جميل كما فى الخزانة ٤ : ١٩٩ وشرح شواهد المغنى ١٢٦ ، وديوان جميل ١٨٨ .

بينما نحنُ بالكَثيب ضحًى إذْ أَتى راكبٌ على جمله

فأَمَّا الخلاف الأَوّل فمن شرط الأَزمنة أَن تضاف إلى الجمل وتُشْرح بها . ورواية النحويِّين والناسِ : « بينا تعنُّقُه الكماة » فيرتفع تعنُّقه بالابتداء ، ويكون خبَره مضمرًا ، كأَنه قال : بينا تعنقُه الأَبطالَ حاصلٌ معهود ، ومعتَمد مأْلوف ، أُتيح له يومًا رجل جرىء . انتهى .

وقال أَبو على (فى إيضاح الشعر) : أَنشد ثعلبٌ أَحمد بن يحيى قول الشاعر :

بينا كذاكَ رأَيْتنى متلفِّعا بالبُرْد فوق جُلالة سِرداجِ [1]

أَضاف بينا إلى الكاف كما يضاف [2] إلى المصدر فى قوله :

بينا تعنُّقِه الكماة ورَوْغِهِ .... البيت

وكما أُضيفت مِثْلُ إليها فى قوله :

* فصيِّروا مثلَ كعصفٍ مأْكولْ [3] *

ولا يكون الكاف حرفًا لأَنَّ الاسمَ لا يضاف إلى الحرف ، وينبغى أَن يجعل الكاف بمنزلة مثل فى أَنَّها تدل على أَكثرَ من واحدٍ ، كما أَنَّ مثلا كذلك فى نحو قوله عز وجل : ﴿ إنَّكمْ إذًا مِثْلُهم [4] ﴾ لأَنَّ بين تضاف إلى أَكثر من واحد ، ويجوز أَن تكون الكاف زائدة

(١) لابن ميادة ، كما فى الكامل ٢٩ ليبسك والدرر اللوامع ١ : ١٧٩ .

(٢) ش : « كما تضاف » .

(٣) لحميد الأرقط ، كما فى سيبويه ١ : ٢٠٣ .

(٤) الآية ١٤٠ من سورة النساء .

كزيادتها فى قوله عز وجل : ﴿ ليس كمثْلِهِ شىءٌ [(١)] ﴾ وذاك منجَرَّةٌ ، والمعنى الإضافة إلى ذاك [(٢)] . وقد أُضيفت بين إلى المبهم المفرد فى نحو قوله سبحانه : ﴿ عوانٌ بينَ ذلك ﴾ [(٣)] . فإن قدَّرتَ الإضافة إلى الفعل الذى هو رأيتنى كما أضافه الآخر إليه فى قوله :

١٨٤

بينا أُنازِعهمْ ثوبى وأُجذبهمْ إذَا بنُو صحيفٍ بالحقِّ قد وردوا

وكما أُضيف إلى الجملة الاسمية فى قوله :

بينا نحنُ نطلبُه أَتانا [(٤)] .... البيت

وفصلْتَ بين المضاف والمضاف إليه بالظَّرف ، فهو وجه . انتهى .

وهذه القصيدة أَوردها المفضَّل (فى آخر المفضَّليات) . قال ابن الأنبارى (فى شرحها) : وروى أَبو عبيدة :

* فيما تعنُّقِهِ الكماةَ ورَوْغِهِ *

جعل ما زائدة صلةً فى الكلام ، أَى بينا يقتُل ويراوغ إذ قُتِل . وعلى هذا لا شاهد فى البيت ، ويكون تعنُّقه مجرورًا بفى . وضمير تعنُّقه راجع للمستشعِرِ فى بيتٍ قبل هذا بستَّة أَبيات ، وهو :

(والدَّهر لا يبقى على حَدَثانه مستشعِرٌ حَلقَ الحديد مُقنَّعُ)

والدهر مبتدأٌ ، وجملة لا يبقى إلخ خبر المبتدأ . وعلى بمعنى مع ، والحدثان ، بالتحريك : مصدرٌ بمعنى الحدَث والحادثة ، ومستشعر

---

(١) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٢) أى فى « بينا كذاك » فى بيت ابن ميادة .

(٣) الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٤) تمامه كما فى سيبويه ١ : ٨٧ مع نسبته إلى رجل من قيس عيلان :

* معلق وفضة وزناد راع *

فاعل يَبْقى ، أى فارسٌ مستشعِر ، وهو اسم فاعل من استشعر الثّوبَ والدِّرع ، إذا لبسه شعارًا . والشِّعار بالكسر : الملبوس الذى يلى شَعَر الجسد . وروى : « متسربل » ، أى يتّخذهُ سربالًا . وحلَق الحديد مفعول مستشعر ، وأراد به الدرع . والمقنَّع بفتح النون المشددة : الذى على رأسه المِغفر أو بيضة الحديد ، قاله المرزوقى . وقال ابن الأنبارى : المقنَّع : اللابس المغفر . والمغفر : ثوبٌ تُغطَّى به البيضة . والمقنَّع : الشاكُ السلاح التامُّهُ . وحَلَق الحديد : حلق الدِّرع . ويروى : « سَميدَع » ، وهو السيِّد . انتهى .

وقوله : (بينا تعنُّقه) كذا فى جميع الرِّوايات ، ووقع فى الشرح وفى جمل الزّجّاجى [1] وغيرهما : « تعانقه » بالألف . قال ابن السِّيد واللخميُّ : هو خطأٌ ، والصواب تعنُّقه ، لأنَّ تعانق لا يتعدَّى إلى مفعول ، إنّما يقال تعانق الرجلان ، والمعانقة والاعتناق . والتعنُّق هى المتعدِّية ، ومعنى الجميع الأخذ بالعنق . والاعتناق : آخر مراتب الحرب ؛ لأنَّ أوّل الحرب الترامى بالسِّهام ، ثم المطاعنة بالرماح ، ثم المجالدة بالسيوف ، ثم الاعتناق وهو أن يتخاطف الفارسان فيتساقطا [2] إلى الأرض معًا . وقد ذكر ذلك زهير بن أبى سلمى فى قوله :

يَطعَنهم ما ارتَمَوْا حتّى إذا اطّعنوا ضاربَ حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقا

أراد : أنَّه يزيد على ما يفعلون .

---

(١) ط : « الزجاج » ، صوابه فى ش . وقد طبع بتحقيق ابن أبى شنب بباريس ١٩٥٧ للمرة الثانية .

(٢) ش : « فيتساقطان » .

و (الكماة) بالنصب مفعول تعنُّقه ، جمع كَميّ ، وهو الشُّجاع الذى ستر درعه بثوبه . قال أبو زيد (فى نوادره) : الكميُّ : الشديد الشجاع من كلِّ دابّة .

وقوله : (ورَوْغه) معطوف على تعنُّقه إن جرًّا وإنْ رفْعًا ، وهو بالغين المعجمة ، وهو حَيدته عن الأَقران يمينًا وشمالًا للتحفُّظ . قال اللخمى : ومن روي بالعين المهملة فمعناه الفزَع .

وقوله : (يوماً) هو بدل من بينا ، كما قاله ابن جنى فى قوله :

بينا هُمُ بالظَّهْر قد جلَسوا يومًا بحيث تُنزَّع الذُّبَحُ [1]

وقد تقدَّم بيانه قريبًا فى شرح البيت الذى قبل هذا . وقال اللخمى : العامل فى يومٍ تعنُّقه ، ويحتمل أن يكون الروغ ، ويحتمل أن يكون أُتيح ، والأول أقوى لترك تكلف التقديم . هذا كلامه . وقوله (أُتيح) هو جواب بينا ، وهو العامل فيه بمعنى قُدِّرَ ، مجهولُ أَتاح الله له الشيء أى قدَّرهُ له ، وهو بالحاء المهملة . ١٨٥

و (جرىء) ، بالهمز : فعيل من الجراءة . و (السَّلفع) كجعفر : الجرىء الواسع الصَّدر . ويقال للمرأة إذا كانت جريئةً سلفع . وقال المرزوقى : وأكثر من يوصف به النِّساء ، ويستعمل فيهن بغير هاءٍ ، والمعنى : أنَّ هذا المستشعِر الدّرع حزمًا ، وقتَ معانقته للأبطال ومُراوغته للشُجعان ، قُدِّر له رجلٌ هكذا ، وقُيِّضَ له فارسٌ شجاع مثله ، فاقتتلا حتَّى قتل كلٌّ واحد منهما صاحبه . ومراده أنَّ الشجاع لا تعصمه جراءته من الهلاك ، وأنَّ كلَّ مخلوق فالفناء غايتُه .

---

(١) انظر ما سبق فى هذا الجزء ص ٥٩ .

وأبو ذؤيب شاعرٌ إسلامى مخضرم ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الخمسمائة [٢] :

٥١٠ (وكان إذا ما يَسْلُلِ السَّيفَ يَضْرِبِ)

على أنَّ بعضهم قال : يجازى بإذا ما ، فيجزم الشرط والجزاء ، كما جزم يُسلل ، وكسرة اللام لدفع التقاء الساكنين ، وجَزَمَ يضرب ، وكسرة الباء للروىّ . والرواية : « متى ما » [٣] .

قال شارح اللباب : قد نقل عن بعضهم أنَّه جوَّز الجزم بإذا مكفوفة بما ، وأنشد للفرزدق :

* وكان إذا ما يَسلُل السَّيفَ يضربِ *

ومن مَنَعه قال : الرواية « متى ما يسلل » . انتهى .

ورواية « متى ما » ، هى رواية حمزة الأصبهانى (فى أمثاله) .

وذهب ابن يعيش (فى شرح المفصل) إلى أنَّ الجزم بها فى الشعر قليل . وأنشد هذا الشعر .

وقال أبو على : كان القياس أنْ تكفَّ ما إذا عن الإضافة ، كما كفَّت حيث وإذْ لمَّا جُوزِىَ بهما ، إلَّا أنَّ الشاعر إذا ارتكب الضرورة استجاز كثيرًا مما لا يجوز فى الكلام . وإنَّما جاز المجازاة بإذاما فى

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ — ٤٢٣ .

(٢) ابن يعيش ٨ : ٣٤ وحماسة البحترى ٢١٦ والدرة الفاخرة ٣٣٨ والأغانى ١٠ : ٢١ وديوان الفرزدق ٢٢ .

(٣) الذى فى ابن يعيش والديوان : « وكان اذاما » . لكن فى الحماسة والدرة الفاخرة والأغانى : « متى ما » .

الشعر لأنَّها قد ساوقت إنْ فى الاستبهام ، إذْ كان وقتُها غير معلوم ، فأشبهت بجهالة وقتِها ما لا يُدرَى أن يكون أم لا يكون . فاعرفْه . انتهى .

ونقل أبو حيان (فى تذكرته) أنَّ الصَّيمَرىَّ ذهب إلى أنَّها تُكفُّ بما مثل إذْ فتجزم ، كبيت الفَرزدق . قال : وقد جاء بعدَها ولم تجزم ، قال :

* وإذا ما تشاء تَبعثُ منها *

ويجوز دخول الفاء على جوابها ، قال الفرزدق :

إذا ما قيل يا لحماةِ قومٍ فنحن بدعوة الدَّاعى دُعينا

وذهب أبو على فى مثل هذا إلى أنَّ إذا غير معمولة ، لأنَّه لما جاءت الفاء فى جوابها صارت بمنزلة إنْ ، وتلك لا يعمل فيها الفعل . انتهى .

أبيات الشاهد

وهذا المصراع من قصيدةٍ للفرزدق . وهذه أبيات منها :

(لعمرى لقد أُوفى وزاد وفاؤه على كلِّ جارٍ جارُ آلِ المهلَّبِ
كما كان أوفى إذْ ينادى ابنُ ديهثٍ وصِرمتُه كالمغنـــم المتنـــهَّبِ
فقام أبو ليلى إليه ابنُ ظالم وكان إذا ما يَسلُلِ السَّيفَ يَضربِ
وما كان جارٌ غيرَ دلو تعلَّقت بحبلين فى مستحصَدِ القِدِّ مكرب [1]

---

(١) رواية الديوان :

وما كان جارا غير دلو تعلقت بحبليه فى مستحصد الحبل مكرب

والحماسة :

وما كان جارا غير حبل تعلقت بدلو به فى مستحصد القد مكرب

والأغانى : « وما كان جارا » . وبقية إنشاده كما فى الخزانة . ورواية رفع « جار » انفرد بها البغدادى ، وقيدها فى التفسير التالى بأنها اسم كان .

روى الأصبهانى بسنده (فى الأغانى) أن الحارث بن ظالمٍ المرىّ لما كان نزيلًا عند النعمان بن المنذر أخذ مصدِّقٌ للنعمانِ إبلًا لامرأة من بنى مُرَّة يقال لها ديهث ، فأتت الحارث فعلَّقتْ دلوَها بدلوه ، ومعها بُنيٌّ لها ، فقالت : ١٨٦ يا أبا ليلى ، إني أتيتك مُضامَة [1] ! فقال : إذا أورد القوم النَّعمَ فنادى بأعلى صوتِك :

دعوتِ بالله ولم تُراعِى ذلكِ راعيكِ فنعم الرَّاعِي [2]
وتلكِ ذَودُ الحارث الكَسَّاعِ [3] يَمشِى لها بصارمٍ قطَّاعِ

* يَشْفِي به مَجامعَ الصُّداعِ * [4]

وخرج الحارث بن ظالم فى إثْرِها وهو يقول :

أنا أبو ليلى وسيفى المعلوبْ [5] كم قد أجرْنا من حريبٍ محروبْ

---

(١) كذا فى النسختين ، وهو سهو من البغدادى ، استمر فيه أيضا فى الشرح التالى . والوجه « مضافة » كما فى الأغانى . والمضاف : الخائف والمُلجأ ، والمحرج المثقل ، ومنه المضاف فى الحرب فى قوله طرفة :

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضى نبهته المتورد

ولا يقال من الضيم أضامه ، بل يقال ضامه يضيمه فهو مضيم .

(٢) ط : « ذلك داعبك » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ومن تصحيحات الشنقيطى للأغانى . وفى النسختين : « فنعم الداعى » ، و الصواب من تصحيح الشنقيطى للأغانى .

(٣) الكساع من الكسع ، يقال كسعهم بالسيف يكسعهم كسعا : اتبع أدبارهم فضربهم . وفى ط : « الكساعى » ومثلها فى ش مع تشديد السين ، والوجه ما أثبت من الأغانى .

(٤) مجامع الصداع هى الرأس ، وشفاؤه : أن يضرب ويطاح به .

(٥) المعلوب : اسم سيف الحارث بن ظالم ، إنما سماه معلوبا لآثار كانت بمتنه ، أو لأنه كان انحنى من كثرة ما ضرب به . وفيه يقول الكميت :

وسيف الحارث المعلوب أردى حصينا فى الجبابرة الردينا

وكَم رددنا من سليب مسلوبْ وطَعنة طعَنتُها بالمضبوبْ (١)

* ذاك جهيزُ الموت عند المكروب (٢) *

ثم قال : لا يردنَّ عليكِ ناقةٌ ولا بعيرٌ تعرفينه إلّا أخذْتِه ! ففعلَتْ ورأت لَقوحًا لها يحلُبها حبشىّ ، فقالت : يا أبا ليلى ، هذه لى . قال الحبشىُّ : كذبْتِ . فقال الحارث بن ظالم : أرسِلْها ويلك ! فضرط الحبشىُّ ، فقال الحارث : « آستُ الحالبِ أعلم » فصارت مثلًا . قال أبو عبيدة : ففى ذلك يقول الفرزدق . وأنشد الأبيات . انتهى .

وقوله : « لعمرى لقد أوفى » هو لغة فى وفى بالعهد كوعى ، وفاءً : ضدّ غَدَر . و (الجار) : المُجير ، والمستجير ، والمجاور الذى أجرتَه من أن يُظلَم ؛ فهو ضدّ . والمراد هنا الأوّل . وفاعل أوفى الأوّل ضمير سليمان بن عبد الملك ، فإنَّه أجار يزيد بن المهلب من الحجّاج لما هرب من حبسه وجاء إليه ، فأرسله مع ابنه أيوب إلى أخيه الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يشفع فيه ، فقبل شفاعته .

وفاعل « أوفى » الثانى ضمير أبى ليلى ، تَنازَعه هو وقام . وابن ديهث فاعل ينادى . وصرمته مبتدأ ، وكالمغنم خبره ، والمتنهَّب ، صفته ، حال من ابن . والصِّرمة بالكسر : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثّلاثين أو إلى الخمسين ، وقيل غير ذلك . والمغنم الغنيمة . والمنتهَّب : اسم مفعول .

(١) فى الأغانى : « بالمنصوب » .

(٢) جهيز : السريع ، ش : « جهاز » ، تحريف .

(وأبو ليلى) : كنية الحارث بن ظالم ، وهو جاهلىّ . والقيام هنا هو العزم على الشىء والإتيان به على أكمل هيئاته . والمعنى : قام لينصره ويأخذ بساعده . وجملة « وكان إذا ما يسلل » إلخ معطوفة على قام ، أو إنّها اعتراضية أفاد بها أنّ شأنه كان كذا . واسم كان ضمير أبو ليلى ، والجملة الشرطية خبر كان .

وجملة « وما كان جار » إلخ حال من أبو ليلى . والجار هنا المستجير ، وهو اسم كان ، وغير دلوٍ خبرها . والقِدّ بالكسر : السّير يقدُّ من جلد غير مدبوغ . والمستحصَد اسم مفعول [1] من استُحصد الحبلُ إذا استحكَم فتلُه أو ربْطُه . والمُكرب : اسم مفعول ، من أُكرب الدلو إذا شدَّها بالكَرَب ، بفتحتين ، وهو حبل يشدّ فى وسط عرقُوة الدّلو ليَلىَ الماء فلا يعفَن الحبلُ الكبير . ويقال أيضًا : كربها وكرّبها ، كما يقال أُكربها .

والمصدِّق كمحدِّث : آخذ الصَّدقات . ومُضامة : اسم مفعول من الضَّيم [2] وهو الجور . ومجامع الصُّداع هو الرأس ، لأنَّه محل الصُّداع . والمعلوب بالعين المهملة : اسم سيفه .

والحارث بن ظالم المرىّ جاهلى ، ضُرب المثل بفَتْكه ، فقيل : « أفتك من الحارث بن ظالم » . الحارث بن ظالم

فمن خبر فتكه ما رواه حمزة الأصبهانى والزمخشرى فى أمثالهما ،

(١) كذا . والمعروف فى المعاجم أنه بزنة اسم الفاعل .

(٢) هذا سهو من البغدادى ، إذ أن اسم المفعول من الضيم « مضيم » ولو قد أراد أن يجعله اسم مفعول من أضامه كان مخطئا أيضا ، فليس فى لغتهم أضامه مزيدا بالهمزة » بل يقال ضامه من الثلاثى فحسب . وانظر ما سبق فى حواشى ٧٩ .

١٨٧ أنّ الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر بن كلاب ، وكان جارًا للأسود بن المنذر أخى النعمان بن المنذر وهرب ، فقيل له : لن تصيبَه بشىءٍ كسَبْى جاراتٍ له من بَلِىّ [(١)] » ، وهو حىٌّ من قضاعة ! ففعل فسمع ذلك الحارثُ فكرَّ راجعا من مَهرَبِه ، وأتى مرعى إبِلهم إذا ناقةٌ لهنَّ تدعى « اللِّفاع » تُحلب ، فقال يخاطب الإبل :

إذا سمعتِ حَنَّة اللِّفاعِ [(٢)] فادعِى أبا ليلى ولا ترتاعى

* ذلكِ راعيكِ فنعم الراعى *

فعرفه البائن فحَبق خوفًا ، وأنكرهُ المستعلى ، فقال الحارث : « استُ البائن أعلم » ثم استنقذهنَّ وأموالهنَّ ، وأتى أُخته سَلمى وقد تبنَّت شرحبيل بن الأسود الملك ، فمكر بها وأخذَهُ منها وقَتَله ، فضُرب به المثل فى الفتك .

والبائن : الذى يكون عند يمين الحَلوبة . والمستعلي على يَسارها . قال الزمخشرىُّ : قولهم : « آست البائن أعلم » ، مثلٌ يضرب لمن ولىَ أمرًا وصَلِىَ به ، فهو أعلم به من غيره . وقيل يضرب لكلِّ ما ينكر وشاهدُه حاضر .

وترجمة الفرزدق قد تقدّمت فى الشاهد الثلاثين [(٣)] .

* * *

(١) فى الدرة الفاخرة : « بشىء أشد عليه من جارات له من بلى » .

(٢) الحنة من الحنين ، وهو صوت الناقة إذا اشتاقت إلى ولدها . ومنه قولهم : « ما له حانَّة ولا آنّة » أى ناقة ولا شاة .

(٣) الخزانة ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الخمسمائة [١] :

٥١١ (مِنْ أَينَ عشرونُ لَها مِن أَنَّى)

على أَنّ (أنّى) تجرُّ بمن ظاهرة ، كما فى البيت ، ومقدَّرة كما قدرّه الشارح المحقق .

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت من أُرجوزة رواها أَبو الحسن الأَخفش (فى شرح نوادر أَبى زيد [٢]) عن ثعلب ، وهى :

(لَأَجعلنْ لابنةِ عَثم فَنَّا   مِن أَين عشرون لها مِن أَنَّى
حَتَّى يصير مَهرُها دُهدُنَّا   يا كَرَوَانًا صُكَّ فاكبأَنَّا
فشَنَّ بالسَّلْح فلما شَنَّا   بلَّ الذُّنابَى عبَسًا مُبنَّا
أَإبلى إبلي تأْخذها مُصِنَّا   خافضَ سنٍّ ومُشيلًا سِنَّا)

وروى أَبو زيد (فى نوادره) البيت الأَول والثالث فقط ، وروى : « زيد » بدل عثم ، وقال : الدُّهْدُنّ : الباطل . والفَنُّ : العَنَاء . يقال فننت الرجل ، إذا عَنَّيتَه ، أَفُنُّه فنا . انتهى .

فالدُّهدُنُّ بضم الدالين . والفن فعله من باب نصر . قال الأَخفش : روى المبرد وثعلب :

* لأَجعلَنْ لابنة عَثْم فنَّا *

قالا : أَراد عثمان ، وهذا يدلك على أَنَّ الأَلف والنون فى عثمان

---

(١) نوادر أبى زيد ٥٠ .

(٢) فى النسختين : « ديوان أبى زيد » ، وهو سهو أو زلة قلم من البغدادى . وكتب الشنقيطى بخطه فى هامش نسخته : « فالصواب شرح نوادر أبى زيد » .

زائدتان ، فحذفهما لما اضطُرَّ ، وفتح أوَّله ليدلَّ على ما حذف . وقال ثعلب : يريد بقوله فنًّا ضرباً من الخصومة .

وقوله : « يا كروانًا » قال الأخفش : ترك مخاطبتها ثم أقبل على وليِّها ، كأنَّه قال يا رجُلا كروانا ، أى يا مثلَ الكروان بضعفه [1] ، إنَّما يدفع عن نفسه بسَلْحه إذا صُكَّ أى ضُرب . والاكبئنان : التقبُّض . وشَنَّ : صَبَّ . والعبَس : ما تعلَّق بذنبه وما يليه من سَلحه . والمُبِنُّ : المقيم ، يقال أبنَّ بالمكان ، إذا أقام به . والمُصِنُّ : المتكبِّر .

وقوله : « خافضَ سنٍّ ومشيلًا » ، أخبرنى أبو العباس ثعلب عن الباهلىّ عن الأصمعىّ أنه قال : تأويله أنَّه إذا أعطاه حِقًّا طلب منه جَذَعا ، وإذا أعطاه سَدِيسًا طلب منه بازلا . وحُكى لى من [2] ناحية أخرى عن الأصمعى ، أنه قال : إذا أخذ وليُّها ما يدَّعى كثُر ماله واستغنى فأكل بنهم وشرَه ، فذلك قوله خافض سن ومشيلا سنا[3] . ويقال شال الشيء ، إذا ارتفع ، وأشلته وشُلت به ، إذا رفعتَه . وحدثنا أبو العباس ثعلب قال : حدثنى ابن الأعرابى أنه شاهد أبا عبيدة مرّة واحدة فأخطأ فى ثلاثة أحرف ، هذا منها . وذلك أنَّه قال : شُلت الحجر ، والعرب لا تقول إلَّا أشلته وشُلتُ به . قال الأخفش : وقد يكون شُلت به : ارتفعت به . انتهى .

١٨٨

(١) فى نوادر أبى زيد : « فى ضعفه » .

(٢) ط : « عن » ، صوابه فى ش ونوادر أبى زيد .

(٣) كلمة « سنا » ساقطة من ش ، ثابتة فى ط والنوادر .

وقد أورد ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) [١] الأبيات الخمسة الأخيرة من قوله : « يا كروانا صُكَّ » إلخ ، وقال : هى فى مصدِّقٍ هُجِىَ بها ، أى فى عامل الزكاة ، ثم قال : قوله : « خافض سِنٍّ ومُشِيلًا سنًّا » أى تأخذ بنت لبون فتقول [٢] : هذه بنت مخاض ، فقد خفضَها عن سنِّها التى هى فيها . وقوله : « ومُشِيلًا سنًّا » يقول : تكون له بنتُ مَخاض فيقول : لى بنتُ لبونٍ : فقد رفع السنَّ التى هى له إلى سنٍّ أخرى أعَلى منها . وتكون له ابنةُ لبونٍ فأخذ حِقَّةً . انتهى .

وأورد ابن السيرافى (فى شرح أبياته) الأبياتَ الثلاثة المتقدِّمة أيضًا وقال :

صاحب الشاهد الرجز لمدرك بن حُصَين ، وقال : قوله فنًّا ، أى أمرًا عَجبًا . وقوله : « من أين عِشرون لها » أى من الإبل . والدُّهدُنُّ : الباطل ، وكذلك الدُّهدرّ . وقوله : « يا كَرَوانًا » شبَّهه بالكروان . واكبَأنَّ : تقبَّض واجتمع وسَلح من خوفه . وشَنَّ : فرّق سَلْحه . والمُبِنُّ : الذى لصق بالذُّنابَى ويَبِس عليها . والمُصِنُّ : المتكبِّر والمُنتن أيضًا ، واللازم للشىء لا يفارقه أيضاً . والمُشِيل : الرافع ، يقال أشالَ يُشيل إشالةً ، إذا رفع . انتهى .

* * *

(١) إصلاح المنطق ٨٣ .

(٢) فى إصلاح المنطق : « أى يأخذ ابنه اللبون فيقول » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الخمسمائة [١] :

٥١٢ (صَرِيعُ غَوانٍ راقَهُنَّ ورُقْنَه   لَدُنْ شَبَّ حتَّى شابَ سُودُ الذَّوائبِ)

على أنَّ (لدن) مجرورة بمن مضمرة ، أى من لدن شبَّ .

وأورده فى لدنْ أيضًا على أنَّها إن أُضيفت إلى الجملة تمحَّضت للزمان .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة للقُطامىّ ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة [٢] . وهذه أبيات من أوَّلها :

أبيات الشاهد

(نأَتْكَ بليلى نِيَّةٌ لم تقارِب   وما حبُّ ليلى مِن فؤادى بذاهبِ
مُنعَّمـة تجلـو بِعُـودِ أَراكـة   ذُرى بَرَد عَذب شتيتِ المناصبِ [٣]
كأَنَّ فضيضاً من غريضٍ غمامة   على ظمأٍ جادت به أُمُّ غالب
لِمستهلَكٍ قد كاد من شدَّة الهوى   يَموتُ ومن طول العِداتِ الكواذبِ
صريعُ غوانٍ راقهـنَّ ورُقْنَـه   لدنْ شبَّ حتَّى شاب سودُ الذوائبِ
قُديديمَةَ التَّجريبِ والحلم ، إنَّنى   أَرى غَفَلاتِ العيش قَبلَ التجاربِ)

قوله : « نأَتك بليلى نية » إلخ قال شارح ديوانه : أى بَعدت عنك . والنيّة فاعل نأَت ، وهى الوجه الذى ينويه الإنسان ، والمراد السُّفْرة . ومثلها النَّوَى .

وقوله : « منعَّمة تجلو » ، إلخ روى الأَصمعى : « مناعَمة » ، أى

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٣ والمغنى ١٥٧ وشرح شواهده ١٥٦ والعينى ٣ : ٤٢٧ والتصريح ٢ : ٤٦ والأشمونى ٢ : ٢٦٣ وديوان القطامى ٥٠ .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٧٠ – ٣٧٢ .

(٣) ورد رسم « ذرى » « والذرى » فى ط بالألف فى جميع المواضع . وهما مذهبان صحيحان . وكتابه الألف مذهب البصريين . أما الكوفيون فيستثنون ما كان على فعل بضم ففتح ، أو على فعل بكسر ففتح ، يكتبونه بالياء واويا كان أو يائيا . انظر حواشى قواعد الاملاء ص ٢٤ .

غذيت غذاءً ناعمًا . وتجلو ، أراد تستاك . والذُّرى : الأعالى . والبَرد : حبُّ الغمام . شبَّه أسنانَها فى شدَّة بياضها بالبرد . وإنَّما خصَّ الذُّرى لأنَّها صحاح لم تتكسَّر . وشتيت : متفرِّق . أراد أنَّ فى أسنانها فلجًا . والمَناصب : حيث رُكِّبت الأسنان .

وقوله : « كأنَّ فضيضًا » إلخ فضيض السحابة : ماؤها إذا انفَضَّ منها . شبَّه عذوبة ريقها بماء سحابة . والغريض : الطرىُّ . وقوله « لمستهلك » إلخ اللام متعلقة بجادت ، وأراد بالمستهلك نَفْسَه ؛ لأنَّه هالكٌ من حبِّها ومعرِّضُها للهلاك . ١٨٩

وقوله : (صريع غوان) بالجر بدلٌ من مستهلك ، ويجوز رفعه على إضمار مبتدأ ضمير المستهلك . والصَّريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض : يريد أنَّه قد أُصيب من حبّهنّ حتى لا حَراكَ به . والغوانى : جمع غانية ، وهى التى استغنت بجمالها عن الزِّينة ، وقيل هى التى غنيت بزوجها عن غيره ، وقيل هى التى غنيت فى بيت أبويها ولم تتزوَّج ، أى أقامت . وأنشد أبو عبيدة للقول الثانى :

أزمانَ ليلى كَعابٌ غير غانيةٍ وأنت أمردُ معروفٌ لك الغزَلُ [1]

وراق بمعنى أعجب ، أى أعجبهنَّ لجماله وشبابه وأعجبْنَهُ لحسنهنَّ .

وقوله : (لدُنْ شبَّ) إلخ أى من عند وقت شبابه إلى وقت شيبه ، فدلَّ على إضمار من بدليل حتَّى ، لأنَّها بمعنى إلى . و (الذَّوائب) : الضفائر من الشعر ، جمع ذؤابة . وقد لُقِّب القطامىّ صريعَ الغوانى بهذا البيت ، وهو أوَّل من لُقِّب به ، وقد ذكر فى الأوليّات ، ثم لقِّب

(١) البيت لنصيب فى ديوانه ١١٦ واللسان (غنى ٣٧٥) .

به مسلم بن الوليد . قال صاحب زهر الآداب (١) : لقِّب مسلم صريعَ الغوانى بقوله :

هل العيشُ إلَّا أن تروح مع الصِّبا
صريعَ حُميَّا الكأْسِ والأَعيُنِ النُّجْلِ . انتهى

قال صاحب الأغانى : الذى لقَّب مسلمًا بهذا اللقب هارونُ الرَّشيد ، لهذا البيت .

وقوله : « قُديديمَةَ التجريب » إلخ هو من أبيات سيبويه ، وجُمل الزجاجى (٢) ، استشهد به على تصغير قدّام قديديمةً بالهاء . ومثلها وُرَيِّئة . وإنَّما أَدخلوا الهاء فى تصغير وراء وقدام وإن كانتا قد جاوزتا ثلاثةَ أَحرف ، لأَنَّ باب الظروف التذكير ، فلما شذَّتا فى بابهما فرقوا بينهما وبين غيرهما ، فأَدخلوا فيهما علامة التأْنيث . قاله اللَّخمى .

وقديديمة منصوبٌ على الظرف ، والعامل فيه راقهنّ ورقنه ، أَى أَعجبهن وأَعجبْنه . قديديمةَ التجريب والحلم ، أَى أَمام التجريب والحلم . ثم قال : أَرى غفلاتِ العيش قبلَ التجارب ، يقال : إنَّما يُستلذُّ بالعيش أَيام الغفلة وفى أَيام الشباب قبل التجارب ، والتجارب إنَّما هى فى الكبَر ، وهو وقتُ أَن يَزْهَد فيهن لسِنِّه وتجريبه ، وأَن يزهدن فيه لشَيْبه . وقد يحتمل أَن يكون

(١) زهر الآداب ٩٩٦ .

(٢) جمل الزجاجى ٢٥١ . وليس من أبيات سيبويه كما ذكر . هذا ، وقد تكلم سيبويه على تصغير قدام ووراء فى ٢ : ٣٥ بولاق ٣ : ٢٦٧ هارون .

العامل فى قديديمة محذوفًا دلّ عليه سياق الكلام ، كأنَّه أراد : تظنُّ طيب العيش ولذَّته قدّام التجربة والحلم ، أى أمام ذلك ، ليس الأمر كذلك ، إنَّما يطيب العيش ويحسُن قبل التجارب وفى عنفوان الشباب ، وحينَ الغفلة ، وأما بعد ذلك فلا . فيكون العامل فيها تظنُّ المقدّر . قاله اللخمى أيضًا .

وقوله : « إنَّنى » قال ابن السِّيد : يروَى بكسر الهمزة على الاستئناف ، وبفتحها ، وهو مفعول من أجله . وقد تكون إنَّ مكسورة فيها معنى المفعول من أجله ، كقوله عز وجل : ﴿ ويُصَلَّى سَعِيرًا * إنَّه كان فى أهلِهِ مَسْرُوراً [1] ﴾ . وجاز ذلك لأَنَّ إنَّ داخلة على الجمل ، والجملة قد يكون فيها معنى العلَّة والسبب موجوذًا . كما قال تعالى : ﴿ وإنَّ هذه أُمَّتُكم أُمةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتَّقون [2] ﴾ . ألا ترى أنَّ المعنى : ولأنَّ هذه أُمَّتكم ولكونى ربَّكم فاتقونِ . انتهى .

صاحب الشاهد وهذه القصيدة هجوُ امرأةٍ من بنى مُحارب . حكى أبو عمرو الشيبانى أنَّ القطامى نزل فى بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقرَاها ١٩٠ فقالت : أنا من قومٍ يَشْتوون القِدّ من الجوع . قال : ومَنْ هؤلاءِ ويحكِ ؟ قالت : محارب . ولم تَقْرِهِ ، فبات عندها بأشرِّ ليلةً [3] ، فقال هذه القصيدةَ ، ومنها :

---

(١) الآية ١٢ ، ١٣ من سورة الانشقاق . وقد ضبطت « يصلى » فى ش بقلم ناسخها بضم الياء وتشديد اللام المفتوحة ، وهى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر والكسائى ، ووافقهم ابن محيصن والحسن ، وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام . إتحاف فضلاء البشر ٤٣٦ .

(٢) الآية ٥٢ من المؤمنون ، وفى الأنبياء ٩٢ : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

(٣) أى بشر ليلة ، وقرئ فى الكتاب العزيز : ﴿ سيعلمون غدا من الكذاب الأشرّ ﴾ وهى قراءة أبى حيوة . تفسير أبى حيان ٨ : ١٨٠ .

أبيات الشاهد

(وإنّى وإن كان المسافرُ نازلًا وإن كان ذا حقٍّ على الناس واجبِ
فلا بدَّ أنَّ الضيفَ مُخْبِرُ ما رأى مخبِّرُ أهلٍ أو مخبِّرُ صاحبِ
لَمخبرُكَ الأنباءَ عن أُمِّ منزلٍ تضيَّفتُها بينَ العُذَيب فراسب
تلفَّعتُ فى طَلٍّ وريحٍ تَلُفُّنى وفى طِرْمِساءَ غيرِ ذاتِ كواكبِ
إلى حَيزبونٍ تُوقِدُ النارَ بعدما تلفَّعتِ الظلماءُ من كلِّ جانبِ
فما راعَها إلَّا بُغامُ مطيَّتى تُرِيح بمحسورٍ من الصَّوت لاغبِ
تقول وقد قرَّبتُ كورى وناقتى : إليكَ ، فلا تذْعَر علىَّ ركائبى
وجُنَّتْ جنونًا من دِلاثٍ مُناخة ومن رَجُل عارى الأشاجع شاحب
فسلَّمتُ ، والتسليم ليس يسرُّها ولكنَّه حقٌّ على كلِّ جانبِ
فردَّت سلامًا كارهًا ثم أعرضَت كما انحازت الأفعى مخافةَ ضارب
فقلت لها : لا تفعلِى ذا براكبٍ أتاكِ ، مصيبٍ ما أصابَ فذاهبِ
فلما تنازعْنا الحديثَ سألْتُها مَن الحىُّ قالت : معشر من مُحاربِ
من المشتوِينَ القِدَّ مما تراهمُ جياعًا،وريفُ النَّاسِ ليس بناضبِ
فلمَّا بدا حرمانُها الضَّيفَ لم يكن علىَّ مناخُ السَّوءِ ضربةَ لازب
وقمتُ إلى مَهريَّةٍ قد تعوَّدت يداها ورجلاها خبيبَ المواكبِ)

ثم وصف ناقته بأبيات وقال :

(إلا إنَّما نِيرانُ قيس إذا شَتَوْا لطارقِ ليلٍ مثلُ نار الحُباحبِ)

والعُذيب : ماء أسفل الرَّحْبة . وراسب : قريبٌ منه .

والطل : الندى . والطِّرِمساء ، بالكسر : الظُّلمة .

والحَيْزَبون : العجوز . والبغام ، بالضم : صوت تختلسه النَّاقةُ ولاتتمُّه . والمحسور : صوتٌ ضعيف .

وتُرِيح ، بالضم : تستريح . والكور ، بالضم : الرحل بأُداته .

والدِّلاث : بالكسر : الناقة . والأَشاجع : عروقُ ظاهر الكفّ . والجانب : الغريب .

والناضب ، بالضاد المعجمة [1] : البعيد . وممّا تراهم ، أى كثيرًا ممّا تراهم .

ونار الحباحب بالضم : النار التى تظهر من قَرع الحوافرِ . أَراد أَنَّها ضعيفة لا يُشعِلونها خوفًا من الضَّيف .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه [2] :

٥١٣ (فأَصبحتَ أَنَّى تأْتِها تَبتَئِسْ بها
كِلا مَرْكَبَيْها تحتَ رِجْليكَ شاجِرُ)

على أَنَّ (أَنَّى) فيه شرطيّة مجرورة بمن مضمرة ، أَى من أَنَّى تأْتها .

قال سيبويه : وممَّا جاء بأَنَّى من الجزاء قولُ لبيد : صاحب الشاهد

فأَصبحت أَنَّى تأْتها .... البيت

قال الأَعلم : الشاهد فيه جزم تأْتها بأَنَّى ؛ لأَنَّ معناها معنى أَين ومتى ،

---

(١) ط : « بالضاد المعجم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٤٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٤٨ والجمل ٢٢٧ وابن يعيش ٤ : ١١٠ / ٧ : ٤٥ وديوان لبيد ٢٢٠ .

وكلاهما للجزاء . وتبتئس جزمٌ على جوابها .

١٩١ قال أبو الحسن الطوسى (فى شرح ديوان لبيد) قال الأصمعى : لم أسمع أحدًا يجازى بأنّى ، وأظنّه أراد أيًّا تأتها ، يريد أىّ جانبى هذه الناقة أتيته وجدتَ مركبَه تحت رجلك شاجرًا . أى ينحّيك ويدفعك ، لا يطمئنّ تحت رجلك . وقال أبو عبيدة : أنىَّ تأْتِها مجازاة ، يقول : من أىّ جانبٍ أتيت هذه الناقة وجدتَ كلا مركبيها شاجرًا دافِعًا لك . وتبتئس : يُصِبْك منها بؤسٌ . يقول : كيفما ركبت منها التبس عليك الأمر . وشاجِرٌ : ملتبس . يقال : تشَاجر ما بين القوم [1] ، إذا اختلفوا . ويقال شَجره بالرُّمح ، إذا دفعه به وطعنَه . وقال أبو عمرو : الشاجر : المفرِّق بين رجليه . وقد شجَرَ بين رجليه ، إذا فرّق بينهما إذا ركب . انتهى .

وهذا مبنىٌّ على إرجاع الضمائر المؤنثة إلى الناقة المفهومة من المقام .

وكذلك قال ابن سِيدهْ (فى شرح أبيات الجمل) . ولم يرتضه اللّخمى فى شرحها . قال : قد غلط ابن سِيده شارح الأبيات فى البيت وزعَم أنّه يصِف ناقة ، وإنّما يصف داهيةً . ولو علم ما قبله عَلم الموصوف ما هو . قال لبيد يصف حاله مع عمِّه ، ويعِتب عليه ، ويذكر قبيحَ ما أسداه إليه :

أبيات الشاهد

(لىَ النصرُ منكمْ والوَلاءُ عليكمُ وما كنتُ فَقَعًا أنبتتْهُ القَراقرُ

وأنتَ فقيرٌ لم تَبدَّلْ خليفة سوايَ ولم يلحق بنوك أصاغر

فقلت ازدجرْ أحناءَ طيرِكَ واعلمَنْ بأنّك إنْ قدَّمتَ رجلَك ، عاثرُ

(١) ط : « شاجر ما بين القوم » ، والوجه ما أثبت من ش .

وإنَّ هَوانَ الجارِ للجار مؤلمٌ وفاقـرةٌ تأْوى إليها الفواقــرُ

فأَصبــحتَ أنَّـــى تأْتها .... البيت

فإنْ تتقـدمْ تغشَ منها مقدَّمًـا غليظًا ، وإنْ أُخِّرتَ فالكِفْل فاجرُ)

والفاقرة : الداهية التى تكسر فَقار الظَّهر ، وهى التى يصف فى البيت . شبَّهها بالدابة الشَّموس التى إذا ركبها رمتْه عن ظهرها . انتهى .

أَقول : البيت الذى فيه الفاقرة غير ثابتٍ فى رواية الطوسى ، فيجوز أَن يكون ابن سيده تبعه . على أنَّ هذا لا يسمَّى غلطًا فإنَّه تمثيل ، سواء قيل داهية [1] أو ناقة أو مركب . قال ابن السيد (فى شرحه) : العرب تشبِّه التنشُّب فى العظائم بالرُّكوب على المراكب الصَّعبة ، فيقولون : ركبتَ منِّى أَمرًا عظيمًا ، ولقد ركبتَ مركَبًا صعبًا ، وفلانٌ رَكَّاب العظائم . ونحوه قولُ الشاعر [2] :

لئن جَدّ أَسبابُ التقاطعِ بيننـا لترتحلنْ منِّى على ظَهر شَيهمِ . انتهى

وروى : « تشتجر » بدل « تبتئس » ، قال ابن السِّيد : معناه تشتبك . ويروى : « تلتبس » ، ومعناه كمعنى تشتجر . و (شاجر) : مشتبك . وقال اللخمى : تشتجر مأْخوذ من شجَر الراكبُ ، إذا خالف بين رجلَيه فرفع رجلًا ووضع أُخرى ، وهى رِكبةٌ متهيِّئة للسُّقوط . ويروى : « تبتئس » من بُؤْس الحال . ويروى أيضًا : « تلتبس » . و (مركبيها) : ناحيتيها اللتين تُرامُ منهما . وشاجر :

---

(١) ش : « دابة » .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٩٥ . والشيهم : القنفذ . وأراد : على ذعر وخوف .

مضطرب . يقول : مَن ركبها فرَّقت بين رجليه فهوتْ به . ويروى : « شاعر » ، والمعنى واحد .

يعتب عمَّه عامرَ بنَ مالك ملاعبَ الأَسنَّةِ ، وكان قد ضرب جارًا للبيدٍ بالسَّيف ، فغضب لبيد لذلك فقال الشعر الذى تقدَّم ، يعدِّد بلاءه عنده . وفى الشعر ما يدلُّ على ذلك ، وهو :

١٩٢

(مَن يك عنِّى جاهلًا أَو مغمَّرًا   فما كان بدعًا من بلائىَ عامرُ
وفى كلِّ يومٍ ذى حفاظٍ بلوتَنى   فقمتُ مَقَاماً لم يقُمه العواورُ)

و (كلا) مبتدأٌ ، والخبر شاجر . و (تحتَ رجليك) متعلق بشاجر . وكلا عند سيبويه اسمٌ مفردٌ . انتهى

وقوله : « رجليك » بالتثنية ، وروى بالإفراد . قال ابن السِّيد : ويروى : « رحلك » ، والرَّحل للناقةِ مثل السَّرج للفرس .

والكِفْل بالكسر : كساءٌ يكون وراء الرَّحل ، فيركب عليه الرَّديف . يقال رحلت البعيرَ واكتفلته ، أَى جعلت عليه رَحْلا [١] وكِفْلا ، وهما المركبان اللذان ذكرهما .

ومعنى الشعر أَنَّه يقول لعمِّه : إنَّك ركبت أَمرًا لاخلاصَ لك منه ، فأَنت بمنزلة من ركب ناقةً صعبة لا يَقدر على النُّزول عنها سالمًا ، لأَنَّ رجليه قد اشتبكتا بركابيها [٢] ، وكلا مركبيها لا يستقرُّ عليه ، إن ركب على مركبها المقدَّم ، وهو الرحل ، وجده مركبا صعبًا ، وإن ركب على مَركبها المؤخَّر ، وهو الكِفْل ، مال به وصرَعَه .

---

(١) ط : « رجلا » بالجيم ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « بركائبها » ، صوابه فى ش .

والفاجر : المائل غير المستقيم

وكان للبيدِ جارٌ من بنى القَين قد لجأ إليه واعتصم به ، فضربه عمُّه بالسيف ، فغضب لذلك لبيد وقال يعدِّد على عمِّه بلاءه عنده ويُنكر فعلَه بجاره . وأنشد الأبيات السابقة .

وقال ابن المستوفِى (فى شرح أبيات المفصل) : قوله فأصبحتَ أنَّى تأتها ، أى متى أتيتَ هذه التى وقعتَ فيها تلتبسْ بها ، أى تلتبس بمكروهها وشرِّها . ويروى « تبتئس » ، أى لا يقربك الناس من أجلها . وكلا مَركبى الخُطَّة إنْ تقدّمتَ أو تأخّرتَ شاجر ، أى مختلف متفرِّق . والشاجر : الذى قد دخل بعضُه فى بعض وتغيَّر نظامه . وأراد بالمَركَبين قادمةَ الرحل وآخرته . وهذا على طريق المثل [1] . يقول : لا تجدُ فى الأمر الذى تُريد أن تعمله مركبًا وطيئًا ولا رأيًا صحيحًا ، أى موضعك إن ركبتَ منه آذاك وفرّق بين رجليك ولم تثبتْ عليه ولم تطمئنَّ . هذا كلامه ، وهذا بحروفه هو كلام بعض فضلاء العجم (على أبيات المفصل) .

ولم يورد أبو الحسن الطوسىُّ سببَ هذه القصيدة ، وعدَّتها عنده ثلاثة وعشرون بيتًا .

ولنذكر ما شرح به الأبيات السابقة : قوله « من يك عنِّى جاهلا » ، رواه الطُّوسىُّ : « من كان منِّى جاهلا » . وهذا أوّل القصيدة . يقول : من كان يجهلنى فإنَّ عمِّى عامرًا يعرف بلائى . وبلاؤه : صنيعه وعمله . وعامر هو ملاعب الأسنَّة . والمغمَّر : المنسوب إلى الغُمر ، بالضم

(١) فى النسختين : « وعلى هذا طريق المثل » ، والوجه ما أثبت .

الجهل . والبِدع ، بالكسر : كلُّ حديث أُحدِث ، أى ليس عامرٌ ببدعٍ من بلائى ، أى بأوّلِ ما عرف ذلك (١) .

وقوله : « وفى كل يوم » إلخ هو البيت الرابعَ عشرَ من القصيدة . والعَواوِر : الجبناء والضُّعفاء ، جمع عُوّار بالضم والتشديد .

وبعده قوله : « لى النصر منكمْ » إلخ ، والرواية عند الطوسى : « لى النصر منهم والولاء عليكم » بالغيبة فى الأوّل والخطاب فى الثانى ، وقال : منهم ، أى من هؤلاء الملوك وأردافهم الذين ذكرُوا . والولاءُ عليكم ، يقول : يوالوني عليكم (٢) . والفَقْع : ضربٌ من الكمْأة ، وهو شرُّها . والقَرقر كجعفر : الأرض المُستوِية . وفى المثل : « أذلُّ من فَقْع بقَرقرٍ » . يقول : لم أكن ذليلا .

وقوله : « وأنت فقير » ، أى محتاج إلىّ . والخليفة هنا : مَخلَفٌ يخلفه . يقول : أنا خَلَفُك . ولم يلحق بنوك ، أى لم يكبُروا له .

وقوله : « فقلت ازدجرْ » إلخ الأَحناء : جمع حِنْو بالكسر ، وهى الجوانب (٣) . وقولهم : « ازدجر أَحناء طيرك » ، أى نواحيَه يمينًا وشِمالًا ، وأمامًا وخلفًا . ويريد بالطَّير الخفَّة . قاله الجوهرى ، وأنشد البيت . وقالوا : أراد بذلك انظرْ فيما تعمله ، أمخطئٌ أنتَ فيه أم مصيب ؟ ١٩٣

وقال الطوسى : ازدجر : ازجُر أَحناء قولك (٤) ، إنَّما هذا مثل ، يقول : ازدجر : ازجرْ . أحناء قولك ، أى عن يمين وشمال وعلى أىّ حال شئت .

---

(١) أى مأول شىء عرفه بلائى

(٢) هذا من التخفيف بحذف إحدى النونين نون الرفع أو نون الوقاية .

(٣) ط : « وهو الجوانب » ، صوابه فى ش .

(٤) الرواية السائرة : « أحناء طيرك » .

يقول : إن ركبتَ هذا الأمر الذى قلت لك فيه ازدجر عثرت ، أو معناه انظر ما عاقِبتُه [١] .

وقوله : « فإن تتقدم » إلخ قال الطوسى : منها أى من هذه التى ذكر . يقول : إنْ تقدّمت تقدمت على غِلظٍ وأمر صعب ليس يسْهُل عليك ، وإنْ أُخّرت ، يقول : إنْ رجعت . والكِفْل بالكسر : كساءٌ يضعه الرجلُ على ظهر البعير ثم يركبُه يتوقّى العرَق . وقال ابن الأعرابىّ : هو كساء يُركب به ، يدار حولَ سنام البعير ثم يعقد عَقدًا من خلفه يكتفِل به الرَّجُل فيمسكه ، ويجعل العَقْد من خلف السَّنام ، وفاجر : مائل ، وقيل فاتحٌ لرجليك يَفرِجُ ما بينهما . يقول : فكيف ركبتَ لم تجدْها كما تريد . وإنّما يريد نفْسه ، أى إنّك إن فقدتْنى لم تجدْ مثلى . وهذا مثلٌ . انتهى .

وترجمة لبيد تقدّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عشرَ بعد الخمسمائة [٣] :

٥١٤ (شَرِبْنَ بماءِ البَحْرِ ثم ترفَّعَتْ   مَتى لُجَجٍ خُضْرٍ لهنَّ نئيجُ)

على أن (متى) عند هذيل حرفُ جر بمعنى مِنْ أوْ فى ، أو اسمٌ بمعنى وَسْط .

---

(١) ط : « عقبته » ، صوابه فى ش . وفى اللسان : « وعقب كل شى وعقباه وعقبانه وعاقبته : خاتمته » .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٤٦ — ٢٥١ .

(٣) الخصائص ٢ : ٨٥ والمحتسب ٢ : ١٤ والاقتضاب ٤٤٧ وابن يعيش ٢ : ٢٧٠ والمغنى ١٠٥ ، ١١١ ، ٣٣٥ والعينى ٣ : ٢٤٩ ، ٢٧٣ / ٤ : ٢٢٢ والتصريح ٢ : ٢ والهمع ٢ : ٣٤ والأشمونى ٢ : ٢٠٥ ، ٢٢١ وديوان الهذليين ١ : ٥١ .

قال ابن السِّيد (فى شرح أَبيات أَدب الكاتب) : فى قوله متى لجج قولان : قيل أَراد من لُجج ، كما قال صخرُ الغَىّ (١) :

* متى أَقطارِها عَلَقٌ نفيثُ (٢) *

أَراد : من أَقطارها . وقيل متى بمعنى وَسْط . وحَكى أَبو مُعاذٍ الهراء ، وهو من شيوخ الكوفيِّين : جعلته فى مَتَى كُمِّى . انتهى .

ومَتَى هنا فيما نقله أَبو معاذٍ لا تحتمل غير معنى وسط ، بخلاف ما نقله الشارح المحقِّق عن أَبى زيد ، فإنه يحتمله ويحتمل معنى فى ، كما قال الشارح .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : إنّ متى عند هذيل اسمٌ مرادف للوَسْط ، وحرفٌ بمعنى مِن أَو فى . يقولون : أَخرجَها متى كُمِّه ، أَى منه . واختُلف فى قول بعضهم : وضعته متى كُمِّى ، فقال ابن سيده : بمعنى فى ، وقال غيره : بمعنى وَسْط . وكذلك اختلفوا فى قول أَبى ذؤيب الهذلى ، يصف السحاب : صاحب الشاهد

شربن بماءِ البحر ثم ترفَّعت .... البيت

فقيل بمعنى مِن ، وقال ابن سيده : بمعنى وَسْط . انتهى

والباء فى قوله : (بماء البحر) قيل على بابها ، وشربن مضمَّن معنى رَوين . وقال جماعة : هى للتبعيض ، منهم الأَصمعى ، وابن قتيبة (فى أَدب الكاتب) وأَبو على وغيره . وقال ابن جنى (فى المحتسب) :

---

(١) فى ديوان الهذليين ٢ : ٢٢٤ وشرح السكرى ٢٦٣ أن البيت لأبى المثلم . وماهنا يطابق ما فى الاقتضاب .

(٢) صدره فى الهذليين وشرح السكرى :

* متى ما تنكروها تعرفوها *

الباء زائدة ، أى شربن ماء البحر وإن كان قد قيل إنَّ الباء هنا بمعنى فى ، والمفعول محذوف ، معناه شربن الماء فى جملة ماء البحر . وفى هذا التأويل ضربٌ من الإطالة والبُعد .

وقال (فى سر الصناعة أيضًا) : الباء فيه زائدة ، إنَّما مَعناه شربن ماء البحر . هذا هو الظاهر من الحال ، والعدولُ عنه تعسُّف . وقال بعضهم : معناه شربن من ماء البحر ، فأوقع الباء موقع مِنْ . انتهى .

وسبقَه الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ يشْرَبُ بها [1] ﴾ ، من سورة الدهر ، قال : يشرب بها ويشربها سواءٌ فى المعنى ، وكأنَّ يشربُ بها يَرْوَى بها ويَنْقَع . وأمَّا يشربونها [2] فبيِّن . وقد أنشدنى بعضهم :

شربنَ بماءِ البحر ثم ترفَّعت .... (البيت)

ومثله : إنَّه ليتكلَّم بكلام حسنٍ ويتكلَّم كلامًا حسنًا . انتهى . ١٩٤

والحاصل أنَّ فى هذه الباء أربعةَ أقوال : أحدها أنَّها للتعدية . ثانيها : أنَّها للتبعيض بمعنى مِن . ثالثها : أنها بمعنى فى . رابعها : أنَّها زائدة .

وهذا على ما فى كتب المؤلفين . وأما الثابت فى شعر أبى ذؤيب من رواية أبى بكر القارئ [3] وغيره فهو :

---

(١) معانى الفراء ٣ : ٢١٥ . وهى الآية ٩ من سورة الدهر أو الإنسان .

(٢) هذا ما فى ش ومعانى الفراء . وفى ط : « وأما يشربها » .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن عاصم الحلوانى القارئ . وقد سبقت ترجمته فى حواشى ٥ : ٤١٤ والإشارة إليه فى ١ : ٢٧٥ .

(تروَّتْ بماءِ البحر ثم تنصَّبتْ   على حَبشيَّاتٍ لهنَّ نئيجُ)

قال القارئ : تروّت يعنى الحناتم . وتنصَّبت : ارتفعت . وعلى حبشيات : على سحائبَ سود . ونئيج : مرٌّ سريع .

وعلى هذه الرواية لا شاهدَ فى الموضعين .

صاحب الشاهد

والبيت بعدَ مطلعِ قصيدة لأَبى ذؤيب الهذلى ، عدَّتها تسعةٌ وعشرون بيتًا ، وهذا مطلعها عند أَبى بكر القارئ وأَبى حنيفة الدينورىِّ (فى كتاب النبات) :

(سقَى أُمَّ عمرٍو كلَّ آخرِ ليلةٍ   حَناتمُ سودٌ ماؤهن ثَجيجُ)

قال القارئ : الحناتم : السَّحابُ فى سوادِه . والحنتَمَة : الجَرَّة الخضراء ، شبَّه السحاب بها . والحناتم : الجِرار الخُضْر . وثجيج : سائل . انتهى .

وقال الدِّينوَرىّ : الحنتم من السَّحاب : الأَخضر ، وهو الأَسود . وثجيج : متدفِّق .

وقال ابن السِّيد : الحناتم : سحابٌ سُود ، واحدها حنتم ، وأَصل الحناتم جرار خُضر [١] ولكنَّ العرب تجعل كلَّ أَخضر أَسود ، وإِنَّما يفعلون ذلك لأَنَّ الخضرة إِذا اشتدَّت صارت سوادًا ، ولذلك قالُوا للَّيل : أَخضر . قال ذو الرمَّة :

* فى ظلِّ أَخضرَ يَدعو هامَه البُوم [٢] *

---

(١) فى الاقتضاب : « جراد خضر » ، وما هنا صوابه . وأنشد فى اللسان لعمرو بن شأس :

رجعت إلى صدر كجرة حنتم   إذا قرعت صفرا من الماء صلت

(٢) ويروى : « فى ظل أغضف » . وصدره فى الديوان ٥٧٤ :

* قد أعسف النازح المجهول معسفه *

وأُمَّ عمرٍو مفعول مقدَّم ، وحناتم فاعل مؤخَّر ، وكلَّ آخر ليلة ظرف . قال الأصمعيّ : يريد أبدًا . ومثله : لا أُكلِّمك آخرَ الليالى ، أى لا أُكلِّمك ما بقى علىَّ من الزمن ليلة . والثَّج والثَّجيج : السيل الشَّديد ، فيجوز أن يكون ثجيج بمعنى ثاجّ ، ويجوز أنْ يكون أراد ذُو ثجيج ، فحذف المضاف ، ويجوز أن يكون أوقع المصدر موقع اسم الفاعل مبالغةً فى المعنى . قاله ابن السِّيد .

وجعل العينىُّ وتبعه السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) هذا البيتَ بعد البيت الشاهد ، وقال : أوّل القصيدة :

(صحا قلبُه بل لجَّ وهو لجوجُ [1] وزالت به بالأنعَمَين حُدوجُ)

وهذا البيت غير موجودٍ فى القصيدة . ورواه العينى :

* صبا صبوةً بل لجَّ وهو لجوجُ *

وأورد بعده أربعةَ أبياتٍ أُخر إلى قوله سقَى أُمَّ عمرو ، البيت الذى ذكرناهُ مطلعًا . وليست هذه الأبيات فى تلك القصيدة ، ولا هى من نَسْجها ، وما أدرى من أين أتى بها . والله أعلم .

وقوله : (شربن بماء البحر) ، النون ضمير الحناتم . وقال العينى : ضمير السُّحب . مع أنَّه لم يتقدَّم للسُّحب ذكر ، ولا فى الأبيات التى جعلها أوّل القصيدة .

---

(١) يعنى أنه ليس من رواية الأصمعى ، إذ مطلعها عنده هو البيت السادس فى ترتيب القصيدة من رواية السكرى وإغفال ما قبله ، وهو :

سقى أم عمرو كل آخر ليلة حناتم سود ماؤهن ثجيج

قال ابن السِّيد : هذيلٌ كلُّها تَصف أَنَّ السحاب تستقى من البحر ثم تصعد فى الجوّ . وهذا ما عليه الحكماء من أَنَّ السحاب ينعقد من البخار ، أَعنى الأَجزاء الهوائيَّة المتحلِّلة بالحرارة من الأَشياء الرَّطبة ؛ وذلك أَنَّ البخار المذكور إذا تصاعد ولم يتلطَّف بتحليل الحرارة أَجزاءَه المائيَّة حتَّى يصير هواء ، فإنَّه إذا بلغ الطبقة الزَّمْهريريَّة تكاثف فاجتمعَ سحابًا ، وتقاطر مطرًا ، إن لم يكن البردُ شديدًا . و (اللُّجَج) : جمع لُجّة ، وهو معظم الماء . ووصَفها بخُضرٍ لصفائها ؛ يقال ماء أَخضر ، أَى صافٍ . و (نئيج) على فعيل مهموز العين : المرّ السريع بصوتٍ ، من نأَجت الريحُ تنْأَج نئيجًا : تحرَّكت ، فهى نؤوج . وللرِّيح نئيج ، أَى مرٌّ سريع . وجملة « لهنَّ نئيج » فى موضع الحال من فاعل ترفَّعت العائدِ على حناتم بمعنى سحائب . ١٩٥

وترجمة أَبى ذؤيب الهذلىّ تقدَّمت فى الشاهد السابع والستين من أَوائل الكتاب [١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسَ عشرَ بعد الخمسمائة [٢] :

٥١٥ (أَو راعيانِ لبُعْرانٍ شَرَدْنَ لنا

كَىْ لا يُحسَّانِ من بُعرانِنا أَثَرًا)

على أَنَّ كى فيه بمعنى كيف ، أَو أَن أَصلها كيف ، فحذفت الفاء لضرورة الشعر .

---

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ – ٤٢٣ . .

(٢) ابن يعيش ٤ : ١١٠ ومعانى الفراء ٣ : ٢٧٤ .

وهذا البيت أنشده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ولسوف يُعطيكَ ربُّك فَتَرْضى [1] ﴾ كذا :

مِن طالِبِينَ لُبعرانٍ لنا رَفَضَتْ كى لا يحسُّون من بُعراننا أثرا

قال : هى فى قراءة عبد الله : ﴿ ولَسَيُعطِيك ربُّك فترضَى ﴾ ، والمعنى واحد ، إلَّا أنَّ سَوف كثرت فى الكلام وعُرف موضعُها ، فترك منها الفاء والواو ، والحرف إذا كثُر فربَّما فُعل به ذلك ، كما قيل أيْشٍ تقول ؟ وكما قيل : قم لاأَباك ، وقمْ لابَشَانِيكَ ، يريدون : لا أَبا لَكَ ، ولا أَبا لشانِئِك . وقد سمعتُ بيتًا حذفت الفاء فيه من كيف ، قال الشاعر :

من طالِبِينَ لبعرانٍ لنا رفضت .... البيت

أَراد : كيف لا يُحسُّون . وهذا كذلك . انتهى ونقلته من نسخةٍ صحيحة بخط الخطيب البغداديِّ صاحب تاريخ بغداد .

وأَنكر أَبو على (فى البغداديات) هذا ، وحتَّم أَن تكون كى فيه بمعنى اللام ، وهذه عبارته : أَنشد أَبو بكر عن ابن الجهم عن الفرّاء :

من طالِبِينَ لُبعرانٍ لهم شردَتْ كيما يحسُّون من بُعرانِهِمْ خبرا

قال الفراء : أَراد كيف فرخَّم . قال أَبو بكر : وهذا خطأٌ ، وهو كما قال وبسطَه ، أَنَّ كيف اسم [1] يمتنع ترخيمه ، من غير وجه :

أَحدها : أَنه اسم ثلاثى ، والثلاثى لم يجئْ مرخَّما إلَّا ما كان ثالثه تاء تأْنيث .

---

(١) الكلام من هنا إلى « فإن كيف اسم » ساقط من ش .

والآخر : أنَّه منكور ، والمنكور لا يرخَّم كما لايبنى ، والترخيم أبعد من البناء ، فإن امتنع بناؤه كان ترخيمه أشدَّ امتناعًا أيضًا ، فإنَّ كيف اسمٌ مبنىٌّ مشابه للحُروف ، والحذف إنَّما يكون فى الأسماء المتمكِّنة والأفعال المأخوذ مِنها [(١)] ولا يكون فى الحروف . كذلك ينبغى أن لا يكون فيما غلب [عليه] [(٢)] شبهها وصار بذلك فى حيِّزها . فإن أراد بالترخيم ما يستعمله النحويُّون فى هذا النوع من المنادى فهو غير منادًى ، وإن أراد به الحذف فهو غير سائغ .

فإنْ قلت : فقد قالوا : لدُ ، ولدُنْ ، فحذفوا منه وهو غير متمكِّن ، فكذلك يسوغ الحذف من كيف .

فالجواب أنَّه لا يسوغ الحذف من حيث حُذف من لدن ، وذلك أنَّ لدن لمَّا فتح ما قبل النون منها وضُمّ ، ونصب الاسم بعدها فى قولهم « لدنْ غدوةً » ضارعَ التنوين الزائد فى الاسم ، لاختلاف الحركة قبلها وانتصاب الاسم بعدها ، فحسن لذلك حذفها كما يحذف الزائد .

وأيضاً فإنَّ هذا الاسم يضاف فى نحو قولهم : لدُ الصلاةِ ، ويدخل عليه حرف الجر ، ويضاف إلى المضمر والمظهر . وكل ذلك توسُّع فيها ليس فى كيف مثلُه ، فيسُوغ فيه فى دخول ذلك ما لا يسوغ فى كيف . وأيضًا فإن النون شديدة المشابهة بحروف اللِّين . ألا تَراها تُزاد فى مواضع زيادتها وتلحق علامة الإعراب ، كما يزاد ماهو منها . وحذفوها فاءً فى قوله : ١٩٦

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « المأخوذة منها » .

(٢) تكملة يفتقر الكلام إليها .

* وهل يَعِمَنْ من كان فى العُصُر الخالى [1] *

وفى نحو : « عِمُوا ظلامًا » [2] . فحذفه أسهل لذلك من حذف غيره . ولو لم يكن فى النون من هذه الكلمة ما ذَكرنا لما كان لحمل كيفَ عليه مَساغٌ ما وُجد لغيره مجاز .

فإن قلت : فكيف وجه البيت عندك ؟ فالقول أنَّ كى على ضربين : تكون مرّة بمعنى اللام ، وذلك فى قولهم : كيمه . وتكون فى معنى أنْ فى نحو : ﴿ لكيلا تأسَوْا [3] ﴾ فنقول : إنَّ كى فى البيت هى التى بمعنى اللام ، فيمن قال كيمه ، دخلتها ما كافَّة فمنعتها العمل الذى تعملُه ، فارتفع الفعلَ بعدها ، لكفِّ « ما » لها عن الدُّخول على الفعل ، كما كفَّت رُبّ ومِنْ فى قولهم : ممَّا أفعل ، وربَّما يقوم . ونظير هذا ما أُنشِدْناه عن أبى الحسن من قوله :

إذا أنت لم تنفعْ فضُرّ فإنما يُرجَّى الفتى كيما يضرُّ وينفعُ [4]

فعلى هذا يُحمَل هذا البيت . انتهى .

وهذا كله تطويلٌ بلا طائل ، فإن رواية الفرَّاء الثابتة عنه : « كى لا » ، بلا النافيةِ لا بمَا ، والتصرُّف فى الحرف بالحذف وغيره ثابتٌ ، مع أنَّه خلاف الأصل ، فكونه فى الاسم أولى وأحقُّ .

ونظير حذف الفاء من كيف حذفها من سَوف ، فإنَّهم يقولون : سَوْ أفعل ، والأصل سوف أفعل .

---

(١) لامرئ القيس فى ديوانه ٢٧ . وصدره :

* ألا عم صباحا أيها الطلل البالى *

(٢) لسمير بن الحارث . والبيت بتمامه كما فى ٦ : ١٦٧ .

أتوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

(٣) الآية ٢٣ من سورة الحديد .

(٤) لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٧٠ . وهو الشاهد ٦٥٦ .

وقد حذفت النون من مِنْ حرفِ الجر فقالوا : مِ الرجُلِ ، والأصل من الرَّجل .

وقد حذفت مِنْ « على » الحرفيّةِ اللامُ والألف كما قال الشاعر ، وأنشده سيبويه فى آخر كتابه :

* طفت عَلْماءِ غُرلَةُ خالد [1] *

والأصل : على الماء .

والمراد بالترخيم فى نحو هذا التخفيفُ بالحذف ، وهو شائعٌ فى كلامهم ، فلا وجه للترديد بين ترخيم المنادَى وغيره .

على أنَّ الفراء إنَّما عبَّر بالحذف لا بالترخيم ، ومحصَّل كلامه إنكارُ مجىء كى مخفَّفا من كيف . وحملُ كى فى البيت على أنَّها بمعنى اللام بمعونة ما الكافَّةِ لها عن النصب ، على تقدير صحة نقله ، فما يصنع بقول الآخر ، وقد أُنشده ابن هشام (فى المغنى) فى كى وفى كيف :

كى تَجنحون إلى سلمٍ وما ثُئرتْ   قتلاكُمُ ولظى الهيجاء تضطرم [2]

وليس بعدها ما ، والمعنى على الاستفهام . ولعلّه يقول إن كى موضوعة للاستفهام عن حال الشىء بمعنى كيف ، إلّا أنّها مخفَّفة من كيف ، كما هو مذهب جماعة ، وحكاه الشارح المحقق عن الأندلسى .

---

(١) للفرزدق . الشنتمرى ٢ : ٤٣٠ . وصدره :

* فما سبق القيسى من سوء سيرة *

(٢) غير منسوب . وانظر المغنى ١٨٢ ، ٢٠٤ وما سيذكره البغدادى ١٠٧ - ١٠٨ .

وقال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : وفي كيف لغتان قالوا : كيف وكى ، قال الشاعر :

أَو راعيان لبُعرانٍ لنا شَرَدت كى لا يُحسَّانِ من بُعراننا أَثَرا

قالوا : كى . ههنا بمعنى كيف ، استفهامٌ . وقال قوم : أَراد كيف ، وإنَّما حذف الفاء تخفيفًا كما قالوا : سَوْ أَفعل ، والمراد : سوف أَفعل . انتهى .

وعلى هذا الأَخير اقتصَر صاحب المغنى . والظاهر أَنَّ هذا من قبيل ضرورة الشعر ، إذْ لو كانت كى موضوعة للاستفهام لوردتْ فى النثر ، ولدُوِّنَتْ فى كتب اللغة كسائر الأَلفاظ الموضوعة .

والبيت الأَول غير واضح المعنى ، وقائله غير معروف ، وما قبله مجهول .

١٩٧ و (البُعران) بالضم : جمع بعير ، وهو فى الإبل بمنزلة الرجُل فى الإنسان . والنون فى (شردن) للإبل ، لأَنها جماعة . ورواه ابن يعيش : « شردَت » بالتاء مع تقديم « لنا » عليه . و (يُحسّان) بضم الياء : مضارع : أَحسّ الرجل الشىء إحساسًا : علم به . و (أَثرا) مفعول به . ورواية أَبى علىٍّ قريبةٌ من رواية الفراء .

وقوله : « من طالبِينَ » هو جمع مجرور بمن . و « رفضت » بالفاء والضاد المعجمة ، قال فى المصباح : رفضت الإبلُ من باب ضرب : تفرّقت فى المرعَى . ويتعدَّى بالأَلف فى الأَكثر فيقال أَرفضتها ، وفى لغة بنفسه .

وقائل البيت الثانى مجهولٌ أَيضًا . وزعم العينى وتبعه خَدَمة المغنى أَنه من أَبيات سيبويه ، وهذا لا أَصلَ له ؛ فإِنِّى قد تصفَّحتُ أَبياته

مرارًا فلم أجِدْه فيها . وتجنحون : تميلون . والسِّلم ، بكسر السين وفتحها : الصلح . وثُئِرت بالبناء للمفعول . وقتلاكم : نائب الفاعل من ثأَرت القتيل : طلبت دمه وقتلْتُ قاتله . والثأْر مهموز . والهيجاء : الحَرب . وتضطرم : تلتهب . والجملتان حالان من الواو فى تجنحون .

وأَتعجَّب من العينى فى قوله : « الشاهد فى كى ، فإنّه بمعنى كيف وهو اسمٌ لا شكَّ فيه ككيف ، لدخول حرف الجرّ [1] عليه » . انتهى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد السادسَ عشرَ بعد الخمسمائة [2] :

٥١٦ (ياأَباالأَسْوَدِ لِمْ أَسلمتَنِى لِهُمومٍ طارقاتٍ وذِكَـرْ)

على (أَنَّ) لِمْ مركبة من اللام وما الاستفهامية ، فلما جُرّت باللام حذفت الأَلف وسكنت الميم ، كما أَنَّ كم مركبة من الكاف وما الاستفهامية .

وهذا قول الفراء (فى تفسيره) ، أَورده فى شرح لكنَّ من قوله تعالى : ﴿ ولكنَّ الناسَ أَنفسَهم يَظلِمُون ﴾ من سورة يونس [3] ، قال : ونرى أَنَّ قول العرب : كم مالُك ، أَنَّها ما وصلت من أَولها بالكاف ، ثم إنَّ الكلام كثر بكم حتى حذفت الأَلف من آخرها وسكنت ميمها ، كما قالوا : لِمْ قلت ذاك ؟ ومعناه : لِمَ قلتَ ذاك ؟ ولما قُلتَ ذاك ؟ كما قال الشاعر :

---

(١) ط : « حرف الجار » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٣٣ والإنصاف ٢١١ ، ٢٩٩ وابن يعيش ٩ : ٨٨ وشرح شواهد الشافية ٢٢٤ والمغنى ٢٩٩ والهمع ٢ : ١١١ .

(٣) معانى الفراء : ١ : ٤٦٦ فى الآية ٤٤ من سورة يونس .

يا أَبا الأَسود لِمْ أَسلمتنى .... (البيت)

وقال بعض العرب فى كلامه – وقيل [١] : مذ كَمْ قعد فلان ؟ – فقال : كَمُذْ أَخذتَ فى حديثك . فَرَدُّهُ الكافَ فى مذ يدلُّ على أَنَّ الكاف فى كَم زائدة . وإِنَّهم ليقولون : كيف أَصبحت ؟ فيقول : كالخير ، وكخير [٢] . وقيل لبعضهم : كيف تصنعون الأَقِط ؟ فقال : كهيِّن [٢] انتهى .

وقوله : « لِمْ » قلتَ ، بسكون الميم ، ظاهرُهُ أَنَّه جائز فى الكلام غير مخصوص بالشعر ، ويؤيِّده قول ابن الشجرى (فى أَماليه) : ومن العرَب من يقول : لِمْ فعلتَ ؟ بإِسكان الميم . قال ابنُ مقبل :

أَأَخطَلُ لِمْ ذكرتَ نساءَ قيسٍ فما رُوِّعنَ عنكَ ولاسُبِينا [٣]

وقال آخر :

يا أَبا الأَسودِ لِمْ خلَّيتَنى لهمومٍ طارقاتٍ وذِكَرْ . انتهى .

وكذا (فى شرح الشافية) للشارح المحقِّق قال : وأَمَّا على مَه وإِلى مه وحتَّى مه ، فـ«ـما» فيها جزء ممّا قبلها ، لكون ما قبلها حروفًا ، فلا تستقِلُّ ، فيجوز لكَ الوقف بالهاء ، كما ذكر ، وبسكون الميم أَيضًا لكون علام مثلًا كغُلام . قال :

يا أَبا الأَسود لمْ خليتنى .... (البيت) انتهى

فقول ابن هشام (فى المغنى) إِن تسكين الميم بعد حذف الأَلف

---

(١) فى معانى الفراء : « وقيل له » .
(٢) انظر اللسان (كوف ٢٢٣) .
(٣) فى ديوان تميم ٣١٢ : « فما روعن منك » .

١٩٨ مخصوص بالشعر ، غير صحيح . وقد تقدَّم فى الشاهد السادس والثلاثين بعد الأربعمائة [١] ، ما يتعلق بحذف ألف ما الاستفهامية .

وقوله : (أسلَمْتَنى) هو من أسلم أمره لله وسَلَّم ، بمعنى فوَّض ، أو من أسلم الأجير نفسَه للمستأجر : مكَّنه من نفسه ، وكذلك سلَّم بالتشديد . ويجوز أن يكون من أسلمه بمعنى خذله . وروى بدله : « خلَّيتنى » بمعنى تركتنى . وروى أيضاً « خلَّفتنى » ، قال الدمامينى : معناه أخَّرتنى [٢] . و (الهموم) : الأحزان . و (الطُّروق) : المجىء ليلا . وإنما جعل الهموم طارقاتٍ لأنَّ أكثر ما يُعتَرَى الإنسانُ فى الليل ، حيث يَجمع فكره ويخلو بالُه ، فيتذكَّر ما هو فيه من الأحوال الموجعة والمصائب المؤلمة . و (ذكر) بكسر ففتح ، قال الشاطبى (فى شرح الألفية) : هو جمع ذِكرَى على خلاف القياس [٣] ، لأنَّ شرط الجمع على فِعَل أن يكون مفرده فِعْلة مكسور الفاء مؤنثًا بالتاء . وقال الدمامينى : هو جمع ذكرى وهو نقيض النِّسيان . أو جمع ذكرة بمعنى ذكرى . وهو على الأوَّل محفوظ ، وعلى الثانى مقيس . انتهى .

قال صاحب المصباح : ذكرته بلسانى وبقلبى ذكرى بالتأنيث وكسر الذال ، والاسمُ ذكر بالضم والكسر ، نَصَّ عليه جماعةٌ منهم أبو عبيدة وابن قتيبة . وأنكر الفراء الكسر فى القلب ، وقال : اجعلْنى على ذُكرٍ منك بالضم لا غير . ولهذا اقتصر جماعةً عليه . ويتعدَّى بالألف والتضعيف ، فيقال أذكرته وذكَّرته ما كان ، فتذكَّر . انتهى .

---

(١) الخزانة ٦ : ٩٩ – ١٠٢ .

(٢) كلمة « معناه » ساقطة من ش .

(٣) كلمة « على » ساقطة من ش .

والبيت مع كثرة تداولِهِ فى كتب النحو والصرف لا يعرف قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(صَرِيعُ غَوانٍ رَاقهنَّ ورُقْنَــه لَدُنْ شبَّ حتَّى شابَ سُودُ الذَّوائِبِ)

على أنَّ (لدن) إذا أُضيفت إلى الجملة تمحَّضت للزمان .

هذا هو التحقيق ، لبقاء حكم المضاف إلى الجمل على وتيرة واحدة .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : ولا يضاف إلى الجمل من ظروف المكان إلَّا لدن وحيث ، فتضاف إلى جملة الابتداء نحو :

* وتذكر نُعماهُ لدنْ أَنت يافعٌ [1] *

وإلى الفعلية ، نحو :

* لزمنا لَدُنْ ساءلـتمونا وِفاقَكُمْ *

وجاءت أَنْ زائدة بعدها فى قوله :

* وليتَ فلم تقطع لدن أَنْ وَلِيتَنَا [2] *

قال ابن الدَّهّان : ولا يضاف إلى الجمل من ظروف المكان إلَّا حيث وحدَها . ولدُنْ شبَّ ، على إضمار أن ، كما صُرِّح بأَنْ فى قوله :

* أُرانى لدن أَنْ غابَ رهطى [3] * انتهى

وتقدَّم الكلام على البيت قريبًا [4] .

* * *

(١) عجزه كما فى الهمع ١ : ٢١٥ :

* إلى أنت ذو فودين أبيض كالنسر *

(٢) من شواهد الهمع ١ : ٢١٥ والأشمونى ٢ : ٢٦٢ . وعجزه كما فى الدرر ١ : ١٨٤ :

* قرابة ذى قربى ولا حق مسلم *

(٣) فى الدرر ١ : ١٨٤ : « أرانى لدن أن غاب رهطى وإخوتى » .

(٤) انظر الشاهد ٥١٢ من هذا الجزء ص ٨٦ – ٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الخمسمائة [١] :

٥١٧ (فإنَّ الكُثْرَ أعيانى قديمًا ولم أُقْتِر لدُنْ أنِّى غُلامُ)

على أنَّ الجملة التى بعد لدن يجوز تصديرها بحرف مصدرى .

وهذا البيت أنشده ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، ونسبه كالشارح إلى عمرو بن حسان [٢] من بنى الحارث بن همّام . وقال شارح أبياته ابنُ السيرافى فى قوله : « فإن الكثر أعيانى » إلخ . أى طَلبُ الغنى فى أوّل أمرى وحينَ شبابى ، فلم أبلغ ما فى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكنْ فقيرًا . فلا تأمُرْنى بطلب المال وجمعِه وتركِ تفريقه ، فإنِّى لا أبلغ نهاية الغنى بالمنْع ، ولا أفتقر بالبَذْل . انتهى .

صاحب الشاهد

١٩٩

قال صاحب الصحاح : الكُثْر بالضم من المال : الكثير . يقال مالَهُ قُلٌّ ولا كُثْر . وأنشد البيت .

وقال فى (قتر) : وأقتر الرجل : افتقر . وأنشدَهُ أيضاً [٣] .

وقال فى (عيى) : وعَييتُ بأمرى ، إذا لم تهتدِ لوجهه . وأعيانى هو . وأنشده أيضًا ، وقال : يقول كنت متوسِّطًا لم أفتقر فقرًا شديدًا ولا أمكننى جمعُ المال الكثير . ويروى : « أعنانى » أى أذلَّنى وأخضعنى . انتهى .

وهذا البيت يدلُّ للشارح المحقق على أنَّ لدن إذا أضيفت إلى الجملة تكون ظرف زمان . وهذا ظاهر منه .

---

(١) إصلاح المنطق ٣٣ ، ١٦٧ ، ٣٦٤ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٢٢ .

(٢) إنما نسبه لرجل من ربيعة .

(٣) ط : « وأنشد أيضا » ، وأثبت ما فى ش .

وعمرو بن حسان : شاعرٌ صحابى ، ذكره ابن حجر فى الإصابة [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشرَ بعد الخمسمائة [2] :

٥١٨ (طَارُوا عَلَاهُنَّ فطِرْ عَلَاها   واشدُدْ بمَثْنَى حَقَبٍ حَقْوَاها)

على أنَّه قد حُكى عن قوم من العرب : لَداك ، وإلاك ، وعلاك ، فلم يقلبوا الألف ياءً مع المضمر فى علاهنَّ وعلاها ، وفى المثنى أعنى حَقواها . وكان القياس : عليهن ، وعليها ، وحَقويها .

قال أبو حاتم (فيما كتبه على نوادر أبى زيد) : هذه لغة بنى الحارث ابن كعب ، ولغتهم قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً ، يقولون : أخذت الدِّرهمان ، والسَّلام علاكم . انتهى .

وسيأتى بقية الكلام عليه إن شاء الله فى المثنَّى .

قال أبو زيد (فى نوادره) : قال المفضل : أنشدنى أبو الغُول لبعض أهل اليمن :

(أىّ قَلوصِ راكبٍ تَراها   طاروا عَليهنَّ فشُلْ عَلَاها
واشدُدْ بمثنى حَقَبٍ حَقْواها   ناجيةً وناجيًا أَباها)

القَلوص مؤنثة . علاها ، يريد عليها ، وهى لغة بنى الحارث بن

---

(١) الإصابة ٥٨٠٧ وقال : « تقدم ذكره فى ترجمة (سنبر) » . وقد ترجم ابن حجر لسنبر فى رقم ٣٥٠٩ .

(٢) نوادر أبى زيد ٥٨ ، ١٦٤ والخصائص ٢ : ٢٦٩ وابن يعيش ٣ : ٣٤ ، ١٢٩ وشرح شواهد الشافية ٣٥٥ والعينى ٣ : ٣٤ ، ١٢٩ . واللسان (طير ، علا) .

كعب . وأما « أباها » فيمكن أن يكون أراد أبوها فجاء به على لغة من قال هذا أباك ، فى وزن هذا قفاك . وكذا كان القياس . وقال بعضهم : يقال أب وأبان ، مثل يد ويدان ، أراد الاثنين . والناجى : الماضى . انتهى .

وأنشد أبو زيد البيتين الأولين من الأربعة فى أوائل النوادر ، ثم قال : وأما أباها ، يعني فى البيت الرابع ، فيمكن أن يكون أراد أبوها فجاء به على لغة من قال : هذا أباك فى وزن هذه عصاك . وكذا كان القياس . وقال بعضهم : ولكن يقال أب وأبان ، كقولك : يد ويدان ، فأراد الاثنين . انتهى .

قال أبو الحسن الأخفش (فى شرح النوادر) : قال أبو حاتم : سألت أبا عبيدة عن هذه الأبيات فقال : انقُطْ عليها ، هذا من صنعة المفضّل . انتهى .

وقوله : « أىّ قلوص راكبٍ » بإضافة قلوص إلى راكب ، وأىّ استفهامية قصد بالاستفهام المدح والتعظيم ، وقد اكتسب التأنيث من قلوص ، ولهذا أعاد الضمير عليها مؤنثا . أو فيه قلبٌ والأصل قلوص أىّ راكب تراها . وهذا هو الظاهر . وأىّ منصوب من باب الاشتغال ، ويجوز الرفع على الابتداء . والقَلوص بالفتح : الناقة الشابّة .

وقوله : (طاروا عليهن) كذا فى موضعين من النوادر ، ورواه الجوهرى : « طاروا علاهن » كالثانى . وطاروا ، يقال طار القوم أى نفروا مسرعين . كذا فى المصباح . ورواه ابن هشام (فى شرح الشواهد) : « شالُوا علاهنّ » وقال : شال الشىء شَولا ، إذا ارتفع . والأمر شُلْ بالضم . ويتعدّى بالهمزة وبالباء ، فيقال أشلته وشُلت به . وقول العامة شِلْته بالكسر لحنٌ من

وجهين ، والمفعول محذوف ، أى برحالهم وبرحلك . انتهى . ٢٠٠

والظاهر أنّ المراد ارتفعوا على إبلهم فارتفعْ عليها . ولا حاجة إلى ذكر المفعول المعدّى بالباء . ويؤيّده روايةُ « طاروا » ، فإنّ المعنى أسرعوا مُخِفّين . ورواية الشارح « فَطِرْ عَلاها » هى رواية صاحب الصّحاح . و (الحَقَب) بفتح الحاء المهملة والقاف ، قال فى الصحاح : هو حبل يُشَدّ به الرَّحل إلى بطن البعير مما يلى ثِيلَهُ ، أى ذَكَره ، كى لا يجتذبَه التَّصدير . تقول منه : أحقبْتُ البعير . انتهى .

و (المثْنى) : مصدر ميمى من ثَنيت الشىء ثنيا ومَثْنًى ، إذا عطفته ، أُريد به اسم المفعول ، أى المعطوف ثانيًا . و (حَقْواها) : مثنى حَقو بفتح الحاء المهملة وسكون القاف [1] ، وهو الخَصْر ومَشَدُّ الإزار مثلا . وقول أبى زيد : إنّ أباها مثنى أب حذفت النون للإضافة ، أراد أباها وأُمّها فثنّى على التغليب .

وأنشد الجوهرى الأبيات (فى علا) بهذا الترتيب :

أىّ قلوصِ راكبٍ تراها فاشدُدْ بمثنى حَقَب حَقْوَاها

ناجيةً وناجيًا أباهـا طاروا عَلاهُنّ فطِرْ عَلاها

* * *

(١) ويقال أيضا حقو ، بالكسر ، كما فى اللسان والقاموس وغيرهما .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسعَ عشرَ بعد الخمسمائة [(١)] :

٥١٩ (فلولا نَبْلُ عَوْضٍ فى حُظُبَّـاىَ وأَوصالِـى)

على أنَّ (عَوضًا) قد يستعمل لمجرَّد الزمان فيعرب .

جَعَل الشارح المحقّق استعماله لمجرد الزمان سببًا لإعرابه ، أى الزمان المجرَّد عن العموم والاستغراق ، بأن يكون نكرة غير مضمَّن معنى الإضافة . فإن ضُمِّنَها بنى على الضم كما سيأتى فى كلامه . وإنْ أُضيف لفظًا أُعرب . فيكون له ثلاثة استعمالات [(٢)] :

الأوّل : ما نكِّر بأن قطِع عن الإضافة لفظًا ومعنًى ، كما فى البيت ، وفى قولهم : من ذى عَوْضٍ ، فيعرب جرًّا بإضافة شىءٍ إليه . ولم يُسمع نصبُه منوّنا على الظَّرفية .

الثانى : ما حُذف منه المضاف إليه وضمِّن معناه ، فيبنى على الضم أو أحد أخويه [(٣)] نحو : لا أفعله عوضُ ، والأصل : عوض العائضين .

والثالث : ما أُضيف لفظًا كعَوْض العائضين .

هذا مقتضى كلامه ، وهو الحقُّ الذى لا ينبغى أن يُحادَ عنه ، فإنَّه جمع شَمْلَها المتفرّق فى كتب النحويِّين بإدخالها فى حكم ظروف الجهات .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وقد يضاف إلى العائضين أو يضاف إليه فيعرب . وأورد هذا البيت ، وقال : وعوض الظرف يبنى على الضم والفتح والكسر .

---

(١) همع الهوامع ١ : ٢١٣ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٣٨ .

(٢) ش : « ثلاث استعمالات » . وهو جائز على مذهب البغداديين ، فإنهم يعتبرون لفظ الجمع . وانظر الأشمونى فى أول باب العدد .

(٣) يعنى الألف والواو .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : هو معرب إن أُضيف كقولهم : لا أَفعله عوض العائضين ، مبنىٌّ على أَحد الحركات [١] إن لم يضف .

فالأَوّل يشمل ما قاله الشارح المحقِّق ، لكن لا بذلك الحكم . والثانى يقتضى بناء نحو البيت على حركة ، ولا قائل به .

والعجب من ابن المُلَّا فإِنَّه شرح كلام المغنى بكلام الشارح المحقِّق .

وقال ابن جنِّى فى الكلام على هذا البيت [٢] من إعراب الحماسة : وأَمّا إعرابه فلأَنَّه اضطُرَّ إليه كما يُضطرّ الشاعر إلى صرف ما لا ينصرف . وهو مبنىٌّ على الضم والفتح . هذا كلامه

فيقال له : أَى ضرورة فى قولهم : افعلْ ذاك من ذى عَوْض ؟

٢٠١ وأَمّا شرّاح الحماسة فالمفهوم من كلامهم أَنَّه مبنىٌّ فى البيت . ولم يتعرَّضوا لإعرابه بوجهٍ . قال المرزوقى : عوضَ اسمُ الدهر معرفة مبنى ، وكما يبنى على الفتح قد يبنى على الضم ، والضم فيه حكاهُ الكوفيون . ويقال لا أَفعله عَوضَ العائضين . وإنما يبنى لتضمنُّه معنى الأَلف واللام . انتهى .

وقد سطَّرها الخطيب التبريزى (فى شرحه) من غير زيادة .

وأَما الأَمين الطَّبَرْسِىّ فلم يزد على قوله : عوض من أَسماء الدَّهر . وهذا كلُّه مما يستغرب منه .

وقول الشارح المحقق : « وعوض فى الأَصل اسم للزمان والدهر » ،

---

(١) على أحد الحركات ، ليس من لفظ ابن هشام . والوجه « إحدى الحركات » .

(٢) فى النسختين : « على هذا الكلام » ، والوجه ما أثبت .

بل الأصل مصدر عاضنى الله منه عَوْضا بفتح فسكون ، وعِوَضا بكسر ففتح ، وعِياضا بالكسر . كذا (فى العباب) . فالعوض : كل إعطاءٍ يكون خَلَفًا من شيء .

قال ابن جنى فى شرح البيت : إنّما سمّوا الدهر عَوْضًا لأنّه من التعويض ، وذلك أنّه كلما مضى جزءٌ من الدهر خَلفَ آخرُ من بُعَيده ، فكان الثانى كالعوض من الأوّل . وقد ذكرت هذا الموضع (فى كتابى الموسوم بكتاب التعاقب) .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وقيل : بل لأنّ الدهر فى زعمهم يَستلب ويعوّض .

وقوله أيضًا : « ويقال افعل ذلك من ذى عوض » [1] إلخ ، افعل يقرأ أمرًا وخبرًا ، والمعنى افعله فى زمانٍ ذى تعويض ، أى فى زمان يكون عوضًا من هذا الزمان ، وهو المستقبل .

وأُنُف ، بضم الألف والنون ، معناه الابتداء الجديد ، أى الإضافىّ بالنسبة إلى ما قبله . والمعنى : افعله فى زمان [2] ذى ابتداءٍ متجدِّد ، وهو الوقت الذى يتجدَّد بانقضاء ما قبله ، كاليوم والليلة ، والأُسبوع ، والشهر ، والسنة . والفعل منه استأنف استئنافًا . ومنه حديث ابن عمر : « إنّما الأمر أُنُفٌ » أى يستأنف استئنافًا من غير أن يكون سبق به سابقُ قضاءٍ وتقدير . وروضة أُنُف ، أى مستَجِدَّة لم تطأها الماشية

---

(١) يشير إلى كلام الرضى فى شرح الكافية ٢ : ١١٦ . وبقيته : « كما يقال من ذى أنف » . ولذا أفاض البغدادى فى شرح لفظ « أنف » فيما سيأتى .

(٢) ش : « من زمان » .

ولم ترعَهَا . ومنه حديث أبى مسلم الخَوْلانى : « ووضعها فى أُنُف من الكلأ وصَفْوٍ من الماء » . ورجلٌ مئناف ، أى ترعى ماشيته أُنُف الكلأ . وكأس أُنف : مستَجدَّة للشرب فيها لم تُستعمل [1] قبل هذا الوقت . وقولهم : فعله آنِفًا ، بالمد وكسر النون ، من هذا أيضًا ، وهو أول الزمان الذى أنت فيه .

ويقال أيضًا : افعلْ ذاك من ذى قَبَل ، بفتح القاف والموحَّدة ، وهو اسم مصدر لأقبل إقبالا . أى فى زمان ذى إقبال . وفى فصيح ثعلب : لا أُكلمك إلى عشرين ذى قَبَل ، أى إلى عشر ليال من زمان ذى استقبال ، أى من مستقبَل الشهر .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات ثمانية للفِنْد الزِّمَّانىّ ، أوردها أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) و (فى الحماسة) ، وأولها :

أبيات الشاهد

(أيا طعنةَ ما شيخٍ كبيرٍ يَفَـــنٍ بالى
تقيم المأْتَمَ الأعلَى على جُهدٍ وإعوالِ [2]
ولولا نبل عَوضٍ فى خُظُبَّـــاىَ وأوصالى
لطاعنتُ صدورَ الخيـ ـلِ طعنًا ليس بالآلى)

وقوله : « أيا طعنة » إلخ ، قال الإمام المرزوقى : أراد : ياطعنةَ شيخ ، وما زائدة ، وهذا اللفظ لفظ النداء والمعنى معنى التعجب والتفخيم ، أراد : ما أهولها من طعنة ، ويالها من طعنة بدرت من شيخٍ كبير السن ، فانى القوى

(١) ش : « لم يستعمل » ، صوابه فى ط . والكأس مؤنثة .
(٢) ط : « على عهد » ، صوابه فى ش والحماسة .

بالى الجسم . واليَفَن : الشيخ الهرِم . ويجوز أن يكون المنادى محذوفًا وطعنةَ منصوب بفعل مضمر ، كأنه أراد : يا قوم اذكروا طعنة شيخ . انتهى .

وقد بيَّنَ الوجهين أبو هلال العسكرى (فى شرح الحماسة) قال : فى ندائه وجهانِ : أحدهما أن يعجِّب من فظاعتها ، فكأنه يقول : هلمِّى يا طعنة فاعجبى أنت أيضًا من سعتك وهَوْلك . والآخر : أن المنادى غير الطعنة ، كأنَّه قال : يا هؤلاء اشهدوا طعنَةً لا يطعُن مثلَها شيخٌ . وإنما قال طعنة شيخ ، لأنَّ قبيلة بكر قالت : وما يُغنى هذا العَشَمة ! وذلك أنْ عِداد زمَّانٍ فى بنى حنيفة ، وكانوا اعتزلوا حرب بكر وتغلب حتَّى كتب إليهم الحارث بن عُبَاد يعنِّفهم ، فسرَّحُوا إليهم فِنْدًا ، فى سبعين راكبًا ، وكتبوا إليهم : « إنَّا أمددناكم بمائة فارس » . قال مؤرِّج : « أمددناكم بألف رجل » . فقالت بكر : وما يُغْنِى هذا العشمة ؟ وكان شيخًا ، وله مائة وعشرون سنة . فقال : أما ترضَون أن أكونَ لكم فِنْدا من أفناد حَضَن [1] ، تلوذُون بى ؟! فأرسلوه فى الطلائع ورجع وليس معه رمحه ، فسئل عنه فقال : طعنت به رجلًا فأنفذْته وأجررته إيّاه . قالوا : ما نراك إلَّا سلِبتَه ! فقال : تقدَموا فتنظرون .

وقال مؤرج : كان عَمرو بن الرِّقَبان التغلبى حمَلَ على بكر ، فمرَّ على صبىٍّ عند أمِّه ، فانتظمه برمحه ، وحمله على رأس الرمح ، وصرخت أمه ، فقال : « تحنَّنى أمَّ الرُّبَع » . فحمل عليه الفند فطعنه فأنفذه . وتزعم بكر أنه طعنه وخلْفه رديفٌ له ، فانتظمهما . وهذا مشهور فى بكر وتغلب ، أعنى

(١) الفند : القطعة العظيمة من الجبل . وحضن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد .

طعنة عمرو ، وطعنة الفنْد ، وقيل فيه شعر مصنوع قديم ، يعنى هذه الأبيات . انتهى .

وقوله : « تقيم المأتم » إلخ قال المرزوقى : هذا من وصف الطعنة ، كأنَّه كان تناوَله بها رئيسًا (١) ، فلذلك وصف المأتم بالأعلى . والمأتم أصله أن يقع على النِّساء يجتمعن فى الخير والشر ، واشتقاقه من الأتْم وهو الضمُّ والجمع ، ومنه الأتوم وهى المرأة التى صار مَسلكاها مسلكًا واحدًا . وأراد بالمأتم هنا الاجتماع للرَّزِيّة ، وهو مصدرٌ وصف به . ويجوز أن يراد به أهل المأتم فحذف المضاف . والأعلى يُراد به الأفظع شأنًا . ووصف الطَّعنة بأنها تقيم الجمع على مجاهدة بلاءٍ (٢) ، وإسراف فى الصِّياح والعُواء ، أى تُديم ذلك له . والعَويل والعولة : صوتُ الصَّدر . انتهى .

وقال التبريزى : الإعوال : رفع الصَّوت بالبكاء .

وقوله : (ولولا نَبْلُ عَوْض) إلخ أجمعوا فى هذا الموضع على أنَّ عوضا اسم الدهر ، وقد شذَّ بعضهم فقال : عوضٌ : رجلٌ كان يعمل النِّبالَ جيِّدَة ، فشبَّه ما ناله من نوائب الزمان بإصابة تلك النبال . هذا كلامه . و (حُظُبَّاىَ) بالإضافة إلى ياء المتكلم . والحُظُبِّى بضم الحاء المهملة وضم الظاء المشالة والمعجمة بعدها موحَّدة مشددة وألف مقصورة ، قال القالى (فى المقصور والممدود) : هو الظَّهر . قال : ووزنه فُعُلَّى ، ولم يأت على هذا الوزن إلَّا الاسم دون الصفة . وقال ابن ولَّاد (فى المقصور والممدود) : هو الصُّلب ،

---

(١) كذا فى النسختين . والذى فى المرزوقى : « كان تناولَ بها رئيسًا » .

(٢) فى شرح الحماسة : « على مجاهدة وبلاء » .

يعنى ظهر الرجل . وقال أبو هلال العسكرى (فى شرحه) : قال أبو النَّدَى [١] : الحُظبَّى : عِرق فى الظَّهر . وقال غيره : الحظبَّى : عرق يبتدئ من القلب ويبدو عند السُّرَّة ، ثم يتشعَّب فتتفرَّق شعبه فى الظَّهر ، يسمِّيه الأطباء : الشِّريان العظيم [٢] ، وقال الصاغانى (فى العباب) : الحُظبَّى : صُلب الرجل ، ويقال إنَّه عرق فى الظهر ، ويقال إن الحظبَّى الجسمْ ، وفسَّر بالمعانى الثلاثة هذا البيت . وقال أبو زيد : الحظُنْبى بالنون قبل الموحَّدة ، وأنشد البيت « فى حُظُنْباىَ » . ورواه المرزوقى : « فى خُضُمَّاتى وأوصالى » بضمَّتى الخاء والضاد المعجمتين وتشديد الميم ، وقبل ياء المتكلم مثناة فوقية ، على أنَّه جمع خُضُمَّة . قال : والخُضُمَّة : ما غَلُظ من الساق والذراع ، ويبدل من ميمه الباء فيقال خضُبَّة . والمعنى : لولا رَميات الدهرِ فى مفاصلى ومجامع أعضائى ، ومستغلظ عضدى وذراعى ، لكان تأثيرى ، وبلائى فى الحرب أكثر مما كان ، ولشفَعْتُ تلك الطعنة ولم أدَعْها وِترا . انتهى .

٢٠٣

وقال أبو هلال العسكرى : ويروى : « فى أعالىَّ » ، يريد انحناء ظهره ، وتشنُّج جلده ، واضطرابَ خلْقه ، وانحلالَ قواه .

و (الأوصال) : جمع وِصْل ، بكسر الواو وسكون الصاد ، وهو المَفصِل .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة [٣]) : الظرف الذى هو قوله فى حظبَّاى متعلِّق بنفس النبل ، لما فيها من معنى الحِدّة والنفوذ ، كقول جرير :

---

(١) ط : « الندى » ، صوابه فى ش .
(٢) الشريان ، بفتح الشين وكسرها .
(٣) الورقة ٩٢ من مخطوطة أحمد الثالث .

تركتِ بنا لَوْحًا ولو شئتِ جادنا بُعَيْدَ الكرى ثلجٌ بكرمانَ ناضحُ (١)

علَّقَ بُعيد الكرى بثلج ، لما فيه من معنى البرد . ولا يجوز أن يكون الظرف حالًا من نبل ، لأنَّ أبا الحسن منع اشتغال الحال مع لولا ، لأنَّها ضربٌ من الخبر ، والخبر هنا محذوف البتة . ويجوز أن يكون خبر مبتدأٍ محذوف ، أى هى فى حظبّاى ، فيكون حظبّاىَ متعلقًا بمحذوف . وأمّا حظبّاى فإنّه معظم بدنه ، وهو قول أحمد بن يحيى ، وهو من قولهم : رجل حَظِبٌ (٢) للجافى الغليظ . وحُظبّى فُعُلّى كالحُذُرّى والنُّذُرّى (٣) . وحظبّاتى بالتاء خطأٌ . انتهى .

وقوله : « لطاعنت صُدورَ الخيلِ » إلخ ، هذا جواب لولا . قال المرزوقىّ : أراد بالخيل الفرسان ، أى لولا ما قدَّمت من العذر لدافعت بالطَّعن أوائل الخيل طعنًا لا تقصير فيه ولا قُصور . وخصَّ الأوائل منهم لتقدُّمه . ويجوز أن يريد بالصُّدورِ الرؤساء والأكابر . وهم يتبجَّحون بمجاذبة الأشراف (٤) . ألا ترى قول الآخر (٥) :

مِن عهد عادٍ كان معروفًا لنا أَسرُ الملوك وقتلُها وقِتالها

---

(١) وكذا فى إعراب الحماسة بالضاد والمعجمة . وقد سبق فى ٥ : ٢٦٧ برواية « ناصح » بالصاد المهملة .

(٢) يقال حظب بفتح فكسر ، وبضمتين مع تشديد الباء .

(٣) كلمة « والنذرى » ساقطة من ش . وفى إعراب الحماسة لابن جنى : « الندرى » بالدال المهملة . لكن فى اللسان (حظب) عن ابن سيده فى الكلام على الحظبى : « وعندى لها نظائر : بذرى من البذر ، وحذرى من الحذر ، وغلبى من الغلبة » .

(٤) فى المرزوقى : « بمجاذبة العلية » . وفى ط : « بمجاربة » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

(٥) هو بشامة بن حزن ، كما فى الحماسة ٣٩٦ بشرح المرزوقى .

وكما استعملوا الصُّدور فى الأماثل والجلَّة ، استعملوا الأعجاز فى الأراذل والسِّفلة ، وهذا كما قالوا : الرءوس والأذناب ، وكما قال :

* ومن يسوِّى بأنف الناقة الذَّنَبا * (١)

ويقال ألَوتُ فى الأمر آلو ، أى قصَّرت . وجعل التَّقصير للطَّعن على المجاز . انتهى .

قال ابن جنِّى : لك فى طعنًا وجهان : إنْ شئتَ حملته على فعلٍ آخر دلَّ عليه طاعنت ، كأنَّه قال طعنًا طعنًا . وإن شئت حملته على أنه مصدر محذوف الزيادة ، أى طاعنت طِعانًا (٢) أو مطاعنة أو مُطاعَنًا أو طِيعانًا على ما جاء فى مصادر مثله . والآلِى : فاعل من ألوت أى فَترت وقصَّرت . وهذا من الأفعال التى لا تستعمل إلَّا فى غير الواجب ، يقال ما ألوت أفعل كذا ، ولا يقال قد ألوت فى حاجتك ولا نحوُ ذلك . وهو فى الفعل بمنزلة أحدٍ وكريبٍ وكَتِيعٍ ، ونحو ذلك . ومثله (٣) : مازلت ولن أزال ، ومثله فى أكثر الأقوال : مارِمْتُ من موضعى ، أى ما برحت . انتهى باختصار .

والفِند ، بكسر الفاء وسكون النون . وزِمَّان بكسر الزاى المعجمة وتشديد الميم . وهو شاعرٌ جاهلى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والأربعين بعد المائتين (٤) .

* * *

(١) للحطيئة ، وصدره :

* قوم هم الأنف والأذناب غيرهم *

(٢) فى النسختين : « طعانا » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٣) الكلام من هنا إلى « ومثله » التالية ساقط من ش .

(٤) الخزانة ٣ : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

وأنشد بعده :

* هل رأَيتَ الذئبَ قَطّ *

وقد تقدَّم شرحه فى الشاهد السادس والتسعين (١) على أَنَّ قطُّ قد استُعملت بدون النفى لفظًا لا معنى ٢٠٤

أَمّا الأَوّل فلأَنّها وقعت بعد هل الاستفهامية ، والفعل مع الاستفهام غير منفى .

وأَما الثانى فلأَنَّ المراد من الاستفهام النفى ، أَى ما رأَيتَ الذئب قطُّ .

قال أَبو حيان (فى الارتشاف) : وقال ابن مالك : وربَّما استعملت دون نفى لفظًا ومعنى ، أَو لفظًا لا معنى . واستدلَّ على ذلك بما ورد فى الحديث على عادته . انتهى .

أَراد حديث البخارى : « قصَرْنا الصَّلَاةَ فى السَّفر مع النبى ﷺ أَكثرَ ماكنا قطُّ » .

قال الكَرْمانى (فى شرح البخارى) : فإن قلتَ : شرط قطُّ أَن تستعمل بعد النفى . قلت : أَوَّلًا لا نسلِّم ذلك ، فقد قال المالكى (٢) : استعمال قطُّ غير مسبوق بالنفى مما خفىَ على النُّحاة ، وقد جاء فى الحديث بدونه ، وله نظائر . وثانيا : أَنَّه بمعنى أَبدًا على سبيل المجاز ، وثالثًا : يقال إِنَّه متعلق بمحذوف منفيّ ، أَى وما كنا أَكثر من ذلك قطُّ . ويجوز أَن تكون ما نافية والجملة خبَر المبتدأ وأَكثر منصوبا على أَنَّه خبر كان ، والتقدير : ونحن

(١) الخزانه ٢ : ١٠٩ – ١١٢ .
(٢) كذا فى النسختين . ولعله « المالَقىّ » .

ما كنا قطُّ أكثر منا فى ذلك الوقت . وجاز إعمال ما بعدها فيما قبلها إذا كانت بمعنى ليس . انتهى (١) .

وقال الغَرْناطى : الذى جوَّزه مراعاة لفظة « ما » ، فى قوله : ما كنَّا قطُّ وإن كانت غير نافية . وقد تُراعَى الألفاظُ دون المعانى . انتهى .

وإليه جنَح ابنُ هشام (فى المغنى) قال : منْ إعطاء الشيء (٢) حكم المشبّه به فى لفظه دون معناه ، قول بعض الصحابة : قصرنا الصلاةَ مع رسول الله ﷺ أكثرَ ما كنا قطُّ (٣) . فأوقع قطُّ بعد ما المصدرية ، كما تقع بعد ما النافية . انتهى .

وقال الكَرْمانى أيضًا فى حديث البخارى : « فصلَّى بأطولِ قيامٍ وركوع وسجود رأيته قطُّ يفعله » ، من حديث أبى موسى فى باب الذكر فى الكسوف : فإن قلت : فى بعض النسخ : « رأيته » بدون كلمة « ما » فما وجهُه ؟ قلت : إمّا أنَّ حرف النفى مقدّر قبل رأيته كما فى قوله تعالى : ﴿ تَفتؤُا تذكر يوسف (٤) ﴾ . وإمّا أنَّ أطول فيه معنى عدم المساواة ، أو قطْ بمعنى حَسْب ، أى صلَّى فى ذلك اليوم فحسب بأطول قيامٍ رأيته يفعل ، أو أنَّه بمعنى أبدًا . انتهى .

وقد استعملها الزمخشرى فى المستقبل ، قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنهُمْ مُقْتصِدٌ (٥) ﴾ : إنَّ ذلك الإخلاص الحادثَ عند الخوف لا يبقى لأحد قطُّ ، فأعمل فيه « لا يبقى » ، وهو مضارع .

---

(١) الكلام بعده إلى « انتهى » التالية ساقط من ش .

(٢) ط : « من أعطى » ، صوابه فى ش . وانظر المغنى (المسألة التاسعة من الباب الثامن) ص ٦٨١ .

(٣) بعده فى المغنى : « وآمنه » .

(٤) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٥) الآية ٣٢ من سورة لقمان .

قال أبو حيان (فى تفسيره) بعد نقله كثرةَ استعمال الزمخشرى قطُّ ظرفا والعامل فيه غير ماض : « وهو مخالفٌ لكلام العرب » . انتهى .

وقال الحريرى (فى درة الغوَّاص) : قولهم : لا أُكلمه قطُّ ، هو من أفحش الخطأ ، لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه . وذلك أنَّ العرب تستعمل لفظة قطُّ فيما مضى من الزمان ، كما تستعمل لفظة أبدًا فيما يُستقبل ، فيقولون : ما كلَّمته قطُّ ، ولا أُكلِّمه أبدًا . والمعنى فى قولهم ما كلمته قطُّ أى فيما انقطع من عمرى ، لأنَّه من قططت الشىء [1] ، إذا قطعته . ومنه قطُّ القلم ، أى قطْع طَرفِه . وفيما يُؤْثر من شجاعة على رضى الله عنه ، أنَّه كان إذا اعتلى قَدَّ ، وإذا اعترض قطَّ . فالقدّ : قطع الشىء طولا ، والقَطُّ : قطعُه عرضا . انتهى .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى ، والقواعد [2]) ، قال : والعامَّة تقول : لاأفعله قطُّ . وهو لحن .

واعترض عليه ابن جماعة (فى شرح القواعد) بأنَّه غير صحيح ، وغايته استعمال اللفظ فى غير ما وُضع له ، فيكون مجازًا لا لحنًا . وجعلُه من اللحن عجيب ، إذْ لا خلل فى إعرابه . وليس بشىءٍ ، لأنَّ اللحن بمعنى مطلق الخطأ . وهُم كثيرا ما يستعملونه بهذا المعنى . فإن قلت : إذا استعمل العربُ

---

(١) لفظة « الشىء » ساقطة من ش .

(٢) هو كتاب الإعراب عن قواعد الإعراب ، وقد طبع عدة مرات ، منها نسخة بتحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدى . ولصديقنا وتلميذنا الدكتور على فوده بحث وتحقيق جيد فى هذا الكتاب من المنتظر أن يرى النور قريبا .

لفظا فى محلٍّ مخصوص كقطُّ بعد نفى الماضى ، وكافَّة حالًا منكَّرة ؛ أو فى معنًى مخصوص كالغزالة للشمس فى أوّل النهار ، فهل مخالفتهم فى ذلك جائزة أم لا ؟ وعلى تقدير الجواز هل يكون حقيقةً أو مجازًا ؟

وعلى الثانى أُجيب بأنَّ الذى يظهر من كلامهم وتخطئةِ من خالفهم أنَّه غير جائز . فإن قيل بجوازه فالظاهر أنَّه مجاز مرسل ، من استعمال المقيَّد فى المطلق ، إلَّا أنَّه لا يظهر فى كافةً ونحوها كالظروف التى لا تتصرَّف ، فإن معناها لم يتغيَّر ، وإنَّما يتغير إعرابها ، وإن وقع مثلُه فى مكان التقصير . كذا فى (شرح الدرة) لشيخنا الخفاجى .

وقول الشارح المحقِّق : « وقطُّ لا يستعمَل إلَّا بمعنى أبدًا » ظاهره أنَّ أبدًا ظرف للماضى ، ولم أره بهذا المعنى . الموجودُ فى الصحاح والعباب والقاموس : الأبد : الدهر ، والأبد : الدائم . بل قال الرُّمَّانى كما فى المصباح : الأبد : الدهر الطويل الذى ليس بمحدود . فإذا قلت : لا أُكلِّمه أبدًا ، فالأبد من لدن تكلَّمتَ إلى آخر عمرك .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : وممَّا يستعمل ظرفًا فى المستقبل أبدًا . تقول : ما أصحبك أبدًا ، ولا تقول ما صحبتك أبدا . وجعله السَّمين ظرفا مطلقا ، قال : أبدا ظرف زمانٍ يقع للقليل والكثير ، ماضيًا كان أو مستقبلا . تقول : ما فعلته أبدًا . وقال الراغب : هو عبارةٌ عن مدَّة الزمان الممتدِّ الذى لا يتجزَّأ كما يتجزَّأُ [1] الزمان . وذلك أنَّه يقال زمانَ كذا ، ولا يقال أبدَ كذا . انتهى .

* * *

(١) ط : « كما يجزأ » وأثبت ما فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى العشرين بعد الخمسمائة [1] :

٥٢٠ (ولَولا دِفاعى عن عِفاقٍ ومشْهَدى
هَوَتْ بعفاق عَوْضُ عنقاءُ مُغربُ)

على أنَّ (عوضًا) المبنىَّ قد يستعمل للمضىِّ ومع الإثبات لفظًا . فإنَّ هوَتْ ماضٍ مثبت ، وهو عامل فى عوضُ ، لكنَّه منفىٌّ معنًى ، لكونه جَواب لولا . ومن المعلوم أنَّ جوابها ينتفى لثبوت شرطها ، نحو : لولا زيد لأكرمتك ، فالإكرام منتفٍ لوجود زيد . وأمَّا عوض فى البيت المتقدِّم فى قوله : « ولولا نَبل عوض » ، فقد استعملت فى الإثبات لخروجها عن الظَّرفية . ولهذا جُرَّتْ ، وكان عاملها اسمًا .

وكذلك قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وربَّما جاءت عوضُ لِلمُضَىِّ بمعنى قطُّ ، قال :

* فلم أَر عامًا عوْضُ أَكثرَ هالكِا [2] *

وقال أبو زيد أيضًا (فى نوادره) : تقول ما رأيت مثله عوض .

---

(١) لم أجد له تخريجا . والبغدادى يقول أنه لم ير هذا البيت إلا فى هذا الشرح ، كما سيأتى .

(٢) عجزه كما فى تصحيف العسكرى ٢٩٠ والدرر اللوامع ١ : ١٨٣ واللسان (عوض) وما سيأتى فى ص ١٤٣ :

* ووجه غلامٍ يسترى وغلامه *

وجاء فى اللسان : « يشترى » مصحفا ، والوجه ما ورد فى كتاب التصحيف ، حيث أورده العسكرى فى سياق تفسير المستراة فى قول الأعشى :

فقد أطبى الكاعب المستراة فى خدرها وأشيع القمارا

قال : وأنشدنا أبو بكر :

ولكنكم غنم تسترى ويترك سائرها للذهاب

استريت الشىء : اخترت سراته . وأنشد البيت .

ومنه تعلم سقوط قول الجوهرى فى الصحاح : لا يجوز أَنْ تقول عوضُ ما فارقتك .

وقد تبع صاحبَ الصحاح جماعةٌ منهم الزمخشرىّ ، قال (فى المفصَّل) : وقطُّ وعوض ، وهما لِزمانَي المضىِّ والاستقبال على سبيل الاستغراق ، ولا يستعملان إِلَّا فى موضع النفى .

ومنهم صاحب اللباب ، وعبارته عبارة المفصَّل بعينها .

وهذا البيتُ لم أَره إِلَّا فى هذا الشرح ، ولم أُقف على قائله ولا على شعره .

من اسمه عفاق

وعِفاق بكسر العين المهملة بعدها فاء : اسم جماعةٍ ، منهم عِفاق بن المُسَيْح ، بضم الميم وفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية ، ابن بشر بن أَسماء بن عوف بن رياح بن ربيعة بن غوث بن شَمْخ بن فزارة الفزارى . وكان عِفاق على شرطة الخميس مع علىّ بن أَبى طالب . وكانوا يُعرَضون يوم الخميس ، أَو يُجمَعون يوم الخميس .

٢٠٦

عفاق بن مرى

والمشهور ممن اسمه عِفاق هو عِفاق بن مُرَىّ – بضم الميم وفتح الراء وتشديد الياء – ابن سَلمة بن قُشَير القُشيرى . كان جاور باهلة فى سنةٍ قحط ، فأَخذه الأَحدب بن عمرو بن جابر بن عمّار [١] بن عبد العُزَّى الباهلى ، فشواه وأَكله . وله يقول الشاعر [٢] :

إِنَّ عفاقًا أَكلتْه باهلَهْ تمشَّشوا عِظامَه وكاهِلَه

« وتركوا أُمَّ عِفاقٍ ثاكله »

(١) فى جمهرة ابن حزم ٢٤٥ : « عمارة » .

(٢) الرجز ورد بدون نسبة أيضا فى جمهرة ابن حزم واللسان (عفق) .

وعيَّر الفرزدق كفَّهم عن باهلة حين لم يثأروا به ، فقال :

إذا عامرٌ خُصْيَىْ عِفاق تقلَّدَتْ بأَعناقها واللؤْمُ تحتَ العمائِمِ (١)

وقال غيره :

فلو كان البكاءُ يردُّ شيئا بكيتُ على بُجيرٍ أَوْ عِفاقِ
على المرأين إذْ هلَكا جميعا لشأْنهما بشجوٍ واشتياقِ (٢)

وهذا من شواهد النحويين ، أَورده أَبو على (فى المسائل المنثورة) وقال : « على المرأين » بدل من قوله : « على بجير » .

وأَورده صاحب اللباب على أَنَّ أَو بمعنى الواو ، فى قوله : « أَو عفاق » ولولا أَنها بمعنى الواو لقيل على المرء . والمشهد : مصدر شهدت المجلس ، أَى حضرته . وهوت قال صاحب المصباح : هوَى يهوِى من باب ضرب أَيضًا هُوِيًّا بضم الهاء لا غير ، إذا ارتفع . قال الشاعر (٣) :

* يَهوِى مخارِمَها هُوِيَّ الأَجدلِ (٤) *

و (هوت) العقاب تهوى هويًّا بفتح الهاء وضمها : انقضَّت على صيد أَو غيره مالم تُرغه ، فإذا أَراغته قيل أَهوت له بالأَلف . والإراغة : ذَهاب الصيدِ هكذا وهكذا وهى تتبعُه . وهَوى يهوى من باب ضرب أَيضًا هُويًّا بضم

---

(١) ديوان الفرزدق ٧٩٨ .

(٢) فى اللسان (عفق) :

هما المرءان إذ ذهبا جميعا لشأنهما بحزن واحتراق

(٣) هو أبو كبير الهذلى . ديوان الهذليين ٢ : ٩٤ وشرح السكرى ١٠٧٤ .

(٤) صدره :

* وإذا رميت به الفجاج رأيته *

الهاء وفتحها ، وزاد ابن القوطية هَواءً بالمد : سقط من أعلى إلى أسفل . قاله أبو زيد وغيره . قال الشاعر [١] :

* هوىَّ الدَّلوِ أسلَمَها الرّشاءُ [٢] *

وهوَى يهوِى : مات أو سقط فى مَهواةٍ من شَرَف ، هُوِيًّا وهَوِيًّا ، وهَواءً بالمد . والمهواة بالفتح : ما بين الجبلين ، وقيل الحفرة . والهُوَّة بالضم : الحفرة ، وقيل الوهدة العميقة . انتهى .

و (عنقاء) : مؤنّث أعنق ، وهى الطويلة العنق . قال الصاغانى (فى العباب) : العنقاء : الداهية ، يقال حلّقت به عنقاءُ مُغْرب ، وطارت به العنقاء . وأصل العنقاء طائرٌ عظيم معروفُ الاسم ، مجهول الجسم . وقال أبو حاتم (فى كتاب الطير) : وأمّا العنقاء المُغْرِبة فالداهية ، وليست من الطير التى علمناها . يقال : ضربَتْ عليه العنقاءُ المغْرِبة ، إذا أصابه بلاء . وقال ابن دريد : عنقاءُ مغربٌ كلمةٌ لا أصلَ لها ، يقال إنّها طائر عظيم لا يُرى إلّا فى الدُّهور ، ثم كثُر حتّى سمَّوا الداهيةَ عنقاءُ مُغْرِب . قال :

ولـولا سليمـانُ الخليفـةُ حَلَّـقتْ   به من يدِ الحجّاج عنقاءُ مغرِبُ [٣] . اهـ

و (مُغْرِب) : اسم فاعل من أغرب الرجلُ فى البلاد ، إذا بعُد فيها بإمعان ، وهو وصف عنقاء . وإنّما جاز لأنّه على النسبة أى ذات إغراب . وقال الصاغانى فى هذه المادة : وعنقاء مغرِب بلا هاء . والعنقاء المغرب : الدَّاهية ، وأصلها طائر معروف الاسم مجهول الجسم ، ويقال لهذا الطائر

---

(١) هو زهير بن أبى سلمى . ديوانه ٦٧ .

(٢) صدره :

* فشج بها الأماعز وهى تهوى *

(٣) اللسان (عنق ١٤٩) وشروح سقط الزند ٥٥٣ .

بالفارسية « سِيمَرْغ » ، هكذا يكتبونه موصولًا ، والأصل أن يكتب : « سى مرغ » مفصولًا ، ومعناه ثلاثون طائرًا . يقال حلّقت به عنقاءُ مغرب ، ٢٠٧
وطارت به العنقاء المغرب . أنشَدَ أبو مالك :

وقالوا : الفتى ابنُ الأشعريّةِ حلّقت به المغربُ العنقاءُ إنْ لم يسدَّدِ

وقال : العنقاء المغرب فى هذا البيت هى رأس الأكمة . وأنكر أن يكون طائرًا . والذى قال العنقاء المغرب طائر قال : هى التى أغربَتْ فى البلاد فنأت ولم تُحَسّ ولم تُرَ . وحذفت هاء التأنيث كما قالوا : لِحْيةٌ ناصل ، وناقة ضامر ، وامرأة عاشق ، ذهبوا بها إلى النسب ، أى ذات نُصول ، وذات ضُمْر ، وذات عِشق . وأغرب فى البلاد : أمعن فيها . وأغرب الرجلُ فى منطقه ، إذا لم يُبق شيئًا إلّا تكلّم به . وأغرب الفرس فى جريه ، وهو غاية الإكثار منه . وأغرب الرجل ، إذا بالغ فى الضّحك حتّى تبدوَ غروبُ أسنانه . انتهى .

وكذلك أجاب الزمخشرى (فى أمثاله) عن تذكير الوصف قال : ومُغْرب كقولهم : لحية ناصل ، وناقة ضامر ، على مذهبى الخليل وسيبويه .

وبهذا يُجاب ابن هشام فى سؤاله عن صحّة الوصف بمغرب فإنّه قال فى بعض تعليقاته : ليُنظَر فى عنقاء مغرب ، لم ذكّر الوصف وعنقاء فعلاء ، وفعلاء مؤنّث دائما . ويسقط جوابُ عبد الله الدّنَوشرىّ بأنّه إنّما لم تطابق الصفةُ الموصوفَ فى التأنيث اعتبارًا بالمعنى ، إذ هى بمعنى الطائر . ووجه السُّقوط أنّ العنقاء أكثر استعمالها بمعنى الداهية ، وهى مؤنّثة لفظًا ومعنى .

وقال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : ذكر الفارسى أنَّه يقال عنقاءُ مغرب ، على الصفة وعلى الإضافة ، حكاه (فى التذكرة) . وقال غيره : من جعل مغربا صفة لعنقاء فهى التى لها إغرابٌ [١] فى الطَّيران . ويقالُ مغرِبة ، ذكره أبو حاتم وصاحب العين . ومن أضاف العنقاء إلى المُغْرِب فالمغرب الرَّجلُ الذى يأْتى بالغرائب ، يقال أغرب الرَّجل ، إذا أَتى بالغرائب . انتهى .

فتأمَّل معنى الإضافة .

وفى القاموس : والعنقاء المُغربُ بالضم ، وعنقاء مُغرِبٌ ومُغْرِبةٌ ومغربِ مضافة ، طائر معروف الاسم لا الجسم ، أَو طائر عظيم يُبعِدُ فى طيرانه ، أَو من الأَلفاظ الدالة على غير معنى ، والداهية ، ورأْس الأَكمة . انتهى .

فالمغرب ومغرب وصفٌ للعنقاء ، وعنقاء ، تعريفًا وتنكيرًا ، بالتأْويل المذكور . ومغربة وصف لعنقاء منكَّرًا ، والوصف مطابق . وأَمَّا عنقاء مغرب بإضافة عنقاء إلى مغرب ، فالظاهر أَنه من إضافة الموصوف إلى الصفة . وينبغى أَن يكون هذا بفتح الميم ، فإنَّه نقل صاحب (حياة الحيوان) عن بعضهم أَنَّ العنقاء طائر عند مغرب الشمس أَبيض ، له بيضٌ كالجبال . وعلى هذا لا إشكال ، وتكون الإضافة من قبيل شهيد كربلاء . وأَما قوله : « من الأَلفاظ الدالة على غير معنى » ، وهى عبارة الدميرى أَيضًا ، فقدْ عَسُر فهمُه على بعض الفضلاء ، لأَنَّ الجمع بين قوله « الدالة » وقوله على « غير معنًى » ،

---

(١) ط : « غرب » ، والوجه ما أثبت من ش مع أثر تصحيح .

كالجمع بين الضبّ والنُّون . فلو قال من الألفاظ التى لا معنَى لها كان واضحًا
وأُجيب بأنَّ فى عبارته صفة محذوفة ، أى على غير معنى خارجىّ . وقال
الزمخشرى (فى أمثاله) عند قولهم : « طارت به عَنْقاء مغرب » : زعموا أنَّها
طائر كان على عهد حَنظلة بن صفوان الحِميرىّ ، نبىٌّ أهل الرَّسِّ ، عظيمُ
العنق . وقيل كان فى عنقه بياض ، ولذلك سمِّىَ عنقاء . وكان أحسن طائر
خلقه الله ، فاختطف غلامًا فأغرب به ، ولذلك سمِّى المُغْرِب ، فدعا ٢٠٨
عليه حنظلة فرُمِىَ بصاعقة . انتهى .

وقال الدَّميرى (فى حياة الحيوان) : هو طائر غريبٌ تبيض بَيضًا
كالجبال ، وتبعد فى طيرانها ، سمِّيت بذلك لأنَّه كان فى عنقها بياض
كالطَّوق .

وقال القزوينى : إنَّه أعظم الطَّير جثَّة ، وأكبرها خلِقة ، تخطف الفيل
كما تخطف الحدأةُ الفأر ، وكانت قديمًا بين الناس فتأذَّوْا منها إلى أن سَلبت
يومًا عروسًا بِحَليها ، فدعا عليها حنظلة النبىُّ فذهب الله بها إلى بعض جزائر
البحر المحيط ، وراءَ خط الاستواء ، وهى جزيرةٌ لا يصل إليها الناس ، وفيها
حيوان كثير كالفيل والكركند [(١)] والجاموس والبَبْر والسِّباع ، وجوارح الطيرِ .
وعند طيرانها يُسمع لأجنحتها دوىٌّ كدوىّ الرعد القاصف والسَّيل ، وتعيش
ألفَىْ سنة ، وتُزاوِج إذا مضى لها خمسُمائة عام .

وقال العكبرى (فى شرح المقامات) : كان لأهل الرَّسِّ جبلٌ

(١) وكذا فى حياة الحيوان ٢ : ٢٢٩ عن القزوينى . وصححها الشنقيطى بخطه « الكركدن » . وضبط صاحب القاموس الكركدن ، بتشديد الدال وتخفيف النون وقال : « والعامة تشدد النون » . ونحوه فى اللسان عن ابن الأعرابى .

شامخ [١] ، فيه طيور شتَّى منها العنقاء ، وهى طائر عظيم الخَلْق ، طويل العنق ، ووجهه وجه إنسان ، من أُحسن الطير شكلًا . وكانت تأْكل الطَّير ، فجاءت مرّة فأَخذت صبيًّا ثم جارية ، فاشتكوها لنبيِّهم حنظلة بنِ صفوان ، فدعا عليها حنظلة فذهبتْ وانقطع نسلها . وقيل أَصابتها صاعقة فاحترقت .

وكان حنظلة فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ [٢] . وسمِّيت العنقاءَ لطول عنقها .

وقيل : إنَّها كانت فى زمن موسى . وقيل : إنَّ النبىَّ الذى دعا عليها خالدُ بن سِنان . وفى المثل : « كالعنقاء تَسمَع بها ولا تُرَى » ، كالغول . والمراد عدم رؤيتها بعد الانقراض المذكور .

وسمِّيت مُغْربا بزنة اسم الفاعل من أَغرب ، لأنَّها كانت تجىء بالغرائب . وقد وقع استعمالها فى هذا المثل بدون الوصف ، ومنه يُعلم جواز استعمالها بدون الوصف . كقول الشاعر :

لمَّا رأَيت بنِى الزمان وما بِهمْ ... خِلٌّ وفىٌّ للشَّدائد أَصطفِى
فعلمت أَنَّ المستحيل ثلاثةٌ : ... الغولُ والعنقاءُ والخِلُّ الوفى

وكان القاضى الفاضل ينشد كثيرًا :

---

(١) فى حياة الحيوان : « جبل يقال له مخ ، صاعد فى السماء قدر ميل » .

(٢) إلى هنا ينتهى نقل الدميرى عن شرح المقامات للعكبرى . وبعده فى الدميرى : « وذكر غيره أن الجبل يقال له فتخ . وسميت عنقاء لطول عنقها » . ويبدو أن البغدادى ينقل هنا عن شرح العكبرى للمقامات غير متقيد بنقل الدميرى عنه .

وإذا السعادة أحرستك عيونها نَمْ فالمخاوف كلُّهنَّ أمانُ (١)
واصطدْ بِها العنقاءَ فهى حِبالةٌ واقتَدْ بها الجوزاءَ فهى عِنانُ

وقال غيره :

الخِلُّ والغول والعنقاءُ ثالثةٌ أسماءُ أشياءَ لم تُوجد ولم تَكُن (٢)

وبه يضمحلُّ قول بعضهم : إنَّ هذا الشعر ليس بتركيب صحيح ، لعدم وصف العنقاء .

وقال : ظاهر كلامهم انحصار الاستعمال فيما ذكر ، فلا يقال العنقاء بلا وصف ، ولا يوصف بغير ما ذكر ، ولا يقال أيضًا عنقاء منكَّرًا بلا وصف . هذا كلامه .

ولا يخفى أنَّ الوصف ليس بلازمٍ ، عرِّفتْ أو نُكِّرت . وأما عدم الوصف بغير الإغراب فلأنَّها لايعلم من حالها غير هذا ، لكونها مجهولة عند الناس . ولو عرف شيءٌ من أحوالها غيرُ الإغراب لوُصفَتْ به . والله أعلم .

وذكر الدَّميرى أنَّ العقاب تسمَّى عنقاء مغرب لأنَّها تأتى من مكانٍ بَعيد . وبهذا فسَّر قول أبى العلاء المعرىّ : ٢٠٩

أرى العنقاءَ تكبُر أن تُصادا فعانِدْ من تُطيق له عنادا (٣)

* * *

(١) كذا فى النسختين ، والوجه : « لاحظتك عيونها » كما فى حياة الحيوان للدميرى .
(٢) فى النسختين : « الجود والغول » . وفى حياة الحيوان فى رسم (العنقاء) : « الجود والعنقاء ثالثة » لكن فى رسم (الغول) : « الغول والخل والعنقاء » . فوجهه هنا ما أثبت .
(٣) شروح سقط الزند ٥٥٣ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الخمسمائة [١] :

٥٢١ (رضيعَىْ لِبانٍ ثدْىَ أُمٍ تقاسَما بأَسحَمَ داجٍ عَوْضُ لانتفـــرَّقُ)

على أَن أَكثر ما تُستعمل [٢] (عوض) مع القسم ، أَى تكون من متعلّقات جواب القسم ، فعَوْض متعلّق بنتفرّق ، أَى لا نتفرّق أَبدا .

فإن قلت : لا النافية مع جواب القسم لها الصَّدر ، تمنع من عمل ما بعدها فيما قبلها ، فكيف تعلّق عوض بما بعد لا الواقع جوابًا لتقاسما ؟

قلت : أَجازه ابن هشام فى آخر النوع الثانى عشر من الجهة السادسة من الباب الخامس (من المغنى) : قال : وأَمَّا قوله تعالى : ﴿ ويقولُ الإنسانُ أئذا مامِتُّ لسَوْفَ أُخرَجُ حَيًّا [٣] ﴾ فإنَّ [٤] إذا ظرف لأُخرَجُ ، وإنَّما جاز تقديم الظرف على لام القسم لتوسُّعهم فى الظروف . ومنه قوله : « عوضُ لانتفرَّق » ، أَى لانتفرَّق أَبدًا . ولا النافية لها الصَّدر فى جواب القسم . انتهى .

وظاهر كلام الشارح هنا جوازه ، لكنَّه شرَط – عند الكلام على حروف القسم من حروف الجر – لجواز تقدُّمه ، أَن تكون الجملة القسمية [٥]

---

(١) جمل الزجاجى ٨٧ والخصائص ١ : ٢٦٥ والاقتضاب ٣٩٠ والإنصاف ٤٠١ وابن يعيش ٤ : ١٠٧ ، ١٠٨ والمغنى ١٥٠ ، ٢٠٩ ، ٥٩١ والهمع ١ : ٢١٣ وديوان الأعشى ١٥٠ .

(٢) فى النسختين : « ما يستعمل » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الآية ٦٦ من مريم .

(٤) فى النسختين : « ان » ، والوجه هنا ما أثبت من المغنى ٥٩٠ .

(٥) الكلام بعده إلى كلمة « القسمية » التالية ساقط من ش .

ولأجل إفادة عوض فائدة القسم قد يقدَّم على عامله قائمًا مقام الجملة القسمية ، وإن كان عامله مقترنًا بحرف يمنع عمله فيما تقدَّمَه ، كنون التوكيد ، وما . يقال : عوض لآتينك [١] لغَرَضٍ سدّه مسدَّ القسم [٢] . هذا كلامه .

واعترض الدمامينى كلام ابن هشام بأنّه نصَّ فى فصل إذا ، على أَنَّ التوسعَ فى الظرف بالتقديم فى مثل قوله :

* ونحن عن فضلك ما استغنَيْنا [٣] *

خاصٌّ بالشعر ، فكيف ساغ له تخريج الآية على ذلك ؟

وقال ابن هشام فى الكلام على عوض : قيل إنَّها ظرف لنتفرّق . واستشكله الدمامينى هناك بأَنَّ لا مانعةٌ من العمل . ثم نقل كلام الشارح المحقق فى حروف القسم وقال : فيمكن أن يكون لا نتفرَّق جواب قسم محذوف ، وعوض سدّ مسدّه . لكنه خلاف الظاهر ، لأَنَّ جملة القسم مذكورة . وأَجاز التعلُّق ابنُ يعيشَ (فى شرح المفصل) من غير شرط ، قال : أَكثر استعمال عوض فى القسم ، تقول : عوض لا أُفارقك ، أَى لا أُفارقك أَبدًا ، وقوله عوض لا نتفرق ، أَى لا نتفرق أَبدًا . انتهى .

وكذلك أَجازه ابن جنى وشارح اللباب وغيره . وهو الصحيح ،

(١) فى شرح الرضى ٢ : ٣١٧ : فيقال عوض لآتينك وعوض ما آتيك .

(٢) وكذا فى شرح الرضى . وفى ش : « لعرض سده مسد القسم » .

(٣) لعامر بن الأكوع فى السيرة ٧٥٦ وشرح شواهد المغنى ١٠٠ من مقطوعة أولها :

* والله لولا الله ما اهتدينا *

وانظر المغنى ٩٨ ، ٢٦٩ ، ٣١٧ ، ٥٣٩ ، ٦٩٤ .

ويؤيِّده قول الكرمانى (فى شرح أبيات الموشح) : اعلم أنَّه إذا كان معمول جواب القسم ظرفًا ، أو جارًّا ومجرورًا ، جاز تقديمه عليه كقوله : عوض لانتفرق . وإلَّا فلا يجوز فى : والله لأضربنَّ زيدا ، أن يقال : والله زيدًا لأضربنّ .

وجعلُ الشارح المحقق عوض ظرفًا فى نحو البيت هو الصحيح . وزعم بعضهم أنَّ عوض فيه اسم صَنَمٍ ، قَسَمٌ ، وجملة لا نتفرق جوابه .

قال ابن هشام (فى المعنى) : واختلف فى قول الأعشى :

رضيعى لبان ثدىَ أمٍّ .... البيت

فقيل ظرف لنتفرق . وقال ابن الكلبى : قسم ، وهو اسم صنَم كان لبكر بن وائل ، بدليل قوله :

حلفتُ بمائراتٍ حَولَ عَوضٍ وأَنصابٍ تُرِكْنَ لدى السُّعَيرِ (١)

٢١٠ والسُّعير : اسم صَنمٍ كان لعنَزَة . انتهى »

ولو كان كما زعم لم يتَّجه بناؤه فى البيت . انتهى كلام ابن هشام .

ووجهه أنَّ الشاعر حلف بالدماء المائرات ، أى الجاريات على وجه الأرض حولَ عوض . ومن عادة المشركين كانوا يذبحون ذبائح لأصنامهم ، فلولا أنَّ عوضا صنَمٌ لما ذُبح له شيءٌ ، ولما حُلِف بالدماء التى حوله تعظيمًا له . ويدلُّ أيضًا على كونه صنمًا ذكره مع السُّعير ، وهو بالتصغير كما فى القاموس

---

(١) البيت لرشيد بن رميض ، كما فى اللسان (سعر) . وقد ضبط السعير فى اللسان بالقلم بفتح السين وكسر العين ، والصواب أنه بالتصغير كما فى معجم البلدان . وقال صاحب التاج : « وغلط من ضبطه كأمير . نص عليه صاحب العباب » .

وغيره ، خلافًا لما يُوهمه كلام الصحاح .

والبيت قائله رُشَيد بن رُمَيض ، بالتصغير فيهما ، العنزى . كذا فى العباب للصاغانى . وزاد بعده : صاحب الشاهد

(أَجُوبُ الأَرضَ دهرًا إثر عمرٍو ولا يُلقَى بساحتِه بَعيرِى)

وقال : البيت مُسانَد .

وما نقله ابن هشام عن ابن الكلبى مسطورٌ كذلك فى الصحاح فى عوض . وقد راجعت كتاب الأَصنام لابن الكلبى ، وهو أَبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، فلم أَر فيه ذِكْر عوض ولا ذكَرَ صنمًا لبكر بن وائل ، مع أَنَّه ذكر أَصنام القبائل وسببَ عبادتها ، وكيف أَزالها النبىُّ – ﷺ – وهو كتابٌ جيِّد فى بابه ، جمع فيه فأَوعى . وكذا لم أَر له ذِكرًا (فى كتاب أَيمان العرب) تأْليف أَبى إسحاق إبراهيم [1] بن عبد الله النَّجِيرَمى ، جمع فيه أَلفاظ أَيمانهم بأَصنامهم وغيرها . وهو أَيضًا كتابٌ لعباداتهم [2] جيِّد فى بابه .

والمذكور فى كتاب الأَصنام إنَّما هو السُّعَير وحدَه لا مع عوض ، قال : وكان لعنزة صنم يقال له سُعَير ، فخرج ابن أَبى خُلاسٍ [3] الكلبى على

(١) ط : « ابن اسحاق بن إبراهيم » ش : « ابن إسحاق إبراهيم » وإنما هو أَبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الله ، كما فى معجم الأدباء ١ : ١٩٨ وبغية الوعاة ١٨١ . وكان معاصرا لكافور الإخشيدى وله معه قصة مشهورة . ونسبته إلى النجيرم ، بفتح النون والجيم ، أو بفتحها وكسر الجيم ، مع فتح الراء فيهما ، وهى بليدة مشهورة دون سيراف مما يلى البصرة ، وكتابه « أيمان العرب » مطبوع بتحقيق محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٣ .

(٢) ط : « لمعابراتهم » ش : « لعباراتهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى الأصنام ٤١ : « فخرج جعفر بن أبى خلاس » . وفى معجم البلدان : « جعفر بن خلاس » .

ناقته ، فمرَّت به وقد عَتَرتْ عنده عَنَزَة [١] فنفرت ناقته منه فأنشد يقول :

نفرَتْ قَلوصى من عتائرَ صُرِّعت حولَ السُّعير تَزُوره آبْنَا يَقدُمِ [٢]

وجموعُ يذكر مُهطِعِينَ جَنَابَهُ ما إن يُحير إليهم بتكلُّـــمِ

قال أبو المنذر : يقدُم ويذكُر ابنا عنزة . فرأى بنى هؤلاء يطُوفون حول السُّعير . انتهى .

وذكر ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وفى أبيات الجمل) وتبعه اللخمى وغيره كالصَّاغانىّ ، أنَّ عوضًا كان صنمًا لبكر بن وائل . ولم يُسنِده إلى أحد ، وقال : أصله أن يكون ظرفًا ، ثم كثر حتَّى أجرَوْه مجرى ما يقسَم به وأحلُّوه محلَّه . وقال الصاغانى : قال الليث : عوض كلمة تجرى مجرى القسم ، وبعض الناس يقول : هو الدهرُ والزمان . يقول الرجل لصاحبه : عوض لا يكون ذاك أبدًا . فلو كان عوض اسمًا للزمان لجرى بالتنوين ، ولكنَّه حرف يراد به القَسم ، كما أنَّ أجَلْ ونَعم ونحوهما مما لم يتمكَّنْ فى التصريف حُمل على غير الإعراب . انتهى .

والقول بأنَّه حرفٌ لا اسمٌ واهٍ جدًا . وقول ابن هشام لم يتَّجه بناؤه فى البيت ، يريد أنَّه فيه مبنىّ على الضم بناءَ الظروف المقطوعة عن الإضافة . ولو كان اسمًا للصنم كما زعم لأُعربَ كما أُعرب فى قوله :

---

(١) فى الأصنام : « وقد عترت عنزة عنده » . وفى معجم البلدان : « وقد عترت عتيرة عنده » . وفى ش مع أثر تصحيح : « وقد عترت عنده عتيرة » . وما أثبت من ط يقارب ما فى الأصنام ، ويتلاءم مع نص الشعر .

(٢) أى أبناء يقدم ، بوصل همزة القطع . وفى معجم البلدان : « يزوره » .

* حلفت بمائرات حولَ عوضٍ *

وكان الواجب حينئذ جرَّه بواو القسَم ، لأنَّه عند هذا القائل مُقْسَم به . وجملة لا نتفرق جوابه ، والإعراب منتفٍ ، فينتفى كونه اسمًا ويثبت[١] ظرفيَّته للجواب ، والجوابُ إنَّما هو لِتقاسما .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : روى قول الأعشى « عوضُ لانتفرق » بالفتح والضم ، أى لا نتفرق أبدًا . وذهب الكوفيون إلى أنَّ عوض ههنا قسم ، وأنَّ لا نتفرق إنَّما هو جوابه . وليس الأمر عندنا كذلك ، وإنما قوله لا نتفرق جوابُ تقاسما ، كقوله تعالى : ﴿ تقاسَمُوا بالله لَنُبَيِّتَنَّه[٢] ﴾ . أى تحالفا على ذلك . انتهى .

وكذلك قال العسكريُّ (فى كتاب التصحيف) : إنّه ظَرف ، قال قرأت على أبى بكر بن دريد :

فلم أَر عامًا عوضُ أكثرَ هالكًا ووجهَ غلامٍ يُسْتَرى وغُلامَه[٣]

عوض اسم معرفة ، وهو اسمٌ للدهر يضم ويفتح . والبصريون يقولونه بالضم . ومثلُه قول الأعشى : « عوض لا نتفرق » ... البيت ، أى لا نتفرق الدّهرَ .

وبما ذكرنا من وجوب إعرابه يعرف ضعفُ الوجوه الثلاثة التى قالها ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وأبيات الجُمَل) . وتبعه اللخمى ،

---

(١) ش : « وتثبت » بنقطتين فوق التاء ونقطتين تحتها لتقرأ بالتاء والياء معا .

(٢) الآية ٤٩ من سورة النمل .

(٣) سبق فى ص ١٢٩ . ويسترى ، هى رواية العسكرى فى التصحيف ص ٢٩٠ . وفى النسختين : « يشترى » تصحيف .

قال : من جعل عوض اسمَ صنم جاز فى إعرابه ثلاثة أوجه :

أحدها أن يكون مبتدأً محذوف الخبر ، كأنّه قال : عوض قسَمُنا الذى نُقسِم به .

وجاز أن يكون فى موضع نصب على أنْ تقدِّر فيه حرف الجر وتحذفه ، كقولك : يمين الله لأفعلنّ .

ويجوز أن يكون فى موضع خفض على إضمار حرف القسم . وهو أضعف الوجوه . ومن اعتقد هذا لزمه أن يجعل الباء فى قوله بأسحم بمعنى فى . انتهى

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون [١] تقدّم أبياتٌ من أوّلها فى الشاهد الرابع بعد المائتين [٢] من باب الحال ، وتقدّم أيضًا بعضُها من أوّلها فى الشاهد السابع والثمانين بعد الثلثمائة [٣] من باب الضمير .

وهذه أبياتٌ مما يليها ، وهو أوّل المديح :

أبيات الشاهد

(لَعمرِى لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوءِ نار فى يَفاعٍ تحرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيـنِ يصطليـانها وباتَ على النار النّدَى والمحلَّقُ
رضيعَىْ لِبانٍ ثدىَ أُمٍّ تقاسما بأسحَم داجٍ عوضُ لانتفرَّقُ
تَرى الجودَ يجرى ظاهرًا فوق وجهه كما زان مَتنَ الهُِنْدُوانىّ رونقُ
يداهُ يدَا صدقٍ ، فكفٌّ مبيدةٌ وكفٌّ إذا ماضُنّ بالمال تُنفقُ

---

(١) ش : « لأعشى ميمون » ، وإنما الأعشى لقب له .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٥٢ — ٢٥٤ .
(٣) الخزانة ٥ : ٢٩١ — ٢٩٧ .

وأمّا إذا ما المحْلُ سرَّح مالَهم ولاح لهم وجهَ العشيات سَملق [١]
نفى الذَّمَّ عن آل المحلَّق جفنةٌ كجابية الشَّيخ العِراقىِّ تَفهَقُ
ترى القومَ فيها شارعينَ ودونَهم من القومِ وِلدانٌ من النَّسل دَردَق
يَروح فتًى صدقٍ ويغدو عليهمُ بملء جفانٍ من سَديف تُدفَّقُ)

وبقىَ بعد هذا أكثر من ثلاثين بيتًا [٢] .

روى شارح ديوانه محمد بن حبيب ، وصاحب الأغانى ، والرياشى وغيرهم : أنَّ الأعشى كان يُوافى سُوق عُكاظ فى كلِّ سنة ، وكان المحلَّق الممدوح واسمه عبد العزَّى بن حَنتم [٣] بن شدّاد ، من بنى عامر بن صعصعة ، مئناثًا مُمِلقًا ، فقالت له امرأته : يا أبا كلاب ، ما يمنعك من التعرُّض لهذا الشاعر فما رأيتُ أحدًا مدَحه إلَّا رفعه ، ولا هجا أحدًا إلَّا وضعَه ، وهو رجل مفوَّه مجدود الشِّعر ، وأنت رجلٌ كما علمتَ خاملُ الذكر ، ذو بَنات ، فإن سبقتَ الناسَ إليه فدعوتَه إلى الضيافة رجوتُ لك حسنَ العاقبة . قال : ويحكِ ما عندنا إلَّا ناقةٌ نعيش بها . قالت : إنَّ الله يُخلفها عليك . قال : لابدَّ له من شراب . قالت : إنَّ عندِى ذخيرَة لى ، ولعلِّى ٢١٢
أجمعها ، فتلقَّهُ قبل أن تُسبَقَ إليه . ففعل وخرج إلى الأعشى . فوجد ابنَه يقود

(١) لم يرد هنا ولا فى ديوان الأعشى ١٥٠ بيت يكون فيه جواب « أما » صريحا . وجوابها مفهوم من سياق الشعر بعده ، أى فإنه يكون بادى الكرم . أو نحو ذلك .

(٢) يعنى بعد ما ذكره فى الخزانة من قبل وبعد ما ذكره هنا . والقصيدة عدة أبياتها اثنان وستون بيتا .

(٣) فى الأغانى ٨ : ٧٧ : « عبد العزيز بن خيثم » تحريف . وما فى الخزانة يطابق ما فى القاموس (حلق) .

ناقته ، فأخذ زمامها منه ، فقال الأعشى : مَن هذا الذى غلبنا على خِطام ناقتنا ؟ قيل : المحلّق . قال : شريفٌ كريم . وقال لابنه : خلّه يقتادها . فاقتادها إلى منزله فنحر له ناقته ، وكشفَ له عن سَنامها وكبِدها [١] ، ووجد امرأته قد خبزت خبزًا وأخرجتْ نِحْىَ سمن ، وجاءَت بوطب لبن ، فلما أكل الأعشَى وأصحابُه ، وكان فى عصابةٍ قيسيَّة ، قدَّم إليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة ، وأطعمه من أطايبها ، فلما أخذه الشرابُ سأله عن حاله وعياله ، فعرف البؤسَ فى كلامه ، وأحاطت به بناتُه يَغمِزنه ويمسَحْنه فقال : ما هذه الجوارى حولى ؟ قال : بنات أخيك ، وهنَّ ثمان [٢] . قال : أما والله لئن بقيتُ لهنَّ لا أدعُ شريدتهنَّ قليلة [٣] . وخرج ولم يقل فيه شيئًا . ووافى المحلّق عكاظ فإذا هو بسَرحةٍ قد اجتمع الناسُ عليها ، وإذا الأعشى يقول :

* لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة *

إلى آخر القصيدة . فسلَّم عليه المحلّق فقال : مرحبًا بسيِّد قومه : ونادى : يا معاشر العرب ، هل فيكم مذكار يزوّج ابنه ببناتِ هذا الشريف الكريم ؟ فما قام من مَقعدة حتّى خُطِبتْ بناته جميعًا .

وقوله : « لعمرى لقد لاحت » إلخ اللام لام ابتداء تفيد التأكيد ، وعمرى مبتدأٌ وحذف خبره وجوبًا ، أى عمرى قَسمى . ومعنى لاحت :

---

(١) فى الأغانى : « وكشط له عن سنامها وكبدها » .

(٢) ط : « وهى ثمان » ، وما أثبت من ش مع أثر تصحيح يطابق ما فى الأغانى . وفى الأغانى : « وهن ثمان شريدتهن قليلة » بسقوط ما بعدها من كلام إلى كلمة « قليلة » .

(٣) ط : « لأدع شريدهن قليلة » ش : « لأدع شريدتهن قليلة » ، والوجه ما أثبت .

نظرت وتشوَّفت إلى هذه النار . حكى الفراء لُحْت الشىءَ ، إذا أبصرته . وأنشد :

وأحمر من ضَرْب دارِ الملوك تلوح على وَجهِه جُعفرَا [1]

كذا (فى شرح أبيات الجمل لابن السِّيد) . واليَفَاع ، بالفتح : الموضع العالى . وجعل النار فى يَفَاع لأنَّه أشهر لها ، لأنَّها إذا كانت فى اليفاع أصابتها الرياح فاشتعلت . وهذه النَّار نارُ الضِّيافة ، كانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر ، وربَّما يوقدونها بالمندلىّ الرَّطب – وهو عطر يُنسَب إلى مَنْدَل ، وهو بلد من بلاد الهند – ونحوِه ممّا يتبخَّر به ليَهتدىَ إليها العُميان . وأشعارُهم ناطقة بذلك .

نيران العرب

ونيران العرب (على ما فى الأوائل لإسماعيل الموصلى) اثنتا عشرة نارًا :

إحداها : هذه ، وهى نار القِرَى ، وهى نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل . وأوّل من أوقد النار بالمزدلفة حَتَّى يراها من دَفَع من عرفة قُصىُّ بن كلاب.

الثانية : نار الاستمطار ، كانت العرب فى الجاهلية الأُولى إذا احتبس عنهم المطرُ يجمعون البقر ، ويَعقِدون فى أذنابها وعراقيبها السَّلَع والعُشَر ، ويَصعدون بها فى الجبل الوَعْر ، ويُشعلون فيها النار . ويزعمون أنَّ ذلك من أسباب المطر .

الثالثة : نار التحالف ، كانوا إذا أرادوا الحِلف أوقدوا نارًا وعَقدوا

---

(١) رواية السيوطى عن ابن برى فى الأشباه والنظائر ٤ : ٨٧ : « وأصفر » . ثم ساق تخريج ابن برى لروايتى « تلوح » و « يلوح » أيضا . وقد نقل الرواية وتخريج ابن برى صاحب التاج فى (لوح) عن السيوطى .

حِلفَهم عندها ، ودَعَوْا بالحرمان والمنع من خيرِها على من ينقضُ العهد ويحلُّ العَقد .

الرابعة : نار الطَّرْد ، كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يشتهون رجوعه .

الخامسة : نار الأُهْبة للحرب ، كانوا إذا أرادوا حربًا وتوقَّعوا جيشًا أوقدوا نارًا على جبلهمْ ليبلغَ الخبرُ فيأتونهم .

السادسة : نار الصَّيد ، وهى نار توقد للظِّباء لتعشَى إذا نظَرتْ . ويُطلب بها أيضًا بيضُ النعام .

٢١٣ السابعة : نار الأَسَد ، وهى نارٌ يوقدونها إذا خافوه . وهو إذا رأى النار استهَالها ، فشغلتْه عن السَّابلة . وقال بعضهم : إذا رأى الأسد النار حدَث له فِكرٌ يصدُّه عن إرادته . والضِّفدِع إذا رأى النار تحيَّر وترك النقيق .

الثامنة : نار السَّليم ، توقَد للملدوغ إذا سهر ، وللمجروح إذا نُزِف ، وللمضروب بالسِّياط ، ولمن عضَّه الكلْبُ الكَلِب ، لئلَّا يناموا فيشتدَّ بهم الأمر ويؤدِّىَ إلى الهلاك .

التاسعة : نار الفداء ، وذلك أنَّ الملوك إذا سَبَوْا القبيلة خرجَتْ إليهم السَّادة للفداء . فكَرِهوا أن يَعرِضوا النساء نهارًا فيفتضحن ، وفى الظُّلمة يخفى قدر ما يحبسون [1] لأنفسهم من الصفىِّ [2] ، فيُوقدون النار ليُعرَضْن .

(١) ش : « قد ما يحبسون » .

(٢) الصفى : ما يختاره الرئيس لنفسه من المغنم ، والمراد هنا ما يختار من السبايا . ومنه حديث عائشة « كانت صفيةُ من الصفايا » ، تعنى صفية بنت حيى ، كانت من غنيمة خيبر .

العاشرة : نار الوسم . قرَّبَ بعض اللصوص إبلًا للبيع فقيل له : ما نارك [(١)] ؟ وكان أغار عليها من كلِّ وجه . وإنَّما سئل عن ذلك لأنَّهم يَعرِفون مِيسم كلِّ قوم ، وكرمَ إبلهم من لؤمها . فقال :

تسأَلنى الباعةُ أَينَ نارُها إذ زعزَعَتْها فسَمَتْ أَبصارُها [(٢)]

كلُّ نجارِ إبلٍ نجارُها وكلُّ نار العالَمِينَ نارُها

الحادية عشرة : نار الحَرَّتَين ، كانت فى بلاد عبس . فإذا كان الليلُ فهى نارٌ تسطع ، وفى النهار دُخانٌ يرتفع . وربما نَدَرَ منها عنق [(٣)] فأَحرق من مرَّ بها . فحفر لها خالدُ بن سنان فدفنها ، فكانت معجزةً له .

الثانية عشرة : نار السَّعالِى ، وهو شىء يقع للمتغرِّب والمتقفِّر . قال أَبو المِضراب [(٤)] عُبَيد بن أَيُّوب :

ولله دَرُّ الغولِ أَىُّ رفيقة لصاحِبِ دوٍّ خائفٍ متقفِّرِ [(٥)]

أَرنَّتْ بلحن بعد لحن وأَوْقَدَتْ حوالَىَّ نِيرانًا تبوحُ وتَزْهَرُ

---

(١) فى الحيوان ٤ : ٤٩١ : « قرب بعض اللصوص إبلا من المواشة ، وقد أغار عليها من كل جانب وجمعها من قبائل فقربها إلى بعض الأسواق فقال له بعض التجار : ما نارك ؟ » .

(٢) الرجز فى الحيوان ٤ : ٤٩٢ وأمثال الميدانى ٢ : ٧٤ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٠ ونهاية الأرب ١ : ١١٢ .

(٣) ط : « بدر منها عنق » ، صوابه فى ش . وفى الحيوان ٤ : ٤٧٦ : « وربما ندرت منها العنق » . ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة ، والعنق يذكر ويؤنث .

(٤) كذا فى النسختين ، وفى اللآلى ٣٨٣ عن القالى : « أبو المطراد » وقال : « والمحفوظ فى كنيته أبو المطراب بالباء » . وقد وردت « أبو المطراب » فى الحيوان ٤ : ٤٨٢ / ٥ : ١٢٣ والشعراء ٧٨٤ واللآلى ٣٨٤ .

(٥) فى اللآلى : « خائف يتستر » وبذلك ينتفى الإقواء بين البيتين فقط . لكنهما من أبيات ستة فى الحيوان ٦ : ١٦٥ ، خمسة منها رويها مكسور .

وأما نار الحُباحِب [١] فكلّ نارٍ لا أَصل لها ، مثل ما ينقدح [٢] من نعال الدواب وغيرها .

وأما نار اليَراعة فهى طائرٌ صغير إذا طار باللّيل حسِبتَه شِهابا ، وضَرْبٌ من الفَرَاش إذا طار بالليل حَسِبته شرارًا .

وأوّل من أورى نارَها أبو حُباحِب بن كلب بن وَبْرة بن تغلب بن حُلوان بن عمرو بن الحافِ بن قضاعة ، فقالوا : نار أبى حُباحب .

ومن حديثه ما ذُكر عن ابن الكلْبىّ قال : كان أبو حُباحب رجلًا من العرب فى سالف الدهر ، بخيلًا لا تُوقَد له نارٌ بليلٍ ، مخافةَ أن يُقتبَس منها ، فإنْ أوقَدَها ثم أبصرها مستضِيءٌ أطفأها . فضربت العربُ به المثَلَ فى البخل والخُلْف فقالوا : « أخلَفُ من نار أبى حباحب » .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : حُباحِب : رجل كان لا ينتفع بماله ، لبخله ، فنسب إليه كلُّ نار لا يُنتفع بها ، فقيل لِمَا تقدَحه حوافرُ الخيل على الصَّفا : نارَ الحُباحبِ . قال النابغة فى وصف السيوف :

* ويُوقِدْن بالصُّفّاح نارَ الحُباحِبِ [٣] *

وجعل الكميت اسمه كنيةً للضرورة فى قوله :

---

(١) ويقال لها أيضًا « نار أبى الحباحب » كما فى الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٢) ط : « ما يقتدح » .

(٣) صدره كما فى ديوانه ٧ من مجموع خمسة دواوين :

* تقدُّ السلوقى المضاعف نسجه *

يرى الرائُونَ بالشَّفَراتِ منها كنار أَبى الحُباحب والظُّبينا (١)

وقال القطامى :

أَلا إِنَّما نيرانُ قَيس إِذا اشْتَوَوْا
لطارقِ ليل مثلُ نار الحُباحب (٢) . انتهى

وهذا هو التحقيق ، لا ماذكره الموصلى تبعًا للعسكرى (فى أَوائله) .

٢١٤ وزادَ الصفدى (فى شرح لامية العجم) : نارَ الغدر ، قال : كانوا إِذا غدر الرجلُ بجاره أَوقدُوًا له نارًا بمِنًى أَيامَ الحجّ ثم صاحوا : هذه غَدرةُ فلان !

وعدَّ نار المزدلِفة ، التى أَوّلُ من أَوقدها قصىٌّ ، قسمًا مستقلًا . وجعل عِدّة النيران أَربع عشرة نارًا .

وقال ابن قتيبة (فى أَبيات المعانى) فى نار التحالف : كانوا يحلفون بالنار ، وكانت لهم نارٌ يقال إِنَّها كانت بأَشراف اليمن (٣) لها سَدَنة ، فإِذا تفاقم الأَمْر بين القوم فحُلِف بها انقطع بَيْنُهُمْ . وكان اسمها : هُولَة والمَهُولة . وكان سادنها إِذا أُتِىَ برجلٍ هيَّبَهُ من الحلف بها ، ولها قيِّم يطرح فيها المِلح

---

(١) أنشده فى التهذيب واللسان (شفر) بعد أن ذكر أن شفرات السيوف حروف حدها . وهو فى ديوان الكميت ٢ : ١٢٦ عن التهذيب ١١ : ٣٥١ . وعجزه فى جميعها :

« وقود أبى حباحب والظبينا »

(٢) ديوانه ٥٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٦٠ وثمار القلوب ٤٦٣ والمخصص ١١ : ٢٨ وأمثال الميدانى ٢ : ٨٦ واللسان (حبحب) . وفى الحيوان ٤ : ٤٨٧ : « إذا اشتوت » . وقيس تؤنث باعتبار القبيلة . ويروى : « إذا شتوا » أى أقاموا شتاء ، وقد سبقت فى ص ٩٠ . وهى الرواية الجيدة .

(٣) ط : « بأشواف » ، وأثبت ما فى المعانى الكبير ٤٣٤ . وفى ش : « بأسواق » . والمراد بالأشراف الأعالى .

والكبريت ، فإذا وقع فيها استشاطت وتنقَّضت [١] فيقول : هذه النار قد تهدَّدتك . فإن كان مُرِيبًا نَكَلَ ، وإن كان بريئًا حَلَف . قال الكميت :

هُمُ خوَّفونا بالعمى هُوَّة الرَّدَى ... كما شَبَّ نارَ الحالِفِينَ المهوِّلُ [٢]

وقال الكميت ، وذكر امرأةً :

فقد صرتُ عمًّا لها بالمشيـ ... ـبِ زَوْلًا لَدَيْهَا هو الأَزْوَلُ [٣]

كَهُولةِ ما أُوقَدَ المُحْلِفونَ ... لدى الحالِفِينَ وما زوَّلوا [٤]

وقال أوس :

إذا استقبلته الشَّمسُ صدَّ بوجهه ... كما صَدَّ عن نار المهوِّلِ حالفُ [٥]

وقال أيضًا فى نار الأُهبة : كانوا إذا أرادوا حرباً أو توقَّعوا جيشاً وأرادوا الاجتماع ، أوقدوا ليلًا على جبل ، لتجتمعَ إليهم عشائرُهم ، فإذا جدُّوا وأُعجلوا أُوقدُوا نارَين .

وقال الفرزدق :

ضَربوا الصنَّائعَ والملوكَ وأُوقـدوا ... نارَين أَشرفَتا على النِّيران [٦] . انتهى

---

(١) تنقضت ، بالقاف : صوتت .

(٢) الهاشميات ٦٩ ونهاية الأرب ١ : ١١١ . وقبله فى الهاشميات :

وما ضرب الأمثال فى الجور قبلنا ... لأجور من حكامنا المتمثل

وأراد بالعمى عمى البصيرة والجهل . وفى نهاية الأرب : « هم خوفونى » .

(٣) ديوان الكميت ٢ : ١٤ واللسان (زو ل) والتهذيب ١٣ : ٢٥١ والزول : العجب . وزول أزول مبالغة ، أى عجب عاجب . وفى النسختين : « زوالا » ، صوابه من اللسان والتهذيب والمعانى الكبير ٤٣٥ . قال ابن قتيبة : « يقول : صرت فى أعين النساء كذلك » .

(٤) المعانى الكبير ٤٣٥ والحيوان ٤ : ٤٧١ والتهذيب واللسان (هول) والبيان ٣ : ٧ وأيمان العرب للنجيرمى ٣١ .

(٥) ديوان أوس بن حجر ٦٩ واللسان والتهذيب والمقاييس (هول) والبيان ٣ : ٧ وأيمان العرب للنجيرمى ٣١ .

(٦) ديوان الفرزدق ٨٨٣ والحيوان ٤ : ٤٧٥ .

وقوله : « تحرّق » روى بالبناء للمفعول ، وروى بالبناء للمعلوم والمفعول مَحذوف ، أى الحطب .

وقوله : « تشَبُّ لمقرورين » إلخ أى تُوقد . والمقرور : الذى أصابه القرُّ ، وهو البرد . والاصطلاء : افتعال من صَلِىَ النارَ وصَلِىَ بها ، من باب تعب : وجَدَ حرَّها . والصِّلاء ككتاب : حَرّ النار . وقوله : « وبات على النار » إلخ بات له معنيان ، أشهرهما ما قاله الفراء ، بات الرجل إذا سمر الليل كلّه فى طاعة أو معصية . وهو المراد هنا . والثاني بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواءٌ كان فى ليل أو نهار . والندى : الجود والكرم . والمحلَّق هو الممدوح ، واسمه عبد العزَّى ، من بنى عامر بن صعصعة كما تقدم . وهو جاهلى . كذا فى أنساب ياقوت وغيره .

المحلق

وقال العسكرى (فى التصحيف) : المحلَّق الذى مدَحه الأعشى مفتوح اللام ، هو اسمه ، وهو المحلَّق بن جَزْء ، من بنى عامر بن صعصعة . والمحلَّق الضبّى ولَّاه الحكم بن أيوب الثَّقفى سَفَوان بفتح اللام أيضًا ، قال فيه بعض الشعراء (١) :

أبا يوسف لو كنت تعلمُ طاعتى ونُصحى إذًا ما بِعتَنى بالمحلَّق

وذكر أحمد بن حباب الحميرىّ ، أنَّ فى جُعفىٍّ فى مَرَّان منهم « المخلِّق » بخاء معجمة ولام مكسورة . انتهى .

وقد خالف الجمهورُ فى قوله إن المحلَّق اسمه . قالوا : إنَّ اسمه

(١) هو أبو نويرة بن الحصين ، وكان الحكم بن أيوب قد أخذه بذنب العطرق . الحيوان ١ : ٢٠ . وانظر تصحيف العسكرى .

٢١٥ عبد العُزَّى بن حَنْتَم بن شدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد ، وهو أبو بكر ، ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وسمِّى محلَّقا لأنَّ فرسه عضَّه فصار موضعُ عضِّه كالحلْقة ، فقيل له المحلَّق [١] .

وقال ابن السِّيد (فى أبيات الجمل) : وسمِّى المحلَّق لأنَّ بعيرا عضَّه فى وجهه فصار فيه كالحلقة . وقيل : بل كوى نفسَه بكيَّةٍ شبهِ الحلْقة .

وزاد اللخمى : لأنَّه كان يأْتي موضع الحِلَاقِ بمنًى .

وحكى الموصلى أنَّه أصابه داء فاكتوى على حَلقه فسمِّىَ المحلَّق .

وروى أبو عبيدة : المحلِّق ، بكسر اللام . وروى الأصبهانى بفتحها .

وقال بعض فضلاء العَجَم (فى شرح) [٢] .

وقال الجوهريُّ : المحلِّق بكسر اللام : اسم رجل من بنى أبى بكر بن كلاب ، من بنى عامر . انتهى .

وكسر اللام خلاف الصَّحيح . وهذا قول الأمير ابن ماكولا ، نقله عن النسَّابة حسن ، ابن أخى اللبن . قال الأمير : وحنتم بحاء مهملة مفتوحة بعدها نون ساكنة ثم مثناة فوقية . والمحلَّق كان سيِّدًا فى الجاهلية ، وهو الذى مدحه الأعشى .

وقال الكلبى (فى جمهرة الأنساب) : المحلَّق هو عبد العزَّى بن حنتم

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة « فى شرح » ساقط من ش .

(٢) إلى هنا ينتهى سقط ش الذى لم يبيض له ، بل الكلام فيها متصل إلى مبدأ قوله : « وقال الجوهرى » . وفى المطبوعة بعد كلمة « فى شرح » بياض بقدر سطرين .

ابن شدّاد بن ربيعة المجنون بن عبد الله بن أَبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كان سيّدًا وذا بأْس فى الجاهلية ، وله يقول الأَعشى :

* وبات على النار النَّدَى والمحلَّقُ *

وله حديث . وكان الأَعشى نزل به فأَمرته أُمُّه فنحر للأَعشى ناقة ولم يكن له غيرها . انتهى .

قال ابن السِّيد [1] : لمَّا كان من شأْن المتحالِفينَ أَن يتحالفوا على النار ، جعل النَّدى والمحلَّق كمتحالفين اجتمعا على نار . وذكر المقرورين لأَنَّ المقرورَ يُعْظِم النار ويُشعِلها لشدة حاجته .

وقد أَخذ أَبو تمام الطائى هذا المعنى وأَوضحه فقال فى مدحه الحسنَ ابنَ وهب :

قد أَثقب الحسنُ بن وهب فى الندى نارًا جلَتْ إنسانَ عينِ المجتلى
موسومـةً للمهتـدى ، مأْدومـةً للمُجْتدى ، مظلومةً للمصطلى [2]
ما أَنت حين تُعدُّ نارًا مثلهـا إلا كتالى سورةٍ لم تُنزَلِ . اهـ

وقال اللخمى : كانَ الناس يستحسنون هذا البيت للأَعشى ، حتى قال الحطيئة :

---

(١) فى الاقتضاب ٣٩١ . وقد تصرف البغدادى بعض التصرف فى النقل .

(٢) فى الديوان ٢٣٣ :

مأروثة للمجتلى ، موسومة للمهتدى ، مظلومة للمصطلى

مأروثة : موقدة مذكاة .

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجدْ خيرَ نار عندها خيرُ مُوقِدِ

فسقط بيت الأعشى . انتهى .

وهذا مأخوذٌ من الأوائل للعسكرى والموصلى .

وأورد صاحبُ الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ أَو أَجدُ على النَّارِ هُدًى [1] ﴾ ، واستشهد به على أَنَّ معنى الاستعلاء فيها أَنَّ أَهلَ النار يستعلون المكانَ القريب منها ، كما قال سيبويه فى مررت بزيد : إنَّه لصوقٌ فى مكان يقرب من زيد . أَو لأَنَّ [2] المصطلين بها إذا تكنَّفوها قيامًا وقعودًا كانوا مشْرِفين عليها .

وكذلك أَورده ابن هشام (فى المغنى) قال : أَحد معانى على الاستعلاء ، إمّا على المجرور وهو الغالب ، نحو : ﴿ عليها وعَلى الفُلْكِ تُحمَلون [3] ﴾ أَو على ما يقرب منه نحو : ﴿ أَو أَجدُ على النارِ هُدًى ﴾ أى هاديًا ، وقوله :

* وبات على النار الندى والمحلَّقُ *

وأَورده فى الباء الموحدة أَيضًا وقال : أَقول إنَّ كلًّا من الإلصاق والاستعلاء إنَّما يكون حقيقيًّا إذا كان مُفْضيا إلى نفس المجرور ، كأَمسكت بِزيد ، وصَعِدت على السَّطح . فإنْ أَفضَى إلى ما يقرب منه فمجازىٌّ ، كمررت بزيد ، فى تأْويل الجمهور [4] ، وكقوله : ٢١٦

---

(١) الآية ١٠ من سورة طه .

(٢) ش : « ولأن » وما أثبت من ط يطابق ما فى الكشاف ٢ : ٢١ وفيه : « أو لأن المصطلين بها والمستمتعين بها » .. إلخ .

(٣) الآية ٢٢ من المؤمنون وكذا ٨٠ من غافر . وحذف واو « وعليها » للاقتباس ، وهو أمر جائز . انظر حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ وتحقيق النصوص لكاتبه ص ٤٩ .

(٤) فى المغنى ص ١٠٠ : « فى تأويل الجماعة » .

* وبات على النار النَّدى والمحلقُ *

وقوله : (رضيعَىْ لِبان) إلخ هو مثَّنى رضيع ، قالوا : رضيع الإنسان [١] : مُراضِعه . قال التِّبريزى (فى شرح ديوان أبى تمام) : إذا كانت المفاعلة بين اثنين جاء كلٌّ واحدٍ منهما على فعيل كما جاء على مفاعل ، كقعيد للذى يقاعدُك وتقاعده ، ونديم بمعنى مُنادم ، ورضيع وجليس ، بمعنى مراضع ومجالس . انتهى .

وإليه أشار الجوهرى بقوله : « وهذا رضيعِى كما تقول أكيلى » . وكذلك قال صاحب المصباح : راضعته مراضعة ، وهو رضيعى . وفى (عمدة الحفَّاظ للسَّمين) : وفلان رضيع فلان أى رضيعٌ معه . وأنشد هذا البيت ونسبه للنابغة . وهو سهو .

وفعيل هذا لا يعمل النصب . قال الشارح المحقق فى أبنية المبالغة : « وأمَّا الفعيل بمعنى الفاعل ، كالجليس ، فليس للمبالغة ، فلا يعمل اتفاقًا [٢] » . فإضافة رضيعَىْ إلى لبان ليس من الإضافة إلى المفعول به المصرَّح [٣] ، بل هو مفعولٌ على التوسُّع بحذف حرف الجر ، لأنَّه يقال رضيعُه بلبان أُمِّه ، فحذف الباء فانتصب لبان وأُضيف إليه الوصف .

و (ثدى) بالجر بدل من لبان ، وعلى رواية النصب بدل أيضًا بتقدير مضافٍ مجرور فيهما ، أى لبان ثدى ، فلما حذف المضاف انتصب . أو هو منصوب على نزع الخافض ، أى من ثدى أُمّ . ولا يجوز الإبدال على محل

---

(١) ط : « الأسنان » ، صوابه فى ش .

لبان [١] لأنَّ شرطه كالعطف على المحلّ إمكانُ ظهور ذلك المحلّ فى الفصيح . لا يجوز مَثلًا : مررت بزيد وعمرًا ، خلافًا لابن جنى ، لأنَّه لا يجُوز : مررت زيدًا . فأمّا قوله :

* تمرُّون الديارَ ولم تَعُوجوا [٢] *

فضرورة .

وغفل بعضُ من شرح (دُرّة الغواص) عن عدم عملِ فعيل المذكور ؛ فقال فى شرحه : وثدى منصوب برضيعى ، ولا حاجة لتقدير مِن كما قيل ، لأنَّ رضيع متعدٍّ بنفسه . هذا كلامه ، مع أنَّه قال رضيع لا يكون إلَّا بمعنى مراضع .

ولا مانع عندى أن يكون هنا بمعنى راضع ، وتكون المشاركة من التثنية ، بل هذا هو الجيِّد ، إذ لو كان رضيع هنا بمعنى مُراضِع لما ثنَّى ، ولكان المناسب أن يقول :

* رضيع النَّدى من ثدى أُمٍّ تقاسما *

وعليه يسهل إعراب البيت ، فيكون رضيعَىْ مضافًا إلى مفعوله لأنَّه ماض ، واسم الفاعل الماضى تجب إضافته إلى ما يجىء بعده ممّا يكون فى المعنى مفعولًا ، فيكون « ثدى أُمٍّ » بَدَلًا من لبان بتقدير مضاف مجرور ، والأصل رضيعى لبانٍ لبانِ ثدى أُمٍّ ، أَوْ يكون بدلًا من لبانٍ على المحلّ ، على

---

(١) ش : « على المحل » .

(٢) من الشواهد النحوية المشهورة . وهو لجرير ، وسيأتى فى ٦٧١ بولاق . وعجزه :

* كلامكم على إذن حرام *

قول من لا يشترط المحرز الطالب لذلك المحلّ . وفعيل قد وضع بالاشتراك تارةً لفاعل وتارة لمفاعل ، والقرينة تعيِّن ، وهى هنا التثنية .

وقال الأندلسى (فى شرح المفصل) : رضيع فعيل للمبالغة . وعليه فيكون عامِلًا عملَ فعله .

وقد ذهب ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب ، وأبيات الجمل) إلى ما ذكرنا ، قال : لك أن تجعل الرضيع بمعنى الراضع ، كقولهم قدير بمعنى قادر ، فيكون متعدِّيا إلى مفعول واحد . وإن شئت جعلته بمعنى مرضع كقولهم : رُبٌّ عقيدٌ ، بمعنى مُعْقَد ، فيتعدَّى إلى مفعولين . ومن ٢١٧ خفض ثدى أُمّ جعله بدلًا من لبان [١] ، ومن نصبه أبدله من موضعه ، لأنّه فى موضع نصب . ولابدَّ من تقدير مضاف فى كلا الوجهين ، كأنَّه قال : لبان ثدى أُمّ . وإنما لزم تقدير مضاف لأنَّه لا يخلو من أن يكون بدلَ كلٍّ أو بدل بعض أو بدل اشتمال ، فلا يجوز الثانى ، لأنَّ الثدى ليس بعض اللبان ؛ ولا الثالث ، لأنَّ الأوَّل يشتمل على الثانى [٢] ، وذلك لا يصح هاهنا . وقد ذهب قوم إلى أنَّ الثانىَ ، هو المشتمل على الأوَّل ، وذلك غلط ، فلم يبق إلَّا أن يكون بدل كل [٣] . والثدى ليس اللبان ، فوجب أنْ يقدَّر لبان ثدى . ويجوز أن يكون ثدى أُمّ مفعولا سقط منه حرف الجر ، كقولك : اخترت زيدًا الرجال . انتهى .

---

(١) فى الاقتضاب ٣٩٢ : « من لفظ اللبان » .

(٢) فى الاقتضاب : « لأن معنى قولنا بدل اشتمال أن يكون الأول يشتمل على الثانى » .

(٣) الاقتضاب : « أن يكون بدل الشىء من الشىء وهما لعين واحدة » ، فى هذا الموضع وسابقه .

وتعقّبه اللخمى بأنّه قيل : إن اسم الفاعل هنا بمعنى المضىّ ، فلا يعمل عند البصريين ، وإن انتصاب ثدى إنّما هو على التمييز ، لأنّه يحسن فيه إدخال من المقدَّرة فى التمييز . ويحتمل أن يكون منصوبًا بإضمار فعلٍ دلَّ عليه رضيع ، والتقدير : رَضِعا ثدى أمّ ، كقوله تعالى : ﴿ وجاعلُ الليل سَكَنًا والشمسَ والقمرَ حُسبانا [1] ﴾ . وهذا إنّما يكون على أن تجعل رضيعَىْ خبرًا لبات لا حالًا . انتهى كلامه .

وقال بعض فضلاء العجم (فى أبيات المفصل) : ثدى بدل من محلّ لبان ، فى تقدير : رضيعين لبانا ثدىَ أمٍّ ، وهو بدل اشتمال . وقيل ثدى أمٍّ منصوب على إضمار رضِعا ، بدلالة رضيعى .

وتبعه الكَرْمانى (فى شرح أبيات الموشح) . وفيه أنّ الوصف ماضٍ ، وأنّ بدل الاشتمال لابدّ له من ضمير .

والجيِّد فى نصب رضيعى أن يكون على المدح .

وجوَّز ابنُ السِّيد واللخمى غيرَ هذا : أن يكون حالا من الندى والمحلَّق ، ويكون قوله « على النار » خبر بات . وأن يكون خبر بات وعلى النار حالا . وأن يكونا خبرين .

أقول : أمّا الأول ففيه مع ضعف مجىء الحال من المبتدأ المنسوخ فسادُ المعنى ، لأنّه يقتضى أن يكونا غير رضيعين فى غير بياتهما على النار ، وجَودة المعنى تقتضى أنّهما رضيعان مُذ وُلدا .

وأمّا الأخيران ففيهما قبح التَّضمين الذى هو من عيوب الشعر ، وهو توقُّف البيت على الآخر . ويَرِدُ هذا أيضًا على جعله حالا من الندى والمحلق ،

---

(١) الآية ٩٦ من الأنعام . وفى ط : « وجعل » ، وهذه قراءة عاصم وحمزة والكسائى . والباقون : « وجاعل » . إتحاف فضلاء البشر ٢١٤ .

وعلى جعله بدلًا من مقرورين ، وعلى جعله صفة له .

حكى هذه الثلاثة بعضُ فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) .

وجوَّز هذه الثلاثة شارح أبيات الموشح ، مع تجويز كونه خبرًا لبات . قال : وعلى هذه الأوجه خبر بات قوله تقاسما .

وهذا تعسُّف ؛ فإنَّ تقاسما جواب مقدَّر نشأ من قوله : وبات على النار الندى والمحلق ، والخبر هو على النار .

و (اللِّبان) بكسر اللام ، قال الأندلسى : هو لبن الآدمى . قيل ولا يقال له لبن إنَّما اللبن لسائر الحيوانات . وليس بصحيح ، لأنه قد جاء فى الخبر : « اللَّبنُ للفَحْل » أى للزوج . نعَمْ اللِّبان فى بنى آدم أكثر . انتهى .

وكذلك قال ابن السِّيد : روى عن رسول الله - ﷺ - « أنَّ لبن الفحل محرِّم » كما اتفق عليه الفقهاء . وفسَّروه بأنَّ الرجل تكون له امرأة تُرضع بلبنه ، فكل من أرضعته حرَّمته عليه وعلى ولده . والصحيح أنَّه يقال : اللبان للمرأة خاصّة ، واللبن عام .

وقال الحريرى (فى درة الغواص) تبعا لابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : يقولون لرضيع الإنسان : قد ارتضع بلبنه ، وصوابه ارتضع بِلِبانه ، لأنَّ اللبن المشروبُ ، واللِّبان مصدر لابنه أى شاركه فى شُرب اللبن . وهذا هو معنى كلامهم الذى نَحَوْا إليه . وإليه أشار الأعشى فى قوله :

* رضيعَىْ لبانٍ ثدىَ أُمٍّ تقاسما *

البيت . انتهى .

٢١٨ وقد تقدم الكلام على اللِّبان فى الشاهد الثالث والتسعين بعد الثلثمائة [١] .

وقد أُخذ معنى هذا المصراع وبسَطه الكميتُ ، فى مدح مَخْلد بن يزيد ، وقال :

تَرى الندى ومَخْلدًا حليفَيْنْ كانا معًا فى مَهدِه رضيعَيْنْ

* تنازعا فيه لِبانَ الثَّديينْ *

وفيه لُطْفُ بلاغةٍ لجعلهما أُخوين من جنسٍ واحد .

و (تقاسما) : تفاعلا من القَسَم ، أى أَقسم كلٌّ منهما لا يفارق أَحدُهما الآخر . وروى بدله (تحالفَا) من الحَلِف وهو اليمين . والباء فى قوله : (بأَسحم) داخلةٌ على المقسم به . وقد اختُلف فى معناه : قال ابن السيد : فيه سبعة أَقوال :

أَحدها : هو الرماد ، وكانوا يحلفون به . قال الشاعر [٢] :

حَلفت بالمِلْح والرماد وبالنّـ ـارِ نُسْلِـم الحَلَقَـهْ

حَتَّى يظلَّ الجوادُ منعفرًا ويَخضِبَ النَّبلُ غرّة الدَّرقَهْ [٣]

ثانيها : هو الليل .

ثالثها : هو الرَّحِم .

رابعها : هو الدم ، لأَنهم كانوا يغمسون أَيديَهم فيه إِذا تحالفوا .

حكى هذه الأَقوال الأَربعةَ يعقوب ، وحكى غيره ، وهو الخامس أَنَّه

---

(١) الخزانة ٥ : ٣٣٢ .

(٢) البيتان أنشدهما الجاحظ فى البيان ٣ : ٨ مسبوقين بقوله « وقال الأول » . وأنشدهما ابن منظور فى اللسان (حلق) شاهدا على فتح لام الحلقة المستعملة فى حلقة القوم .

(٣) وكذا فى البيان . لكنها وردت محرفة فى اللسان برواية : « ويخضب القيل عروة الدرقه » .

حلمه الثدى . وقيل ، وهو السادس : زِقّ الخمر . وقيل وهو السابع : دماء الذبائح التى كانت تُذبَحُ للأصنام . وجعله أسحم لأنّ الدم إذا يبس اسودّ .

وأبعَدُ هذه الأقوال قول من قال إنّه الرماد ، لأنّ الرماد لا يُوصَف بأنه أسحم ولا داجٍ ، وإنّما يوصف بأنه أورق . انتهى .

وقال أحمد بن فارس : الأسحم : الأسود . والأسحم فى قول الأعشى :

* بأسحم داج *

هو الليل ، وفى قول النابغة :

* بأسحم دانٍ (١) *

هو السحاب ، وقول زهير :

* بأسحَم مِذود (٢) *

هو القرن . ويقال بأسحم داجٍ ، أى فى الرحم . انتهى .

وقال الحريرى (فى الدرة) : عنى بالأسحم الداجى ظلمة الرحم المشار إليها فى قوله تعالى : ﴿ يَخلقُكُمْ فى بُطونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلقٍ فى ظُلُماتٍ ثَلاث (٣) ﴾ . وقيل بل عنى به الليل . وعلى كلا هذين التفسيرين

---

(١) البيت بتمامه فى ديوان النابغة لابن السكيت ٧٣ :

عفا آيه ريح الجنوب مع الصبا
وأسحم دان مزنه متصوب

وكذا فى اللسان (سحم) . وانظر المقاييس (سحم) . وفيهما : « بأسحم دان » .

(٢) وكذا فى المقاييس (سحم) ، وهو بتمامه فى الديوان ٢٢٩ واللسان (سحم) :

نجاء مجد ليس فيه وتيرة
وتذبيبها عنه بأسحم مذود

(٣) الآية ٦ من سورة الزمر .

فمعنى تقاسما فيهما أى تحالفا . وقد قيل إنَّ المراد بلفظة تقاسما اقتسما ، وإن المراد بالأسحم الداجى الدمُ . وقيل المراد بالأسْحم اللبنُ لاعتراض السُّمرة فيه ، وبالداجى الدائم . انتهى .

ولا وجه لتفسير تقاسَمَا ، باقتسما ، على تفسير الأسحم بأحد المعنيين الأخيرين . وكيف يصحّ تفسير الداجى بالدائم مع أنَّه من الدُّجية وهو الظلام . وقال الجوهرى : قيل هو الدم ، وقيل الرحم ، وقيل سواد حلمة الثدى ، وقيل زِقُّ الخمر .

وقوله : (عوض) هو ظرفٌ مقطوع عن الإضافة متعلّق بما بعده . وجملة (لا نتفرق) جواب القسم ، وجاء به على حكاية لفظ المتحالفين الذى نطقا به عند التحالف ، ولو جاء به على لفظ الإخبار عنهما لقال لايفترقان . وزعم ابن السِّيد ، وتبعه اللخمى ، أنَّه يجوز مع كون عوض ظرفا أن يكون عوض مقسَما به ، والباء فى أسحم بمعنى فى . وهذا فاسد ، لأنَّه كان يجب حينئذ إعرابه وجرُّه بحرف القسم .

قال الأندلسى : لا يجوز أن يكون عوض اسم صنم ، لتقدُّم المقسم به قبله ، ولبنائه ، وأيضًا لا يجوز حذف حرف القسم عند ذِكر الفعل .

وعليه اقتصر الخوارزمى ، نقله عنه ابن المستوفى قال : عنى بأسحم داج الليل ، وهو ليس بالمقسم به ، إنَّما هو ظرف بمنزلة أن تقول : تقاسمَا فى ليلٍ داج يكون تآلفهما فيه واستئناسُ كلٍّ منهما بصاحبه أكثر . وقال صاحب العين : عوض كلمة تجرى مجرى القسم ، فعوض على هذا القول معناه حلَفا بالدَّهر لا نتفرّق ، فحذف حرف القسم ونصب المقسم به ، كما فى قولك : اللهَ لأفعلنَّ . هذا كلامه .

٢١٨

وفيه أنَّ حرف القسم لا يحذف مع ذكر الفعل .

وقال ابن السِّيد : ومن اعتقد أنَّ عوض اسم صنم لزمه أن يجعل الباءَ فى قوله بأسحم بمعنى فى . ويعنى [1] بالأسحم الليل أو الرحم . ولا يجوز أن تكون الباء فى هذا الوجه للقسم ، لأنَّ القسم لم يقع بالأسحم ، إنما وقع بعَوض ، الذى هو الصَّنم . انتهى .

ويُعَرف وجهُ ردِّه ممّا ذكرنا .

وقوله : « وأمَّا إذا ما المحل » إلخ المحْلُ : انقطاع المطر ويُبس الأرض من الكلأ . وسَرَّح مالَهم ، أى أطلقها وفرَّقها . والمال عند العرب : الإبل والبقر والغنم . والسَّملق ، كجعفر : القاعُ الصَّفصَف .

وقوله : « نَفَى الذَّمَّ » إلخ هو جواب إذا . والجفنة ، بالفتح : قَصْعة الطَّعام فاعل نفى . والجابية بالجيم ، قال الجوهرى : هى الحوض الذى يُجبَى فيه الماء للإبل . وأنشد البيت . وتفْهَق ، قال المبرد (فى أول الكامل) : من قولهم : فَهِقَ الغدير يفْهَق ، إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضعُ مزيد . قال الأعشى :

نفى الذم عن رَهط المحلَّق جفنة .... البيت

هكذا ينشده أهل البصرة ، وتأويله عندهم أنَّ العِراقىَّ إذا تمكَّن من الماء ملأ جابيته ، لأنَّه حضرىٌّ فلا يعرف مواضعَ الماء ولا محالَّه . وسمعت أعرابيَّة تُنْشِد « كجابية السَّيح » بإهمال الطرفين ، تريد النهر الذى يجرى على جابيته ،

---

(١) ط : « يعنى » .

فماؤها لا ينقطع ، لأنَّ النهر يَمُدُّه . انتهى .

وقال ابن السِّيد (فى حاشيته على الكامل) : كان الأحمر يقول : الشيخ تصحيف ، وإنَّما هو السَّيح بالسين والحاء غير معجمتين ، وهو الماء الجارى على وجه الأرض يذهب ويجىء . والجابية : الحوض ، وجمعه الجوابى . وكلُّ ما يُحبَس فيه الماء فهو جابية . وقيل أراد بالشيخ العراقىّ كِسرى ، وحكاه أبو عبيد فى كلامٍ ذكره عن الأصمعى فى شرح الحديث . وخصَّ بالشيخ على تأويل المبرد ، لأنَّه قد جرَّب الأمور وقاسى الخير والشر ، وهو يأخذ بالحزم فى أحواله . انتهى .

« ودردق » بدالين بينهما راء : الأطفال ، يقال : وِلدانٌ دردق ، ودَرَادق . كذا فى العباب .

والسَّديف : شحم السَّنام . وتَدَفَّقُ أصله تتدفق بتاءين .

والأعشى شاعر جاهلى قد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب [١] .

وقد روى صاحب الأغانى سببَ هذه القصيدة على غير ما ذكرناه أيضًا .

وقد رَوى عن النَّوفلىِّ [٢] أنَّ المحلَّق كانت له أخواتٌ ثلاث ، لم يرغبْ أحدٌ فيهن لفقرهنَّ وخموله . والتزويج إنَّما كان لهنَّ لا لبناته . والله أعلم .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ – ١٧٨ .

(٢) هو على بن محمد النوفلى . الأغانى ٨ : ٧٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٥٢٢ (لقد رأيتُ عجبًا مُذْ أَمْسَا)

على أن (أمس) غير منصرف ، مجرور بالفتحة ، والألف للإطلاق .

وهذا نصُّ سيبويه فى باب تغيير الأسماء المبهمة إذا صارت أعلامًا خاصَّة [٢] ، أوردته بطوله لكثرة فوائده :

وسألته رحمه الله ، يعنى الخليل ، عن أمس اسم رجل فقال : مصروف ، لأنَّ أمس ههنا ليس على الجرّ [٣] ولكنَّه لما كثر فى كلامهم وكان ٢٢٠ من الظروف تركوه على حالٍ واحدة ، كما فعلوا ذلك بأيْنَ وكسَروه كما كسروا غاقِ ، إذْ [٤] كانت الحركة تدخله لغير إعراب ، كما أنَّ حركة غاق لغير إعراب . فإذا صار اسمًا لرجل انصرف ، لأنَّه قد نقلته إلى غير ذلك الموضع ، كما أنَّك إذا سمَّيت بغاق صرفته . فهذا يجرى مجرى هذا ، كما جرى ذا مجرى لا .

واعلم أنَّ بنى تميم يقولون فى موضع الرفع : ذهب أمسُ بما فيه ، وما رأيته مُذ أمسُ ، فلا يصرفون فى الرفع ، لأنَّهم عدلوه عن الأصل الذى هو عليه فى الكلام ، لا عمّا ينبغى له أن يكون عليه فى القياس . ألَا ترى أنَّ أهلَ

---

(١) فى كتابه ٢ : ٤٤ . وانظر نوادر أبى زيد ٥٧ والجمل ٢٩١ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٦٠ وابن يعيش ٤ : ١٠٦ ، ١٠٧ والشذور ٩٩ والعينى ٤ : ٣٥٧ والتصريح ٢ : ٢٦٦ ، ٣١٦ والهمع ١ : ٢٠٩ .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٢ و ٣ : ٢٨٠ من نسختى .

(٣) فى سيبويه : « لأن أمس ليس هاهنا على الحد » ، أى ليس على حد الأسماء المبهمة .

(٤) كذا فى ش وسيبويه . وفى ط : « إذا » .

الحجاز يكسرونه فى كلّ موضع ، وبنو تميم يكسرونه فى أكثر المواضع فى الجرّ والنصب . فلمّا عدلوه عن أصله فى الكلام ومجراه ، تركوا صرفه كما تركوا صرف أُخَر حين فارقت أخواتها فى حذف الألف واللام منها ، وكما تركوا صرف سحر ظرفًا . لأنّه إذا كان مجرورًا أو مرفوعًا أو منصوبًا غير ظرف لم يكن بمنزلته إلّا وفيه الألف واللام ؛ أو يكون نكرةً إذا أخرجَتا منه . فلمّا صار معرفة فى الظروف بغير ألف ولام ، خالف التعريف فى هذه المواضع ، وصار معدولًا عندهم كما عدلت أُخر ، فتُرك صرفه فى هذا الموضع كما ترك صرف أمس فى الرفع . وإنْ سمّيت رجلًا بأمس فى هذا القول صرفته ، لأنّه لا بُدّ لك من أن تصرفه فى الجر والنصب ، لأنّه فى الجر والنصب مكسورٌ فى لغتهم ، فإذا انصرف فى هذين الموضعين انصرف فى الرّفع ، لأنّك تدخله فى الرفع وقد جرى له الصّرف فى القياس فى الجر والنصب ، لأنّك لم تعدله عن أصله فى الكلام مخالفًا للقياس . ولا يكون أبدًا فى الكلام اسمٌ منصرفٌ فى الجر والنصب ولا ينصرف فى الرفع . وكذلك سحر اسم رجل تصرفه ، وهو فى الرّجُل أقوى لا يقع ظرفًا ، ولو وقع اسمَ شيءٍ فكان ظرفًا صرفته وكان كأمس لو كان أمس منصوبًا غيرَ ظرف مكسورٍ كما كان . وقد فتح قومٌ أمس فى مُذْ لمّا رفعوا وكانت فى الجرّ هى التى تُرْفَع ، شبّهوها بها . قال :

لقد رأيتُ عجبًا مُذ أمسا عجائزًا مثلَ الأفاعى خَمْسا

وهذا قليل .

انتهى كلام سيبويه ، ونقلته من نسخة معتمدة مقروءة على مشايخ

---

(١) كذا فى ش وسيبويه . وفى ط : « إذا » .

جِلّة ، عليها خطوطُ إجَازاتهم ، منهم زيد بن الحسن بن زيد الكندى إمام عصره عربيّةً وحديثًا ، وتاريخ إجازته سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وهى نسخة ابن ولّاد تلميذ ثعلب والمبرد ، وتوفى بمصر فى سنة ثمان وتسعين ومائتين .

فما اعترض به الشارح المحقّق على الزجّاجى ، فى زعمه أنَّ أمس فى البيت مبنيّة على الفتح ، حقٌّ لا شُبهة فيه (١) .

وقد غلّطه شراحه ، منهم ابن هشام اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) قال : مذ أمسا جارٌّ ومجرور ، ومُذْ هنا حرفُ جر ، وهى بمنزلة فى ، كأنه قال : لقد رأيت عجبًا فى أمس ، والعامل فيها رأيت ، والفتحة فتحة إعراب ، وهى علامة الخفض كما تكون فيما لا ينصرف . وقد غلط أبو القاسم فيها وزعم أنّها فى البيت مبنية على الفتح ، وإنّما هى فى البيت على لغة بعض بنى تميم . وليس فى العرب من يبنيها على الفتح وهى مخفوضة بمذ ، ولكنّها لا تنصرف عندهم للتعريف والعدل . وإنّما دخل عليه الوَهَم من قول ٢٢١

(١) فى ش حاشية بخط ناسخها هذا نصها :

« قوله : فما اعترض به الشارح المحقق .. الخ . قلت : ليس بحق ، ولم ينفرد به الزجاجى . وقد أقره عليه جملة من الشروح ، وردوا من رد عليه . قال الخفاف : وقد أخذ على أبى القاسم (فى الأصل : ابن القاسم) ذكر بنائها على الفتح ، وقيل إنما هو إعرابه إعراب ما لا ينصرف . وليس كذلك ، فقد حكى الثلاثة الأوجه فى المنتخب لأبى إسحاق الزجاج (فى الأصل : الزجاجى) الذى نقل أبو القاسم منه . انتهى . قلت : نقل الأوجه الثلاثة الهروى فى الذخائر وأقرها ، وقال : إن البناء على الفتحة لغة لبعض تميم . وذكر الثعلبى فى شرح جمل الجرجانى مثله . ومثله فى شرح شواهد الجمل للأعلم وابن السيد البطليوسى . فتأمله . فعدم ذكر سيبويه له لا يدل على نفيه ، إذ ليس فى كلام سيبويه ما يدل على نفيه . والله أعلم » .

سيبويه : وقد فتح قومٌ أمس مع مذ لمَّا رفعوا وكانت فى الجر هى التى ترفع ، شبَّهوها بها . وأنشد البيت على ذلك . فتوهَّم أنه لما ذكر الفتح الذى هو لقبُ البناء أنَّه أراد أن أمس مبنىٌّ . ولو تأمَّل لبانَ له العذر فى ذكر الفتح هنا ، إذْ لايمكن أنْ تسمَّى الحركة التى يحدثها عامل الجرِّ نصبًا ، لأنَّها ليست للنَّصب ، إنَّما هى للجر . وسوَّى بين عمل الجارِّ والناصب دلالة على ضعف الجارِّ فيما لاينصرف ، ولم يسمِّها جرًّا استقلالًا لها ، لأنَّها لمَّا ضُمَّت إلى النصب صارت كأنَّها غير جرٍّ البتة . ألا تراه قال : وجميع ما لا ينصرف إذا أُدخلت عليه الألف واللام انجرّ وهو لم يزل مجرورًا ، إلَّا أنَّه جعل الجر المحمول على النصب غير جرّ . وإلَّا فالعوامل فى المنصرف وغير المنصرف واحدة . فاعلم ذلك . انتهى كلام اللخمى

وقال النحاس : قال سيبويه : قد فتح قوم أمس فى مذْ إلخ . هذا من كلام سيبويه مشكلٌ يحتاج إلى الشرح . وشَرَحه علىُّ بن سليمان قال : أهل الحجاز على ما حكاه النحويُّون ، يكسرون أمس فى الرفع والنصب والخفض ، وبنو تميم يرفعونه فى موضع الرفع بلا تنوين ، يجعلونه بمنزلة ما لا ينصرف . وذلك أنَّه ليس سبيل الظرف أنْ يرفع لأنَّ الأخبار ليست عنه ، فلما أخبروا عنه زادوه فضلةً فأخرجوه من البناء إلى ما لا ينصرف ، فلمَّا اضطر الشاعر أجراه فى الخفض مجراه فى الرفع ، وقدَّر مذ هذه الخافضة ، وفتحه لأنه لا ينصرف . انتهى .

وقال الأعلم : الشاهد فيه إعراب أمس ومنعها من الانصراف ، لأنَّها اسمٌ لليوم الماضى قبل يومك معدول عن الألف واللام . ونظير جرِّها بعد مذ ههنا رفعُها فى موضع الرفع إذا قالوا : ذهب أمسُ بما فيه ، وما رأيته مذ

أمسُ ، وهى لغةٌ لبعض بنى تميم . فلمَّا رُفعت بعد مذ لأنَّ مذ يرتفع ما بعدها إذا كان منقطعًا ماضيًا ، جاز للشاعر أن يخفضه بعدها على لغة من جَرَّ بها فى ما مضى وانقطع ، لأنَّ مذ هذه الخافضة لأمس هى الرافعة له فى لغة من يرفع . وقد بيَّنت هذا وكشفت حقيقته فى كتاب النُّكت . انتهى .

٢٢٢

وليس فى كلام سيبويه ما يدلُّ على أنَّه ضرورة . فتأمَّلْ .

وأمَّا ما وهَّم به الشارح المحقق الزمخشريَّ ، فقد يُمنع بأن يكون الزمخشريُّ ذهب إلى ما حكاه الكِسائى عن بعض بنى تميم ، بأنَّهم يمنعون صرف أمس رفعًا ونصبًا وجرًّا . ونقلَهُ أبو حيان (فى الارتشاف) . ويؤيِّده قول أبى زيد (فى النوادر) : قولُه مذ أمسًا ذهب بها إلى لغة بنى تميم ، يقولون : ذهب أمسُ بما فيه . وقال الجرمى (فيما كتبه على النوادر) : جعل مذ من حروف الجر ولم يصرف أمس ، فتح آخره فى موضع الجر ، وهو الوجه فى أمس [1] .

وأبو زيد من مشايخ سيبويه ، وإذا نقل عنه فى كتابه قال : « حدَّثنى الثقة » .

والشارح مسبوق بالتوهيم ، قال أبو حيان : اختلف النحاة فى إعراب أمس مطلقًا إعراب مالا ينصرف عند بعض تميم ، فذهب إلى إثبات ذلك ابن الباذش ، وهو قول ابن عصفور وابن مالك . وقال الأستاذ أبو علىّ : هذا

(١) فى النوادر ٥٧ : « ولم يصرف أمس ، ففتح آخره وهو فى موضع الجر . والرفع الوجه فى أمس » .

غلط ، وإنّما بنو تميم يعربونه فى الرفع ، ويبنون فى النصب والجر . انتهى .

والبيتان من رجز فى نوادر أبى زيد سمعه من العرب ، وأنشد بعدهما :

(يَأْكلن مافى رَحلهنَّ هَمْسا   لا ترك اللّٰه لهنَّ ضِرسا)

وقال : الهمس : أن تأكل الشىء وأنت تخفيه .

وقوله « عجائزًا » نوّنه لضرورة الشعر ، قيل بيان لقوله عجبًا ، وقيل بَدَلٌ منه . وهو جمع عجوز . قال ابن السكيت : العجوز : المرأة الكبيرة ، ولا تقل عجوزة ، والعامة تقوله . ومثل صفةٌ لعجائز ، وكذا قوله خمسا . والسَّعالى : جمع سِعلاة بالكسر ، ويقال أيضًا سِعلاء بالمد والقصر ، وهى أنثى الغول ، وقيل ساحرة الجنّ . وروى أبو زيد وسيبويه بدله : « مثل الأفاعى » جمع أفعى ، وهى حيَّة يقال هى رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس ، لا تزال مستديرةً على نفسها ، لا ينفع منها تِرياق ولا رُقية . يقال هذه أفعًى بالتنوين لأنه اسمٌ وليس بصفة . كذا فى المصباح .

والرَّحل : المأوى والمنزل ، وروى أيضًا : « يأْكلن ما فى عِكْمهنَّ » والعَكم : العِدْل بكسر أوّلهما

وجملة « لا ترك الله » إلخ دعائية . وزاد ابنُ السِّيد (فى أبيات الجمل) بعد هذا :

* ولا لقينَ الدهرَ إلّا تعسا *

وقال : التعس : السُّقوط على القفا . وزاد ابن هشام اللخمى :

(فيها عجوزٌ لا تُساوِى فَلْسا   لا تأْكل الزُّبدةَ إلَّا نهسا)

والبيت الشاهد من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عرف قائلها . وقال صاحب الشاهد ابن المستوفى : وجدت هذه الأبيات الثمانية فى كتاب نحوٍ قديم ، للعجاج أبى رؤبة . وأراه بعيدًا من نمطه .

وقوله : « لا تأْكل الزُّبدة إلَّا نهسا » ، أى لا أسنانَ لها ، فهى تنهسها . وهو إغراقٌ وإفراط . والنَّهْس : أخذ اللحم بمقدَّم الأسنان . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الخمسمائة [١] :

٥٢٣ (لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أَفْضَلْتَ فى حَسَبٍ
عَنِّى ولا أنتَ ديَّانى فتَخْزُونى)

على أنَّ أصل (لاهِ ابنُ عمِّكَ) : للهِ ابنُ عمِّك ، فحذف لام الجر لكثرة الاستعمال ، وقدَّر لام التعريف ، فبقى لاه ابنُ عمك ، فبُنِىَ لتضمُّن الحرف .

وصريحُه أنَّ كسرة الهاء كسرة بناء ، وظاهر كلام المفصَّل أنَّها كسرة إعراب ، قال : وتضمر ، أى باء القسم ، كما تضمر اللام فى : لاه أبوك ؛ فإنَّ المضمر يبقى معناه وأثرُهُ ، بخلاف المحذوف فإنَّه يبقى معناه ولا يبقى أثره . كذا حققه السيِّد عند قول الكشاف فى تفسير : ﴿ يَجْعَلُون

(١) مجالس العلماء للزجاجى ٧١ والخصائص ٢ : ٢٨٨ وابن الشجرى ٢ : ١٣ ، ٢٦٩ والإنصاف ٣٩٤ وابن يعيش ٨ : ٥٣/٦ : ١٠٤ والمقرب ٤٢ والمغنى ١٤٧ والعينى ٣ : ٢٨٦ والتصريح ٢ : ١٥ والأشمونى ٢ : ٢٣٣ والمفضليات ١٦٠ ، ١٦٢ .

أصابِعَهم [١] ﴾ ؛ لأنَّ المحذوف باقٍ معناه [٢] وإن سقطَ لفظه .

قال ابن يعيش (فى شرحه) : اعلم أنَّهم يقولون : لاهِ أبوك ، ولاهِ ابنُ عمك ، يريدون : لله أبوك ولله ابن عمك . قال الشاعر :

لاه ابنُ عمك لا أفضلت فى حسب .... البيت

أى لله ابنُ عمك ، فحُذفت لام الجر ولام التعريف ، وبقيت اللام الأصلية . هذا رأى سيبويه . وأنكر ذلك المبرد ، وكان يزعم أنَّ المحذوف لام التعريف واللام الأصليَّة ، والباقية هى لام الجر وإنَّما فتحت لئلا ترجع الألف إلى الياء ، مع أنَّ أصل لام الجر ، الفتح . وربَّما قالوا ، لَهْىَ أبوك ، فقلبوا اللام إلى موضع العين وسكَّنوا ؛ لأنَّ العين كانت ساكنة وهى الألف ، وبنوه على الفتح لأنَّهم حذفوا منه لام التعريف وتضمّن معناها ، فبُنِىَ لذلك كما بنى أمس والآن ، وفتح آخره تخفيفًا لما دخله من الحذف والتغيير . انتهى .

وقال الأندلسى (فى شرحه أيضًا) عند قوله « وتضمر كما تضمر اللام » إلخ : هذا هو الوجه الثالث ، وهو أن تحذف الحرف لفظًا وتقدِّره معنًى فيبقى عمله ، كما تضمر ربَّ . ٢٢٣

وقال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : قوله لاه أراد : لله ، حذف لام الجر واللام الأولى من الله [٣] . وكان المبرد يرى أنَّه حذف

(١) الآية ١٩ من سورة البقرة .

(٢) ط : « باق بمعناه » ، صوابه فى ش والكشاف .

(٣) فى النسختين : « من الله » ، صوابه من الاقتضاب ٤٤٢ .

اللامين من الله (١) وأبقى لام الجر وفتَحها . وحجته أنَّ حرف الجر لا يجوز أن يحذف . انتهى .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : قوله لاه ابن عمك أصله لله ، فحذف لام الجر وأعملها محذوفة ، كما فى قوله ، اللهِ لأفعلنَّ ، وأتبعها فى الحذف لام التعريف ، فبقى لاهِ بوزن عال . ولا يجوز أنْ تكون اللام فى لاه لام الجرّ (٢) وفتحت لمجاورتها للألف ، كما زعم بعض النحويِّين ، لأنَّهم قالوا : لَهْىَ أبوك ، بمعنى لله أبوك ، ففتحوا اللام ولا مانع لها من الكسر فى لَهْى لو كانت الجارّة ، وإنما يفتحون لام الجرّ مع المضمر فى نحو : لك ولنا ، وفتحوها فى الاستغاثة إذا دخلت على الاسم المستغاث به ، لأنَّه أشبه الضمير من حيث كان منادًى ، والمنادى يحلُّ محلَّ الكاف من نحو : أدعوك . فإنْ قيل : فكيف يتصل الاسم بالاسم فى قوله لاه ابن عمك بغير واسطة وإنما يتصل الاسم بالاسم فى نحو : لله زيد ولأخيك ثوب ، بواسطة اللام ؟ فالجواب : أنَّ اللام أوصلت الاسم بالاسم وهى مقدَّرة كما تحمَّلت الجرَّ وهى مقدرة . انتهى .

فهؤلاء كلهم صرَّحوا بأنَّ الكسرة إعراب ، وأن لاه مجرور باللام المضمرة .

وكأنَّه ، واللهُ أعلمُ ، اختصر كلامَه من أمالى ابن الشجرى فوقع فيما وقع (٣) . وهذه عبارة ابن الشجرى (٤) :

---

(١) ط : « من لله » ، صوابه فى ش والاقتضاب .
(٢) ط : « الجار » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٤ .
(٣) البغدادى يشير هنا إلى نص الرضى الذى سبق فى أول الشاهد .
(٤) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥ .

أقول : إنَّ الاسم الذى هو لاه على هذا القول تامّ ، وهو أن يكون أصله لَيَه على وزن جَبَل ، فصارت ياؤه أَلفًا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها . ومن قال : لَهْى أَبوك فهو مقلوب من لاه ، فقدِّمت لامه التى هى الهاء على عينه التى هى الياء فوزنه فَلْع . وكان أَصله بعد تقديم لامه على عينه : لِلَهْىَ ، فحذفوا لام الجر ثم لام التعريف ، وضمَّنوه معنى لام التعريف فبنَوْه ، كما ضمنوا معناها أَمسِ فوجب بناؤه ، وحرَّكوا الياء لسكون الهاء قبلها ، واختاروا لها الفتحة لخفَّتها . انتهى .

وقول الشارح المحقق ، كما هو أَحد مذهَبَىْ سيبويه فى الله ، وهو أَنَّه من لاه يَليهُ ، قال ابن الشجرى : أَصل هذا الاسم الذى هو الله تعالى مسمَّاه إِلاه فى أَحد قولى سيبويه بوزن فِعال ، ثم لاهِ بوزن عال . ولمَّا حذفوا فاءه عوَّضوا منها لام التعريف ، فصادفت وهى ساكنةٌ اللام التى هى عينٌ وهى متحرِّكة ، فأُدغمت فيها . إلى أَن قال : وهذا قول يونس بن حبيب ، وأَبى الحسن الأَخفش ، وعلى بن حمزة الكسائى ، ويحيى بن زياد الفراء ، وقطرب بن المستنير . وقال بعد وفاقه لهذه الجماعة : وجائز أَن يكون أَصله لاه ، وأَصل لاه لَيَه على وزن جبل (١) ، ثم أَدخل عليه الأَلف واللام فقيل الله . واستدلَّ على ذلك بِقول العرب : لهْىَ أَبوك ، يريد لاهِ أَبوك . قال : فتقديره على هذا القول فَعَل ، والوزن وزن باب ودار . وأَنشد للأَعشى (٢) :

كحلقَةٍ من أَبى رِياح يسمعها لاهُه الكُبارُ

---

(١) الذى فى الأمالى : « على وزن فعل » .

(٢) ط : « وأنشد الأعشى » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى .

وللذى الإصبع العَدْوانىّ :

لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أُفضِلتَ فى حسبٍ .... (البيت)

انتهى كلام سيبويه . هذا كلامه [1] .

وأقول : هذان البيتان ليسا بموجودين فى كتاب سيبويه كما نبَّهنا سابقًا فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائة [2] .

٢٢٤ وقد تكلَّم أبو على الفارسى على قولهم : لَهْىَ أَبوك (فى التذكرة القصرية) ، (وفى إيضاح الشعر) فلا بأس بنقل كلاميْه لمزيد الفائدة والإيضاح :

قال (فى التذكرة) : لهى أبوك مقلوب من لاه ، على القول الذى لاه فيه فعل ، أى بفتحتين ، لا على القول الذى لاه فيه عالٍ محذوفة الفاء وهى همزة إلاه . ومن إشكال هذه المسألة مخالفة وزنها لوزن ما قُلبت منه ، لأنَّ الأصل فعل أى بفتحتين ، ولهى فلْع أى بسكون اللام . ومن إشكالها أيضًا أنَّ المقلوب منه مُعْرب وهو لاه ، والمقلوب مبنىّ على الفتح وهى لهىَ . وإنَّما جعلنا لهى هو المقلوب لأنَّه أقل تمكنًا وأكثر تغييرًا ، بدليل أنَّ اسم الله تعالى معرب متصرِّف فى الخبر والنداء ، أى ليس هو مبنيًا ؛ ودخول جميع العوامل عليه ، ولهى أبوك مبنىٌّ لا يزول عن هذا الموضع ، فهو بهذا أكثر تغييرًا وأقل تمكنًا . ولا نخرج لاه فى كلامهم مع ما قد ذكرنا من الدَّليل على أنَّه الأصل أنَّه ليس له أصلٌ اشتقَّ منه ، إذْ كان فى كلامهم ما العين فيه ياء كثيرٌ . فأمَّا مخالفة

(1) الذى فى أمالى ابن الشجرى : « انتهى كلامه ، أى كلام سيبويه » .

(2) الخزانة ٢ : ٢٦٨ .

وزن لهى الأَصلَ الذى قلبت منه فقد جاء مثلُه ، قالوا فُوقٌ ، فعين الفُعْل منه ساكنة ، وقال امرؤُ القيس :

* ونَبْلى وفقاها كعراقيب (١) *

فقلب العينَ إلى موضع اللام وحرَّك اللام كما سكن اللام فى لهى ، وذلك لأَن المقلوب بناء مستأنف ، فجائز أَن يأتىَ مخالفًا لما قُلب منه . يدلُّك على أَنَّه بناء مستأنف قولهم : قسىٌّ ، هى مقلوب من قُووس ، وهم لا يتكلمون بقووس البتة ، فتركهم الكلام بالأَصل يَدُلُّك على أَنَّ المقلوب مبنىٌّ بناء مستأْنفًا ، لأَنَّه لو لم يكن مستأْنفا وكان هو المقلوب منه لكان المقلوب منه متكلَّمًا به ، وإذا ثبت أَنَّه بناءٌ مستأْنف لم يُنكر أَن يأْتى على غير وزنِ المقلوب منه ، كما أَنَّه لما أَنْ كانت أَبنيته مستأْنفة لم يُنكَر أَن تجىء على وزن الواحد . وأَمّا وجهُ بنائه فهو أَنَّه تضمَّن معنى حرف التعريف كما تضمنَ أَمسِ ذلك . أَلا ترى أَنَّه فى معنى لله أَبوك ، وليس فيه حرف التعريف . وحرِّك بالفتح كراهةً للكسر مع الياء . ولا يُحكم بأَنَّ لاهِ مبنى وأَنت تجد سبيلًا إلى الحكم له بالإعراب . أَلا ترى أَنَّه اسم متمكن منصرف ، فلا يحكم له بالبناء إلَّا بدليل ، كما لم يحكم للهىَ إلَّا بدليل ، وهو الفتح . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « وتبكى وفقاها » ، والصواب ما أثبت من اللسان (فوق ، فقا) وأخبار النحويين البصريين للسيراف ، فى ترجمة (أبى عمرو بن العلاء) من أبيات منسوبة لامرئ القيس بن عابس الكندى ، وتروى أيضا للفند الزِّمانى . ورواها ابن قتيبة فى الشعراء ٨٥ بدون نسبه . والبيت بتمامه :

ونبلى وفقاها كـ ـعراقيب قطا طحلِ

وكتب ناسخ ش بخطه : « قوله وتبكى إلخ كذا بخط المؤلف ، وهو تحريف ، والصواب الذى لا محيد عنه :

ونبلى وفقاها كـ ـعراقيب قطا طحل

والبيت لامرئ القيس بن عابس ، بالباء الموحدة ، الكندى الصحابى » .

وصريح كلامه أخيرًا يردُّ ما زعمه الشارح من بناء لاه .

وقال (فى إيضاح الشعر) : تحذف حروف المعانى مع الأسماء على ضروب :

أحدها : أن يحذف الحرف ويضمَّن الاسم معناه ، وهذا يوجب بناء الاسم ، نحو أينَ وخمسةَ عشرَ ، وأمس فى قول الحجازِّيين ومَن بناه ، ولَهْىَ أبوك .

والآخر : أن يعدَل الاسم عن اسمٍ فيه حرف ، فهذا المعدول لا يجب بناؤه ، لأنَّه لم يتضمَّن الحرف فيلزم البناء ، كما تضمَّنه الأوَّل ، لأنَّ الحرف يراد فى ذلك البناء الذى وقع العدل عنه . وإذا كان هناك مرادًا لم يتضمَّن هناك الاسم . ألا ترى أنَّه محال أن يراد ثَمَّ [1] ، فيعدل هذا عنه ويتضمَّن معناه ، لأنَّك إذا ثبَّتَّ الحرف فى موضعين فلا يكون حينئذ عدلا . ألا ترى أنَّ العدل إنَّما هو أن تلفظ ببناءٍ وتريد الآخر ، فلابدَّ من أن يكون البناء المعدول غير المعدول ومخالفًا له . ولا شيء يقع فيه الخلاف بين سحر المعدول والمعدول عنه إلَّا إرادة لام التعريف فى المعدول عنه وتعرِّى المعدول منه . فلو ضمَّنْتَه معناه لكان بمنزلة إثباته ، ولو أثبتَّه لم يكن عدلا . فإذا كان كذلك لم يجز أن يتضمَّنه وإذا لم يتضمَّنْه لم يجز أن يُبنَى كما بنى أمس . ٢٣٥

والضرب الثالث : أن تحذفَ الحرف فى اللفظ ويكون مرادًا فيه . وإنَّما تحذفه من اللفظ اختصارًا واستخفافًا . فهذا يجرى مجرى الثبات . فمن هذا القِسم الحذف فى جميع الظروف ، حُذفت اختصارًا ، لأنَّ فى ذكرك الأسماء

(١) ط : « تم » ، صوابه فى ش .

التى هى ظروفٌ دلالةً على إرادتها . ألا ترى أنك إذا قلت جلستُ خلفك وقدِمت اليومَ ، عُلم أنَّ هذا لا يكون شيئًا من أقسام المفعولات إلَّا الظرف . فلما كان كذلك كان حذفُها بمنزلة إثباتها ، لقيام الدّلالة عليها . فإذا كنَيْت رددت فى التى كانت محذوفة للاختصار ، وللدلالة القائمة عليها ، لأنَّ الضمير لا يتميَّز ولا ينفصل كما كان ذلك فى المظهر . ألا ترى أنَّ الهاء فى كناية الظرف كالهاء فى كناية المفعول به . فإذا رددت الحرف الذى كنت حذفته فوصلته به دلَّ على أنَّه من بين المفعولات ظرف . فقد علمتَ بردِّك له فى الإضمار أنَّك لم نضمِّن الاسم معنى الحرف فتبنِيَه ، وأنَّه مراد فى حال الحذف ، لأنَّ فى ظهور الاسم دلالةً عليه ، فحذفته لذلك . فهذا يشبه قولهم : اللهِ لأفعلنَّ ، فى أنَّهم مع حذفهم ذلك يجرى عندهم مجرى غير المحذوف ، إلَّا أنَّه لما حذف فى الظرف واستُغنِىَ عنه وَصَل الفعلُ إليه فانتصب . والجارُّ إذا حذفوه على هذا الحدِّ الذى ذكرته لك من أنَّ الدلالة قائمة على حذفه ، يجرى على ضربين : أحدهما : أن يوصل الفعل كباب الظروف ، واخترتُ الرجالَ زيدًا . والآخر : أن يوصل الفعل ولكن يكون الحرف كالمثبت فى اللفظ ، فيجرُّون به كما يجرُّون به وهو مثبت ، وذلك قولهم : اللهِ ، وكما قام لنا من الدلالة على حذفهم له فى « وبلدٍ [1] » ، وكما ذهب إليه سيبويه فى :

* ونارٍ توقَّدُ باللَّيلِ نارا [2] *

---

(١) إشارة إلى ما أنشده سيبويه فى ١ : ٤٦٥ (٣ : ٦٢٨ من نسختى) من قول الراجز :

* وبلد تحسبه مكسوحا *

(٢) إشارة إلى قول أبى دُوَاد . سيبويه ٢ : ٣٣ :

أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا

وكما ذهب بعض المتقدِّمين من البصريين فى قوله : ﴿ واختلافِ الليل [١] ﴾ إلى أنه على ذلك . ولو قال قائل فى إنشاد من أنشد :

* ولا مستنكَرٍ أن تعقَّرا [٢] *

إلى هذا الوجه لكان قياسَ هذا القول . فأمّا تركهم الردَّ فى حال الإضمار فى نحو :

ويومٍ شهدناه سُليمًا وعامرًا قليل سِوى الطَّعنِ النِّهالِ نوافلُهْ

فمنهم من يقول : إنَّما فعل ذلك لأنَّ الإضمار لا يكون إلَّا بعد مذكور ، فيعلم أنَّه إضمارُ ذلك . وهذا إذا اتَّسعوا فيه فجعلوا نصبه نصبَ المفعول به لم يلزم أن يكون عليه دلالة كما كان فى حال كونه ظرفًا . فأمَّا قولهم : لَهْىَ أبوك ، فلن تكون هذه اللام الثانية فى الاسم إلا التى هى فاء الفعل . والدليل على ذلك أنَّها لا تخلو من أن تكون الجارّة ، أو المعرِّفة ، أو التى هى فاء . فلا يجوز أن تكون المعرِّفةَ لأن تلك يتضمَّنها الاسم ، وإذا تضمنها الاسم لم تظهر . ألا ترى أنَّ الواو فى خمسةَ عشر لا تثبت ، واللام فى أمس فى قول من بَنَى لا تظهر . فلما كان الاسم هنا مبنيًّا أيضًا على الفتح ، ولم يكن فيه معنًى يوجب بناءَه على تضمُّنه لمعنى حرف التعريف ، وجب أيضًا أن لا يظهر كما لم يظهر أيضًا فيما ذكرت لك . فإذا لم يجز ظهور حرف التعريف لم تخلُ المحذوفة من أحد أمرين : إما أن تكون الجارّة ، أو التى هى فاء

---

(١) من الآية ١٦٤ من البقرة و ١٩٠ من آل عمران و ٥ من الجاثية .

(٢) هو قول النابغة الجعدى . سيبويه ٢ : ٣٢ :

فليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

(٣) سيبويه ١ : ٩٠ وابن الشجرى ١ : ٦ والكامل ٢١ .

الفعل . فلا يجوز أن تكون الجارّة لأنّها مفتوحة وتلك مكسورة مع المظهرة ، فلا يجوز إذًا أن تكون إيَّاها للفتح . فإن قال قائل : ما تُنكر أن تكون الجارّةَ وإنَّما فتحت لأنَّها جاورت الألف ، والألف يُفتح ما قبلها ؟ قيل له : الدلالة على أنَّها فى قولهم لاه أبوك هى الفاء وليست الجارّة ، أنها لو كانت الجارّة فى لاهِ وفتحت لمجاورة الألف لوجب أن تكسر فى لهى ولا تفتح ، لزوال المعنى الذى أوجب فتحَه ، وهو مجاورة الألف . فعلمتَ أنَّ الفتح لم يكن لمجاورة الألف .

٢٢٦

فإن قال : ترك فى القلب كما كان فى غير القلب ، فذلك دعوى لا دلالة عليها ، ولا يستقيم فى القلب ذلك . ألا تراهم قالوا جاهٌ فى قلب وَجْه ، وفُقًا فى فُوق . فإذا كانوا قد خصُّوه بأبنيةٍ لاتكون فى المقلوب عنه دلَّ على أنَّه ليس يجب أن يكون كالمقلوب عنه . على أنَّ ادِّعاء فتح هذه اللام مع أنَّها الجارة ، لا يسوغ فى اللغة التى هى أشيع وأفْشَى . ولم تفتَح [1] فى هذه اللغة الشائعة إلا مع المنادى ، وذلك لمضارعته المضمر . فإذا لم يجز ذلك ثبت أنَّها فاء الفعل ، وإذا ثبت ذلك ثبت أنَّ الجارة مضمرة ، لابدَّ من ذلك . ألَا ترى أنَّك إن لم تضمر يتَّصل الاسم الثانى بالأوَّل ، لأنَّه ليس إياه . فالمعنى إذًا : لله أبوك .

وممَّا يدلُّ على فساد قول من قال إنَّ هذه اللام هى الجارّة أنَّها إذا كانت إياها كانت فى تقدير الانفصال من الاسم ، من حيث كان العامل فى تقدير الانفصال عن المعمول فيه ، فإذا كان كذلك فقد ابتدأ الاسمُ أوَّله ساكن . وذلك ممَّا قد رفضوه ولم يستعملوه . ألا ترى أنَّهم لم يخففوا الهمزة إذا

---

(١) ط : « ولم يفتح » ، وأثبت ما فى ش .

كانت أول كلمة من حيث كان تخفيفها تقريبًا من الساكن . فإذا رفضوا التقريب مِن الساكن فى الابتداء – فأَنْ يرفضوا فيهِ الابتداء بالساكن نفسه أولى .

ويدلُّ على فساد ذلك أنَّهم لم يخرِمُوا [أوّل] (١) متفاعلن كما خرموا أوّل فعولن ومفاعلن ونحو ذلك ، مما يتوالى فى أوله متحرّكات (٢) لأنَّ متفاعلن يسكن ثانيه للزحاف ، فيلزم لو خرموه كما خرم فعولن الابتداء بالساكن (٣) . وعلى هذا قال الخليل : لو لفظت بالدال من قد ، والباء من اضرب لقلت أُد ، وإِب ، فاجتَلبت همزة الوصل . وقال أبو عثمان : لو أُعللت الفاء من عِدَة وزِنة ونحوهما ولم تحذفها للزمك أن تجتلب همزة الوصل فيها فتقول : إعدة (٤) . ومن زعم أنَّ الهمزة فى أنا كان الأصل فيها ألفًا (٥) ثم أُبدل منها همزة فقد جهِل ما ذكرناه من مذاهب العرب ومقاييس النحويِّين . فأمَّا أَمْسِ فقد جوَّزت العرب فيه ضربين : ضمَّنها قوم معنى الحرف فبنَوها فى كلِّ حال ، وعَدَلها آخرون فلم يصرفوه ، فهؤُلاءِ جعلوه بمنزلة سحَر فى باب العدل وأنَّهم لم يضمِّنوه الحرف . فأما أُخَرُ والعدل فيه فله موضعٌ آخر يذكر فيه إن شاء الله تعالى .

انتهى كلام أبى على ، ولتعلُّق جميعه بهذا البابِ سقناه برمته ، ليكون كالتتِمَّة له ، وبالله التوفيق .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لذى الإصْبَع العَدْوانىّ ، وهو شاعر جاهلىّ ،

(١) التكملة من ش .

(٢) ش : « متحركان » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) ش : « لو خرمه كما خرم » فقط .

(٤) ش : « ايعدة » ، والوجه ما فى ط .

(٥) ط : ط « ألف » ، صوابه فى ش .

وتقدمت ترجمته فى الشاهد الخامس والثمانين بعد الثلثمائة [١] . وعدَّتها فى رواية المفضَّل (فى المفضَّليات) ثمانية عشر بيتًا ، وفى رواية ابن الأنبارى فى شرحها عن أبى عكرمة ، ورواية أبى على القالى فى أماليه ، ستة وثلاثون بيتًا . واقتصرنا على رواية المفضل . قالها فى ابن عمٍّ له كان ينافِسُه ويُعاديه ، وهى :

(لى ابنُ عمٍّ على ما كانَ من خُلق ... مختلفـانِ فأُقليـهِ ويَقْلينـى

٢٢٧ أَزرَى بنا أنَّنا شالت نعامتُنا ... فخالَنى دُونَه وخِلتُه دونى

ياعمرُو ، إلَّا تدَعْ شتمى ومنقَصَتى ... أَضربْك حتَّى تقولَ الهامةُ اسقُونى

لاهِ ابنُ عمِّك لا أفضَلْتَ فى حسبٍ ... عنِّى ولا أنت دَيَّانى فتخـزُونى

ولا تقوتُ عيالى يومَ مَسغَبةٍ ... ولا بِنفْسِكَ فى العَزَّاء تَكفينى

إنِّى لعمرُكَ ما بابى بذى غَلَقٍ ... عن الصَّديق ولا خيرى بممنونِ

ولا لسانى على الأدنَى بمنطلِقٍ ... بالفاحشات ، ولا فتكى بمأمونِ

عَفٌّ يؤوسٌ إذا ما خِفْتُ من بلد ... هُونًا فلستُ بوقَّافٍ على الهُونِ

عنِّى إليكَ فما أُمِّى براعيةٍ ... تَرعى المَخَاضَ وما رأيِى بمغبونِ

كلُّ امرئٍ راجعٌ يومًا لشيمته ... وإنْ تَخالَقَ أخلاقًا إلى حين

إنِّى أَبىٌّ أَبىٌّ ذو مُحافظةٍ ... وابنُ أَبىٌّ أَبىٌّ من أُبيِّينِ

وأنتمُ معشرٌ زَيدٌ على مائـة ... فأجمعوا أمرَكم كُلًّا فكيـدونى

فإنْ عَرفتم سبيلَ الرُّشد فانطلقوا ... وإنْ جهِلتم سبيلَ الرُّشد فأتونى

ماذا علىَّ وإن كنتم ذوِى كرمٍ ... أن لا أُحبَّكُمُ إن لم تحبُّونى [٢]

---

(١) الخزانة ٥ : ٢٨٤ .

(٢) ش : « إذ لم تحبونى » .

لو تشربون دمى لم يَرْوَ شاربُكم ولا دماؤكمُ جمعًا ترويِّنى
الله يَعلمنى والله يَعلمكمْ والله يجزيكمُ عنِّى ويَجزينى
قد كنتُ أُوتيكمُ نصحى وأَمنَحُكم وُدِّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدر مكنونِ
لا يُخرج الكَرهُ منِّى غيرَ مأْبيةٍ ولا أُلينُ لمن لا يبتغى لينى)

ومن رواية أَبى عكرمة :

(فإنْ تُرِدْ عرَضَ الدُّنيا بمنقصَّتِى فإنَّ ذلك مما ليس يُشجينى
ولا يرى فىَّ غيرَ الصَّبر منقصةٌ وما سواهُ فإنَّ الله يكفينى
لولا أَياصرُ قُربَى لستَ تحفظُها ورهبةُ الله فيمن لا يعادينى
إذن برَيْتُكَ بَرْيًا لا انجبارَ له إنى رأَيتُك لا تنفَكُّ تَبْرينى
إنَّ الذى يَقبِضُ الدُّنيا ويبسُطُها إنْ كان أَغناكَ عنِّى سوفَ يُغنينى
ياعمروُ ، لو لنتَ لى أُلفَيتَنى بشرا سَمحًا كريمًا أُجازِى من يجازينى[1]
واللهِ لو كرِهتْ كفِّى مصاحبتى لقلت إذ كرهتْ قُربى لها بِينى)

وقوله : « لى ابن عمٍّ ، عُلم مِن هذا ، أَنهما اثنان . فقوله مختلفان خبر مبتدأ مضمر ، أَى نحن .

وقوله : « مِن خلق » أَى من تخالق . وكان تامّة أَى ثَبت ، ومن بيانٌ لما .

ومطلع القصيدة على رواية أَبى عكرمة والقالىّ :

(يا مَنْ لقلبٍ شديدِ الهمِّ محزونِ أَمسى تذكَّـرَ ريَّـا أُمَّ هارونِ

(١) ط : « لو كنت لى » ، صوابه فى ش . وفى المفضليات ١٦٤ : « يَسَرًا » .

٢٢٨

أمسى تذكُّرها من بعد ماشحَطتْ والدهرُ ذو غلظةٍ حينًا وذو لينِ

فإنْ يكنْ حبُّها أمسى لنا شجنًا فأصبح الوأْىُ منها لا يواتينى

فقد غَنِينا وشملُ الدَّهر يجمعُنا أُطيعُ ريًّا وريًّا لا تُعاصينى

ترمى الوشاة فلا تخطى مقاتلهم بصادقٍ من صَفاء الودِّ مكنون

ولى ابنُ عم على ما كان من خلق .... إلى آخره)

والشجن : الحزن . والوأى : الوعْد . وغنينا : أقمنا .

وقوله أزرى بنا ، إلخ قال ابن الأنبارى : يقال أزرى به ، إذا قصَّر [1] ، وزَرَى عليه إذا عابه . وقوله : « شالت نعامتُنا » أى تفرَّق أمرنا واختلف . يقال عند اختلاف القوم : شالت نعامتهم ، وزَفَّ رَأْلهم . والرأْل : فَرْخ النَّعام . وقيل يقال شالت نعامتهم ، إذا جلَوْا عن الموضع . والمعنى : تنافرنا فصرتُ لا أطمئنُّ إليه ولا يطمئن إلىَّ ، ويقال أَلقَوْا عصاهم ، إذا سكنوا واطمأنُّوا . انتهى .

وقال الزمخشرى (فى المستقصى) : شالت نعامتهم ، أى تفرَّقوا وذهبوا . لأنَّ النعامة مَوْصوفةٌ بالخِفَّة وسرعة الذَّهاب والهرب . ويقال أيضًا خفَّت نعامتهم وزَفَّ رألهم . وقيل : النعامة : جماعة القوم . وأنشد البيت مع أبيات أُخر .

وقوله : « ياعمرو إلَّا تَدَعْ شتمى » إلخ قال ابن الأنبارى : قال الأصمعى : العرب تقول : العطش فى الرأْس . وأنشد قول الراجز :

قد علمَتْ أنِّى مروِّى هامِها ومُذهبُ الغليلِ من أُوامِها

* إذا جعلتُ الدَّلوَ فى خِطامها *

---

(١) ط : « قصد » ، صوابه فى ش .

الغليل : شدّة العطش . والأُوام : حَرٌّ تجده فى أَجوافها . وأَنشد أَيضًا :

* ستعلم إنْ متنا صدًى أَيُّنا الصَّدِى [١] *

صَدًى أَى عَطَشا . والمعنى : إن لا تَدعْ شتمى اضربْك على هامتك حيث تَعطَش . ويقال إنَّ الرجل إذا قُتل فلم يُدرَك بثأْره خرجت هامةٌ من قبره فلا تزال تصيح : اسقونى اسقونى ! حتَّى يُقتل قاتلُه . وأَنشد فى ذلك :

فإن تك هامـةً بِهَـراةَ تزقُـو فقد أَزقيتَ بالمَرْوَيْنِ هاما [٢] . انتهى

قال الشريف المرتضى (فى أَماليه) بعد نقل هذا : وهذا باطلٌ لا أَصل له . ويجوز أَن يعنيَه ذو الإصبع على مذاهب العرب .

وقوله : (لاهِ ابنُ عمك) إلخ أَصله : للّه ابن عمك ، فحذف لام الجر مع لام التعريف وبقى عمله شذوذا ، وهو خبر مقدَّم ، وابن عمك مبتدأٌ مؤخر ، واللام المحذوفة للتعجُّب [٣] .

ونقل الشريف المرتضى عن ابن دريد أَنَّه قال : أَقسَمَ وأَراد : للّه ابنُ عمك ، فتكون اللام للقسم ، وجملة لا أُفضلت جوابه .

وهذا غير صحيح ، لأَنه يبقى قوله ابن عمك ضائعًا .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : أَصله للّه درُّ ابن عمِّك . وهذا تكلُّف لأَنَّه إجْحاف مستغنًى عنه بجعل اللام للتعجب ، ويكون جملة لا أُفضلت إلخ

---

(١) لطرفة فى معلقته . وصدره :

* كريم يروى نفسه فى حياته *

(٢) لعبد الله بن خازم السلمى ، فى الأمالى ٣ : ٣١ والمخصص ٨ : ١٦٢ والحيوان ٢ : ٢٩٩ .

(٣) ما بعدها إلى « للتعجب » التالية فى آخر الصفحة ساقط من ش .

بيانًا وتفسيرًا لجهةِ التعجُّب من كمال صفاته ، المقتضى للتعجُّب منها .

وقال ابن الأنبارى : وروى : « لاه ابنِ عمِّك » بالخفض ، وهو قسمٌ ، المعنى : رَبِّ ابن عمك بخفض ربّ ، فيكون على هذا ربّ تابعًا للفظ الجلالة بالوصفيَّة ، ويكون جملة لا أفضلت إلخ جوابَ القسم ، واللام المضمرة للقسم ، ولاه مقسم به .

وقد أورد الشارح المحقِّق هذا البيت (فى عن) من حروف الجر ، على أنَّها هنا فى بابها من المجاوزة ، وأفضلت مضمَّن لمعنى تجاوزت فى الفضل .

وأورده ابن هشام (فى المغنى) على أنَّ عن فيه بمعنى على ، قال : لأن المعنى المعروف : أفضلت عليه .

٢٢٩ وهذا قول ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، وتبعه ابن قتيبة وغيره .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : ذهب يعقوب بن السكيت ، ومِن كتابه نقل ابن قتيبة هذه الأبواب ، إلى أنَّ عن ههنا بمعنى على . وإنَّما قال ذلك لأنَّه جعل أفضلت من قولهم أفضلت على الرجل ، إذا أوليته فضلا . وأفضلت هذه تتعدَّى بعلى ، لأنَّها بمعنى الإنعام . ومعناه إنَّك لم تنعم علىَّ بأن شرَّفتنى فتعتدَّ [1] بذلك علىَّ . وقد يجوز أن يكون من قولهم : أعطى وأفضل ، إذا زاد على الواجب . وأفضل هذه أيضًا تتعدّى بعلى ، يقال

(١) ط : « فتعتدى » ، صوابه فى ش والاقتضاب ٤٤٢ .

أفضل على كذا ، أى زاد عليه فضلةً . وقد يجوز أن يكون من قولهم : أفضل الرجلُ إذا صار ذا فضلٍ فى نفسه ، فيكون معناه ليس لك فضلٌ تنفرد به عنّى وتحوزُه دونى . فتكون عن هنا واقعةً موقعها غير مبدلة من على . انتهى .

ومنه أُخذ ما نقله ابن الملّا بقوله : قيل ضمَّن أَفضل معنى انفرد ، فعدّى بعن ، لأنَّه إذا أَفضلَ عليه فى الحسب أى زاد فقد انفرد عنه بتلك الزيادة . وقيل هى على بابها ، لأنَّه إذا كان أَفضلَ وكان فوقَه فى الحسب فقد زاد عنه وصار فى حيِّز ، فكأنَّه يقول : مازاد قدْرُك عن قدرى ، ولا ارتفع شأْنك عن شأْنى . انتهى .

هذا وقد روى صاحب الأغانى [1] :

لاهِ ابن عمك لاأَفضلتَ فى حسبٍ   شيئًا ....

وعليها لَا يكون فى البيت عن ، فلا يأْتى هذا البحث .

وعلى تلك كان الظاهر أَن يقول « عنه » بضمير الغائب ، لكنَّه التفت من الغيبة إلى التكلم .

قال ابن السِّيد : ويعنى بابن العم المذكور نفسَه ، فلذلك ردَّ الإخبار بلفظ المتكلِّم ولم يُخرجْه بلفظ الغيبة ، لئلَّا يتوهَّمَ أَنَّه يعنى نفْسَه . ولو جاء بالكلام على لفظ الغيبة لكان أَحسن ، ولكنه أَراد تأْكيد البيان ورفع الإشكال .

و (الحسَب) : ما يعدُّه الإنسان من مآثر نفسه .

و (الدَّيَّان) : القيِّم بالأَمر المجازِى به ، وهو فعَّال من الدِّين وهو الجزاء . وفى القاموس : الديَّان : القهَّار ، والقاضى ، والحاكم ، والمجازِى الذى لا يُضيع عملًا ، بل يجزى بالخير والشر .

---

(١) الأغانى ٣ : ٩ .

و (تخزونىْ) بالخاء والزاى المعجمتين : مضارع خزاه خَزْوًا بالفتح : ساسه وقهره وملكه . وأما الخِزْى بالكسر وهو الهَوان والذُّل فالفعل منه كرضِى . وأخزاه الله : فضحه . قال الدمامينى : يحتمل الرفع والنصب فى فتخزونى [١] كما يحتملهُما نحوُ : ما تأتينا فتحدثنا ، أى ولا أنت مالكى فأنت تسوسنى ، أو ليس لك ملك فسياسة . وعلى تقدير النصب فالفتحة مقدَّرة كما فى قوله :

* أَبَى اللهُ أن أَسمُو بأُمٍّ ولا أَبِ[٢] *

وليس بضَرورة . وقد قرِئَ فى الشواذ : ﴿ إلَّا أَنْ يَعفُونَ أو يَعْفُو الذى بيدِه عُقْدُة النكاح [٣] ﴾ ، بإسكان الواو من يعفو الذى . انتهى .

وقال ابن السِّيد : وقوله لا أَفضلت ، معناه لم تُفْضِل . والعرب تقرن لا بالفعل الماضى فينوب ذلك مناب لمْ إذا قرنت بالفعل المستقبل . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ فلا صَدَّق ولا صَلَّى [٤] ﴾ . معناه : لم يصدِّقْ ولم يُصلِّ . ومنه قول أبى خراش :

إن تغفر اللهمَّ تغفرْ جَمًّا وأىُّ عبدٍ لك لا أَلَمَّا

ومعنى البيت : لله ابن عمك الذى ساواك فى الحسب ، وماثَلَكَ فى

---

(١) ش : « تمزونى » .

(٢) لعامر بن الطفيل فى ديوانه ١٠ . وصدره كما فى الديوان والخزانة ٣ : ٢٥٧ بولاق وتفسير أبى حيان ٢ : ٢٣٧ :

« فما سودتنى عامر عن وراثة »

(٣) الآية ٢٣٧ من البقرة . وهذه قراءة الحسن ، كما فى القراءات الشاذة لابن خالويه ١٥ وتفسير أبى حيان . وقال أبو حيان : « وقرأ الحسن : أو يعفو بتسكين الواو ، فتسقط فى الوصل لالتقائها ساكنة مع الساكن بعدها » .

(٤) الآية ٣١ من القيامة .

الشرف ، فليس لك فضل عليه فتفتخر به ، ولا أنت مالكُ أمرِهِ فتسوسَه وتصرِّفَه على حكمك .

وقوله : « ولا تقوتُ على » إلخ تقُوت : تعطى القُوت . والمَسغَبة : المجاعة . والعَزَّاء بفتح العين المهملة وتشديد الزاى : الضِّيق والشدَّة . ٢٣٠

وقوله : « إنِّى لعمرك » إلخ الممنون : المقطوع ، أو من المِنَّة .

وقوله : « عفٌّ يؤوس » إلخ أى أعفُّ عما ليس لى ، لست بذى طمع ، آيَسُ ممّا فى أيدى غيرى فلا تتبعه نفسى . والهُون ، بالضم : الذُّلُّ .

وقوله : « فما أُمِّى براعية » أى لست بابن أَمَة . عَرَّض به وكان ابنَ أَمَة . وإنَّما خصَّ رِعْيةَ المخاض لأنَّها أشدُّ من رِعْية غيرها ، ولا يُمتَهنُ فيها إلَّا من لم يُبالَ به .

وقوله : « إنِّى أبىٌّ » إلخ قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : كسرة النون من أبيِّينِ حركة التقاء الساكنين ، وهما الياء والنون ، وكسرت النون على أصل التقاء الساكنين إذا التقيا . ولم تفتح كما تفتح نون الجمع ، لأنَّ الشاعر اضطُرَّ إلى ذلك لئلا يختلف حركة حرف الروى فى سائر الأبيات .

وقوله : « وأنتم معشر » إلخ زَيْدٌ : زيادة . وأجمع أمرَه ، بألِف ، قال تعالى : ﴿ فأَجمِعُوا أَمرَكم وشُركاءكم [1] ﴾ .

وقوله : « لا يُخرج الكَرْه » هو فاعل يُخرج ، يقول : إذا أُكرِهتُ على الشيء لم يكن عندى إلَّا الإباءُ له ، لا أُعطى على القسْرِ شيئا . والمأبية : مصدر ، كالإباء .

* * *

(١) الآية ٧١ من يونس .

النكرة والمعرفة

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٥٢٤ (أَظبيٌ كانَ أُمَّكَ أَمْ حمارُ)

على أَنَّ الضمير المستتر فى كان نكرة ، لأَنَّه عاد على نكرة غير مختصة بشيءٍ ، وهو ظَبْى .

وقد تكلَّم الشارح المحقِّق عليه فى باب الأَفعال الناقصة ، وسيأْتى إن شاءَ الله الكلام عليه هناك .

ولنشرح هنا الشعر ونعيِّنْ قائله فنقول :

هو من أَبيات أَوردها أَبو تمام (فى كتاب مختار أَشعار القبائل) ، ونسبها لثَرْوانَ بنِ فَزارة بن عبد يغوث العامرىّ ، وهى : صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(وكائن قد رأَيتُ منَ آهلِ دارٍ دعاهمْ رائدٌ لهمُ فساروا
فأَصبح عهدُهم كَمَقَصٍّ قرن فلا عينٌ تُحَسُّ ولا أَثارُ
لقد بدِّلْتُ أَهلًا بعدَ أَهلٍ فلا عجبٌ بذاك ولا سُخَارُ
فإنَّك لا يضرُّك بعد عامٍ أَظبْىٌ كانَ أُمَّك أم حمارُ
فقد لحق الأَسافلُ بالأَعالى وماج اللؤمُ واختلط النِّجارُ
وعاد العبدُ مثلَ أَبى قُبيس وسِيقَ مع المُعَلْهَجةِ العِشَارُ)

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٣ والمقتضب ٤ : ٩٣ وابن يعيش ٧ : ٩١ ، ٩٤ والمغنى ٥٩٠ وشرح شواهده للسيوطى ٣١٠ .

وقوله : « وكائن » هى خبرية بمعنى كم الخبرية . والرائد : الذى يُرسَل فى طلب الكلأ .

وقوله : « فأصبح عهدُهم » إلخ العهد بالفتح : المنزل الذى لا يزال القومُ إذا بَعُدوا عنه رجَعوا إليه ؛ وكذلك المعهد . وقوله : « كمقصٍّ قرن » قال أبو تمام : أى كمَقطع قرن . يريد : خلت ديارهُم . وقيل : مَقَصُّ قرن : جبلٌ مشرف على عرفات أيضًا . وليس يريده . انتهى .

قال أبو محمد الأعرابى : مقَصّ : موضعٌ تقتصُّ فيه الأرض ، أى لا يوجد لهم ولعهدهم أثر ، كما لا يوجد أثر من يمشى على صخرة . وقرن : جبل . انتهى . وتُحَسُّ بالبناء للمفعول ، من أحسَّ الرجل الشىء إحساسًا ، أى علم به . والأَثَار بالفتح ، هو الأَثر . ويقال أثارةٌ أيضًا بالهاء .

وقوله : « لقد بدِّلتُ أَهلًا » إلخ بالبناء للمفعول . والسُّخار بضم السين وكسرها : اسم لِلسُّخريّة والاستهزاء . ٢٣١

وقوله : « فإنَّك لا يضرُّك » هذه رواية أبى عبيدة . ورواه مؤرِّج السَّدوسى (فى أمثاله) : « فإنَّك لا يَضُورك » يقال ضاره يضوره ويضيره بمعنًى . ورَوَيا : « حولٍ » بدل عام . ولم أر رواية « فإنك لا تبالى » لأحد إلَّا للنحويِّين . وقوله : (أظبى كان) إلخ هذه هى الرواية المشهورة التى رواها سيبويه فمَنْ دونه من النحاة . وقال أبو محمد الأسود الأعرابى (فى ردِّه على ابن السيرافى فى شرح أبيات سيبويه) : كيف يكون الظبى والحمار أُمَّينِ وهما ذكرا الحيوان ؟ حتَّى إن المثل يُضرَب بالحمارِ فيقال :

* من يَنِكِ العيرَ ينكْ نيَّاكَا *

والصواب ما أنشدَناه أبو الندى :

* أطبى ناك أُمّك أمْ حمارُ *

وإنّما قُلبت اللفظة تحَرُّجا (١) فيما أرى ، ثم استشهد به النحويون على ظاهره . وهذه الأبيات قطعة طريفةُ أكْتَبَها أبو النَّدى ، وذكَر أنّها لثرْوان بن فزارة بن عبد يغوث بن ربيعة بن عمرو بن عامر . انتهى .

أقول (٢) : يدفع ما توقّف فيه بأن أُمّ هنا معناه الأصل . وهذا معنى شائع لا ينبغى العدول عنه ، فإن الأمّ فى اللغة تطلق (٣) على أصل كل شىء ، سواءٌ كان فى الحيوان أو فى غيره .

وقال الأعلم : وصف فى البيت تغير الزّمان واطّراح مراعاةِ الأنساب . ويتّصل به ما يبيّنه ، وهو قوله :

* فقد لحقَ الأسافلُ بالأعالى *

فيقول : لا تبالى بعد قيامك بنفسك ، واستغنائك عن أبويك ، من انتسبتَ إليه من شريف أو وضيع . وضربَ المثَل بالظبى والحمار ، وجعلهما أمّين ، وهما ذَكَران ، لأنّه مثَل لا حقيقة ، وقصَدَ قصْدَ الجنسين ولم يحقّق أبوّة . وذكَر الحول لِذكْر الظبى والحمار (٤) لأنّهما يستغنيان بأنفسهما بعد الحول ، فضرب المثل بذكره للإنسان لِمَا أرادَ من استغنائه بنفسه . انتهى .

وقوله : « وماج اللؤم » إلخ ماج يموج (٥) . واللؤم : دناءة النفس

---

(١) ط : « تخرجا » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « وقال » ، صوابه فى ط .

(٣) ش : « يطلق » .

(٤) ش : « تذكر الظبى والحمار » ، صوابه فى ط .

(٥) ش : « ماج تموج » .

والآباء . والنّجار بكسر النون وضمها بعدها جيم : الأَصل : أى ذهبَ السُّودُدُ وغلب على الناس اللؤم والدناءة ، واشتبه الأَصلُ والنّسب ، حتّى لو بقُوا على هذه الحالة سَنة لا يبالى إنسانٌ أَهجينا كان أَو غير هجين .

وقوله : « مثل أَبى قُبَيس » هو مصغَّر أَبو قابوس ، وهو كنية النعمان ابن المنذر ملك الحيرة . وقابوس : معرَّب كاووس ، اسمُ ملكٍ من ملوك الفرس القديمة . وقال أَبو محمد الأَعرابى : الذى أَنشَدَناه أَبو الندى :

* وعادَ الفِنْدُ مثلَ أَبى قُبَيس *

ورواية الناس : « العبد » . وذكر أَبو الندى أَنَّه تصحيف . والفِنْد بكسر الفاء وسكون النون : قطعة من الجبل طُولًا ، وقيل الجبل العظيم . وأَبو قبيس : جبلٌ بمكة ، سمِّى برجل من مَذحجَ حدَّاد ، لأَنَّه أَوّل من بنَى فيه . وفى القاموس : « المعلهج كمزعفَر : الأَحمق اللئيم ، والهجين . وحُكمُ الجوهرىِّ بزيادة هائه غلط » . والهجين : اللئيم ، وعربىٌّ ولد مِن أَمَة ، أَو مَنْ أَبوه خيرٌمن أُمّه . وفرسٌ هجين : غير كريم ، كالبِرذون . والعشار بالكسر : جمع عَشير ، وهو القريب والصَّديق ، أَو جمعُ عُشَراء ، والعُشَراء من النُّوق : التى مضى لحملها عَشرة أَشهر أَو ثمانية ، أَو هى كالنُّفساء . وقال أَبو محمد الأَعرابى : الفند كناية عن الرجل الوضيع . وأَبو قبيس : الرجل الشريف . والمُعَلهَجة : الفاسدة النسب ، أى تزوّجتْ هذه المعلهجة ومُهرت مهر الشريفة .

ثروان بن فزارة

٢٣٢

وثَروان بن فزارة : صحابىٌّ وفَد على رسول الله ﷺ . وهو القائل :

إليكَ رسولَ الله خَبَّتْ مطيَّتى مَسافةَ أَرباعٍ تَرُوحُ وتَغتدِى

ونسبَه صاحب الجمهرة ، وابن حجر (فى الإصابة) عنه كذا : ثَرْوان بن فزارة بن عبد يغوث بن زهيرِ الصَّتْمِ بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة .

والصَّتم بفتح الصاد وسكون التاء المثناة الفوقية : لقب زهير ، ويقال له زهيرٌ الأَكبر .

صاحب الشاهد

ونسب سيبويه هذا البيت لخداش بن زهير . وزهير هذا هو زهير الصَّتْم المذكور ، وهو أَخو عبد يغوث جدّ ثروان الصحابى . قال المرزبانى : هو جاهلىّ . وأَورده ابن حجر (فى الإصابة) فى قسم المخضرمين الذين أَدركوا زمن النبى – ﷺ – ولم يجتمعوا به . قال : خداش بن زهير العامرى ، شهد حُنَينا مع المشركين ، وله فى ذلك شعر يقول فيه :

يا شَدَّةً ما شَدَدْنا غيرَ كاذبةٍ على سَخينةَ لولا اللَّيلُ وَالحَرَمُ

ثم أَسلم خداشٌ بعد ذلك بزمان ، ووفد ولدُه سعساع على عبد الملك يتنازعون فى العِرافة ، فنظر إليه عبد الملك فقال : قد ولَّيتك العِرافة . فقام قومه وهم يقولون : فَلَجَ ابنُ خداش [١] ! فسمعهم عبد الملك فقال : كلَّا والله لا يهجونا أَبوك فى الجاهليَّة ونسوِّدك فى الإسلام . وذكر البيت المتقدم . والمراد بقوله « سخينة » قريش . وذكر المرزبانى أَنَّه جاهلى ، وأَنَّ البيت الذى قاله فى قريش كان فى حرب الفجار . وهذا أَصْوَب . انتهى .

---

(١) فلج : غلب وفاز . وفى الإصابة ٢٣٢٣ : « فلح » ، صوابه هنا .

ونسب العسكرى (فى كتاب التصحيف) البيتَ الشاهد لزُرارة ابن فَرْوان [١] من بنى عامر بن صعصعة ، وقال : الفاء فى فَرْوان مفتوحة .

ولم أَر زرارة هذا فى الأَقسام الأَربعة من الإصابة ، ولا فى جمهرة الأَنساب لابن الكلبى . والله أعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وقد تقدم شرحه فى الشاهد الخامس والخمسين [٢] :

(ولقد أَمرُّ على اللَّئيم يسبُّنى)

على أَنَّه يجوز وصف المعرف باللام الجنسية بالنكرة كما هنا ، فإنَّ جملة يسبُّنى نكرة وقعت وصفًا للئيم .

وفيه أَنَّهم قالوا : الجُمل لا تتَّصف بتعريف ولا تنكير . وقالوا أَيضًا : إنَّ الجملة بعد المعرَّف باللام الجنسية يحتمل أَن تكون حالًا منه وأَن تكون وصفًا له . ومثَّلوا بهذا البيت . منهم ابن هشام (فى المغنى) وغيره .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الخمسمائة [٣] :

٥٢٥ (أَزِفَ الترحُّلُ غير أَنَّ رِكابَنا لمَّا تزُلْ برحالِنا وكأَنْ قَدِ)

---

(١) فى النسختين : « فزوان » بالزاى المعجمة فى الموضعين ، صوابه من التصحيف للعسكرى ٤١٥ . ومادة (فزا) ليست فى المعاجم . وأما فروان بالراء المهملة فقد ذكر فى القاموس واللسان . وقال ابن منظور : « فروة وفروان : اسمان » .

(٢) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

(٣) الخصائص ٢ : ٣٦١ / ٣ : ١٣١ وابن يعيش ٨ : ٥ ، ١١٠ ، ١٤٨ / ٩ : ١٨ ، ٥٢ والمغنى ١٧١ ، ٣٤٢ والعينى ١ : ٨٠/٢ : ٣١٤ والتصريح ١ : ٢٦ والهمع ١ : ١٤٣ وديوان النابغة ٢٧ من مجموع خمسة دواوين .

على أنْ (قد) كلمة مستقلة يصلح الوقفُ عليها .

وهذا الفصل قد أخذه الشارح المحقّق من سرّ الصناعة لابن جنى ، وهذه عبارته فيه ، قال :

وذهب الخليل إلى أنّ حرف التعريف بمنزلة قد فى الأفعال ، وأن الهمزة واللام جميعًا للتعريف . وحُكى عنه أنّه كان يسمّيها أَل ، كقولنا قد ، وأنّه لم يكن يقول الألف واللام كما لا تقول فى قد القاف والدال . ويقوّى هذا المذهبَ قطعُ أل فى أنصاف الأبيات ، نحو قول عَبيد :

٢٢٣ يا خليليَّ اربَعا واستَخْبرا الـ ـمَنْزِلَ الدارسَ من أهل الحلالِ
مثلَ سَحْقِ البُرد عَفَّى بَعدك الـ ـقَطْرُ مَغناهُ وتأويب الشَّمالِ

وهذه قطعةٌ لعبيد مشهورة ، عددها بضعة عشر بيتًا ، يطّرد جميعُها على هذا القطع الذى تراه ، إلّا بيتًا واحدًا من جملتها . ولو كانت اللام وحدها حرفًا للتعريف لمَا جاز فصلها من الكلمة التى عَرَّفَتها ، لاسيّما واللام ساكنة ، والساكن لا يُنوَى به الانفصال . ويقوّى ذلك أيضاً قولُ الآخر [١] :

عَجِّل لنا هذا وألحقنا بِذَال الشَّحمِ إنّا قد أجِمْناه بَجَلْ

فإفراده أَل ، وإعادته إيّاها فى البيت الثانى يدلُّ من مذهبهم على قوّة اعتقادهم لقطعها ، فصار قطعُهم أل وهم يريدون الاسم بعدها ، كقطع النابغة قد وهو يريد الفعل بعدها . وذلك قوله :

أَفِدَ الترحُّلُ غير أنّ ركابَنا لمَّا تَزلْ برحالِنا وكأن قَدِ

(١) هو ذو الرمة ، وليس فى ديوانه ولا ملحقاته . وانظر سيبويه ٣ : ٣٢٥ من نسختى .

ألا نرى أنَّ التقدير فيه : وكأن قد زالت ، فقطْعُ قد من الفعل كقطع أَل من الاسم . وعلى هذا أيضًا قالوا فى التذكُّر : قام ال ، إذا نويت بعده كلامًا ، أى الحارث والعباس ، فجرى هذا مجرى قولك فى التذكر : قدى ، أى قد انقطع ، أو قد قام ، أو قد استخرج ، ونحو ذلك . وإذا كان أل عند الخليل حرفًا واحدًا فقد كان ينبغى أن تكون همزته مقطوعة ثابتة ، كقاف قد وباء بل ، إلا أنه لما كثر استعمالهم لهذا الحرف عُرف موضعه ، فحُذفت همزته كما حذفوا : لم يك ولم أَدْرِ ولم أُبَلْ . ويؤكد هذا القولَ عندك أيضًا أنهم قد أثبتوا هذه الهمزة بحيث تحذف همزات الوصل البتة ، وذلك نحو قول الله عز وجل : ﴿ آللّٰه أذن لكُمْ [1] ﴾ و : ﴿ آلذكَرين حَرَّمَ أَمِ الأُنثيَيْن [2] ﴾ ونحو قولهم فى القسم : أَفأَ لله ، ولاها الله ذا . ولم نر همزة الوصل ثبتت فى نحو هذا ، فهذا كلُّه يؤكّد أن همزة أل ليست بهمزة وصل ، وأنها مع اللام كقد وهل ونحوهما . انتهى كلامه .

ثم أخذ فى تأييد المذهب بكون اللام هى المعرّفة ، ونقْض مذهب الخليل فقال : وأمَّا ما يدلّ على أنَّ اللام وحدها هى حرف التعريف وأنَّ الهمزة إنَّما دخلت عليها لسُكونها فهو جَرُّ الجارِّ إلى ما بعد حرف التعريف ، وذلك نحو قولهم : عجبت من الرجل ، ومررت بالغلام ، فنفوذ الجرّ بحرفه إلى ما بعد التعريف يدلُّ على أنَّ حرف التعريف غير فاصلٍ عندهم بين الجارِّ والمجرور . وإنَّما كان كذلك [3] لأنَّه فى نهاية اللطافةِ والاتِّصال بما عرَّفه . وإنَّما كان

---

(١) الآية ٥٩ من يونس .

(٢) الآية ١٤٤ من الأنعام .

(٣) ط : « ذلك » .

كذلك لأنّه على حرف واحد ولا سيّما وهو ساكن [١] .

ولو كان حرف التعريف عندهم حرفين كقد وهل لمَا جاز الفصلُ به بين الجار والمجرور ، لأنَّ قد وهل كلمتان بائنتان قائمتان بأنفسهما . ألا ترى أنَّ أصحابنا أنكروا على الكسائى وغيره فى قراءته : ﴿ ثم لِيَقْطَع [٢] ﴾ بسكون اللام . وكذلك : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضوا تَفَثَهُمْ [٣] ﴾ ؛ لأنَّ ثُمَّ قائمة بنفسِها ، لأنَّها على أكثرَ من حرف واحد ، وليست كواو العطف وفائه ، لأنَّ تينك ضعيفتان متَّصلتان بما بعدهما ، فلطُفتا عن نيَّة فصلِهما وقيامِهما بأنفسهما . وكذلك لو كان حرف التعريف فى نية الانفصال لَما جاز نفوذُ الجرّ إلى ما بعد حرف التعريف . وهذا يدلُّ على شدة امتزاج حرف التعريف بما عرَّفه . وإنَّما كان كذلك لقلَّته وضعفِه عن قيامه بنفسه ، ولو كان حرفين لَمَا لحقته هذه القلَّة ، ولا تجاوز حرفُ الجرِّ إلى مابعده . ٢٣٤

ودليلٌ آخر يدلُّ على شدة اتِّصال حرف التعريف بما دخل عليه ، وهو أنَّه قد حدث بدخوله معنًى فيما عرَّفه لم يكن قبل دخوله ، وهو معنى التعريف ، فصار المعرَّف كأنه غير ذلك المنكور وشيءٌ سواه . ألا ترى إلى إجازتهم الجمعَ بين رجل والرَّجل ، قافيتين فى شعر واحد ، من غير استكراه ولا اعتقاد إيطاء . فهذا يدلُّك على أنَّ حرف التَّعريف كأنه مبنىٌّ مع ما عرَّفه ، كما أنَّ ياء التحقير مبنية مع ما حقَّرتْه ، وكما أنَّ ألف التكسير مبنيّة

---

(١) فى النسختين : « ولا سيما ساكن » . وانظر ابن يعيش ٩ : ١٨ س ٢ حيث أرى أن ابن يعيش إنما يلخص كلام ابن جنى .

(٢) الآية ١٥ من الحج .

(٣) الآية ٢٩ من الحج .

مع ما كسَّرته . فكما جاز أن يجمع بين رَجْلكم ورُجَيلكم [(١)] قافيتين ، وبين درهمكم ودراهمكم ، كذلك جاز أيضًا أن يجمع بين رجل والرجل ، لأن النكرة شيء سوى المعرفة ، كما أنَّ المكبَّر غير المصغَّر ، وكما أنَّ الواحد غير الجميع . فهذا أيضًا دليلٌ قويٌّ يدلُّ على أنَّ حرف التعريف مبنيٌّ مع ما عرَّفه ، أو كالمبنِّي معه . ويَزيدك تأنيسًا بهذا أنَّ حرف التعريف نقيض التنوين ، لأنَّ التنوين دليل التنكير ، كما أنَّ هذا الحرف دليل التعريف . فكما أنَّ التنوين فى آخر الاسم واحد ، فكذلك حرف التعريف من أوّله ينبغى أن يكون حرفًا واحدًا . فأمَّا ما يحتج به الخليل من انفصاله عنه بالوقوف عليه عند التذكُّر ، فإن ذلك لا يدلُّ على أنَّه فى نية الانفصال منه ، لأنَّ لقائلٍ أن يقول : إنَّه حرف واحد ، ولكنَّ الهمزة لمَّا دخلت على اللام فكثُر اللفظ بها ، أشبهت اللامُ بدخول الهمزة عليها من جهة اللفظ لا المعنى ، ما كان من الحروفِ على حرفين ، نحو : هل ، ولو ، ومن ، وقد ، فجاز فصلها فى بعض المواضع . وهذا الشبه اللفظى موجودٌ فى كثير من كلامهم . ألا ترى أنَّ أحمد وبابه مما ضارع الفعل لفظًا ، إنَّما روعيت به مشابهة اللفظ ، فمُنع ما يختصّ بالأسماء وهو التنوين . ومن الشبه اللفظى ما حَكى سيبويه مِنْ صرفهم جَنَدِلًا وذَلذلا [(٢)] ، وذلك أنَّه لما فُقد الألفُ التى فى جنادل وذلاذل من اللفظ ، أشبها الآحاد ، نحو : عُلَبِط وخُزَخِز ، فصُرفا كما صرفا ، وإن كان الجميع من وراء الإحاطة بالعلم أنَّه لا يراد هنا إلَّا الجَمْع ، فغلب شبه اللفظ بالواحد ، وإن كانت الدلالة قد قامت من طريق المعنى على إرادة الجمع . وهذا الشبه

(١) فى النسختين : « ورجليكم » ، صوابه ما أثبت ، فإنه المعبر عن التصغير ، كما أن ما بعده تمثيل جمع التكسير .

(٢) مخفف الذلاذل ، وهى أسافل القميص الطويل .

اللفظىُّ أكثر من أن أضبطه لك . فكذلك جاز أن تشبه اللام لمَّا دخلت الهمزة عليها فكثَّرتها فى اللفظ ، بما جاء من الحروف على حرفين : نحو بل ، وقد ، ولن . وكما جاز الوقوف عليها مع التذكُّر ، لما ذكرناه من مشابهتها قد وبل ، كذلك جاز أيضًا قطعها فى المصراع الأوّل ومجىء ما تعرَّف به فى المصراع الثانى ، نحو ما أنشدناه لعَبيد .

وأما قوله سبحانه : ﴿ آلذَّكَرَين حَرَّم ﴾ وقوله : ﴿ آللهُ أَذِنَ لَكُم ﴾ ، فإنَّما جاز احتمالهم لقطع همزة الوصل ، مخافةَ التباس الاستفهام بالخبر . وأيضًا فقد يقطعون فى المصراع الأوّل بعض الكلمة وما هو منها أصل ، ويأتون بالبقيَّة فى أول المصراع الثانى . فإذا جاز ذلك فى أنفس الكلم ولم يدلّ على انفصال بعض الكلمة من بعض ، فغير منكر أيضًا أن يُفصل لامُ المعرفة فى المصراع الأول ولا يدلُّ ذلك على أنَّها عندهم فى نية الانفصال ، كما لم يكن ذلك فيما هو من أصل الكلمة . قال :

٢٣٥

يا نفسُ أكْلًا واضْطِجا عًا نفسُ لسْتِ بخالده (١)

وهو كثير . ومنه قول الأعشى :

حلَّ أهلى ما بين دُرْنا فبادُو لَى وحلَّت عُلويَّةً بالسِّخالِ (٢)

وإذا جاز قطع همزة الوصل التى لا اختلاف بينهم فيها ، نحو ما أنشده أبو الحسن :

ألا لا أرى إثـنين أحسَنَ شيمـــةً على حَدَثانِ الدَّهر منِّى ومن جُمْلِ (٣)

---

(١) نسبه ابن يعيش ٩ : ١٨ – ١٩ إلى كثير . وليس فى ديوانه .

(٢) ديوان الأعشى ٣ . والدال فى كل من درنا وبادولى تقال بالفتح وبالضم أيضا ، وهما موضعان .

(٣) لجميل فى ديوانه ١٨١ . وانظر معجم شواهد العربية .

فأنْ يجوز قطع الهمزة التى هى مختلَف فى أمرها ، وهى مفتوحة أيضًا مشابهةٌ لما لا يكون من الهمز إلّا قطعًا ، نحو همزة أحمر ، أولى وأجدر . إلى آخر ما ذكر ، فإنّه أطال وأطابَ بضعفَىْ ما نقلنا .

وقد أوردَهُ [١] الشارح المحقق فى الجوازم ، وفى كأنّ من الحروف المشبّهة بالفعل أيضًا ، على أنّ الفعل بعد قد محذوف ، أى كأنْ قد زالت .

وقد أورده ابنُ هشام عَلى أنّ الفعل يجوز حذفه بعدها لقرينة ، وفى التنوين أيضًا على أنّ دال قد لحقها تنوين الترنم ، قال : تنوين الترنُّم ، وهو اللاحق للقوافِى المطلقة بدَلًا من حَرفِ الإطلاق [٢] ، وهو الألف والواو والياء ، وذلك فى إنشاد بنى تميم . وظاهر قولهم أنّه تنوين محصِّل للترنم [٣] . وقد صرَّح بذلك ابن يعيش . والذى صرَّح به سيبويه وغيره من المحقّقين أنّه جىء به لقطع الترنم ، وأنّ الترنم ، وهو التغنّى ، يحصل بأحرف الإطلاق ، لقبولها لمدِّ الصوت فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترنَّموا جاءُوا بالنون فى مكانها . ولا يختصُّ هذا التنوين بالاسم ، بدليل قوله : وكأن قدن [٤] البيت . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للنابغة الذبيانى ، وهو من أوائل القصيدة ، وهى :

أبيات الشاهد

(أمِنَ آلِ ميَّةَ رائحٌ أو مغتدى عَجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوَّدِ
زعمَ البوارحُ أنَّ رحلتَنا غدًا وبذاك تنعابُ الغُرابِ الأسودِ
لا مرحبًا بغدٍ ولا أهلًا به إنْ كان تفريقُ الأحبَّةِ فى غدِ

---

(١) ط : « أورد » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « حروف الاطلاق » ، صوابه فى المغنى ٣٧٨ فى حرف النون .

(٣) ش : « المترنم » .

(٤) ش : « وكأن قد » .

أَزِف الترحل .... البيت

قال شارح ديوانه : قوله : « أَمِنَ آل مية » يخاطب نفسه كالمستثبت، والنون من أَمِنَ متحركة بفتحة همزة أَل الملقاة عليها لتحذف تخفيفًا . قال الأَصمعى : تقديره أَمِنْ آل ميَّة أَنت رائح أَو مغتدٍ [1] . ورائح : مِن راح يروح رواحا . ومغتد : مِن اغتدى ، أَى ذهبَ وقتَ الغداة ، وهو ضدُّ الرواح . وعجلان : من العَجلة ، نصبه على الحال . وذا : حالٌ من ضمير عجلان ، وقيل بدل منه . والزاد فى هذا الموضع : ما كان من تسليم وردِّ تحية . وتَنعاب الغراب : صِياحه . والبوارح : جمع بارح ، وهو ماوَلَّاكَ مياسره ، يمرُّ من ميامنك إلى مياسرك . والعرب تتطيَّر بالبارح وتتفاءل بالسانح .

و (أَزِف) من باب فرح ، أَى دنا . وروى بدله : « أَفد » وهو مثله وزنًا ومعنًى . و (الترحُّل) : الرحيل . وغير منصوب على الاستثناء المنقطع . و (الرِّكاب) الإبل ، واحدها راحلة من غير لفظها . ولَمَّا جازمةٌ بمعنى لم . وتَزُل بضم الزاى ، من زال يزول زوالًا ، أَى فارق . والباء للمعية . و (الرحال) : جمع رحل ، وهو ما يستصحبه الإنسانُ من الأَثاث . و (كأَنْ) مخففة من الثقيلة . قال الشارح المحقق فى بابها : الأَفصح عند تخفيفها إلغاؤها ، وإذا لم تعملها لفظًا ففيها ضمير شأْن مقدّر ، فاسمها ضمير الشأْن ، والجملة المحذوفة بعد قد خبرها . وسيأْتى الكلام عليه إن شاء الله فى كأَنَّ .

٢٣٦

ونقل ابن الملَّا (فى شرح المغنى) عن ابن جنى (فى الخصائص) ،

---

(١) ش : « مغتدى » .

أنّه جوّز أن يكون قد هنا بمعنى حسبى ، أى وكأن ذلك حسبى ، فقدى وحده هو الخبر . هذا كلامه .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الخمسمائة [1] :

٥٢٦ (ياخليليَّ اربعَا واستخبِرا الـ ـمَنزِلَ الدَّارسَ مِنْ أُهلِ الحِلالِ)

على أَنَّ الخليل استدلَّ على أَنَّ حرف التعريف أَل لا اللامُ وحدها ، بفصلِ الشاعر إيّاها من المعرَّف بها . ولو كانت اللام وحدَها حرف تعريف لما جاز فصلُها من المعرَّف ، لا سيَّما واللام ساكنة .

وقد تقدَّم بيانه ونقضُه فى البيت قبله .

قال ابن جنى (فى المنصف) ، وهو شرح (تصريف المازنى المسمَّى بالملوكى) : قد ذهب بعضُهم إلى أَنَّ الأَلف واللام جميعًا للتعريف بمنزلة قد فى الأَفعال ، ولكن هذه الهمزة لمَّا كثرت فى الكلام وعُرِف موضعها ، والهمزة مستثقلة [2] حذفت فى الوصل لضربٍ من التخفيف . قالوا : والدليل على ذلك أَنَّ الشاعر إذا اضطُرَّ فصَلها من الكلمة كما تفصل قد . من ذلك قوله :

عجِّل لنا هذا وأَلحِقْنا بذا ال الشَّحمِ إنَّا قد مَلِلناه بَجَلْ [3]

فقطَعَها فى البيت الأَوّل ثم ردَّها فى أَول الكلمة بعد . لأَنَّها مرَّت

---

(١) الخصائص ٢ : ٢٥٥ والمنصف ١ : ٦٦ وابن يعيش ٩ : ١٧٠ وديوان عبيد بن الأبرص ٥٨ .

(٢) ط : « مستقلة » ، صوابها فى ش والمنصف ١ : ٦٥ .

(٣) سبق الكلام عليه فى ١٩٨ .

فى البيت الأوّل ، فكأنَّها لمَّا تباعدت أُنسيَها ولم يعتدَّ بها [١] . وهذا أَحد ما يدلُّ عندى على أَنَّ ما كان من الرجز على ثلاثة أَجزاء فهو بيتٌ كامل وليس بنصف بيت على ما يذهب إليه أَبو الحسن الأَخفش [٢] . أَلا ترى أَنَّه ردّ أَلْ فى أَوّل البيت الثانى . لأَنَّ الأَوّل بيتٌ كامل قد قام بنفسه وتمَّت أَجزاؤه ، فاحتاج فى ابتداء البيت الثانى أَن يعرِّف الكلمة التى فى أَوله ، فلم يعتدَّ بالحرف الذى كان فصله لأَنَّهما ليسا فى بيتٍ واحد . ولو كان هذان البيتان بيتًا واحدًا كما يقول من يخالف لما احتاج إلى ردِّ حرف التعريف . أَلاترى أَنَّ عبيدًا لمّا جاء بقصيدة طويلةِ الأَبيات وجعل آخر المصراع الأَول أَلْ لم يُعِد الحرف فى أَول المصراع الثانى ، لمَّا كانا مصراعين ، ولم يكن كلُّ واحد منهما بيتًا قائمًا برأسه . وذلك قوله :

يا خليلَّى اربَعا واستخبرا الـ ـمَنزلَ الدَّارسَ مِنْ أَهل الحِلالِ

فطرَد هذه القصيدة وهى بضعة عشر بيتًا على هذا الطَّرْز [٣] إلَّا بيتًا واحدًا وهو :

فانتحينا الحارث الأَعرجَ فى جحفل كاللَّيل خطَّارِ العوالى

فهذا ما عندى فى هذا . وقد كان أَبو علىّ يحتجُّ أَيضًا على أَبى الحسن بشىءٍ غير هذا . انتهى .

وقال ابن جنى (فى باب التطوُّع بما لا يلزم ، من الخصائص) قال :

---

(١) فى المنصف ١ : ٦٦ : « أو لم يعتد بها » .

(٢) المنصف : « على ما ذهب » .

(٣) المنصف : « تطرد هذه القصيدة ، وهى بضعة عشر بيتا على هذا الطراز » .

وهو أمرٌ قد جاء فى الشعر القديم والمولَّد جميعًا ، مجيئًا واسعًا [١] . وهو أن يلتزم الشاعر ما لا يجب عليه ، ليدلّ بذلك على غزارةِ [٢] وسَعةِ ما عنده . وأورد قصائد إلى أن قال : وعلى ذلك ما أنشدَنا أبو بكر محمد بن على [٣] عن أبى إسحاق [٤] لعَبيدٍ ، من قوله :

٢٣٦

(يا خليليَّ اربَعا واستخبِرا الـ ـمنزل الدَّارسَ من أهل الحِلال
مثل سَحقِ البُرد عَفَّى بعدكَ الـ ـقَطرُ مَغناه وتأويبُ الشَّمال
ولقد يَغْنَى به جيرانُك الـ ـمُمسكو منكَ بأسباب الوصال
ثمَّ أودى وُدُّهم إذْ أزمعوا الـ ـبينَ والأيَّامُ حالٌ بعدَ حال
فانصرِفْ عنهم بعنس كالوَأى الـ ـجَأْبِ ذى العانة أو شاةِ الرِّمالِ
نحنُ قُدْنا من أهاضيب المَلَا الـ ـخيلَ فى الأرسان أمثالَ السَّعالى
شُزَّبًا يعسِفْن من مجهولةٍ الـ ـأرض وَعْثًا من سهولٍ أو رمالِ
فانتجعنا الحارثَ الأعرج فى جَحفلٍ كاللَّيل خطَّار العوالى
ثم عُجناهُنَّ خُوصًا كالقَطا الـ ـقارباتِ الماءَ من أيْنِ الكَلالِ
نحوَ قُوصٍ يومَ جالت جَولةُ الـ ـخيل قُبًّا عن يمينٍ أو شِمال
كم رئيس يقدُم الألفَ على الـ ـسَّابحِ الأجردِ ذى العَقْبِ الطُّوال [٥]

(١) ط : « مجيا واسعا » بالتسهيل والإدغام ، وأثبت ما فى ش والخصائص ٢ : ٢٣٤ .

(٢) فى الخصائص : « على غزره » .

(٣) يبدو أنه محمد بن على بن إسماعيل الملقب بمبرمان ، وهو أستاذ أبى على الفارسى وأبى سعيد السيرافى .

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج . وهو من شيوخ مبرمان السابق . البغية ٧٥ .

(٥) ط : « الأجود » ، صوابه فى ش . والأجرد : القصير الشعرة ، كما سيأتى فى تفسير البغدادى .

قد أباحت جمعَه أسيافُنا الـ ـبيضُ فى الرَّوعة من حىّ حِلالِ (١)

ولنا دارٌ ورِثناها عن الـ ـأقدمِ القُدمُوس من عمٍّ وخال

منــزلٌ دَمَّنَــه آباؤنــا الــ ـمُورِثونا المَجْدَ فى أُولَى الليالى (٢)

ما لنا فيها حصونٌ غير ما الـ ـمفرداتِ الخيلِ تعدُو بالرِّجالِ

فى روابى عُدْمليّ شامخ الـ ـأنف فيه إرثُ مجد وجَمالِ

فاتَّبعنا دأْبَ أُولانا الأولى الــ ـمُوقدى الحربِ ومروى بالحبال (٣)

وقال القصيدةَ (٤) كلَّها على أنَّ آخر مصراعِ كلِّ بيت منها منتهٍ إلى لام التعريف ، غير بيت واحد ، وهو قوله : « فانتجعنا الحارث » إلى آخره ، فسار هذا البيت الذى نقضَ القصيدة أنْ تَمضىَ (٥) على ترتيب واحد هو الجَزْء . وذلك أنَّه دلَّ على أنَّ هذا الشاعر إنَّما تساند إلى ما فى طبعه ، ولم يتجشَّم إلَّا ما فى نهضته ووضعه ، من غير اغتصاب [له] (٦) ولا استكراه ألجأ إليه (٧) ، إذ لو كان ذلك على خلاف ماحدَّدناه وأنَّه إنما صنع الشعر صنعا لكان قمِنا أن لا ينقض ذلك ببيت واحد يُوهيه ، ويُقدح فيه . وهذا واضح . انتهى .

وقوله : (يا خليليَّ) مثنَّى خليل . و (اربَعا) بألف التثنية من رَبَع

---

(١) ط : « الأبيض » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « منزل فى دمنة » ، صوابه من الخصائص ٢ : ٢٥٧ والديوان واللسان (دمن) . دمن القوم المنزل : سودوه وأثروا فيه بالدمن وغيره ، وهو بكسر الدال : البعر .

(٣) كذا ، وفى الخصائص والديوان : « وموف بالحبال » ، أى : ومنهم موف بالحبال .

(٤) فى الخصائص ٢ : ٢٥٨ : « فقاد القصيدة » .

(٥) فى النسختين : « أن يمضى » : صوابه فى ش .

(٦) التكملة من ش والخصائص .

(٧) ش : « أجاء إليه » وفى الخصائص : « أجاءه إليه » .

زيدٌ بالمكان يربَع بفتح الباء فيهما ، إذا اطمأنَّ وأقام به . و (استخبرا) أمرٌ مسندَ إلى ألف التثنية . و (الحِلال) : جمع حالٍّ بمعنى نازل . وفى القاموس : الحِلال : جمع حِلَّة بكسر المهملة فيهما ، وهم القوم النزول ، وجماعةُ بيوتِ الناس ، أو مائةُ بيت ، والمجلس ، والمجتمَع .

وقوله : « مثل سَحْق البرد » إلخ السَّحق بالفتح : الثوب البالى ، وقد سَحُق ككرم سُحوقة بالضم ، كأَسحَقَ . والبُرْد بالضم : ثوبٌ مخطَّط : فهو من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف . وعَفَّى تعفية : غطَّاه تغطية ومحاه . والقطر ، أى المطر ، فاعله . ومغناه مفعوله . والمغنَى : المنزل الذى غنِىَ به أهلُه ثم ظعنوا ، أو عامٌّ من غنِىَ بالمكان كرضى ، إذا أقام فيه . والتأْويب : الرجوع ؛ والمراد تردُّد هبوبها . والشَّمال : الريح المعروفة . ٢٣٨

وقوله : « ولقد يَغنى » هو من غَنِىَ المذكور . والممسكو أصله الممسكون ، حذفت نونه تخفيفًا . قال ابن جنى (فى المنصف) : قوله الممسكو أراد الممسكون ، ولكنَّه حذف النون لطول الاسم لا للإضافة . وعندى فيه شىءٌ ليس فى قوله الحافظو عورة العشيرة ، وذلك أنَّ حرف التعريف منه فى المصراع الأوَّل ، وبقية الكلمة فى المصراع الثانى ، والمصراع كثيرًا ما يقوم بنفسه حتَّى يكاد يكون بيتًا كاملًا (١) ، وكثيرا ما تقطع همزة الوصل فى أوّل المِصراع الثانى نحو قوله :

---

(١) ش فقط : « بيتا كاملا » . وفى حواشى ش بخط الناسخ « قوله بيتا كلاما كذا بخط المؤلف رحمة الله ، والصواب بيتا كاملا » .

لَتسمعُنَّ وشيكًا فى دِيارِكُمُ : اللهُ أكبرُ ، ياثاراتِ عُثمانا (١)

وقد أجاز أبو الحسن الخرْمَ فى أول المصراع الثانى ، بخلاف قول الخليل ، وجاء ذلك فى الشعر كقول امرئ القيس :

وعينٌ لها حَدرةٌ بَدْرة شُقَّت مآقيهما من دُبُرْ

فلمّا كان أول الممسكو فى المصراع الأوّل وباقيه فى المصراع الثانى ، وهما كالبيتين ، ازدادت الكلمة طولًا ، وازداد حذف النون جوازا . وليس الحافظو كذلك (٢) . فهذا فصلٌ فيه لطف ، وكلا الاسمين إنّما وجب فيه الحذف لطوله .

وقوله : « ثم أودى » أى هلك . وأزمعوا : مِن أزمعت الأمرَ وعليه : أجمعتُ أو ثبتُّ عليه . وقوله « والأيام حالٌ » أى ذات حالٍ وتغيّر .

وقوله : « بعنْسٍ كالوأى » العنس بالفتح : الناقة الصُّلبة . والوأى بفتح الواو والهمزة بعدها ألف مقصورة : الحمار الوحشىّ . والجأب ، بفتح الجيم وسكون الهمزة : الحمار الغليظ . والعانة بالنون : الأتان ، وهو المراد هنا ، والقطيع من حمر الوحش ، والشاة الواحدة من الغنم للذكر والأنثى ، أو تكون من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحمر الوحش ، والمرأة ، الجمع شاء . كذا فى القاموس .

وأهاضيب الملا : اسم مكان . وأهاضيب : جمعُ هضاب جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض ، أو جبلٌ خُلِقَ من صخرة

---

(١) البيت لحسان بن ثابت فى ديوانه ٤١٠ . وقبله :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

(٢) بعده فى المنصف : « لأن الكلمة بكمالها فى المصراع الأول ، فلم تطل طول الممسكو » .

واحدة ، أو الجَبَل . قال أبو عبيد البكرى (فى المعجم) : الملا : بفتح الميم والقصر : موضعٌ من أرض كلب ، وموضع فى ديار طىّ . والسعالى : جمع سِعلاة ، وهى أنثى الغول .

وقوله : شُزَّبا إلخ ، هو جمع شازب : الضامر اليابس . والعَسْف : الأخذ على غير الطريق . ووُعْثًا مفعول يعسفن ، جمع أوعث بمعنى وَعْث . والوَعث بالفتح : الطريق العَسِرة كالوعِث بكسر العين . وقوله : من سهول أو رمال ، بيان لقوله وُعْثا .

وقوله : « فانتجعنا الحارث » إلخ مِن انتجع فلانا أى أتاه طالبا معروفه . وهُنا تهكُّم وسُخْرية . والحارث الأعرج هو من ملوك الشام ، وأمّه ماريّة ذات القُرطين . والجَحفل بفتح الجيم : الجيش الكثير . والخَطَّار : المضطرب . والعوالى : الرِّماح ، جمع عالية ، والعالية : أعلى القناة ، أو النصف الذى يلى السِّنان .

وقوله : « ثم عجناهن » يقال عاج رأسَ البعير أى عطفه بالزمام . والخُوص بالضم : جمع أخوَص ، وخَوصاء ، وهى الغائرة العينين . والقاربات ، من القَرَب بفتحتين ، وهو سير الليل لورِد الغد . والأين : الإعياء . والكلالُ بمعناه أيضًا .

وقوله : « نحو قوص » بالضم : موضع (١) . وقُبًّا : جمع أقبّ ، وصفٌ من القَبَب بفتحتين ، وهو دقّة الخصر وضمور البطن . ٢٣٩

وقوله : « كم رئيسٍ يقدُم الألف » الرئيس : سيِّد القوم وكبيرهم .

---

(١) فى معجم البلدان : « نحو قرص » ، وقال : « بالضم بلفظ القرص من الخبز : تل بأرض غسان فى شعر عبيد بن الأبرص ، وأما قوص ، فهو خطأ ، لأنها مدينة كبيرة كانت قصبة صعيد مصر » .

والسابح : الفرس الحَسن الجرى . والأجرد : القصير الشَّعر . والعقب ، بفتح المهملة وسكون القاف : الجرى بعد الجرى . والطُّوَال بالضم بمعنى الطويل ، وجمعَه مفعول أباحت ، وأسيافنا فاعله .

والقُدمُوس بالضم : القديم ، والسين زائدة .

والمورثونا المجد : جمع مُورث ، ونا ضمير المتكلم مع الغير ، والمجد بالنصب مفعول .

وقوله : « مالنا فيها » أى فى تلك الدار . والمفرَدات ، بفتح الراء : التى أُفردَت عن غيرها ، وما زائدة ، والخيل بدل من المفردات .

وقوله : « فى روابى » إلخ جمع رابية ، وهى ماعلا من الأرض . والعُدْمُلىّ بضم العين وسكون الدال المهملتين ، وضم الميم وكسر اللام ، قال صاحب القاموس : العُدمُل والعُدمُلىّ والعُدامِل والعُدَاملىّ مضمومات : كلُّ مسنٍّ قديم ، والضَّخم القديمُ من الشجر ومن الضِّباب . والإرث بالكسر : الأصل .

وقوله : « فاتبعنا دأب أُولانا » إلخ أى دأب عشيرتنا الأُولى ، أى آبائنا الأقدمين . والأُولى الثانية بدل من الأُولى (١) ، وهى اسم إشارة بمعنى أُولئك (٢) . والموقدين صفة له ، أو بدل وحذفت نونه للإضافة .

وعبيد هو عبيد بن الأبرص الأسدى ، بفتح العين وكسر الموحَّدة ، وهو

---

(١) كذا . ووجه كتابتها « الألى » باعتبارها اسم موصول صفة لأولانا .

(٢) الوجه هنا أيضا أن تكون اسم موصول لا اسم إشارة . لأن أل لا تدخل على أسماء الإشارة .

شاعرٌ جاهلى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادسَ عشرَ بعد المائة [١] .

وقوله فى البيت الآخر : « عجِّل لنا هذا وأَلحقنا » البيت ، هو من أَبيات سيبويه . وهذا نصُّه فى المسأَلة : وزعم الخليل أَنَّ الأَلف واللام اللتين يعرِّفون بهما حرفٌ واحد كقد وأَن ، ليست واحدة منهما منفصلة من الأُخرى كانفصال أَلف الاستفهام فى قوله : أَزيد ، ولكن الأَلف كأَلف ايم فى ايم الله ، وهى موصولة كما أَنَّ أَلف ايم موصولة . إلى أَن قال : وقال الخليل : وممَّا يدلُّك على أَن تلك مفصولة من الرَّجُل ولم يُبنَ عليهَا [٢] وأَنَّ الأَلف واللام فيها [٣] بمنزلة قد ، قول الشاعر :

دَعْ ذا وعجِّل ذا وأَلحقنا بِذَال ... بالشَّحم إنَّا قد مَلِلناهُ بَجَلْ [٤]

قال : هى ههنا كقول الرجل وهو يتذكَّر قدى ، ثم يقول قد فعل . ولا يُفعَل مثلُ هذا علمناه بشىءٍ ممَّا كان من الحروف الموصولة . ويقول الرجلُ أَلِى ، ثم يتذكَّر . فقد سمعناهم يقولون ذلك ، ولولا أَنَّ الأَلف واللام بمنزلة قد وسوف ، لكانتا بناءً بنى عليه الاسم لا يُفارقه [٥] ، ولكنَّهما جميعًا بمنزلة هل ، وقد ، وسوف [٦] ، يدخلان للتعريف [٧] . انتهى نصُّه .

وقال الأَعلم : الشاهد فى قوله بذال ، وأَراد : بذا الشَّحم ، ففصل

---

(١) الخزانة ٢ : ٢١٥ – ٢١٩ .

(٢) فى النسختين : « عليهما » ، صوابه من سيبويه ٢ : ٦٤ .

(٣) فى النسختين : « فيهما » ، صوابه فى سيبويه .

(٤) سبق الكلام عليه فى حواشى ٢٠٥ .

(٥) فى النسختين : « لكانتا بنى على الاسم لا تفارقه » ، صوابه وتكملته من سيبويه .

(٦) بعده فى كل من النسختين : « وهل » ، وهو تكرار لم يرد فى سيبويه .

(٧) فى سيبويه : « تدخلان للتعريف وتخرجان » ، وفى إحدى مخطوطاته : « يدخلان للتعريف » فقط ، كما هنا .

لام التعريف من الشحم لمَا احتاجَ إليه من إقامة القافية (١) ثم أعادها فى الشحم لمَّا استأنف ذكره بإعادة حرف الجرّ . ومعنى بجل حَسْب ، يقال بَجَلى كذا ، أى حَسْبِى (٢) . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت غُفْل لم يُحلَّ قائله . وقال العينى (٣) : قائله غيلان بن حُرَيث الرَّبَعى الراجز .

وقوله : « وألحقنا » فى رواية سيبويه : « وألزقْنا » ، وضبطَ بعضُ شرّاح أبياته « بخِلّْ » بالخاء المعجمة ، أراد به الخِلّ المعهود . والباء فيه حرف جر . وهذا أقرب إلى المعنى . انتهى . ولم أرَ ما ذكره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الخمسمائة (٤) :

٢٤٠

٥٢٧ (وبالنَّسْرِ عَنْدَما)

هو قطعة من بيت وهو :

(أمَا والدِّماءِ المائراتِ تخالُها على قُنَّة العُزَّى وبالنَّسر عَندما)

على أنَّ لام التعريف قد تزاد فى العلم .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : نسرٌ : الصَّنم الذى كان قومُ نوح يعبدونه ، وقد ذكره الله تعالى فى قوله : ﴿ ولا تَذرُنَّ وَدًّا ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ

---

(١) ط : « من إقامته القامة » ، صوابه فى الشنتمرى وفى ش مع أثر تصحيح .

(٢) فى الشنتمرى : « أى حسبى ركفانى » .

(٣) العينى ١ : ٥١٠ .

(٤) المنصف ٣ : ١٣٤ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٤ / ٢ : ٣٤١ والإنصاف ٣١٨ والعينى ١ : ٥٠٠ واللسان (أبل ٦) .

ويَعُوقَ ونَسرًا (١) ﴾ . وأَدخل فيه الشاعر الأَلف واللام زيادة للضرورة فى قوله : « وبالنَّسر عَندمَا » البيت . انتهى .

وقال ابن جنى (فى سر الصناعة) : أَنشدنَا أَبو علىٌّ هذا البيت وقال : اللام فى النَّسر زائدة . وهو كما قال ، لأَنَّ نسرًا بمنزلة عمرو .

وقال ابن جنى قبلَ هذا : وأَمَّا اللات والعُزَّى فذهب أَبو الحسن إلى أَنَّ اللام فيهما زائدة . والذى يدلُّ على صحَّة مذهبه أَنَّ اللات والعزَّى علمان ، بمنزلة يغوث ويعوق ونَسر ومَنَاة ، وغير ذلك من أَسماء الأَصنام . فهذه كلُّها أَعلام وغير محتاجةٍ فى تعرُّفها إلى اللام ، وليست من باب الحارث والعبّاس ، التى نُقِلت فصارت أَعلامًا وأُقِرَّت فيها (٢) لامُ التعريف ، على ضربٍ من توهُّم روائح الصِّفة فيها ، فتحمَلُ على ذلك . فوجب أَن تكون فيها زائدة ، ويؤكِّد زيادتها فيها أَيضًا لزومُها إيّاها كلزوم لام الآن والذى وبابه . فإن قلت : فقد حكى أَبو زيد : لقيته فينةَ والفينةَ ، وقالوا للشَّمس : إلاهة والإلاهة . وليست فينة ، ولا إلاهة ، بصفتين فيجوز تعريفهما وفيهما اللام كالحارث والعباس . فالجواب : أَن فينةَ والفينةَ وإلاهةَ والإلاهة ، ممَّا اعتقب عليه تعريفان : أَحدهما بالأَلف واللام ، والآخر بالوضع والعلميَّة ، ولم نسمعهم يقولون : لات وعُزَّى بغير لام (٣) ، فدلّ لزوم اللام على زيادتها ، وأَنَّ ماهى فيه ليس مما اعتقَب فيه تعريفانِ . انتهى .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة نوح .

(٢) ط : « وفيها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) فى حواشى المطبوعة : « قوله وعزى بغير لام . بل وقد قال أبو سفيان : ولا عزى لكم . وقال خالد بن الوليد : كفرانك يا عزى . ١ هـ من هامش الأصل » .

أقول : أما النص الأول فقد ورد فى إمتاع الأسماع ١ : ١٥٨ وفيه أن عمر بن الخطاب قال حين سمع كلمة أبى سفيان : « لنا العزى ولا عزى لكم » قال : « الله مولانا ولا مولى لكم » . وأما نص خالد بن الوليد فقد ورد هنا محرفا ، والصواب أن خالد بن الوليد لما بعثه رسول =

ومحصّلهُ أنَّ اللام فى النسر زائدة بعد وضع العلميَّة ، وأنَّ اللام فى اللات والعزّى زائدة فيهما عند وضع العلميَّة ، وأنَّ اللام فى الفينة والإلاهة للتعريف ، وليست زائدة . ولهذا لم ينشد الشارح المحقّق البيت بتمامه لتعين الزائد الطارئ للضرورة من الزائد غير المنفكّ إلَّا فى ضرورة ، كقوله [1] :

عزّاىَ شُدّى شدَّةً لا تكـذّبى على خالدٍ وألقِى الخمارَ وشمّرى [2]

صاحب الشاهد وبيت الشاهد أول أبيات ثلاثة لعمرو بن عبد الجِنّ ، وبعده :

أبيات الشاهد (وما سبَّح الرهبانُ فى كلّ ليلة أبيلَ الأبيلينَ المسيحَ بنَ مريما

لقد هَزّ منّى عامرٌ يومَ لعلعٍ حُسامًا إذا ماهُزّ بالكفّ صمّما

كذا أنشد هذه الأبياتَ أبو على (فى التَّذكِرة القصرية) عن ابن الأعرابىّ ، وابنُ الأنبارىّ (فى مسائل الخلاف) ، وابن الشجرى (فى أماليه).

وقوله : (ألا والدِّماء [3]) إلخ ، ألا : كلمة يستفتَح بها الكلام ،

= الله ﷺ ، إلى العزى ، وهى سمرة كانت لغطفان يعبدونها ، وكانوا بنوا عليها بيتا وأقاموا لها سدنة ، قام خالد بهدم هذا البيت ، وأحرق تلك السمرة وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك أنى رأيت الله قد أهانك

وانظر ما سيأتى فى حواشى ص ٢٣٦ .

(١) البيت لدبية بن حرمى الشيبانى ثم السلمى ، وكان سادنا للعزى . الأصنام لابن الكلبى ٢٥ - ٢٦ .

(٢) ش وكذا أصل الأصنام : « عزّى » ، وهى صحيحة مع الخرم ، وأثبتت ما فى ط وهامش نسخة الخزانة الزكية من الأصنام . وفى الأصنام : « على خالد ألقى الخمار » .

(٣) كذا وردت « ألا » هنا ، مع أن نص الشاهد هنا : « أما والدماء » . ط : « ألا ودماء » ، صوابه فى ش .

التنبيه ، والواو للقسم والدماء مقسم به [١] ، والبيت الثالث جواب القسم . و (المائرات) المتردِّدات ، من مار الدم على وجه الأَرض يمور ، إذا تردَّد . ويروى : « أما ودماءٍ مائرات » بدون لام . و (تخالها) : تظُنها . وعَندما المفعول الثانى . و (قُنَّة العُزّى) : أَعلاها . وقُنَّة الجبل ، بالضم : أَعلاه . والعَنْدَم : البقَّم . والعندم : دمُ الأَخوين ، رواه أَبو على (فى الحجَّة) : ٢٤١

* أَمَا ودماءٍ لا تزالُ كأَنَّها *

وقال : انتصاب عندم بأَحد شيئين : أَحدهما : ما فى كان من معنى الفعل ، والآخر : أَن يجعل على قنة العزى مستقَرًّا فيكون الحال عنه . فإنْ نصبت بالأَوّل فذو الحال الضمير الذى فى كأَنَّها ، وإن نصبته عن المستقرّ فذو الحال الذِّكر الذى فى المستقَرّ ، والمعنى على حذف المضاف ، كأَنَّه مثلُ عندم . انتهى .

وقوله : « وما سبَّح » إلخ الواو عاطفة على الدماء ، وما مصدرية وسَبَّح بمعنى نَزَّه ، والرهبان فاعله ، وأَبيلَ مفعولُه ، وفى كل ليلة متعلق بسَبَّح . وروى : « فى كل بِيعة » أَى وتسبيح الرهبان [٢] أَبيل الأَبيلين . والبِيعة بكسر الباء : متعبَّد النصارى . وأَبيل الأَبيلين : راهب الرُّهبان ، قال ابن فارس ، والصاغانى (فى العباب) : الأَبيل : راهب النَّصارَى ، وكانوا يسمُّون عيسى عليه السلام أَبيل الأَبيلين ، ومعناه راهب الراهبين . وعيسى : بدلٌ أَو عطفُ

(١) ش : « مقسم بها » .
(٢) ط : « وسبح الرهبان » ، صوابه فى ش .

بيان له . والأَبيل بفتح الهمزة وكسر الموحَّدة ، كأمير : الرَّاهب ، سمِّى به لتأبُّله عن النساء وترك غِشيانهنّ . والفعل منه أَبَلَ يأْبُل إبالة ، ككتب كتابة ، إذا تنسَّك وترهَّب .

وأورده الجواليقى (فى المعرَّبات) قال : الأَبيل : الراهب ، فارسى معرب ، قال الشاعر [1] وهو جاهلى :

وما سبَّحَ الرُّهبانُ فى كل بِيعة .... البيت

وقال الآخر [2] :

* وما صَكَّ ناقوسَ النَّصارَى أَبيلها [3] *

وقالوا : أَيْبُلِىٌّ . قال :

وما أَيْبُلِىٌّ على هيكلٍ بَناهُ وصلَّب فيه وصارًا [4]

قال أبو عبيدة : أَيْبُلِىّ : صاحب أَبيل ، وهى عصا الناقوس . انتهى .

والأَيْبُلِى [هو] [5] بتقديم المثناة التحتية الساكنة وتأْخير الموحَّدة المفتوحة ، ويجوز ضمها ، ويجوز إبدال الأَلف هاء فيقال هَيْبُلِىّ ، ويجوز إبدال الياء التحتيَّة أَلفا فيقال آبُلِى . وقد جمع صاحبُ القاموس هذه اللغات فقال :

---

(١) هو عمرو بن عبد الجن . كما سيأتى ، وكما فى حواشى المعرب ٣٠ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٢٠٩ – ٢١٠ .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ١٢٣ .

(٣) صدره فى الديوان :

* فإنى ورب الساجدين عشية *

(٤) البيت للأعشى فى ديوانه ٤٠ ، وكذا وردت الرواية فى اللسان (أبل ٦) . وفى المعرب : « وما أبيلى » وكذا فى التعليق التالى : « أبيلى : صاحب أبيل » . ولا يستقيم وزن البيت بهذه الصورة ، كما أنه يتجافى مع التقييد التالى للبغدادى .

(٥) التكملة من ش .

الأَيبل كأمير : العصا ، والحزينُ بالسريانيّة ، ورئيس النصارى ، أَو الراهب ، أَو صاحب الناقوس ، كالأَيْبلّى بضم الباء وفتحها ، والهَيبُلىّ والآبَلىّ بضم الباء ، والأَيبل بضم الباء وفتحها . انتهى .

وقوله : « وما أَيبلىٌّ على هيكل » ، هو من قصيدةٍ للأَعشى ميمون . قال الصاغانى (فى العباب) : قيل أَراد أَيبلىّ كأَميرىّ ، فلمّا اضطُرّ قدَّم الياء كما قالوا أَينق ، والأَصل أَنوق . قال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

إنَّنى واللهِ فاقْبَلْ حِلفتى   بأَبيلٍ كلَّما صَلَّى جأَرْ

وقال ابن دريد : الأَبيل : ضارب الناقوس . وأُنشد :

* وما صَكَّ ناقوسَ النَّصارى أَبيلُها * انتهى

ونقل العينىُّ عن ابن الأَثير أَنَّه رُوِىَ أَيضًا :

* أَبيل الأَبيليِّين عيسى بنَ مريما *

على النَّسَب .

وقوله : « هزَّ منىِّ عامر » إلخ هذا من قبيل التجريد ، يريد أَن عامرًا وجدنى حُسامًا فى ذلك اليوم . ورَوى الصاغانىُّ (فى العباب) : « لقد ذاق منِّى » . ولعلع كجعفر : موضع ، قال ابن ولَّاد : لَعلعٌ من آخر السَّواد إلى البَرّ ، ما بين البصرة والكوفة . وقال غيره : لعلعٌ : ببطن فلْج ، وهى لبكر وائل ، وقيل هى من الجزيرة . كذا فى معجم مااستعجم للبكرى . وصمَّم : مضى ، يقال صمَّم الرجل فى الأَمر ، إذا جدَّ فيه .

صاحب الشاهد

والأبيات لعمرو بن عبد الجنّ . كذا قال الصاغانى فى العباب وغيره .

عمرو بن عبد الجن

٢٤٢

وفى جمهرة الأنساب لابن الكلبى أنّه تنوخى . وهو عمرو بن عبد الجن بن عائذ الله بن أسعد بن سعد بن كثير بن غالب بن جرم . وأسد بن ناعصة بن عمرو بن عبد الجنّ ، كان فارسًا فى الجاهلية . قال : ورأيت رجلًا من بنى عبد الجنّ بالكوفة شجاعًا ، قُطعت رجلُه فجُعِلت له من فِضَّة . وتنوخ : قبيلةٌ من قبائل اليمن .

(تتمة)

العُزَّى فى الأصل : تأنيث الأعزّ ، وقد يكون الأعزُّ بمعنى العزيز ، والعُزَّى بمعنى العزيزة . قال فى الصحاح : العزَّى : اسم صنم كان لقريش وبنى كنانة ، ويقال العزَّى : سمُرة كانت لغطفان يعبدونها ، وكانوا بنَوْا عليها عليها بيتًا وأقاموا لها سَدَنة ، فبعث إليها رسولُ الله – ﷺ – خالدَ بن الوليد فهدم البيتَ وأحرق السَّمُرَة وهو يقول :

يا عُزَّ كُفرانَكِ لا سُبحانكِ   إنّى رأيتُ اللهَ قد أهانكِ

ولا بأس بإيراد شيءٍ من أخبار الأصنام وسببِ اتخاذ العرب لها ، وكيف أزالها النبىُّ – ﷺ .

قال أبو المنذر هشام بن محمَّد بن السائب الكلبى (فى كتاب الأصنام) : حدَّثنى أبى وغيرُه [١] أنَّ إسماعيل بن إبراهيم – صلى الله عليهما وسلم – لمَّا سكن مكة ووُلد له بها أولادٌ كثيرة حتى ملئوا مكَّة ونَفَوْا من كان فيها من العماليق ، فضاقت [٢] عليهم مكَّة ووقعت بينهم الحروب

(١) بعده فى الأصنام ٦ : « وقد أثبتُّ حديثهم جميعا » .

(٢) فى الأصنام : « ضاقت » ، وهو الوجه .

بعضُهم بعضًا ، فتفسَّحوا فى البلاد والتماسِ المعاش . وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة ، أنَّه كان لا يظعنَ من مكة ظاعنٌ إلَّا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم ، تعظيمًا للحرم ، فحيثما حلُّوا وضعوه وطافُوا به كطوافهم بالكعبة ، صبابةً بها وحُبًا (١) ، وهم على إرث أبيهم إسماعيل : من تعظيم الكعبة ، والحجّ ، والاعتمار .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أنْ عبدوا ما استحبُّوا ونَسُوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيلَ غيرَه ، فعبدُوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كان عليه الأمَم من قبلهم ، كقوم نوح ، وفيهم بقايا على دين أبيهم إسماعيل ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكان أول من غيَّر دين إسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثانَ وسيَّب السائبةَ ووصلَ الوصيلة ، وبَحَرَ البَحيرةَ وحمى الحامية : عمرو بن ربيعة ، وهى لُحَىّ ، بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدى ، وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذى يَلِى أمر الكعبة (٢) . فلما بلغ عمرُو ابنُ لحىّ نازعَه فى الولاية ، وقاتل جرهما ببنى إسماعيل ونفاهم من بلاد مكة ، وتولَّى حجابة البيت .

ثم إنَّه مرض مرضًا شديدًا ، فقيل له : إنَّ بالبلْقاء من الشامِ حَمَّة (٣) إنْ أتيتها برأْت . فأتاها فاستحمَّ بها فبرأَ ، ووجد أهلَها يعبدون الأصنام ، فقال : ماهذه ؟ فقالوا : نستسقى بها المطر ، ونستنصر بها على العدوّ . فسألهم أن يُعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبَها حولَ الكعبة .

وحدَّث الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، أنَّ إسافًا رجلٌ من

(١) فى الأصنام: « وحبا بالحرم » .

(٢) هو الحارث بن مضاض الجرهمى .

(٣) الحمة : عين ماء فيها ماء جار يستشفى بها الأعلاّء والمرضى .

جرهم يقال له إساف بن يعلى ، ونائلةَ بنت زيد من جُرهم ، وكان يتعشَّقها فى أرض اليمن ، فأقبلوا حجّاجا فدخلَا الكعبة ، فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ، ففجر بها فى البيت ، فمُسخا فوجدوهما مسيخين ، فوضعوهما موضعَهما فعبدتْهما خزاعة وقريش ، ومن حَجَّ البيتَ من العرب . ٢٤٣

وكان أوَّلَ مَن اتخذ تلك الأصنامَ من ولد إسماعيل وغيرهم ، سمَّوها بأسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دينَ إسماعيل — هذيلُ بنُ مدركة ، اتخذوا سُوَاعًا فكان لهم برُهاطٍ من أرض ينبع ، وكانت سدنته بنى لِحْيان . واتَّخذت كلبٌ : وُدًّا بدُومةِ الجندل ، واتَّخذت مذحج وأهل جرش : يغوث ، واتخذت خَيْوان : يعوق ، فكان بقريةٍ لهم يقال لها خَيوان من صنعاء على ليلتين مما يلى مكة .

واتخذت حمير : نَسرًا فعبدوه بأرضٍ يقال لها بَلْخَع (١) ، ولم أسمع حمير سمَّت به أحدًا (٢) ، ولم أسمع له ذكرًا فى أشعارها ولا أشعار العرب (٣) . وأظنُّ ذلك كان لانتقال حمير أيام تُبَّع عن عبادة الأصنام إلى اليهودية .

وكان لحمير أيضًا بَيت بصنعاء يقال له : رئام ، بهمزة بعد الراء

---

(١) هذا ما فى ط والأصنام ١١ ومعجم البلدان . وفى ش : « بكخع » بالكاف ، تحريف .

(٢) قال ياقوت : « يعنى قالوا : عبد نسر » .

(٣) قال ياقوت ، تعليقا على ذلك : قلت : وقد ذكره الأخطل فقال :

أما ودماء مائرات تخالها ... على قنة العزى وبالنسر عندما

وما سبح الرحمن فى كل بيعة ... أبيل الأبيلين المسيح بن مريما

لقد ذاق منا عامر يوم لعلع ... حساما إذا ما هز بالكف صمما

المكسورة ، يعظّمونه ويتقرّبون عنده بالذبائح ، وكانوا فيما يذكرون يُكلَّمون منه . فلمّا انصرف تُبَّعٌ من مسيره الذى سار فيه إلى العراق [١] قدِم معه الحَبْرانِ اللذان صحباه من المدينة ، فأمراه بهدم رئام . وتهوَّد تبَّع وأهل اليمن ، فمن ثَمَّ لم أسمع بذكر رئام ولا نسرٍ فى شيءٍ من الأشعار ولا الأسماء ، ولم تحفظ العرب من أشعارها إلّا ما كان قبيل الإسلام .

قال أبو المنذر : ولم أسمع فى رئام وحده شعرًا ، وقد سمعتُ فى البقيّة .

هذه الخمسة الأصنام التى كان يعبدها قوم نوح ، وذكرها الله فى كتابه : ﴿ ولا تذرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويعوقَ ونسرًا [٢] ﴾ . فلمّا صنع هذا عمرو بن لُحيٍّ دانت العربُ للأصنام ، فكان أقدمها مناة . وسمّت العرب عبد مناة وزيد مناة . وكان منصوبًا على ساحل البحر من ناحية المشلَّل بقُديد ، بين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعًا تعظّمه وتذبح حوله ، وكان أشدَّ إعظامًا له الأوسُ والخزرج [٣] . وكان أولاد معدٍّ على بقيّة من دين إسماعيل ، وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه .

ومناة هى التى ذكرها الله : ﴿ ومَناةَ الثالثةَ الأُخرى [٤] ﴾ . وكانت

(١) هذا ما فى ش والأصنام . وفى ط : « من العراق » ، ولها وجه إذا روعى أن تبعا قد سار إلى العراق ، وانصرف أيضا من العراق .

(٢) الآية ٢٣ من سورة نوح .

(٣) بدله فى الأصنام : « ولم يكن أحد أشد إعظاما له من الأوس والخزرج » .

(٤) الآية ٢٠ من سورة النجم .

لهذيلٍ وخزاعة . وقريش [١] وجميعُ العرب تعظّمها ، إلى أن خرج رسول الله – ﷺ – من المدينة سنة ثمان من الهجرة ، وهو عامُ الفتح [٢] . فلما سار من المدينة أربعَ ليال أو خمس ليال بعث عليًّا فهدمَها وأخذ ما كان لها ، فأقبل به إلى النبى – ﷺ – وكان فيما أخذ سيفانِ كان الحارث بن أبى شَمِرٍ ملك غسّان أهْداهما ، أحدهما اسمه مِخْذم [٣] والآخر رَسُوب [٤] ، فوهبهما لعليّ ، فيقال إنَّ ذا الفَقار سيفَ علىٍّ أحدُهما ، ويقال إنَّ عليًّا وجدَهما فى الفلْس [٥] : صنم لطيّ حين بعثَه النبى – ﷺ – فهدَمه .

ثم اتَّخذوا اللاتَ بالطائف ، وكانت صخرةً مربَّعة ، وكان يهوديٌّ يلُتُّ عندها السَّويقَ ، وكان سدنتها من ثَقيف ، وكانوا بَنَوْا عليها بناء ، وكانت قريشٌ وسائر العرب تعظِّمها . وسمَّت زيدَ اللات وتيم اللات ، وكانت فى موضعِ منارةِ مسجدِ الطائف اليُسرى اليومَ . فلم تزل كذلك حتّى أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله – ﷺ – المغيرة بنَ شُعبة فهدمَها وحرَّقها بالنار .

ثم اتَّخذوا العُزَّى وسمَّى بها عبدُ العزى بن كعب ، وكان الذى اتَّخذها ظالم بن أسعد ، وكانت بوادٍ من نخلةَ الشاميّة عن يمين المُصعِد إلى

---

(١) فى الأصنام : « وكانت قريش » .

(٢) فى الأصنام : « وهو عام فتح الله عليه » .

(٣) ط : « مخزم » ، صوابه فى ش . وفى الأصنام ومعجم البلدان : « أحدهما يسمى مخذما » .

(٤) المخذم ، أصل معناه السريع القطع . والرسوب : الذى يمضى فى الضريبة ويغيب فيها ، من الرسوب ، وهو الذهاب سفلا . وبعده فى الأصنام : وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره فقال :

مظاهر سربالى حديد عليهما عقيلا سيوف : مخذم ورسوب

(٥) ضبط فى الأصنام بالفتح ، وفى معجم البلدان بالضم ، وفى القاموس بالكسر .

العراق من مكة فوق ذات عرق بتسعة أميال ، فبنى عليها بيتًا [١] ، وكانوا يسمعون فيه الصَّوت ، وكانت أعظمَ الأصنام عند قريش ، وكانت تطوف بالكعبة وتقول : « واللاتِ والعُزَّى ، ومناةَ الثالثة الأُخرى ، فإنَّهنَّ الغرانيقُ العُلَى ، وإنَّ شفاعتَهنَّ لتُرتجَى » . وكانوا يقولون : بناتُ الله ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، وهنَّ يشفَعْن إليه . فلمَّا بعث الله رسولَه أُنزل عليه : ﴿ أفرأَيتم اللَّاتَ والعُزَّى * ومَناةَ الثالثةَ الأُخرى * أَلكمُ الذَّكرُ وله الأُنثى [٢] ﴾ الآية . وحمت لها قريشٌ شِعبًا من وادى حُراض يقال له سَقَام [٣] ، يضاهون به حرم الكعبة . وكان لها مَنحَرٌ ينحرون فيه هداياها ، يقال له « الغَبغَب » ، وكانت قريشٌ تخصُّها بالإعظام ، فلذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان قد تألَّه فى الجاهلية وترك عبادةَ الأصنام : ٢٤٤

تركتُ اللاتَ والعزَّى جميعًا ... كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبورُ
فلا العُزَّى أَدينُ ولا ابتغيها ... ولا صنمَىْ بنى غَنْم أزور [٤]
ولا هُبَلًا أَزورُ ، وكان ربًّا ... لنا فى الدَّهر إذْ حِلْمى صغيرُ

وكان سدَنة العُزَّى بنى شيبان ، من بنى سليم ، وكان آخر من سَدنَها دُبيَّة [٥] ، فلم تزل كذلك حتَّى بعث الله نبيَّنا — ﷺ — فعاب

---

(١) فى الأصنام : « فبنى عليها بُسًّا ، يريد بيتًا » . البس بضم الباء .

(٢) الآيات ١٩ — ٢١ من سورة النجم .

(٣) ش : « سعام » ، صوابه فى ط ومعجم البلدان فى رسمه ، وذكر أنه بضم السين ، وفى شعر أبى خراش الهذلى :

أمسى سقام خلاء لا أنيس به ... إلا السباع ومر الريح بالغرف

(٤) كذا فى النسختين . وفى هامش ش حاشية بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف : ولا ابتغيها ، وصوابه : « ولا ابنتيها » ، أى كما فى الأصنام .

(٥) فى الأصنام : « دبية بن حرمى السلمى » .

الأصنامَ ونهاهم عن عبادتها ، ونزل القرآنُ فيها ، فاشتدَّ ذلك على قريش ، فلمَّا كان يومَ الفتح دعا خالدَ بنَ الوليد فقال : انطلقْ إلى شجرةٍ بطن نخلة (١) فاعضِدْها . فانطلق فقتل دُبيَّة .

وحدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : كانت العزَّى شيطانةً تأتى ثلاثَ سَمُرات ببطن نخلة ، فلما بَعث النبىُّ خالدَ بنَ الوليد قال له : « ائت بطنَ نخلةَ فإنَّك تجد ثلاثَ سمُرات ، فاعضِد الأُولى » . فأتاها فعضَدها ، فلما جاء إليه عليه الصلاة والسلام فقال : هل رأيتَ شيئًا ؟ قال : لا . قال : « فاعضد الثانية » . فعضدها ثم أتى النبىَّ عليه السلام فقال : هل رأيت شيئًا ؟ قال : لا . قال : « فاعضِد الثالثة » . فأتاها فإذا بحبشيَّةٍ نافشة شعرها ، واضعةٍ ثديَيها على عاتقها ، تَصرِفُ بأنيابها ، وخلفها دُبيَّة السُّلمىّ ، فلما نظر إلى خالد قال :

عُزَّاىَ شُدِّى شَدَّة لاتُكَــــذِّبى ... على خالدٍ ألقى الخِمارَ وشمِّرى (٣)

فإنَّكِ إن لاتَقتُلى اليوم خالدًا ... تبوئى بذُلٍّ عاجلا وتَنصَّرِى

فقال خالدٌ [رضى الله عنه] :

ياعُزَّ كُفْرانَكِ لا سُبحانكِ ... إنِّى رأيتُ اللهَ قد أهانكِ

---

(١) فى الأصنام : « شجرة ببطن نخلة » .

(٢) فى الأصنام : « دبية بن حرمى الشيبانى ثم السلمى » .

(٣) فى ش وأصل الأصنام : « عزى » وأثبت ما فى ط .

وقد صححها أحمد زكى إلى « أعُزَّاءُ » مستندا إلى ما ورد فى حاشية نسخته من كتاب الأصنام ، وكتب فى ذلك تحقيقا مسهبا ، فارجع إليه . وفى سيرة ابن هشام ٨٢٩ :

أيا عز شدى شدة لا ثوى لها ... على خالد ألقى القناع وشمرى

أيا عز إن لم تقتلى المرء خالدا ... فبوئى بإثم عاجل أو تنصرى

ثم ضربَها ففلق رأْسها فإذا حُمَمة (١) ، ثم عضَد الشجرة وقَتل دُبيَّة ، ثم أَتى النبيَّ – ﷺ – فأَخبره فقال : « تلك العُزَّى ولا عُزَّى بعدها للعرب » (٢) .

قال أَبو المنذر : ولم تكن قريش ومن بمكة يعظِّمون شيئًا من الاصنام إعظامَهمُ العزَّى ثم اللاتَ ثم مناة . فأَمَّا العزَّى فكانت تخصُّها دون غيرها بالزيارة والهديَّة ، وكانت ثقيف تخُصُّ اللاتَ ، وكانت الأَوس والخزرج تخصُّ مناة ، وكلُّهم كان معظِّما للعزَّى ، ولم يكونوا يرون فى الخمسة الأَصنام التى رفعها (٣) عمرو بن لحىّ كرأْيهم فى هذه .

وكانت لقريش أَصنامٌ فى جوف الكعبة وحولَها ، وكان أَعظمها عندهم « هُبَل » (٤) ، وكان فيما بلغنى من عقيقٍ أَحمر على صورة الإنسان ، مكسورَ اليد اليمنى ، أَدركته قريشٌ كذلك ، فجعلوا له يدًا من الذَّهب . وكان أَوّل من نصبه خُزيمَة بنَ مدركة ، وكان يقال له (٥) هبلُ خزيمة ، وكان قُدّامة سبعةُ أَقدُح (٦) مكتوبٍ فى أَوّلها : صريح ، والآخر : ملصَق . فإذا شكُّوا فى مولودٍ أَهدوا له هديّةً ، ثمَّ ضربوا بالقداح ، فإنْ خرج : صريح أَلحقوه ، وإن كان ملصقًا دفعوه . وقِدْحًا على الميت ، وقِدحًا على النِّكاح ، وثلاثةٌ لم تُفسَّر لى . ٢٤٥

---

(١) الحممة : واحدة الحمم ، وهى الفحم البارد ، والرماد ، وكل ما احترق من النار .

(٢) بعده فى الأصنام : « أمّا إنها لن تعبد بعد اليوم » .

(٣) فى الأصنام ٢٧ : « دفعها » بالدال . ورفعها : نصبها للعبادة .

(٤) ط : « وكان أعظمها هبل عندهم » ، وأثبت ما فى ش والأصنام .

(٥) ط فقط : « لها » ، تحريف .

(٦) وكذا فى الأصنام ، وهو جمع قِدح بالكسر . وقدح الميسر يجمع على أقدح وقداح وأقداح ، وجمع الجمع أقاديح .

فإذا اختصموا فى أمرٍ أو أرادوا سفرًا أو عملا ، أتوه فاستقسموا بالقِداح عنده ، فما خرج عمِلوا به وانتهَوْا إليه .

وكان لهم « إساف ونائلة » ، لمَّا مُسخا حجرين وُضعا عندَ الكعبة ليتَّعظ الناس بهما ، فلما طال مكثُهما وعُبدت الأصنامُ عُبِدَا معها ، وكان أحدهما يلصق الكعبة والآخر فى موضع زمزم ، فنقلت قريشٌ الذى كان يلصق الكعبة إلى الآخر . وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما ، فلما ظَهر رسولُ الله - ﷺ - يومَ فتح مكة دخل المسجد والأصنامُ منصوبةٌ حول الكعبة ، فجعل يطعُن بسِيَةِ قوسه فى عيونها ووجوهها ويقول : ﴿ جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقا [1] ﴾ ، ثم أمر فكُفئت على وجوهها ، ثم أُخرجَتْ من المسجد فحُرِّقت ، فقال فى ذلك راشد بن عبد الله السُّلمىّ :

قالت هلُمّ إلى الحديث فقلت لا ... يأبى الإلــهُ علــيكِ والإسلامُ
أوَ ما رأيتِ محمدًا وقبيلَهُ ... بالفتح حين تُكسَّر الأصنامُ
لرأيت نورَ الله أضحى ساطعًا ... والشِّركَ يغشى وجهَه الإظلامُ

وكان لهم أيضًا مناف ، وسمَّت به عبدَ مناف ، ولا أدرى أين كان ولا مَنْ نصَبه .

ولم تكن الحيَّضُ من النساء تدنو من أصنامهم ولا تمسَّحُ بها ، إنَّما كانت تَقف ناحيةً منها . وكان لأهل كلِّ دارٍ من مكة صَنم فى دارهم يعبدونه ، فإذا أراد أحدُهم السفرَ كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسَّح به ،

---

(١) الآية ٨١ من سورة الاسراء .

وإذا قدم من سفره كان أوّل ما يصنع إذا دخل منزله أنْ يتمسّح به . فلمّا بعث الله نبيَّه وأتاهم بتوحيد الله وعبادتِه قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الآلهةَ إلهًا واحدا إنَّ هذا لشَيءٌ عُجاب [١] ﴾ ، يعنون الأصنام . واستُهتِرت العربُ فى عبادتها ، فمنهم من اتَّخذ بيتًا ، ومنهم من اتَّخذ صنما ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناءِ بيت نصب حجرًا أمامَ الحرمِ وأمامَ غيره مما استحسَنَ ، ثم طاف به كطوافِه بالبيت ، وسمَّوها الأنصاب . فإذا كانت تماثيلَ دعَوها الأصنامَ والأوثان . وسَمَّوا طوافهم الدَّوَار . فكان الرجلُ إذا سافر منزلًا أخذ أربعةَ أحجار فنظر إلى أحسنها فاتَّخذه ربًّا ، وجعل ثلاثَ أثافىَّ لِقدره [٢] ، وإذا ارتحل غيَّرَهُ [٣] ، فإذا نزلَ منزلًا آخر فعلَ مثل ذلك ، فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلِّها ويتقرَّبون إليها ، وهم على ذلك عارفون بفَضْل الكعبة عليها [٤] . وكانت بنو مُلَيح من خُزاعةَ يعبدون الجنَّ ، وفيهم نزلت : ﴿ إنَّ الذين تَدْعُون من دُونِ الله عبادٌ أمثالكم [٥] ﴾ .

وكان من تلك الأصنام « ذو الخَلَصَة » ، وتقدَّم شرحُه فى أوائل الكتاب فى الشاهد السابع والعشرين [٦] .

وكان لمالك ومِلْكانَ ابنَىْ كِنانة بساحل جُدّة صنم يقال له سعد ، وكان صخرةً طويلةً ، فأقبل رجلٌ منهم بإبلٍ ليقفَها عليه يتبرَّك بذلك فيها ، فلما أدناها منه نَفَرت فذهبت فى كلِّ وجه ، فتناول حجرًا فرماه به وقال :

---

(١) الآية ٥ من سورة ص .
(٢) ط : « الثلاث أثافى » ، وأثبت ما فى ش والأصنام ٣٣ .
(٣) فى الأصنام ٣٣ : « وإذا ارتحل تركه » .
(٤) بعده فى الأصنام : « يحجونها ويعتمرون إليها » .
(٥) الآية ١٩٤ من الأعراف .
(٦) الخزانة ١ : ١٨٩ – ١٩١ .

لا باركَ الله فيك ، إنَّها ، أنْفَرْتَ عليَّ إبلي ! ثم انصرف وهو يقول :

أَتينا إلى سعدٍ ليجمع شملَنا فشتَّتنا سعدٌ فلا نحنُ من سعدِ
٢٤٦ وهل سعدُ إلَّا صخرةٌ بتَنوفة من الأَرضِ لا يدعُو لغَيٍّ ولا رُشْدِ [١]

وكان لدَوْس ، ثم لبنى مُنهِب بن دَوس ، صنم يقال له « ذو الكُفَيْن [٢] » ، فلما أُسلموا بعث النبى – ﷺ – الطُّفيل بنَ عَمرو الدَّوسى فحرَّقه وهو يقول :

ياذا الكُفَيْنِ لستُ من عبادكا ميلادُنا أَكبر مِن ميلادِكا

* إنِّى حشَوتُ النارَ فى فؤادكا *

وكان لبنى الحارث بن يَشكر من الأَزد صنم يقال له : « ذو الشَّرَى » .

وكان لقضاعة ولخم وجُذام وعاملة وغطفان ، صنمٌ فى مشارف الشام يقال له « الأُقيصِر » .

وكان لمزينة صنم يقال له « نُهْمٌ » ، وبه سمَّت عَبدَ نُهْم [٣] ، وكان سادنه خزاعىَّ بنَ عبد نُهْمٍ من مزينة ، فلما سمع بالنبى – ﷺ – ثار إلى الصنم فكسَّره وأنشأ يقول :

---

(١) فى الأصنام ٣٧ : « لا يدعى لغى ولا رشد » ، وما هنا يطابق ما فى سيرة ابن هشام ٥٣ جوتنجن .

(٢) فى القاموس (كفف) : « وذو الكفين : صنم كان لدوس » . وعلق عليه فى تاج العروس بقوله : « وذو الكفين كزبير : صنم لدوس بن نصر . ومنه قوله :

* ياذا الكفين لست من عبادكا *

ونقل السهيلى فيه التشديد . وقال : « أنه خفّف للضرورة » . وانظر الروض الأنف ١ : ٢٣٥ .

(٣) ط : « عبدتهم » ، صوابه فى ش .

ذهبت إلى نُهْم لأذبحَ عنده عَتيرَةَ نُسْكٍ كالذى كنتُ أفعلُ
فقلت لنفسى حينَ راجعتُ عقلَها أهذا إلـهٌ أبكـمٌ ليس يَعقِـلُ
أَبَيْتُ فدِينى اليومَ دينُ محمد إله السماء الماجدُ المتفضِّلُ

ثم لحق بالنبى - ﷺ - فأسلم ، وضمن [١] إسلام قومِه مزينة .

وكان لأزد السراة صنم يقال له « عائم » بالهمزة .

وكان لعنزة صنمٌ يقال له « سُعَير » ، وتقدَّم شرحه قريبًا [٢] .

وكان لخوْلان صنمٌ يقال له « عُمْيَانِس » ، يَقسِمون له من أنعامهم وحُروثهم قَسْمًا بينه وبين الله تعالى بزعمهم ، فما دخل فى حقِّ الله من حقِّ عُميانس ردُّوه عليه ، وما دخل فى حقِّ الصَّنم من حقِّ الله الذى سمَّوه له تركوه . وفيهم نزل فيما بلغنا : ﴿ وجَعَلُوا للهِ ممَّا ذَرأَ مِنْ الحَرْثِ والأنعامِ نصيبًا [٣] ﴾ الآية .

وكان لبنى الحارث كعبةٌ بنَجْران يعظِّمونها .

وكان أبرهة الأشرم بَنى بيتًا بصَنْعاء [٤] ، سمَّاها « القَلِيس » بفتح القاف وكسر اللام ، وضبطه صاحب القاموس بضم القاف وفتْح اللام المشددة ، بناها بالرُّخام وجيِّد الخشَب المذْهَب ، وكتب إلى ملك الحبشة : إنِّى قد بنيت لك كنيسةً لم يبنِ مثلَها أحد ، ولستُ تاركًا العربَ حتَّى أصرفَ

---

(١) فى الأصنام : « وضمن له » . وفى الإصابة ٢٢٤٤ : « وبايعه على مزينة لما » .

(٢) فى الشاهد ٥٢١ من هذا الجزء .

(٣) الآية ١٣٦ من الأنعام .

(٤) المراد بالبيت الكنيسة . والذى فى الأصنام : « بيتا بصنعاء كنيسة سماها القليس » .

حجّهم عن الكعبة . فبلغ ذلك بعضَ نسأة الشّهور ، فبعث رجلين من قومه وأَمَرهما أن يخرجا حَتّى يتغوّطا فيها . ففعلا ، فلما بلغَه ذلك غضب وخرج بالفِيل والحبشة ، فكان من أمره ما كان .

قال أبو المنذر : المعمول من خشَبٍ أو ذهبٍ أو فضة صورةَ إنسانٍ فهو صنم . وإذا كان من حجارة فهو وَثَن .

هذا ملخص ماذكره من الأصنام ، وبقى عليه « عَوْض » وتقدّم شرحُه قبل هذا بستة شواهد [1] . و « اليعبوب » ، وهو صنمٌ لجديلةِ طيّ ، وكان لهم صنم أخذتْه منهم بنو أسد فتبدّلوا اليعبوب بعده ، قال عَبيد :

فتبدّلوا اليَعبوبَ بَعْدَ إلهِهِمْ صَنَمًا فقَرُّوا ياجديلُ وأَعذِبوا [2]

أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا .

و « باجِرَ » بالموحدة وبالجيم ، قال ابن دريد : هو صنمٌ كان للأزد فى الجاهليّة ومَنْ جاورهم من طيّ وقضاعة ، كانوا يعبدونه . وهو بفتح الجيم ، وربّما قالوا بكسرها .

* * *

٢٤٧ وأنشد بعده :

(لِحافى لحافُ الضّيفِ والبُردُ بُردُه)

على أن أل فى (البرد) عوضٌ عن الضمير المضاف إليه ، والتقدير : « وبردِى برده » . وتمامه :

---

(١) فى الشاهد ٥٢١ ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(٢) يقال قر بالمكان بكسر القاف ويقر بفتحها ، والأولى أعلى .

* ولم يُلهِنِى عنه غزالٌ مقنَّعُ *

وهو من شعرٍ فى الحماسة ، وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثالث والتسعين بعد المائتين [١] .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ٢٥١ – ٢٥٥ .

باب العلم

أُنشد فيه (١) :

٥٢٧ (سُبحانَه ثُمَّ سُبْحانًا نعوذُ بِهِ   وقبْلنا سَبَّح الجُودىُّ والجُمُدُ)

على أنَّ (سبحان) أكثر ما يستعمل مضافًا ، وإذا قطع فقد جاء منوَّنا فى الشعر ، كما فى البيت ، فلا يكون سبحان علما معرَّفًا بالعلمية (٢) بل تعريفه إمَّا بالإضافة لفظًا كسبحان الله ، أو تقديرًا كما فى قوله :

* سبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخِرِ (٣) *

أى سبحانَ الله . وإمّا باللام ، وهو قليل كقوله :

* سبحانك اللّهمَّ ذا السُّبحانِ (٤) *

وإذا قطع عن الإضافة فى الشعر نوِّن ونُصب على المفعولية المطلقة كسائر المصادر . فسبحان عنده إمّا معرف بالإضافة أو باللام ، وإما منكَّر فى الشعر ، ولا علمِيَّة .

وقريبٌ منه قول الطِّيبى (٥) (فى حاشية الكشاف) : لا يستعمل

---

(١) علق مصحح طبعة بولاق على هذا الشاهد بأن البغدادى لم يضع له رقما.وقال : « فلعله سهو منه » ، وفى الحق أن البغدادى لم يضع له رقما لأنه سبق ترقيمه فى الجزء الثالث ص ٣٨٨ ورقمه الأصيل هو ٢٤٣ . وقد سبق أيضا تخريجى لهذا الشاهد فى ٣ : ٣٨٨ .

(٢) ط : « معروفا بالعلمية » ، صوابه فى ش .

(٣) للأعشى ، كما سبق فى ٣ : ٣٩٧ وكما سيأتى .

(٤) انظر الشاهد ٥٢٨ .

(٥) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبى المتوفى سنة ٧٤٣ كما فى الدرر الكامنة . ومن حاشيته نسخة بالمكتبة التيمورية باسم « فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب » .

سبحان علمًا إلّا شاذا ، وأكثر استعمالِه مضافًا . فليس بعَلَمٍ ؛ لأنَّ الأعلام لاتضاف .

وقد ردَّ ابن هشام (فى الجامع الصغير) ، بعينِ ما ردَّ به الشارح المحقّق ، إلّا أنَّه قال : لمُلازمتِه للإضافة .

هذا محصَّله ، وهو مخالفٌ لكلام سيبويه فَمنْ بعدَه . والباعث له على المخالفة ماذكره . قال س فى باب ماينتصب من المصادر على إضمار الفعل المتروك إظهاره :

زعم أبو الخطَّاب أنَّ سبحان الله كقولك : براءةَ الله مِن السُّوء ، كأنَّه يقول : أبرأُ براءةَ الله من السُّوء [١] . وزعم أنَّ مِثله قولُ الأعشى :

أقول لمَّا جاءنى فخرُه سبحانَ مِن علقمةَ الفاخرِ

أى براءةً منه . وأمَّا التنوين فى سبحان فإنَّما تُرِك صرفُه لأنَّه صار عندهم معرفة ، وانتصابه كانتصاب الحمدَ لله . وزعم أنَّ قول الشاعر [٢] :

سَلامَك ربَّنا فى كلِّ فجرٍ بريئًا ما تَغَنَّثُك الذُّمومُ [٣]

على قوله بَرَاءَتَك [٤] ربَّنا من كل سوء . فكل هذا ينتصب انتصابَ حمدا وشكرًا ، إلّا أنَّ هذا ينصرف وذلك لا ينصرف . ونظير سبحان الله فى البناء من المصادر والمجرى ، لا فى المعنى : غفران ، لأنَّ بعضَ العرب يقول :

---

(١) انظر سيبويه ١ : ١٦٣ من نسختى .

(٢) هو أمية بن أبى الصلت كما سيأتى . وانظر ديوانه ٥٤ .

(٣) تغنثك ، أى تتغنثك ، بحذف إحدى التاءين ، أى تعلق بك .

(٤) فى سيبويه : « براءتك » .

غفرانك لا كُفرانك ، يريد : استغفارًا لا كفرًا . وقد جاء سبحان منوّنًا مفردًا في الشعر ، قال الشاعر :

* سبحانه ثم سبحانًا نعوذ به *

شبَّهوه بقولهم : حِجْرًا ، وسَلامًا . انتهى كلامُ سيبويه .

وقوله : « سبحان من علقمة الفاخر » قال الأعلم : الشاهد فيه نصب سبحان على المصدر ، ولزومها النَّصبَ من أجلِ قلَّة التمكن . وحُذف التنوينُ منها لأنَّها وضعت عَلَمًا للكلمة ، فجرت في المنع من الصرف مجرى عثمان ونحوه ، ومعناها البراءة والتنزيه . ٢٤٨

وقوله : « سلامَك ربَّنا » إلخ قال الأعلم : الشاهد في نصب سلامَك على المصدر الموضوع بدلًا من اللفظ بالفعل ، ومعناه البراءة والتنزيه ، وهو بمنزلة سبحانك في المعنى وقلَّة التمكن . ونصب بريئا على الحال المؤكِّدة ، والتقدير : أُبرِّئك بريئًا [1] لأنَّ معنى سلامك كمعنى أُبرِّئك ، ومعنى تَعَنَّتك : تَعْلَق بك ، وهي بالثاء المثلثة . والذُّموم : جمع ذَمّ . أي لاتلحقك صفةُ ذّم .

والبيت لأُميَّة بن أبي الصَّلت .

وقوله : (سبحانه ثمَّ سبحانا [2]) إلخ قال الأعلم : الشاهد قوله سبحانا ، وتنكيره وتنوينه ضرورة ، والمعروف فيه أنَّه يضاف إلى ما بعده ، أو يجعل مفردًا معرفة كما تقدَّم في بيت الأعشى . ووجه تنكيره وتنوينه

---

(١) ش : « أبرأتك بريئا » ، وما في ط يطابق ما في الشنتمرى ١ : ١٦٤ .

(٢) ط : « سبحانه سبحانا » بإسقاط « ثم » وهي ثابتة في ش .

أن يشبَّه ببراءة لأنَّه فى معناها . والجُودى والجُمُد بضمتين : جبلان . انتهى .

وقال ابن خلف : قوله: سبحانًا فيه وجهان : يجوز أن يكون نكرة فصرَفه ، ويجوز أن يكون صرَفه للضرورة . انتهى .

وهذا من كلام أبى على (فى التذكرة القَصْرِيّة) قال : سبحانًا يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون هو الذى كان يضيفه فى سبحانه . ويجوز أن يكون معرفةً فى الأصل ثم نكِّر ، كزيد من الزيدين . وجاز إفراد سبحان وإن لم يستعمل ذلك فى الكلام ، فجاء فى الشِّعر كما استعمل العَلَم ، فى قوله :

* سُبحانَ من علقمة الفاخر * انتهى .

ويكون تنوينه على الأوّل ضرورة . وإلى الثانى ذهب ابن الشجرى (فى أماليه) ، قال : سبحان فى قول الأعشى :

* سبحانَ مِنْ علقَمَةَ الفاخِرِ *

لم يصرفْه لأنَّ فيه الألف والنون زائدَين ، وأنَّه علمٌ للتسبيح . فإن نكَّرته صرفته ، كما قال أُميّة :

سبحانه ثم سبحانًا نعوذ به .... البيت . اهـ

وقد تقدم فى الشاهد الرابع والستين بعد الأربعمائة [٢] النقلُ عن تذكرة أبى على ما يتعلق بتنوين سبحان بأبسط من هذا ، فارجع إليه .

---

(١) : « زائدان » ، وما أثبت من ش يطابق ما فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٥٠

(٢) انظر ما سبق فى ٦ : ٢٨٦ .

وقال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : سبحان علمٌ عندنا واقع على التّسبيح ، وهو مصدر معناه البراءة والتنزيه ، وليس منه فعل وإنّما هو واقعٌ موقع التسبيح الذى هو المصدر فى الحقيقة ، جُعل علمًا على هذا الموضع ، فهو معرفة لذلك ولا ينصرف ، للتعريف وزيادة الألف والنون . قال الأعشى :

* سبحانَ من علقمة الفاخرِ *

فلم ينوّنه لما ذكرنا من أنّه لا ينصرف . فإن أضفته قلت سبحان الله ، فيصير معرفة بالإضافة ، وابتُزّ منه تعريف العلمية كما قلنا فى الإضافة ، نحو : زيدُكم وعَمْركم ، يكون بعد سلب العلمية . فأمّا قوله :

* سبحانه ثم سبحانًا نعوذ به *

ففى تنوين سبحانًا هنا وجهان : أحدهما أن يكون ضرورةً كما يُصرف ما لا ينصرف فى الشعر ، من نحو أحمد وعمر .

والوجه الثانى : أن يكون أراد النكرة . انتهى .

وقد حمل صاحب (الكشف) قولَ الزمخشرى : « سبحان علم للتسبيح » على أنّه علمٌ مطلقًا سواء أضيف أو لم يضف . وكذا قال الفنارى (فى حاشية ديباجة المطوّل) : إنّه علمٌ ، أضيف أو لم يضف ، وهو غير منصرفٍ للألف والنون مع العلمية .

وهذه طريقة ابن مالك ، وتبعه الشارح المحقق ، وهى أنّ العلَم يجوز أن يضاف مع بقائه على علميّته من غير قصدِ تنكير . ولا يردّ بهذا على الشارح المحقق هنا كما زعمه بعض مشايخنا ، لأنّه قد نقل أنّه يعرّف باللام تارة وينكّر تارة .

وأمّا قوله : إنه ممنوعٌ من الصرف مع الإضافة أيضًا ، فلعله مفرَّع على القول بأنَّه إذا لم تَزُل إحدى العلَّتين فهو غير منصرف وإن كان مضافًا . ٢٤٩

وهذه عبارة صاحب الكشف : قوله « سبحان علم للتسبح » ، الظاهر من إطلاقه ههنا وفى المفصل أنَّه علم للتسبيح ، أى التنزيه البليغ لا التسبيح بمعنى قول سبحان الله مطلقًا ، مضافًا كان أم لا ، خلافَ مانصَّ عليه الشيخ ابن الحاجب أنَّ ذلك فى غير حال الإضافة . والوجه ما ذهب إليه العلَّامة ، لأنَّه إذا ثبتت العلَّةُ بدليلها فالإضافة لاتنافيها ، وليست من باب زيد المعارك لتكون شاذَّة ، بل من باب حاتم طيّىء وعنترة عَبْس ، ولهذا لم يضف إلَّا إلى اسم من أسمائه تعالى . ولو لم يحمل على ما ذكرت لم يكن لقوله سبحان علم للتسبيح فى هذا الموضع معنًى . وأمَّا دلالته على التنزيه البليغ فمن الاشتقاق ، أعنى من التسبيح ، وهو الإبعاد فى الأرض . ثم ما يعطيه نقله إلى التفعيل ، ثم العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصّة ، لا سيما وهو علم يشار به إلى الحقيقة الحاضرةِ فى الذهن ، وما فيه من قيامه مقام المصدر مع الفعل . ولهذا لم يجز استعماله إلَّا فيه تعالت أسماؤه [١] وعظم كبرياؤه . وكأنه قيل : ما أبعد الذى له هذه القدرة عن جميع النقائص ، فلا يكون اصطفاؤه لعبده الخصيصِ به إلَّا حكمةً وصوابًا . فالتنزيه لا ينافى التعجُّبَ كما توَهَّم واعترضَ وجعله مُدَارًا . والتعجب ههنا هو الوجه ، بخلافه فى قوله : ﴿ سبحانَكَ هذا بهتانٌ عظيم [٢] ﴾ . فافهمْ . انتهى .

وقد تضمَّن كلامُه جوابَ من استشكل العلميَّة بأمرين :

(١) ط : « تعالى أسماؤه » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .
(٢) الآية ١٦ من سورة النور .

أَحدهما : أَنَّ مدلول التسبيح لفظ ، لأَنَّه مصدرُ سبَّح إذا قال سبحان الله ، ومدلول سبحانه التنزيه لا اللفظ ، فلا يصلح جعل سبحان الذى مدلوله معنًى على ما مدلوله لفظ .

وثانيهما : ما ذكره البهلوان (فى حاشية الكشاف) من أَنَّه قد تقرّر أَنَّ العلَم لا تجوز إضافته إلَّا بعد تنكيره ، وطريق تنكير العلم أَن يؤوَّل بواحد من الأُمّة المسمَّاة به . وعلم الجنس مسمَّاهُ شيءٌ واحد لا متعدّد ، فلا يصلح تنكيره .

وقول صاحب الكشف : وليست من باب زيد المعارك ، أَى من إضافة العلم إلى ماهو متَّصف به معنًى ، قَصَد به ردَّ كلام الطِّيبى .

وأَشار أَبو السعود (فى تفسيره) لردِّهما بقوله : وحيث كان المسمّى معنًى لاعينا ، وجنسًا لا شخصا ، لم تكن إضافته من قبيل ما فى زيد المعارك أو حاتم طىّ . وإنَّما فعل هذا لأَنَّ نحو زيد المعارك لا يكون إلا فى علَم الشخص دون علم الجنس .

قال صاحب اللباب : طريق تنكير العلم أَن يُتأَوَّل بواحِدٍ من الأُمّة المسمَّاة به ، نحو هذا زيد ورأَيت زيدًا آخر . أَو يكون صاحبه قد اشتهر بمعنًى من المعانى فيجعل بمنزلة الجنس الدالّ على ذلك المعنى ، نحو قولهم : لكلِّ فرعونٍ موسى .

قال شارحه : قوله وطريق تنكير العلم ، أَى من أَعلام الأَشخاص لا من أَعلام الأَجناس ، فإنَّه لا ينكَّر بالطريق الأَوّل ، لأَنَّ من شرطه أَن يوجد الاشتراك فى التسمية ، والمسمَّى بعلم الجنس واحدٌ لا تعدُّد فيه ، اللهم إلَّا أَن يوجد اسمٌ مشترك أُطلق بحسب الاشتراك على نوعين مختلفين ثم وَرَدَ

الاستعمالُ فيه مرادًا به واحدٌ من المسمَّى به .

وأمَّا بالطريق الثانى فلا شبهة فى إمكان تنكيرها ، مثل أن يقال : فَرَسْت كلَّ أُسامةٍ ، أى بالغ فى الشجاعة .

وقوله : « وزيدًا آخر » تأويله المسمَّى بزيد ، وحينئذ يصير اسم جنسٍ متواطئًا يدخل فيه كلُّ من سمى به .

وقوله : لكل فرعونٍ موسى ، أى لكل ظالم مُبْطِلٍ عادلٌ محقٌّ . ويجوز أن يبقى العلم فى هذا على حاله ، ويكون المضاف محذوفًا ، أى لِمثل كلِّ فرعونٍ مِثْلُ موسى . وليس المراد هنا مسمًّى بموسى ، ولا مسمًّى بفرعون . انتهى . ٢٥٠

ويمكن تصوير تنكير العلم الجنسى بطريقٍ آخر ، وهو أنْ يجرَّدَ عن ملاحظة التعيين ، ويُراد به مطلقُ الماهيَّة فى ضمن أىِّ فردٍ من أفراده .

والحاصل أنَّ القول بالعلمية مطلقًا أُضيف أو لم يُضَفْ صعب .

ولله درُّ الشارح المحقق ، تفصَّى عن الأُمورِ بسلوكه طريقةً وسطى لايَرِدُ عليها ما ذُكر ، وإن كانت مخالفةً للجمهور .

بقى بحثٌ فى عامل سبحان ، هل يجوز أن يقدَّر فعلَ أمر ؟ فيه نزاعٌ . ذكر السيِّد (فى شرح المفتاح) فى قوله تعالى : ﴿ فلمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فى النَّار وَمَنْ حَوْلَهَا وسُبحانَ اللهِ رَبِّ العالمين [1] ﴾ أنَّ قوله وسبحان بتقدير الأمر ، تنزيهًا له تعالى فى مقام المكالمة عن المكان والجهد ، أى وسبِّحهُ تسبيحا . انتهى .

(١) الآية ٨ من سورة النمل .

وقال القاضى ، فى ﴿ فسُبْحانَ اللهِ حينَ تُمْسُونَ [١] ﴾ : إخبارٌ فى معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الأوقات .

وقال بعضُ من كتب عليه : لم يجعله أمرًا ابتداء ، لأنَّ سبحان الله على ما بُيِّن فى النحو لزم طريقةً واحدة ، لا ينصبه فعلُ أمر

وجوّز الأمرين أبو شامة فى : ﴿ سبحان الذى أسْرى [٢] ﴾ ، قال : إن فعله المحذوف إمّا فعل أمر أو خبر ، أى سبِّحوا أو سُبِّح الذى أسرى بعبده ، على أن يكون ابتداءً ثناءً من الله على نفسه ، كقوله : ﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾ .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات لورقة بن نوفل الصحابى ، قالها لكفّار مكّة حين رآهم يُعذِّبون بلالًا على إسلامه ، تقدَّم شرحُها مع ترجمته فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائتين [٣] . وقبله :

سُبحان ذى العَرش لا شىءٌ يعادلُه ربُّ البريَّةِ فردٌ واحـدٌ صمَـدُ

وقوله : (نَعُوذ به) يريد كلمَّا رأَينا أحدًا يعبُدُ غير الله عُذْنا بعظمته وسبَّحنا حتَّى يعصمَنا من الضَّلال . وروى الرِّياشى : (نعودُ له) بالدال المهملة وباللام ، أى نعاوده مرَّة بعد مرَّة .

و (الجُودىُّ) : جبل بالموصل ، وقيل بالجزيرة . و (الجُمُد) بضم الجيم والميم : جبلٌ أيضًا بين مكة والبصرة . ومفعول سبَّح محذوف ، أى سَبَّحه الجودىُّ .

* * *

(١) الآية ١٧ من سورة الروم .

(٢) الآية الأولى من الاسراء .

(٣) الخزانة ٣ : ٣٨٨ – ٣٩٧ .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الخمسمائة [١] :

٥٢٨ (سُبحانَكَ اللهمَّ ذا السُّبحانِ)

على أن (سبحان) جاء معرَّفا باللام فلا يكون علما ، فلا يأتى فيه ما زعمه بعضهم من أنَّه علَمٌ ولو أُضيف . وذا بمعنى صاحب منصوب لأنَّه تابع للَّهُمَّ [٢] على المحل .

وهذا الرجز أُنشده ابن مالك (فى شرح الكافية) ، قال فى نظمها :

سُبحان فى غير اختيارٍ أُفرِدا ... مُلابِسَ التَّنوين أَو مجرَّدا
وشذَّ قولُ راجزٍ ربّانى ... سبحانكَ اللهمَّ ذا السُّبحانِ [٣]

وقال فى الشرح : من الملتزِمِ الإضافةِ سبحان ، وهو اسمٌ بمعنى التسبيح وليس بعلم ، لأنَّه لو كان عَلَمًا لم يضَفْ إلى اسم واحدٍ كسائر الأعلام . وأُخلىَ من الإضافة لفظًا للضرورة ، منوَّنا وغير منوَّن . فالتنوين كقول الشاعر :

سبحانه ثم سبحانا نعوذُ به ... . البيت

وغير المنوَّن كقول الاخر : ٢٥١

* سُبحانَ مِن علقمةَ الفاخِرِ *

وزعم الزمخشرىُّ وأَبو علىّ أَنَّ الشاعر ترك تنوين سبحان لأنَّه علمٌ على التسبيح ، فلا ينصرف للعلميَّة وزيادة الأَلف والنون .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٨ والهمع ١ : ١١٩٠ ويس ١ : ١٢٥ .
(٢) فى النسختين : « تابع لا للهم » ، والوجه ما أثبت .
(٣) الكافية الشافية لابن مالك ص ٥٢ .

وليس الأمر كما زعما ، بل ترك التنوين لأنّه مضاف إلى محذوف مقدّرِ الثبوت ، كما قال الراجز :

* خالطَ من سَلْمَى خياشيمَ وفا (١) *

أراد : وفاها . وشذَّ دخول الألف واللام على سبحان والإضافةُ إليه ، فيما أنشده ابن الشَّجرى ، من قول الراجز :

* سبحانك اللهمّ ذا السبحانِ *

انتهى .

وأورده أبو حيان أيضا (فى الارتشاف) كما يأتى بعد هذا (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(سبحانَ من علقمة الفاخرِ)

على أنَّهم استدلُّوا به على علميَّة (سبحان) بمنعه من الصَّرف للعلميَّة وزيادة الألف والنون كعثمان . وردَّه الشارح المحقق بأنَّه من قبيل المضاف ، أى سبحان الله ، حَذَف المضاف إليه وأبقى المضاف على حاله من التجرُّد عن التّنوين .

والشارح المحقّق مسبوقٌ بهذا الرّد ، نقله أبو حيان (فى الارتشاف) قال فيه : معنى سبحان الله براءةً من السُّوء . ويستعمل مفردا منوَّنا وغير منوَّن . فإذا قلت سبحان فهو ممنوع من الصرف عند سيبويه للعلمية وزيادة

---

(١) للعجاج ، كما سبق فى ٣ : ٤٤٢ .

(٢) هو الشاهد ٢٣٥ فى الخزانة ٣ : ٣٩٧ .

الأَلف والنون . وقيل : هو مضاف فى التقدير ، ترك على هيئته حين كان مضافًا فى اللفظ . وهو اسمٌ وضع موضع المصدر الذى هو التسبيح ، وأَصله الإضافة ثم استُعمِل مقطوعًا عنها منوَّنا فى الشعر وغير منوَّن . وقيل وضع نكرةً جاريةً مجرى المصادر ، فعرِّف بالإضافة وبأَل . قال :

* سُبحانك اللَّهمَّ ذا السُّبحانِ * انتهى

وممَّن حكى ماردَّه الشارح ، ابنُ الحاجب (فى شرح المفصَّل) قال : والذى يدلُّ عليه أَنَّه علمٌ قولُ الشاعر :

قد قلتُ لما جاءنى فخرُه سبحانَ من علقمةَ الفاخرِ

ولولا أَنَّه علم لوجب صرفُه ، لأَنَّ الأَلف والنون فى غير الصفات إنما تَمْنع مع العلميَّة ، ولا يستعمل سبحان علمًا إلَّا شاذًّا . وأَكثر استعماله مضافا . وإذا كان مضافا فليس بعلم ، لأَنَّ الأَعلام لا تضاف وهى أَعلام ، لأَنَّها معرفة ، والمعرفة لا تضاف . وقيل : إنَّ سبحان فى البيت حُذف المضاف إليه وهو مُرادٌ للعِلم به . انتهى .

وزعم الراغب أَنَّ سبحان فى هذا البيت مضاف إلى « علقمة » ومِنْ زائدة .

وهو ضعيف لغةً وصناعة .

أَمّا الأَوّل فلأنَّ العرب لاتستعمله مضافا إلَّا إلى الله ، أَو إلى ضميره ، أَو إلى الربِّ ، ولم يسمع إضافته إلى غيره .

وأَمَّا صناعةً فلأَن مِنْ لاتزاد فى الواجب عند البصريِّين .

و (سبحان) هنا للتعجُّب ، ومِن داخلةٌ على المتعجَّب منه . والأَصل

فيه أن يسبّح اللهَ عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثُر حتى استعمل فى كل متعجَّبٍ منه .

وصاحب الصحاح ، وتبعه صاحب العباب ، نظرا إلى ظاهره فقال : العرب تقول سبحان من كذا ، إذا تعجَّبَتْ منه . قال الأعشى يذكر علقمة ابن عُلاثة :

أقول لمَّا جاءنى فخرُهُ سبحانَ من علقمةَ الفاخِرِ

يقول : العجب منه إذ يفخر . وإنّما لم ينوّن لأنّه معرفةٌ عندهم ، وفيه شَبَه التأنيث . انتهى .

ولا يَخفى ضعفُه . ووجودُ الزيادة تغنى عن شبه التأنيث .

صاحب الشاهد ٢٥٢

والبيت من قصيدةٍ للأعشى ميمون ، هجا بها علقمة بن عُلاثة الصحابى ، وفَضَّل عدوَّ الله عامرَ بنَ الطُّفيل عليه .

وقد تقدم شرحُها وسببُها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائتين [1] .

* * *

وأنشد بعده :

(خالط من سَلْمَى خياشيمَ وفا)

على أنَّ أصله وفاها ، حذف المضاف إليه وبقى المضاف على حاله .

وتقدّم شرحه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين [2] .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٣٩٧ – ٤٠٣ .

(٢) الخزانة ٣ : ٤٤٢ .

وأنشد بعده :

ولأنت أجرأ من أسامةَ إذْ دُعِيتْ نزالِ ولُجَّ فى الذُّعرِ

تقدّم شرحِهِ فى الشاهد السابع والستين بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(كأنَّ فَعْلَةَ لم تملأْ مواكبُها ديارَ بكر ولم تَخْلَع ولم تَهَبِ)

وقد تقدَّم شرح هذا أيضًا فى الشاهد السادس والثمانين بعد الأربعمائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيدِ مُبَارَكا شديدًا بأحناء الخلافةِ كاهلُه)

وتقدم شرحه أيضًا فى الشاهد التاسع عشر بعد المائة (٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(علا زيدُنا يومَ النَّقا رأسَ زيدِكم بأبيضَ ماضى الشَّفرتينِ يمَانِى)

وهذا أيضًا تقدم شرحه فى الشاهد الثامن عشر بعد المائة (٤).

* * *

(١) الخزانة ٦ : ٣١٦ – ٣٢٧ .

(٢) الخزانة ٦ : ٤٤٧ – ٤٦٥ .

(٣) الخزانة ٢ : ٢٢٦ – ٢٢٨ .

(٤) انظر ما سبق فى ١ : ٢٢٤ – ٢٢٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الخمسمائة [(١)] :

٥٢٩(سَكنوا شُبيثًا والأَحصَّ وأَصبحتْ
نَزلت مَنَازِلَهُم بنو ذبيانِ
وإذا فلانٌ ماتَ عن أُكرومةٍ
رَقَعوا مَعَاوزَ فقدِهِ بفُلانِ)

على أَنَّ (فلانا) يجوز أَن يأْتىَ فى غير الحكاية ، خلافًا للمصنِّف وابن السَّرَّاج ، كما فى البيت الثانى ؛ فإِنَّ فلانًا الأَوّل وقع فاعلًا لفعل يفسِّره ما بعده ، وفلانًا الثانى جُرّ بالباء ، وهما وقعا فى غير حكاية .

والمصنِّف ذهب إلى هذا (فى شرح المفصَّل) قال فى آخر شرح العلم : ولم يثبت استعمال فلانٍ إلّا حكاية ، لأَنَّه اسمُ اللفظِ الذى هو علم ، لا اسمُ مدلولِ العلم ، فلذلك لا يقال جاءَنى فلان ، ولكن يقال قال زيد جاءَنى فلان . قال الله تعالى : ﴿ يقولُ ياليْتَنى اتَّخذتُ مَعَ الرَّسول سَبيلًا * ياويْلَتَى ليتَنِى لم أَتَّخِذْ فلانًا خلِيلا [(٢)] ﴾ ، فهو إذن اسمُ الاسم . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيتان للمرَّار الفقعسى ، قد سقط من بينهما بيت .

روى القالى (فى أَماليه) عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمِّه الأَصمعىِّ قال : بينا أَنا بحِمَى ضَرِيَّة إذْ وقف علىَّ غلامٌ من بنى أَسد فى أَطمارٍ ، ما ظننته يجمع بين كلمتين ، فقلت : ما اسمك ؟ فقال : حُرَيقيص . فقلت : أَمَا كفى أَهلَك أَنْ سمَّوك حُرقوصًا حتَّى حقَّروا اسمك ؟ فقال : إنَّ السَّقْط يُحرِق الحَرَجة ! فعجبت من جوابه ، واتَّصل الكلامُ بيننا فقلت : أَنشدْنا شيئًا من أَشعار قومك . قال : نعم ، أَنشدك لمرَّارِنا ؟ قلت : افعلْ . فقال :

٢٥٣

---

(١) أمالى القالى ١ : ٦٦ ومعجم البلدان (شبيث) .

(٢) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة الفرقان .

سكنوا شُبَيثًا والأحصَّ وأصبحتْ نَزلَتْ منازلَهم بنو ذُبيان
وإذا يقالُ أُتيتُم لم يَبرحوا حَتَّى تقيم الحربُ سوقَ طِعانِ (١)
وإذا فلانٌ مات عن أُكرومة رَقَعوا معاوزَ فقدِه بفُلانِ (٢))

قال : فكادت الأرض أن تسُوخ بى لحسن إنشاده وجودةِ الشعر . فانشدتُ الرَّشيد هذه الأبياتَ فقال : ودِدتُ يا أَصمعىُّ أَن لو رأَيتُ هذا الغلامَ فكنت أُبْلغه أَعلى المراتب : انتهى .

وحِمَى ضرِيَّة ، بفتح الضاد المعجمة وكسر الراءِ المهملة وتشديد المثناة التحتيَّة : نُسِب هذا الحمى إلى ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وهو أَكبر الأَحْماء من ضَرِيّة إلى المدينة ، وهى أَرضٌ كثيرة العشب . وأَوّل مَن حماه فى الإسلام عمر بن الخطاب لإبل الصَّدقة وظَهْرِ الغُزاة ، وكان حِماه ستة أَميالٍ من كل ناحية من نواحى ضريّة ، وضريَّة فى أَوسط الحِمى .

والحُرقوص بالقاف وبالمهملات ، كعصفور : دويِّبَّةٌ كالبُرغوث ، ربَّما نبت له جناحان فطار .

والسّقط قال القالى : هو ما يسقُط من الزند إذا قدح . وقال أَبو عبيدة : فى سقط النار وسقط الولد ثلاثُ لغات (٣) : الضَّمُّ والفتح والكسر . وزِنادُ العرب من خشب ، وأَكثر ما يكون من المَرْخ والعَفار ، ولذلك قال الأَعشى .

---

(١) فى الأمالى : « حتى تقيم الخيل » .
(٢) فى الأمالى : « معاوز فقره » .
(٣) ط : « ثلاثة لغات » ، صوابه فى ش وأمالى القالى .

زِنادك خيرُ زِناد المُلُو كِ صادفَ منهنَّ مَرْخٌ عَفارًا

وإنَّما يؤخذ عود قدر شِبر فيحدَّد طرفه ، فيُجْعل ذلك المحدَّد فى ذلك الثَّقب وقد وضَعَه بين رجليه ، فيُديره ويَفتله فيُورى نارًا . فالأَعلى زنْد والأَسفل زندة .

والحرجَة بفتح الحاءِ والراءِ المهملتين بعدهما جيم ، قال القالى : هو الشجر الملتفُّ ، وجمعه حراج . قال العجّاج :

عاينَ حيًّا كالحِراج نَعَمُهْ يكون أقصى شلِّهِ مُحْرَنْجَمُه

يقول : عاين هذا الجيش الذى أَتاناا حيًا . ويعنى بالحىِّ قومَه بنى سعد . والنّعم : الإبل . وأَقصى : أَبعَدُ . وشلُّه : طرْده . ومُحْرنْجَمُه : مبركه حيث يجتمع بعضه إلى بعض . والمعنى أَنَّ الناس إذا فوجئوا بالغارة وطَردوا إبلَهم وقاموا هم يقاتلون ، فإن انهزموا كانوا قد نَجَوا بها . يقول : فهؤلاء من عِزِّهم ومنعتهم لايَطردونها ، ولكن يكون أَقصى طَردهم أَن ينيخوها فى مبركها ثم يقاتلوا عنها . انتهى .

وقوله : (سكنوا شُبَيثا) هو بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة وآخره ثاءَ مثلثة : اسم ماءٍ لبنى تغلب . قال الجعدىُّ وذكر كليبًا لمَّا طعنه جسَّاس :

فقال لجسّاسٍ أَغِثنى بشَربةٍ من الماء وامنُنْها علىَّ وأَنعِمِ
فقال : تجاوزتَ الأَحصَّ وماءه وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مترسَّمِ

[مترسَّم [1]] أَى موضع الماء لمَنْ طلبه [2] . وقال عمرو بن الأَهتم :

فقال لجسَّاس أَغثنى بشربة وإلَّا فنبِّئْ من لقيتَ مكانى

---

(١) التكملة من ش .

(٢) ظ : « لما طلبه » ، صوابه فى ش .

فقال : تجاوزتَ الأَحصَّ وماءه   وبطنَ شُبيث وهو غير دِفانِ

كذا فى المعجم للبكرى . قال السُّكَّرى : يقال ماء دَفْن ومياهٌ دِفان ، أى مندفنة قد درس مَواضعُها . والأَحصّ بمهملتين قال البكرى (فى معجمه) : هو على وزن أَفْعَل ، وادٍ لبنى تغلب ، كانت فيه بعضُ وقائعهم مع إخوتهم بكر . قال مهلهل :

وادِى الأَحصِّ لقد سَقاك من العِدَى   فَيضَ الدُّموع بأَهله الدَّعْسُ

والدّعس من منازل بكر . وقال جرير :

سادت هومى بالأَحصِّ وِسادى   هيهاتَ من بلد الأَحصِّ بلادى

وبالأَحصِّ قَتل جسّاسُ بن مرة ، كُليبَ بنَ ربيعة . انتهى .

وقوله : « تجاوزت الأَحصَّ وشُبيثًا » ، صار مثلًا يضرب لطالب الشئ بعد فوته ، أورده الزمخشرى (فى أمثاله) قال : هما ماءَان . وأَصله أَنَّ جسّاس ابن مُرّة لمّا ركب ليلحق كليبًا أَردفَ خلفه عمرو بنَ الحارثِ بن ذُهل بن شيبان ، فلما طعنه وبه رمقٌ قال له :

أَغِثْنِى يا جسَّاسُ منك بشَربةٍ   تعوَّدها فضلًا علىَّ وأَنعِمِ [1]

فقال له جسَّاس : تجاوزتَ الأَحصَّ وشُبيثا . أَراد : إنك تباعدتَ عن موضع سُقياك ! ثم نزل عمرٌو فحسِب أَنَّه يسقيه ، فلما علم أَنَّ نزوله للإجهاز عليه قال :

المستجير بعمرٍو عند كُربته   كالمستجيرِ من الرَّمضاءِ بالنارِ . اهـ

(١) ش : « عليك » تحريف . وفى معجم البلدان (الأحص) :

* تفضل بها طولا على وأنعم *

وفى جمهرة العسكرى ١ : ٢٧٩ :

* تمن بها فضلا على وأنعم *

و (أصبحَتْ نزلَتْ) إلخ بنو ذبيان اسم أصبحت ، وجملة نزلت خبرها ، وتقدَّم من الشارح أنَّه يجوز وقوع الماضى خبرًا للأفعال الناقصة .

وقوله : (وإذا يقال أُتيتم) إلخ هذا البيت هو الذى أعجب الأصمعىَّ والرَّشيد ، لدلالته على كمال الشجاعة . وأُتيتم بالبناء للمفعول يستعمل فى المكروه ، أى دُهيتم بمجىء العدوّ . وبَرِح الشّىءُ ، من باب تعب ، بَرَاحا : زال من مكانه . وروى « الخيل » بدل الحرب . والطِّعان : المطاعنة بالرمح .

وقوله : (عن أُكرومة) عن متعلقة بحال محذوفة ، أى منصرفا عن أُكرومة بضم الهمزة ، أى عن ذكرٍ جميل ومَنقُبةٍ كريمة . والأُكرومة من الكَرَم ، كالأُعجوبة من العَجَب . وقوله : (رقَعوا مَعاوز) إلخ رقعوا بالقاف ، من رقَعت الثوب رَقْعا من باب نفع ، إذا جعلتَ مكان القطع خِرقةً ، واسمها رُقعة ، و (المعاوز) قال القالى : هى الثّياب الخُلْقان . وفى الصحاح : المِعْوزة والمِعْوز بكسر أولهما : الثَّوب الخلق الذى يبتذل [1] ، والجمع معاوز . و (الفقد) : مصدر فقدته فقدًا من باب ضرب ، إذا عَدِمته . يقول : إذا مات منهم سيِّد أقاموا موضَعه سيِّدًا آخر .

المرار الفقعسى

والمرار الفقعسىّ الأسدىُّ هو شاعر إسلامى من شعراءِ الدولة الأموية ، بفتح الميم وتشديد الراء الأُولى . وينسب تارة إلى فقعس وهو أحد آبائه

(١) ط : « الثوب الخلق أى يبتذل » ، صوابه من ش والصحاح (عوز) .

الأقربين ، وتارة إلى أسد بن خزيمة بن مدركة،وهو جدّه الأعلى . وتقدمت ترجمته فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين [1] .

والموجود فى نسخ الشرح : « المرار العَبْسى » ، وهو تحريف وتصحيفٌ من الفَقْعسى ، إذ ليس من الشُّعراء المرار العبسى ، وكأنه حرِّف بالنظر إلى قوله نزلت منازلهم بنو ذبيان ، فإنَّ عبسًا وذبيان أخوان أَبَوَا قبيلتين ، وهما ابنا بعيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويدلُّ أيضًا لما قلنا حكايةُ الأصمعى إذ وقف على غلامٍ من بنى أسد ، وفيها « أُنشدكَ لمَرَّارِنا » . والله أعلم . ٢٥٥

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الخمسمائة :

٥٣٠ (أَخذتُ بعَيْنِ المال حَتَّى نَهَكْتُه وبالدَّيــنِ حتَّــى ما أَكاد أُدانُ
وحَتَّى سأَلتُ القرضَ عند ذوِى الغنى ورَدّ فلانٌ حاجتــى وفــلانُ)

لما تقدَّم قبله ، فإن (فلانًا) فاعل ردّ ، وهو فى غير حكاية .

روى أبو الفرج الاصبهانى (فى الأغانى [2]) بسنده قال :

مرَّ عبيد الله بن العباس بن عبد المطّلب بمَعْنِ بن أوسٍ المزنى وقد كُفَّ بصرِه ، فقال له : يامعن كيف حالك ؟ فقال : ضعف بصرى وكثُر عيالى ، وغلبَنى الدين . قال : وكم دَيْنُك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فبعث بها

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٧ – ٢٨٩ .
(٢) الأغانى ١٠ : ١٥٧ .

إليه ، ثم مرَّ به من الغد فقال : كيف أصبحت يامعن ؟ قال :

أخذتُ بعينِ المال حَتَّى نهكتُه .... البيتين

قال له عُبيد الله : الله المستعان ، إنا بعثْنا إليك لقمةً فما لُكْتها حَتَّى انتُزِعتْ من يديك ، فأَىُّ شيءٍ للأهل والقرابة والجيران ، وبعث إليه بعشرة آلاف درهمٍ أُخرى ، فقال معنٌ يمدحه :

إنَّك فرعٌ من قريش وإنَّما يمجُّ النَّدى منها البحورُ الفوارعُ
ثوَوْا قادةً للناسِ بطحاءَ مكة لهمْ وسقاياتُ الحجيج الدوافعُ
فلما دُعُوا للموت لم تَبك منهم على حادث الدهر العيونُ الدوامعُ

قوله : (أُخذت بعين المال) إلخ يقال أَخذ الخطام وأَخذ به ، على زيادة الباءِ ، أَو أَخذت مضمَّن معنى تصرَّفت . وعين المال هنا : نَقْده ، فإنَّ العينَ له معانٍ منها النقد . وحَتَّى هنا بمعنى الغاية . و (نَهَكته) : أَتلفته ومَزَّقته ، وهو من نهكَتْه الحمَّى ، إذا جَهَدته وأَضْنَته ونقصَتْ لحمه ، جاءَ من باب نفع ومن باب فرح ، أَو من بَاب نهكت الثَّوب من باب نفع : لَبِستُه حتَّى خَلُق . يقول : تَصرَّفتُ بالمال النقد وأَسرفت فيه إلى أَن فَنِيَ .

قوله : (وبالدَّين) معطوف على قوله بعين المال ، أى وأُخذت الدين من هنا ومن هنا حتَّى ما بقىَ من يُقرِضنى . و (أَكاد) بفتح الهمزة بمعنى أَقربُ . قال فى المصباح : كاد يفعل كذا يكاد ، من باب تعب : قاربَ

---

(١) فى النسختين : « فى سقايات الحجيج » ، صوابه من الأغانى .

الفعل . قال ابنُ الأَنبارىّ : قال اللغويُّون : كدت أَفعل معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أَفعل ، وما كدت أَفعل معناه فعلت بعد إِبْطاء . قال الأَزهرىّ : وهو كذلك ، وشاهده قوله تعالى : ﴿ وما كادُوا يَفْعلُون [1] ﴾ . وقد يكون ما كدت أَفعل بمعنى ما قاربت . انتهى .

وهذا الأَخير هو المراد هنا .

و (أُدان) : مجهول دِنته بمعنى أَقرضته ، قال صاحب المصباح [2] : قال جماعة : يُستعمل دان لازمًا ومتعديا ، فيقال دِنته إذا أَقرضتَه فهو مَدين ومديون ، واسم الفاعل دائن فيكون الدائن من يأْخذ الدَّين على كونه لازمًا ، ومن يعطيه على كونه متعدّيا . وقال ابن القطَّاع : دنته أَقرضته ، ودنته استقرضت منه . وقال ابن قتيبة : لا يستعمل دانَ إِلَّا لازمًا فيمن يأْخذ الدين . وقال ابن السكيت أَيضًا : دان الرجلُ إذا استقرض ، فهو دائن . وكذلك قال ثعلب ، ونقله الأَزهرى أَيضًا . وعلى هذا فلا يقال منه مدين ولا مديون ، لأَنَّ اسم المفعول إِنَّما يكون من فعل متعدٍّ ، وهذا الفعل لازم ، فإذا أَردت التعدِّى قلت أَدنته وداينته . قاله أَبو زيد ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وثعلب . انتهى .

٢٥٦

وقوله : (وحتى سأَلت القرضَ) إلخ سأَلت هنا بمعنى طلبت ، والقرض بفتح القاف وكسرها ، وهو ما تعطيه غيرك من المال لتُقضَاه . والفرق بينه وبين

(١) الآية ٧١ من سورة البقرة .

(٢) كتب مصحح طبعه بولاق : « قوله قال صاحب المصباح ، إلخ قد تصرف فى عبارته بتقديم وتأْخير وبعض حذف ، كما يظهر بالوقوف عليه » .

الدَّين أَنَّ الدّين أَعمُّ منه ، يكون ثمن مبيع وغيره ، والقرض خاصٌّ بالنَّقد من غير ربح .

وقوله : (وردَّ فلان) إلخ معطوف على سألت ، قال أَبو هلال العسكرى (فى كتاب الفروق فى اللغة) : الفرق بين الفقر والحاجة أَنَّ الحاجة هى القُصور عن المبلغ المطلوب ، ولهذا يقال : الثوب يحتاج إلى خرقة ، وفلان يحتاج إلى عقل ، وذلك إذا كان قاصرًا غير تامّ . والفقر خلاف الغنَى . فأَمَّا قولهم مفتقر إلى عقل فهو استعارة ، ومحتاج إلى عقل حقيقة . والفرق بين النقص والحاجة : أَنَّ النقص سبب الحاجة ، والمحتاج يحتاج لنقصه ، والنَّقص أَعمُّ من الحاجة ، لأَنَّه يستعمل فيما يحتاج وفيما لا يحتاج .

وقوله : « فما لُكتهَا » من لاك اللُّقمة يلوكها لَوكًا ، إذا مَضَغها .

وقوله : « إنَّك فرع من قريش » إلخ هو مخروم ، ويروى : « وإنك » بالواو فلا خرم . والفرع مستعار من فروع الشجرة ، وهى أَغصانها . وفى الصحاح : هو فرعُ قومِه للشَّريف منهم . ومَجَّ الماءَ من فيه : رمى به . والنَّدى : أَصل المطر ، ويطلق لمعانٍ ، يقال أَصابه ندًى مِن طلٍّ ومِن عَرَق ، وندى الخير وندى الشر ، وندى الصوت . والندى : ما أَصابَ من بلل . وبعضهم يقول : ما سقط آخر الليل ندًى ، وأَمَّا الذى يسقط أَوله فهو السَّدَى بالقصر أَيضًا . وضمير منها لقريش . وشبَّه أَجوادهم وكرماءَهم بالبحور . والفوارع : جمع فارع ، وهو العالى .

وقوله : « ثَوْوا قادَة للناس » إلخ ثوى هنا متعدٍّ بمعنى سكنوا ونزلوا . قال صاحب المصباح : ثوى بالمكان وفيه ، أى أقام ، وربَّما تعدَّى بنفسه . وقادة : جمع قائد ، من قاد الأمير الجيش والناسَ قيادةً . وبطحاءَ مكة مفعول ثووا ، ولهم خبر مقدم ، والدوافع مبتدأ مؤخر : جمع دافع ، يقال شاةٌ أو ناقة دافعٌ ودافعة ومِدفاع ، وهى التى تدفع اللِّبأ فى ضرعها قُبيل النِّتاج . وفى بمعنى مع . والسِّقاية بالكسر : الموضع يُتَّخذ لسقى الناس . والحَجيج : جمع حاجّ .

وقوله : « فلمَّا دُعُوا للموت » بالبناءِ للمفعول . يصفهم بالشجاعة ، يقول : إن طُلبوا للحرب لم تدمع لهم عينٌ خوفًا من القتل .

عبيد الله بن العباس

وعبيد الله بن العباس هو ابن عمِّ رسول الله — ﷺ وهو أخو عبد الله ابن العباس حَبْرِ هذه الأمّة . قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) [(١)] : أجواد الحجاز ثلاثة فى عصر واحد : عبيد الله بن العباس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص .

فمن جود عُبيد الله بن العباس أنه أوَّل من فَطَّر جيرانه ، وأول من وضعَ الموائد على الطُّرق ، وأول من حَيَّا [(٢)] على طعامه ، وأول من أنهبه . وفيه يقول شاعر المدينة :

وفى السَّنة الشهباءِ أطعمتَ حامضا ... وحُلوًا ، ولحمًا تامكا وممزَّعا
وأنت ربيعٌ لليتامى وعِصمةٌ ... إذا المحْلُ من جوِّ السماء تطلَّعا
أبوك أبو الفضل الذى كان رَحْمَةً ... وغيثًا ونورًا للخلائق أجمعا

٢٥٧

(١) العقد ١ : ٣٣٩ — ٣٤٣ .

(٢) ط : « من حى » ، صوابه فى ش والعقد .

ومن جوده : أنَّه أتاه رجلٌ وهو بفِناءِ داره ، فقال : يا ابن عباس ، إنَّ لى عندك يدًا وقد احتجتُ إليها . فصعَّد فيه بصره وصوَّبه فلم يعرفه ، ثم قال : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفًا بزمزم وغلامُك يمتح لك من مائها ، والشمس قد صَهَرتك ، فظلَّلتك بطرف كسائى حتَّى شربتَ . قال : إنِّى لأذكُر ذلك ، وإنَّه يتردَّد بين خاطرى وفكرى . ثم قال لقيِّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إليه ، وما أُراها تفى بحقِّ يدِه عندنا . قال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاهُ ، فكيف وقد ولَدَ سيِّدَ الأوَّلين والآخِرين محمدًا – ﷺ – ثم شفع [1] بك وبأبيك !

ومن جوده أيضًا : أن معاوية حَبَس عن الحسين بن على عليهما السلام صِلاتِه حتَّى ضاقت عليه حالُه ، فقيل : لو وجَّهت إلى ابن عمك عُبيد الله ، فإنَّه قدِم بنحوٍ من ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألفُ ألفٍ من عُبيد الله ، فوالله لهو أجوَدُ من الرِّيح إذا عصَفت ، وأسخى من البحر إذا زَخر ! ثم وجَّه إليه مع رسوله بكتابٍ ذكر فيه حَبْسَ معاوية عنه صِلاتِهِ ، وضيقَ حاله ، وأنَّه يحتاج إلى مائة ألف درهم ، فلما قرأ عُبيد الله كتابه – وكان من أرقِّ الناس قلبًا وألينهم عِطْفًا – انهملت عيناه ثم قال : ويلك يا معاوية مِمَّا اجترحَتْ يداك من الإثم حين أصبحتَ ليِّن المهاد ، رفيعَ العماد ، والحسينُ

(١) فى العقد : « ثم شفعه » .

يشكو ضيقَ الحال ، وكثرةَ العيال : ثم قال لقَهرَمانِهِ : احمل إلى الحسين نصفَ ما أملِكه من فضة وذهب ، وثوب ودابّة ، وأَخبِره أَنِّى شاطرتُه مالى ، فإنْ أقنعَه ذلك وإلّا فارجع واحملْ إليه الشَّطر الآخر . فقال له القيِّم : فهذه المُؤَن التى عليك من أَين تقوم بها ؟ قال : إذا بَلْغنا ذلك دَللْتُك على أَمر تقيم به حالك . فلمَّا أَتى الرسولُ برسالته إلى الحسين قال : إنَّا لله ، حَمَلتُ والله على ابن عمِّى ، وما حسِبته يتَّسع لنا بهذا كلِّه . فأَخذَ الشَّطر من ماله . وهو أَوَّل منَ فعل ذلك فى الإسلام .

ومن جوده : أَنَّ معاوية أَهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا النَّيروز حُللًا كثيرة ، ومِسْكًا ، وآنيةً من ذهب وفضَّة ، ووجَّهها مع حاجِبِه ، فلما وضعَها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظُر إليها فقال : هل فى نفسك منها شىءٌ ؟ فقال : نعم ، والله إنَّ فى نفسى منها ما كان فى نفس يَعقوب من يوسفَ عليهما السلام ! فضحك عُبيد الله وقال : فشأْنَكَ بها فهى لك . قال : جُعِلتُ فداك ، أَخاف أَن يبلغ ذلك معاوية فيجدَ علىَّ . قال : فاختِمْها بخاتَمك وادفَعْها إلى الخازن ، فإذا حان خروجنا حَمَلها إليك لَيْلا . فقال الحاجب : والله لهذه الحِيلةُ فى الكرمِ أَكثرُ من الكرم ، ولَوَدِدت أَنِّى لا أَموت حتَّى أَراك مكانه ! يعنى معاوية . فظنَّ عُبيدُ الله أَنَّها مكيدة منه ، قال : دع عنك هذا الكلام فإنَّا قومٌ نفى بما وَعَدنا ، ولا ننقض ما أَكَّدنا .

ومن جوده أَيضًا : أَنَّه أَتاه سائل وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدَّقْ ،

---

(١) فى العقد : « يقيم حالك » .

فإنّى نبّئت أنّ عبيد الله بن عباس أعطى سائلًا ألف درهم واعتذرَ إليه . فقال له : وأين أنا من عبيد الله ؟ قال : أين [١] أنت منه فى الحسَب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما . قال : أمّا الحسبُ فى الرجل فمروءته وفعله ، وإذا شئتَ فعلتَ ، وإذا فعلتَ كنتَ حسيبا . فأعطاه ألفَىْ درهم واعتذر إليه من ضيق الحال ، فقال له السائل : إن لم تكن عُبيدَ الله بن عباس فأنت خير منه ، وإنْ كنت هو فأنت اليوم خيرٌ منك أمس . فأعطاه ألفًا أخرى فقال السائل : هذه هِزّةُ كريمٍ حسيب ، والله لقد نقَرت حبّةَ قلبى فأفرغتَها فى قلبك فما أخطأتَ إلّا باعتراض الشكّ من جوانحى [٢] .

٢٥٨

ومن جوده أيضًا : أنّه جاءَه رجلٌ من الأنصار فقال : ياابنَ عمِّ رسول الله ، إنّه وُلد لى فى هذه الليلةِ مولود ، وإنّى سمّيته باسمك تبرّكًا منّى به ، وإنّ أمّه ماتت . فقال عبيد الله : بارك الله لك فى الهبة وأجزل لك الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله وقال : انطلق الساعةَ فاشترِ للمولود جاريةً تحضُنه ، وادفعْ إليه مائتى دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصارى : عُدْ إلينا بعد أيام فإنّك جئتنا وفى العيشُ يُبس ، وفى المال قِلّة . قال الأنصارى : لو سبقتَ حاتِمًا بيومٍ واحد ما ذكرَتْه العرب أبدًا ، ولكنّه سبقك فصرت له تاليا ، وأنا أشهد أنّ عفوك أكثر من مجهوده ، وطَلّ كرمِك أكثرُ من وابله .

معن بن أوس

وأمّا معن بن أوس المزنى فهو ابن أوس بن نصر بن زياد بن أسعدَ

---

(١) ط : « قال قال » والثانية منهما مقحمة .

(٢) وكذا فى نسخة من نسخ العقد . وفى سائر النسخ : « بين جوانحى » .

ابن أُسحم بن ربيعة بن عِداءِ بن ثعلبة بن ذؤيب بن سعد بن عِداءِ بن عثمان ابن عمرو بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر .

ومزينة بالتصغير ، هى أُم عمرو بن أُدّ بن طابخة . كذا فى جمهرة الأنساب للكلبى .

وأُسحم بالمهملتين . وعِداءٌ فى الموضعين بالكسر والمد والتخفيف . وروى فى الأَوّل عدىّ بتشديد الياء .

معن بن أوس

ومعنٌ شاعر مجيدٌ فحل من مخضرَمى الجاهليّة والإسلام ، أُورده بن حجر فى المخضرمين من الإصابة ، ولهُ مدائحُ فى أُصحاب النبى – ﷺ – وعُمّر إلى أَيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومَرْوان بن الحكم .

وكان معاوية يفضِّل مُزينة فى الشعر ويقول : كان أَشعرُ الجاهلية منهم ، وهو زهير [(١)] ، وكان أَشعرُ الإسلام منهم ، وهو كعب بن زهير .

روى صاحب الأَغانى أَنَّ معن بن أَوس كان مِئناثًا ، وكان يحسن صُحبة بناته وتربيتهنَّ ، فوُلد لبعض عشيرته بنتٌ فكرهها وأَظهَر جزعًا من ذلك ، فقال معن :

رأَيتُ رجالا يكرهون بناتِهمْ وفيهنَّ لا تَكذبْ نساءٌ صوالحُ

وفيهنَّ والأَيَّامُ يعثُرن بالفتى نوادبُ لا يَملَلْنَهُ ونوائح

والبيت الثانى من أَبيات مغنى اللبيب على أَنَّ فيه الاعتراض بين المبتدأ والخبر .

---

(١) ش : « هو » بدون واو ، فى هذا الموضع وتاليه .

قال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) بعد إيراد هذين البيتين : أنشد صاعدُ بن الحسن لحسّان بن الغَدير ، أحد بنى عامر [١] شعرًا ، فيه الأوّل من هذين البيتين ، وهى أبيات منها :

أبيات الشاهد

(لأىّ زمانٍ يخبأُ المرءُ نفعَه غدًا بل غدٌ للموت غادٍ ورائحُ
إذا المرء لم ينفعك حيًّا فنفعُه أقلُّ إذا رُصَّتْ عليه الصفائحُ
رأيتُ رجالًا يكرهون بناتِهمْ وهنَّ البواكى والجُيوبُ النواصحُ
ولِلموت سَوراتٌ بها تُنقَضُ القُوَى وتسلو عن المال النفوسُ الشائح [٢]
وما النأى بالبعد المفرِّق بيننا بل النأى ماضُمَّت عليه الضَّرائح)

وروى أنَّ عبد الملك بن مروان قال يومًا وعنده عدّة من آل بيته وولده :

٢٥٩

ليقلْ كلُّ واحدٍ منكم أحسنَ شعرٍ سَمِعه . فذكروا لامرئ القيس ، والأعشى ، وطرفة ، حتَّى أتوا على محاسنِ ما قالوا ، فقال عبد الملك [٣] : أشعرهم ، والله ، الذى يقول :

وذى رحِمٍ قلَّمتُ أظفار ضِغنه بحلمىَ عنه ، وهو ليس له حِلمُ
إذا سُمتُه وصلَ القرابة سامنى قَطِيعتَها ، تلك السفاهةُ والظلمُ
فأسعَى لكى أبنى ، ويهدِمُ صالحى وليس الذى يبنى كمن شأنُه الهدمُ
يُحاول رَغمى لا يحاول غيره وكالموت عندى أنْ يحلَّ به رَغمُ
فما زِلتُ فى لينٍ له وتعطُّفٍ عليه ، كما تحنو على الوَلد الأُمُّ

(١) فى سمط اللالى ٨٠٤ : « أحد بنى عامر بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان » .
(٢) فى النسختين : « تنقص القوى » ، والوجه ما أثبت من السمط .
(٣) ط : « عبد الله » ، صوابه فى ش .

لأَستلَّ منه الضِّغْنَ حتَّى سللته وإن كان ذا ضغن يضيق به الحِلمُ

قالوا : ومَن قائلها ياأَمير المؤمنين ؟ قال : معن بن أَوس المزنى .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الخمسمائة [1] :

٥٣١ (اللهُ أَعطاكَ فضلًا مِن عطيَّتِهِ على هنٍ وهنٍ فيما مَضَى وهَنِ)

على أَنَّه قد يكنى بهَن عن العَلَم كما هُنَا .

وهذا من شرح المفصل لابن الحاجب ، وعبارته : وقد يكنى بهن عمَّا لايراد التصريح به لغرضٍ ، كقول ابن هَرْمة يخاطب حسن بنَ زَيد :

اللهُ أَعطاك فضلا .... البيت

يعنى عبد الله وحَسنا وإبراهيمَ ، بِنِى حسن بن حسن ، كأَنَّهم كانوا وعدوه شيئًا فوفَى به حسن . ومن ثَمَّ قال بعضهم : يكنى به عن الأَعلام أَيضًا . انتهى .

وقال أَحد شُرَّاح أَبيات الإِيضاح للفارسى : قال الهروى : هن وهنةُ كناية عن الشيءِ لا تذكره باسمه . ولم يخصَّ جنسًا من غيره . وقال أَبو الحسن الأَخفش (فى الأَوسط له) : تقول : هذا فلان بن فلان ، وهذا هن بن هن ، وهذه هنةُ بنت هنة [2] ، كأَنَّه قيل : هذا زيد بن عمرو فلم يذكره ، فوضع

---

(١) مجالس ثعلب ٢٦ والهمع ١ : ٧٤ .

(٢) ط : « هنت بنت هنت » وتقرأ بسكون النون .

بأنّها يكنى بها عن الأعلام . وهو صحيح ، ويدل على ذلك قول ابن هَرْمة يمدح حسن بن زيد :

الله أعطاك فضلًا من عطيته .... البيت

يعنى حسنا وإبراهيم وعبد الله ، بنى حَسَن بن حسن ، وكأنّهم كانوا وعدوه شيئًا فوفى به حسن . انتهى . كلامه

وقال الشنوانى فى (حاشية الأوضح) : الهَنُ يطلَق ويراد به الحقير ، قال الشاعر :

الله أعطاك فضلا .... البيت

يعنى على أقوام هم بالنسبة إليك صغارٌ محتقرون . انتهى .

والبيت من أبيات ثلاثة رواها أبو العباس أحمد بن يحيى ، الشهير بثعلب (فى أماليه) قال : أخبرنا محمد قال حدثنا أبو العباس : قال حدثنى عمر بن شَبَّةَ (١) قال : أخبرنى أبو سلمة قال : أخبرنى ابن زَبَنَّج راوية ابن هَرْمة قال :

أصابت ابنَ هرمة أزمةٌ فقال لى فى يوم حارٍّ : اذهبْ فَتَكارَ لى حمارين إلى ستة أميال ، ولم يسَمِّ موضِعًا . فركب واحدًا وركبت واحدًا ، ثم سرنا حتّى انتهينا إلى قصور حسن بن زيد ببطحاءِ ابن أزهر ، فدخلنا مسجدَه ، فلمّا زالت الشمس خرج علينا مشتملًا على قميصه فقال لمولًى له : أذِّنْ . فأذَّنَ ثم لم يكلِّمنا كلمة ، ثم قال له : أقم . فأقام فصلّى بنا ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال : مرحبًا بك أبا إسحاق ، حاجتَك . قال : نَعم ، بأبى أنتَ وأمّى ،

---

(١) موضع « شبة » بياض فى ش .

أبياتٌ قلتها . وقد كان عبد الله بن حَسَن ، وحسَن ، وإبراهيم ، بنو حسن بن حسن ، وعَدُوه شيئًا فأخلفوه ، فقال : هاتها . فأنشد : ٢٦٠

أمّا بنو هاشمَ حولى فقدْ قرعوا   نَبلِى الصِّيابَ التى جَمَّعت فى قَرَنى

فمـا بيثربَ منهم مَنْ أعاتبُـــه   إلّا عوائدُ أرجوهُـنَّ من حَسَنِ

اللهُ أعطـاك فضلًا مِن عطِيَّتِـه   على هَنٍ وهنٍ فيما مضى وهَنِ

قال : حاجتَك . قال : لابن أبى مضرِّس علىَّ خمسون ومائة دينار . قال : فقال لمولًى له : أبا هَيْثم اركبْ هذه البغلة فأْتنى بابن أبى مضرِّس ، وذِكْرِ حقِّه . قال : فما صلَّينا العصر حتَّى جاءَ به فقال له : مرحبًا بك يا ابن أبى مضرِّس ، أمعك ذِكر حَقٍّ على ابن هَرْمة ؟ فقال : نعم . قال : فامحُه . قال : فمحاه ثم قال : ياهيثم بعْ ابنَ أبى مضرِّس من تمر الخانقَيْن بمائة وخمسين دينارًا وزِدْه فى كلِّ دينار ربعَ دينار ، وكِلْ لابن هرمة بخمسين ومائة دينَار تمرًا ، وكل لابن زبنّج بثلاثين دينارًا تمرًا . قال : فانصرفنا من عنده فلقيَه محمد بن عبد الله بن حسن بالسَّيَالة ، وقد بلغه الشعرُ ، فغضب لأبيه وعمومته فقال : أيا ماصَّ بَظْرِ أُمِّه ، أأنت القائل :

* على هَنٍ وهن فيما مضى وهَنِ *

قال : لا ، والله بأبِى أنت ، ولكنِّى الذى أقول لك :

لا والذى أنت منه نعمةٌ سلفت   نرجو عواقبهَا فى آخر الزمنِ

---

(١) وكذا فى الأغانى ٤ : ١٠٥ . وفى مجالس ثعلب ٢٧ : « فَعْل أمه » ، على سبيل الكناية .

لقد أُبِنتُ بأمرٍ ما عَمَدت له ولا تعمَّده قولى ولا سَنَنى
فكيفَ أمشِى مع الأقوام معتدلا وقد رَمَيْتُ برىءَ العُود بالأَبَنِ
ما غيرَّت وجهَه أُمٌّ مهجنةٌ إذا القَتَامُ تغشَّى أَوجُهَ الهُجُنِ

قال : وأُمُّ الحسن أُمُّ ولد . انتهى ما رواه ثعلب .

قال صاحب الأغانى : ويروى أن ابن هَرْمة لما قال هذا الشعر فى حسن بن زيد قال عبد الله بن حسن : والله ما أراد الفاسق غيرى وغير أخوىَّ حسنٍ وإبراهيم : وكان عبد الله يُجرى عليه رزقًا ، فقطعه عنه وغضب عليه ، فأتاه يعتذر ، فنُحِّى وطرد ، فسأل رجالًا أن يكلِّموه فردَّهم ، فيئس من رضاه فاجتنَبه وخافَه ، فمكث ما شاءَ الله ، ثم مرَّ عشيَّةً وعبدُ الله على زِرْبِيَّته [(١)] فلما رآه عبدُ الله تضاءَل وتصاغر وأسرع فى المشى [(٢)] ، فرقَّ له عبد الله وأمر به فردُّوه وقال له : يافاسق ، تقول : على هن وهن ، تفضِّل الحسنَ علىَّ وعلى أخوىّ ؟! فقال : بأبى أنت وأُمى ، وربِّ هذا القبر ما عنيتُ إلَّا فرعون وهامان وقارون ، أفتغضب لهم ؟! فضحك وردَّ عليه جِرايتَه . انتهى .

وزبنَّج بفتح الزاى المعجمة وفتح الموحدة وتشديد النون المفتوحة بعدها جيم . والأزمة : الشِّدّة والضائقة [(٣)] . وقوله : « فتكار » أمرٌ من تكارى يتكارى بمعنى اكترى يكترى ، أى أخذ الدابة بالكِراءِ والأُجرة .

---

(١) الزربية ، مثلثة الزاى : الطنفسة ، وقيل البساط ذو الخمل . وفى الأغانى : « على زربية فى ممر المنبر ، ولم تكن تبسط لأحد غيره فى ذلك المكان » .

(٢) فى الأغانى : « فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع المشى » .

(٣) ط : « والمضايقة » صوابه فى ش .

حسن بن زيد

وحسن بن زيد ، هو حسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، ولِىَ المدينة ، وكان شريفًا فاضلا . فزيد بن حسن هو أخو حسن بن حسن . فحسن بن زيد يكون ابنَ عمٍّ لهؤلاءِ الإخوة الثلاثة .

وقوله : « أما بنو هاشم حولى » إلخ قرعَتْ : أصابت . ونبلى بالفتح : سِهامى . والصّياب بالكسر : جمع صائب ، من صاب السهم يصوب صَيبوبة : أى قصد ولم يَجُرْ [1] . وصاب السهم القرطاس يَصيبه صَيْبا : لغة فى أصابه . والقَرَن بالتحريك : الجَعبة . قال الأصمعى : القَرَن : جَعْبة من جلود تكون مشقوقة ، ثم تُخرز حتّى تصل الريح إلى الريش فلا يفسُد .

٢٦١

ويثرب هى المدينة المنوّرة . وقوله : « إلّا عوائدُ » استثناءٌ منقطع ، أى لكن . وعوائد مبتدأٌ وأرجوهن خبره ، وحسن هو حسن بن زيد . يقول : ليس فى المدينة من أُعاتبه على ترك إحسانه إلىّ ، لكننى أرجو العوائد من حسن بن زيد . والعوائد : جمع عائدة ، وهى الصِّلة والإحسان .

وقوله : « الله أعطاك فضلا » الفضل هنا : الزيادة . يقول : إنّ الله أعطاك فضلا على أبناءِ عمك ، أى فضّلك عليهم . وقوله : « فيما مضى » أى فى الأزل . وعبّر عن كل واحدٍ منهم بهَنِ الموضوعِ لما يستقبح ذكرُهُ من أسماء الجنس . وليس هَن هنا كناية عن علم كلٍّ منهم ، ولو كان كناية عنهم لما غضب على الشاعر محمدُ بن عبد الله لأبيه وعمّيه ، ولَمَا اشتدّ غضب عبد الله لنفسِه ولأخويه . ولو كان الغضب لمجرد التفضيل لما بلغ هذا المبلغ منهم ،

(١) كذا فى النسختين بالراء المهملة . والجور : الميل والعدول . وفى اللسان : « لم يجز » بالزاى .

وهم فروعُ الإمامة ، وهضاب الحلم والإغضاء .

وقوله : « حاجَتَك » ، هو منصوب فى الموضعين بتقدير اذكرْ . وقوله : « من تمر الخانقين » ، بالخاءِ المعجمة والنون والقاف ما هو موضع ، ويعرب إعرابَ المثنى . كذا فى معجم ما استعجم للبكرى . وكِلْ : أمرٌ من كال يَكيل كيلا . والسَّيالة ، بفتح السين المهملة وتخفيف المثناة التحتية ، قال صاحب المعجم : هى قرية جامعة ، بينها وبين المدينة تسعة وعشرون ميلا ، وهى لولد حسن بن على بن أبى طالب ، وهى فى الطريق منها إلى مكة .

وقوله : « لا والذى أنت منه نعمةٌ سلفَتْ » إلخ لا نفىٌ لما اتُّهِم به الشاعر ، والواو للقسم . يعنى ليس الأمر كما توهّم والله الذى أنعم بك علينا ، ونرجو حسن عاقبةِ هذه النعمة عند انقضاء الأجل بأن يُميتنا على حبِّكم .

وقوله : « لقد أُبِنْتُ » إلخ هذا جوابُ القسم ، وأُبِنْت بالبناءِ للمفعول ، أى ذُكِرتُ بسوءٍ ، وهو بالألف والباءِ والنون . يقال فلانٌ يؤبَن بكذا ، أى يُذكر بقبيح . وأَبنه يأْبُنه من باب نصر وضرب ، إذا اتَّهمه به . وعَمَدت : قصدت . والسَّنن بفتحتين : الطَّريقة .

وقوله : « فكيف أُمشِى مع الأَقوام » إلخ المعتدل : المستقيم . وجملة قد رَميتُ من الفعل والفاعل ، حال من فاعل أُمشى . ورَميتُ بمعنى قَذفتُ . برىءَ العود مفعوله ، وبالأُبَن متعلّق برميت . والأُبن ، بضم الألف وفتح الموحدة : جمع أُبنة بضم الألف وسكون الموحدة ، وهى العقدة فى العود ،

ومتعلّق برىءَ محذوف ، أى برىءَ العود من الأُبن .يقول : فيكف أكون بين الناس مستقيمًا إذا قذفتُ المستقيم بالعيوب .

وقوله : « ما غَيَّرت وجهَه » إلخ غيَّره تغييرًا : جعله غَيْرًا . يريد أنَّ أمّ الحسن بن الحسن ، وإن كانت أمَّ ولد ، ما ولدت ابنها الحسن مغايرًا لشكل آبائه ، كما يقال « الولد للخال » ، بل ولدته على صورة آبائه : سيِّدًا جليلا شهمًا . والمهجِّنة : بكسر الجيم ، وهى المرأة التى تلد هجينًا . والهجين : الذى تلدهُ أُمٌّ ليست بعربيَّة . والقَتام بفتح القاف : الغبار . وغشَّى تغشية أى غطَّى تغطية . وأُوجُهَ مفعوله جمع وجه . والهجُن بضمتين : جمع هجين . والزِّرْبِيَّة بكسر الزاءِ المعجمة وسكون الراء المهملة ، هى الطِّنفسة [(١)] وجمعها زَرَابىّ .

وابن هَرْمة بفتح الهاءِ وسكون الراء بعدها ميم : شاعرٌ مطبوع أدرك الدولتين ، ومات فى مدَّة هارون الرشيد . واسمه إبراهيم ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والستين [(٢)] . ٢٦٢

* * *

وأنشد بعده :

(يامرحَباهُ بِحمارِ ناجِيَهْ)

على أنَّ هاءَ السكت فى الوصل قد تحرَّك بالضم وبالكسر .

وتقدَّم فى باب المندوب أنَّ بعضَهم يحرِّكها بالفتح بعد الألف .

---

(١) انظر ما سبق من التعليق فى ٢٢٦ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٤ — ٤٢٦ .

ويا : حرفُ نداءٍ ، والمنادى محذوف ، ومرحبًا مصدر منصوب بعامل محذوف ، أى صادف رُحبا وسَعة ، حذف تنوينه لنيَّة الوقف ووَصَل به هاءَ السكت ، ثم عنّ له الوصل فوصل . والباءُ متعلّق به . وحمار مضاف إلى ناجية . وروى الفراءُ (فى تفسيره [١]) : « ناهيَهْ » بدل ناجيهْ ، وهو اسم شخص .

وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائة [٢].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الخمسمائة [٣] :

٥٣٢ (ياربِّ يا ربَّاهِ إيّاكَ أسَلْ)

على أنَّ الهاءَ فى (ربَّاه) للسكت ، وتضم وتكسر .

وتقدَّم فى باب المندوب أنَّها تفتح أيضًا عند بعضهم إذا كانت بعد ألف كما هنا . ففيها بعد الألف ثلاث حركات .

وذكر هنا أنَّها تزاد فى السَّعة وصلًا ووقفًا فى آخِر « هَنٍ » وإخوته [٤] . وهى فى نحو هذين البيتين فى حال الضرورة ، وهذا قول الكوفيين وبعضِ البَصريِّين . وقدَّم [٥] فى باب المندوب أنَّ الكوفيين يثبتونها وقفًا ووصلًا فى الشِّعر وغيره . ففى كلامَيْه تدافع .

---

(١) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وشرح شواهد الشافية ٢٢٨ .

(٤) أمثال هناناه وهنانيه وهنوناه وهنتاه وهنتاناه وهنتانيه وهناناء . انظر الرضى ٢ : ١٢٩ .

(٥) ش : « تقدم » ، صوابه ما فى ط . وهو يشير إلى ما أورده الرضى فى باب المندوب من شرحه على الكافية ١ : ١٤٤ وهو ما ذكره هنا من إثبات الهاء وقفا ووصلا فى الشعر وغيره .

قال الفراءُ (فى تفسيره) من سورة الزمر ، عند قوله تعالى : ﴿ يا حسرتا [١] ﴾ : يا ويلتا مضافٌ إلى المتكلِّم . تُحَوِّل [٢] العربُ الياءَ إلى الألف فى كلِّ كلام كان معناه الاستغاثة : يخرُج على لفظ الدعاءِ [٣] . وربما أدخلت العرب الهاءَ بعد الألف التى فى حسرتا ، فيخفضونها مرّة ويرفعونها . أنشدنى أبو فَقْعس ، بعضُ بنى أسد [٤] :

يارِبِّ ياربَّاهِ إيـاكَ أسل عَفراء ياربَّاهِ من قبلِ الأَجَلْ

فخَفَض . وأنشدنى أيضًا :

يامرحباهِ بحمار ناهِيَه إذا أَتى قرَّبته للسَّانيه

والخفض أكثر فى كلام العرب ، إلَّا فى قولهم : ياهناهُ وياهَنَتاه ، فالرفع فى هذا أكثر من الخفض ، لأنَّه كثُر فى الكلام ، فكأنَّه حرفٌ واحدٌ مدعُوّ . انتهى .

وظاهره على إطلاقه لا يختصُّ بضرورةٍ عندهم ، وأمَّا عند البصريين فلا يجوز تحريكها ، ولا تلحق وصلا فى غير ياهناه .

والبيتان المذكوران وقعا بلا مناسبةٍ (فى أوائل إصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت) ، قال شارح أبياته يوسف بن السيرافى : لم ينشد يعقوب هذين البيتين ولا الأبياتَ التى بعدهما شاهدًا لشيءٍ تقدَّم ، وإنَّما أنشد ذلك لأنَّ الهاءَ تُضمُّ وتكسر ، وهذا لا يتعلَّق بالباب . وهذه الهاءُ ليست من الكلمة ، وإنَّما دخلتْ للوقف ، ثم احتاج إلى وَصْلها الشاعرُ فحرَّكها بالكسر . ومَنْ

---

(١) مما يجدر ذكره أن « يا حسرتا » و « يا ويلتا » كتبتا فى ش بألف تتلوها ياء ، إشارة إلى جواز الكتابتين . وهى الآية ٥٦ من الزمر .

(٢) فى معانى الفرا : « يحول » بالياء .

(٣) ش فقط : « تخرج على لفظ الدعاء » .

(٤) ط : « لبعض بنى أسد » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء .

ضمّ شبهها بهاءِ الضمير ، وهذا ردیءٌ جدًّا . وعفراء : اسم امرأة سأل ربَّه أن يُرِيَه إيّاها قبل أجله ، ويجمعَ بينهما . انتهى .

وقال الزمخشرى (فى المفصل) : وحقُّ هاءِ السكت أن تكون ساكنة ، وتحريكها لحنٌ ، نحو ما فى (إصلاح المنطق لابن السكيت) ، من قوله : ٢٦٣

* يا مرحباهُ بحمار عفراء *

و : * يا مرحباهُ بحمارِ ناجيه *

ممّا لا معرَّج عليه للقياس واستعمالِ الفصحاءِ . ومَعذرةُ من قال ذلك أنّه أجرى الوصل مجرى الوقف ، مع تشبيه هاءِ الوقف بهاءِ الضمير .

قال شارحه (ابن يعيش) : اعلم أنَّه قد يؤتى بهذه الهاءِ لبيان حروف المدّ واللين ، كما يؤتى بها لبيان الحركات [١] . ولا تكون إلّا ساكنة لأنّها موضوعةٌ للوقف ، والوقف إنّما يكون على الساكن . وتحريكها لحنٌ وخروجٌ عن كلام العرب ، لأنّه لا يجوز ثبات [٢] هذه الهاءِ فى الوصل فتحرّك ، بل إذا وصلت استغنيتَ عنها بما بعدها من الكلام . فأمّا قوله :

* يا مرحباهُ بحمار عفراء *

فإنَّ الشعر لعُروة بن حِزام العُذْرىّ . وقول الآخر :

* يا مرحباه بحمار ناجيه *

---

(١) بعده فى ابن يعيش : « نحو يا زيداه وعمراه ، ووَا غلامَهُوه ، وانقطاع ظهرهيه » .
(٢) كذا فى ش وابن يعيش . وفى ط : « إثبات » تحريف .

فضرورة ، وهو ردىءُ فى الكلام . وإنّما اضطر الشاعر حين وصلَ إلى التحريك لأنّه لا يجتمع ساكنانِ فى الوصل على غير شرط إلّا حرّك . وقد رويت بضم الهاءِ وكسرها . فالكسر لالتقاء الساكنين ، والضم على التشبيه بهاءِ الضمير . وبعد هذا البيت :

إذا أتى قرّبته لما شاءْ من الشّعير والحشيشِ والماءْ

ومعناه أنّ عروة كان يحبُّ عفراء ، وفيها يقول :

ياربِّ ياربّاه إياك أَسَلْ عَفراءَ يا ربّاهُ من قَبلِ الأَجَلْ

* فإنّ عفراءَ من الدُّنيا الأَمَلْ * .

ثم خرجَ فلقى حمارًا عليه امرأةٌ فقيل له : هذا حمار عفراءَ ! فقال :

* يا مرحَباهُ بحمارِ عفراءْ *

فرحّب بحمارها لمحبّته لها ، وأعدَّ له الشعير والحشيشَ والماءَ .

ونظير معناه قولُ الآخر :

أُحبُّ لحبِّها السُّودانَ حتّى أُحبُّ لحبِّها سودَ الكلابِ [1] . انتهى .

وهذا من رجزٍ أورده أبو محمد الأسود الأعرابى (فى ضالّة الأديب) ولم ينْسُبه إلى أحد ، وهو :

(إليك أشكو عَرَقَ دهرٍ ذى خَبَلْ وعَيَلا شُعْثًا صغارًا كالحَجَلْ

وأمّهم تهتِف تَستكسى الحُلَلْ قد طار عنها دِرعُها ما لم يُخَلْ

ياربِّ يا ربَّاهُ إيّاكَ أَسَلْ عفراءَ يا ربّاهُ من قبلِ الأَجلْ

(١) انظر عيون الأخبار ٤ : ٤٣ وجمل الزجاجى ١٩٥ .

فإنَّ عفـراءَ من الدُّنيـا أَمَـلْ لو كلَّمَتْ رُهبان دَيرٍ فى قُلَلْ (١)

* لزحَفَ الرُّهبانُ يَمْشِي وزَحَل (٢) *

وقد راجعت ديوان عُروة فلم أَجد هذا الرجز .

وعروة تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة (٣) .

وقوله : « عَرْقَ دهرٍ ذى خَبَل » ، العَرْق ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين : مصدر عرقت العظم ، من باب نصر ، إذا أَكلتَ ما عليه من اللحم . والخَبَل : الفساد . والعَيَل ، بفتحتين : لغة فى العِيال .

وتهتف : تصوِّت . والحُلَل بضم ففتح ، قال الصاغانى : هى برود اليَمن . والحُلَّة : إِزارٌ ورداءٌ ، لا تسمَّى حلة حتَّى تكون ثوبين . والدِّرع بالكسر : ثوب المرأة خاصّة . ويُخَلْ بالخاءِ المعجمة ، أَى يتفقَّد . والخائل : الحافظ للشيء ، يقال فلان يَخُول على أَهلِهِ ، أَى يرعى عليهم ويتفَقَّدُهم . ٢٦٤

وأَسَل : أَصله أَسأَل ، مخفَّف بحذف الهمزة . وزَحَل بالزاءِ المعجمة والحاءِ المهملة : فارق مكانه وجاءَ إليها .

* * *

(١) فى اللسان : « فى القلل » .

(٢) ط : « تمشى » ، صوابه فى ش . وفى اللسان (رهب) :« يسعى فنزل » ، وقد أورده شاهدا لاستعمال الرهبان بمعنى الواحد . قال : « وقد يكون الرهبان واحدا وجمعا » .

(٣) فى الخزانة ٣ : ٢١٥ — ٢١٨ .

تتمـــة

قد حقّق الشارح المحقق هنا أنّ الألف والهاءَ فى (ياهَناه) زائدتان ، بدليل أنّهما تلحقان فروعه من التثنية والجمع والتأنيث ، كما نقله عن الأخفش ، فيكون من المحذوف اللام ، ووزنه فَعَاه . وقصد بهذا البيان الوافى الردَّ على ابن جنّى فى زعمه أنّ الهاءَ لام الكلمة ، وأنّ وزنها فَعَال ، وشدَّدَ فى زعمه وخطّأً من عدَّها للسَّكت . فردَّ عليه الشارح بأنّها قد لحقت مع الألف آخر المثنى والمجموع على حدِّه ، وآخرَ المؤنث . ولو كانت لامًا لما جاز تأخيرها . وأجاب عن تحريك الهاء .

وهذه عبارة ابن جنى (فى سر الصناعة) فى إبدال الهاء من الواو ، قال : أبدلوها من حرف واحد ، وهو قول امرئ القيس :

وقد رابَنى قولُها يا هنا ... هُ ويحَكَ أُلحقتَ شرًّا بشَرّ

فالهاء الأخيرة فى هَناهُ بدل من الواو فى هنوك وهنوات ، وكان أصله هناو ، فأبدلت الواو هاء ، قالوا : هناه . هكذا قال أصحابنا . ولو قال قائل إنَّ الهاء إنَّما هى بدل من الألف المنقلبة عن الواو الواقعة بعد ألِف هَناه ، إذ أصله هناو ، ثم صارت هَنا بألفين ، كما أن أصل عطاء عطاو ، ثم صار بعد القلب عطاا ، فلما صار هناا التقت ألفان ، كُره اجتماع الساكنين فقلبت الألف الأخيرة هاء فقالوا هناه ، كما أبدَلَ الجميعُ من ألف عطاا الثانية همزة لئلَّا يجتمع همزتان ، لكان قولًا قويًا ، ولكان أيضًا أشبه من أن يكون قلبت الواو فى أوّل أحوالها هاء ، من وجهين :

أحدهما : أنَّ مِن شريطة قلب الواو ألفًا أن تقَع طرفًا بعد ألف زائدة ، وقد وقعت هنا كذلك .

والآخر : أنَّ الهاء إلى الألف أقربُ منها إلى الواو ، بل هما فى الطرفين . ألا ترى أنَّ أبا الحسن ذهب إلى أنَّ الهاء مع الألف من موضع واحد لقرب مكانَيْهما . فقَلْبُ الألِف إذًا هاءً أقرب من قلب الواو هاء .

وكتب إلىَّ أبو علىٍّ من حلب ، فى جواب شىءٍ سألته عنه فقال : وقد ذهب أحد علمائنا إلى أنَّ الهاء من هناه إنَّما لحقت فى الوقف لخفاء الألف ، كما تلحق بعد ألف الندبة ، ثم إنَّها شبِّهت بالهاء الأصلية فحرّكت . ولم يسمِّ أبو علىٍّ هذا العالمَ مَنْ هو ؟ فلمَّا انحدرتُ إليه إلى مدينة السلام وقرأتُ عليه نوادر أبى زيد ، نظرت وإذا أبو زيد هو صاحب هذا القول . وهذا من أبى زيد غير مرضىٍّ عند الجماعة ، وذلك أنَّ الهاء التى تلحق لبيان الحركات وحروف اللين إنَّما تلحق فى الوقف ، فإذا صرتَ إلى الوصل حذَفتَها البتَّة ، فلم توجد فيه ساكنة متحركة .

وقد استقصيت هذا الفصل (فى كتابى فى شعر المتنبى) عند قوله :

* واحرَّ قَلباهُ ممَّنْ قلبُه شَبِمُ (١) *

---

(١) مطلع قصيدة له فى ديوانه ٢ : ٢٥٤ بشرح العكبرى . وعجزه :

* ومن بجسمى وحالى عنده سقم *

ودلّلت هناك على ضعف قول أبى زيد وبيت المتنبى جميعًا . انتهى .

وقال ابن جَهْوَر (فى إعراب أبيات الجمل) : واختُلف فى أصلها فذهب قومٌ إلى أن هذه الهاء أصل وليست بمبدلة ، وأنّها مثل سَنة وعِضة ، التى لامها تارَةً هاء وتارَةً حرفُ علّة . وهذا القول ضعيفٌ من جهة أنّ باب قَلَق وسَلَس قليل . وذهب آخرون إلى أنّ الألف والهاء زائدتان ، وعلى هذا كثيرٌ من البصريين والكوفيين ، بدليل قولهم : هن وهنة ، وأنّ لام الكلمة محذوفة . وعلى هذا تأتى مسائل التثنية والجمع والمذكر والمؤنث . فالألف والهاء ٢٦٥ فى كونهما زائدتين نظيرتا الألف والهاء فى الندبة ، إلّا أن هذه الهاء ليست للسّكت كما ذهب إليه بعضهم لتحرُّكها ، وهاء السكت لا تتحرّك . ومن جعلها هاءَ سكت قال : زيدت الألف لبُعد الصوت ، وزيدت الهاء للوقف ، ثم كثُر فى كلامهم حتّى صارت الهاء كأنّها أصلية تحرّكت . فإذا ثنّيته على هذا قلت : ياهنانِيه أقبِلا . فالألف والنون للتثنية ، والياء التى بعد النون هى الألف التى كانت فى هناه ، فانقلبت ياءً لانكسار ماقبلها ، وهو نون التثنية ، وانكسرت الهاء بعد أن كانت مضمومة لمجاورتها الياء . وتقول فى الجمع : ياهَنُوناه أقبلوا ، الواو والنون للجمع ، والألف بعد النون بقيت على حالها لانفتاح نون الجمع قبلها ، وبقيت على حالها مضمومة . وإنّما جاز أن يجمع هذا بالواو والنون من قِبل أنّ هذه الكلمة قد تطرّق عليها التغيير بحذف لامها ، فصارت الواو والنون كالعِوَض من لام الكلمة على حدِّ قولهم : سِنُون . وتقول فى المؤنث : ياهَنتَاه أقبلى ، وفى التثنية : ياهنتانِيهِ أقبلا ، وفى الجمع :

ياهَناتُوه أَقبِلْن ، قلبْتَ أَلف هناه واوًا لانضمام ماقبلها ، كما قلبتها ياءً لانكسار ماقبلها فى التثنية . وهَنَاه كلمة يُكنى بها عن النّكرات ، كما يكنى بفلانٍ عن الأَعلام . فمعنى ياهناه : يا رجل . ولا تستعمل إلّا فى النداء عند الجَفاء والغِلظة . وقيل : إنّها كناية عن الفواحش والعوْرات ، يكنى بها عما يُستقبَح ذكره . انتهى .

وقوله : فمعنى يا هناه يا رجل ، مساوٍ لقول الشارح المحقّق : للمنادى غير المصرَّح باسمه .

وإنّما أُورده فى باب العلَم استطرادًا بمناسبة هنٍ الذى قد يُكنى به عن العلم . ولهذا قال : ومنه ، أَى ومن هنٍ المذكور . والله أَعلم .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الخمسمائة (١) :

٥٣٣ (قُلْ لابنِ قيسٍ أخى الرُّقيَّاتِ ما أَحْسنَ العِرْفَ فى المصيباتِ)

على أَنَّ هذا البيت يدلُّ على أَنَّ الرقيات فى قولهم قيس الرقيات بالإضافة ، ليس من باب إضافة الاسم إلى اللقب ، بل هو من باب الإضافة لأَدنى ملابسة ، لنكاحه لنسوةٍ اسمُ كلٍّ منها (٢) رقيَّة . وقيل : هنَّ جداته . وقيل : شبَّب بثلاثٍ كذلك . ولو كان الرقيّاتُ لقبًا لقيس لقيل فى البيت : قل لابن قيس الرقيات ، فلمّا أَضاف « أَخا » إليه وأَتبعه لقيس فى إعرابه ، علم أَنّه غير لقب لقيس ، ولو كان لقبًا له لقيل قيس الرقيات ، إما بتنوين قيس وإتباع الرقيات له بجعله عطف بيان له ، وإمّا بإضافتِه إلى الرقيات . فلما أَتبعه

---

(١) ديوان أبى دهبل ٥٠ بتحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، واللسان (عرف ١٤٣) .

(٢) ط : « منهما » ، صوابه فى ش .

بإضافة أخ إلى الرقيات عُلم أنّه غير لقب له ، فعرف أنّ الإضافة إليها فى قولهم قيس الرقيات للملابسة المذكورة .

هذا على تقرير الشارح . وأمّا على ما سيأتى فأخى الرقيات تابع لابن لا لقيس .

و (العِرْف) بكسر العين وسكون الراء المهملتين ، قال صاحب العباب : هو الصّبر . وأنشد البيت عن ابن الأعرابى . يتعجّب من الصّبر فى المصائب .

و (الأخ) يستعمل فى اللغة على خمسة معان :

الأول : أخو النسب من الأبوين ، أو من أحدهما .

الثانى : أخو النسبة إلى القوم ، يقال يا أخا تميم ، لمن هو منهم . وبه فسّر قوله تعالى : ﴿ يا أُخْتَ هَرُون [1] ﴾ .

الثالث : أخو الصّداقة .

الرابع : أخو المجانسة والمشابهة ، كقولهم : هذا الثوب أخو هذا .

الخامس : أخو الملازمة والملابسة ، كقولهم : أخو الحرب ، وأخو الليل . ٢٦٦

فإن كان الرقيات عبارةً عن الزّوجات أو المعشوقات فالأخ بالمعنى الأخير . وإن كان أُريد بها الجَدَّات فالأخ بالمعنى الثانى .

ولم يذكر الشارح المحقق وجه تلقيبه بالرقيات على تقدير كون الرقيات

(١) الآية ٢٨ من سورة مريم .

لقبًا . فأقول : يكون وجهُه ما نقله كراع من أنَّه إنما لقِّب بهذا لقوله :

رقية لا رقية لا رُقيَّةُ أيُّها الرجلُ (١)

قال ابن دريد (فى الوشاح) : من الشعراء من غلبت عليهم ألقابهُم بشعرهم ، حتَّى صاروا لا يعرفون إلَّا بها . فمنهم : منبِّه بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وهو أعصرُ ، وإنَّما سمى أعصُرَ بقوله :

قالت عُميرةُ ما لرأسِك بعدما نَفِدَ الشَّبابُ أتى بلونٍ مُنكَرِ

أعُميرُ ، إنَّ أباكِ غير رأسَه مرُّ الليالى واختلافُ الأعصرِ

ومنهم : شأسُ بن نهارٍ العبدىّ ، سمِّى الممزَّق بقوله :

فإنْ كنتُ مأكولًا فكن خيرَ آكلٍ وإلَّا فأدرِكْنى ولمَّا أمــزَّقِ

ثم ذكر أكثر من خمسين شاعرًا لقِّبَ بشعر قاله .

وتفصيل الشارح المحقق فى قيس الرقيات أجود من تفصيل ابن الحاجب (فى شرح المفصَّل) وإن كان مأخوذًا منه ، وهذه عبارته :

وابن قيس الرقيات عبد الله ، قال الأصمعى : نكح قيسٌ نساءً اسمُ كلِّ واحدةٍ رقية . وقيل : كانت له جدّاتٌ كذلك . وقيل : كان يشبِّب بثلاثٍ كذلك . والاستشهاد على الوجه الضَّعيف فى إضافته على ذلك . فأمَّا إذا جُعل الرقيات لقبًا لقيس كانت الإضافة من باب قيسِ قُفَّة ، وإمَّا على الوجوب أو على الأفصح كما تقدَّم . ورواية تنوين قيسٍ تقوِّى الوجه الثانى . وقوله :

---

(١) ط : « رقية لا رقبة أيها الرجل »·وتكملة البيت من ش . وهو من مجزو الوافر . وقد ورد فى ملحقات ديوانه بتحقيق الدكتور نجم كما فى المطبوعة . والحق أنه ليس شطرا بل هو بيت كامل .

قُلْ لابن قيس أَخى الرُّقَيَّات ما أَحسنَ العِرفَ فى المُصيباتِ

يقوِّى الوجه الأَول . انتهى .

أَراد بالاستشهاد على الوجه الضعيف الإِضافة لأَدنى ملابسة . وقوله : « تقوِّى الوجه الثانى » ، أَى كون الرقيات لقبًا . وقوله : « يقوِّى الوجه الأَول » أَى كون الرقيات غير لقب .

والقول الأَوّل ، وهو أَنَّ الرقيات أَسماء زوجاته قول الأَصمعى ، نقله عنه صاحب الصحاح .

والقول الثانى ، قاله ابن سلام الجمحى ، قال : لقب بالرُّقَيَّات لأَنَّ جدّاتٍ له توالَين كلٌّ منها تسمَّى رقية .

والقول الثالث قاله ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) . وقال أَبو عبيد (فى كتاب النسب) : سمِّى بذلك لأَنَّه كان يشبِّب بامرأَتين كلٌّ منهما تسمَّى رقية . وعلى هذا يكون الجمع عبارة عن اثنتين .

واعلم أَنَّ قول الشارح المحقِّق تبعا لغيره ، إِنَّ الرقيات تابعٌ لقيس لا لابنه ، هو قول أَبى على ، فإِنَّه قال : قيْس هو الملقَّب بالرقيات ، لا اختلاف فى ذلك ، لقِّب به لأَنَّ لهُ جدَّات توالين يسمَّيْن الرقيات . قاله ابن سلام . انتهى .

وقوله : لا اختلاف فى ذلك ، هو خلاف الواقع ، فإِن الأَكثرين ذهبوا إِلى أَنَّه لقب لابنه : إِمّا عبد الله وإِما عبيد الله .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : إِنَّما سمى عبد الله بن قيس أَحد

بنى عامر بن لؤى ، الرُّقياتِ ، لأنَّه كان يشبِّب بثلاث نسوة يقال لهنَّ كلهنَّ رقية .

وكذا فى الأغانى . ورأيت بخطِّ الحافظ مُغْلْطاى (على هامش كامل المبرد) مانصُّه : ونقلت من خطِّ الشاطبى : وافق الأصمعىَّ ابنُ قتيبة على قوله . فعلى هذا يقال عبد الله بن قيس الرقيات بالرفع على الصفة لعبد الله . انتهى .

٢٦٧

وذكر النحاس عن البرق أنَّ فى أجداده ثلاثَ نسوة كلُّ امرأة منهنَّ تسمَّى رقية . فعلى هذا يقال عبد الله بن قيس الرقيات على الإضافة . قاله ابن بَرّىّ .

ونقلت من خطِّ الشاطبى أيضًا : رأيت بعضَ من ألَّف فى النسب يقول : إنَّ الذى يسمَّى ابن الرقيات هو قيس أبو عبيد الله وعبدِ الله . انتهى .

وفى (ألقاب ابن سراقة) أنَّ الذى يقال له الرقيات هو قيس ، وقيل عبد الله بن قيس . انتهى ما أورده الحافظ مُغُلطاى .

وكذلك قال أبو عبيد (فى النسب) : عبيد الله بن قيس سمِّى بالرُّقيات لأنَّه كان يشبِّب بامرأتين كلٌّ منهما تسمى رقية . انتهى .

وإذا قيل ابن قيس الرقيات فالمراد ابنه الشاعر ، فإنَّ لقيسٍ ابنين : عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما فقال ابن قتيبة والمبرد (فى الكامل) : هو عَبد الله المكبَّر . وقال المرزبانى (فى معجمه) : هو عُبيد الله

بالتصغير . قال : ومن الرُّواة من يقول الشاعر عبد الله ، وهو خطأٌ . انتهى .

وقال ابن السِّيد (فيما كتبه على الكامل) : ذكر المبرّد أنَّ اسمه عبد الله بن قيس . وكذلك قال فيه ابن سلام ، والجاحظ ، وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله ، حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الكلبى . وكذلك قال المصعب الزبيرى (فى أنساب قريش) وبيّن أنَّ له أخًا شقيقًا يقال لهُ عبد الله بن قيس ، ويقال فيه نفسِه الرُّقيات لقبٌ له ، ويقال ابن الرقيات . واختُلف فى معنى تلقيبه بذلك ، فقال ابن قتيبة : لأنَّه كان يشبِّب بثلاث رقيات . وقال ابن سلام : إنَّما نسب إلى الرقيَّات لأنَّ له جدّاتٍ اسمهنَّ رقيَّات . وقال كراع : سمِّى ابن قيس الرقيات لقوله :

رقيَّــة لا رقيــة لا رقية أيها الرجل [1] . انتهى.

فأنت ترى أنَّ مَبنى كلامِ هؤلاءِ الأئمة على أنَّ الملقب بالرقيات إنَّما هو ابن قيس لا قيس . ولا جائز أنْ يقال إنَّه من قبيل تعدِّى اللقب من الأب إلى الابن ، لما نقلنا عن هؤلاءِ الأئمة .

وعلى ما ذكرنا جَرى صاحب القاموس ، وخطَّأ صاحبَ الصحاح فقال : « وعبيد الله [2] بن قيس الرقيات ، لعدّة زوجاتٍ أو جدّاتٍ له

---

(١) ط : « رقية لا رقية أيها الرجل » صوابه فى ش . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) ش : « وعبد الله » ، صوابه فى ط والقاموس .

أسماؤهن رقيّة كسميَّة . ووهم الجوهرى » . انتهى .

وهذه عبارة الصحاح : وعبد الله بن قيس الرقيات إنّما أُضيف قيس إليهنَّ لأنّه تزوج عدّة نسوة . إلى آخر الأقوال الثلاثة .

ونقل السيوطى عن ابن الأنبارى (فى فصل معرفة الألقاب وأسبابها [١]) أنه كان يختار الرفع فى الرقيّات ، ويقول : إنّه لقبٌ لعبد الله ، لتشبيبهِ بثلاث نسوة أسماؤهنَّ رقية . وقال غيره : الرقيات جَدّاته ، فهو مضاف . انتهى .

يعنى أنَّ عبد الله مضافٌ إلى الرقيات على تفسيرها بالجدّات ، فيكون مثل حَبّ رُمّان زَيد ، فإنَّ القصد إلى إضافة الحبّ المختصّ بكونه للرّمان إلى زيد . والمتلبِّس [٢] بالرقيات ابن قيس لاقيس . وبهذا يوجَّه رواية جرّ الرقيات .

ابن قيس الرقيات

وابن قيس الرقيات شاعر قريش [٣] . وهذه نسبته (من الجمهرة لابن الكلبى) : عبيد الله الذى يقال له ابن قيس الرقيات ، هو ابن قيس بن شُريح ابن مالك بن ربيعة بن وهيب بن ضَباب بن حُجير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن النضر .

---

(١) المزهر ٢ : ٤١٨ وعنوانه فيه « معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب » .

(٢) ش : « والملتبس » ، صوابه فى ط .

(٣) ش : « شاعر قرشى » ، والوجه ما أثبت من ط . وانظر ما سيأتى من نقل البغدادى عن الزبير بن بكار .

٢٦٨

وعُبَيد الله ، وشُرَيح ، ووُهَيب ، وحجير بتقديم المهملة ، ولؤىّ ، هذه الخمسة بالتصغير .

وضَباب بالفتح . وعَبْد بالإفراد . ومَعِيص بفتح الميم وكسر العينِ المهملة .

وعبد الله بن قيس أخو عبيد الله الرقيات له عقب ، ولا عقب لعبيد الله . وأُسامة بن عبد الله بن قيس قُتل يوم الحَرّة ، وله يقول ابن قيس الرقيات :

فنعى أُسامةَ لى وإخوتَه فظَلِلْتُ مُستَكًّا مسامِعِيَهْ (١)

ورقيّة التى كان يشبِّب بها ابن قيس الرقيات بنت عبد الواحد بن أبى سَعد بن قيس بن وهب بن وَهبان بن ضَباب . كذا فى الجمهرة ومختصرِها لياقوت الحموى .

قال الزبير بن بكار : سألت عمِّى مصعبا ، ومحمد بن الضحاك ، ومحمد بن حسن ، عن شاعر قريش فى الإسلام ، فكلُّهم قالوا : ابن قيس الرقيات .

وفى الأغانى أنّ ابن قيس الرقيات كان زبيرىَّ الهوى ، خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فقاتل معه إلى أن قُتل مصعب ،

---

(١) ط : « مسامعه » ، صوابه فى ش والديوان ٩٩ . وهو من قصيدة مطلعها :

ذهب الصبا وتركت غيتيه ورأى الغوالى شيب لمتيه

فخرج هاربًا حتّى دخل الكوفة ، فوقف على باب دارٍ فرأته صاحبةُ الدار فعرفَتْ أنّه خائف ، فأدخلَته علّيّةً (١) وجاءت إليه بجميع ما يحتاجه ، فأقام عندها أكثرَ من حولٍ وهى لا تسأله من هو ولا يسألها من هى ، وهى تسمع الجُعْل صباحًا ومَساءً (٢) . فبينا هو على تلك الحال وإذا بمنادى عبد الملك يُنادى ببراءة الذمة ممن أُصيبَ عنده : فأعلمَ المرأةَ أنّه راحل ، فقالت : لا يروعك ماسمعت ، فإنّ هذا نداءٌ شائع منذ نزلتَ بنا ؛ فإن أردت المقام فالرُّحب والسَّعة وإن أردت الانصراف فأعلِمْنى . فقال لها : لابدّ من الرحيل . فلما كان الليل رَقَتْ إليه وقالت : انزل إن شئت . فنزل وإذا راحلتان على إحداهما رحْلٌ والأُخرى زاملة ، ومعهما عبدانِ ونفقةُ الطريق ، فقالت : العبدانِ لك مع الراحلتين . فقال لها : من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ أكرم منك ؟ قالت : أنا التى تقول فيها :

عادَ له من كَثِيرةَ الطَّربُ فعينُه بالدُّموع تنسَكبُ

وفى رواية الأصمعىّ أنّها قالت له : ما فعلتُ بك ما فعلتُ لتكافئنى ! فسأل عنها فقيل : كَثيرة . فذكرها فى شعره . ثمّ مضى حتّى دخل مكة فأتى أهلَه ليلا ، فلما دخل عليهم بكَوا وقالوا : ما خرَج عنّا طلبُك إلّا فى هذه الساعة فانجُ بنفسك . فأقامَ عندهم حتّى أسحر ، ثمّ نهض ومعه العبدانِ حتى أتى المدينة . فجاء إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عند المَساء ،

---

(١) العلية ، بتشديد اللام والياء مع ضم العين وكسرها : الغرفة ، وجمعها العلالى .

(٢) الجعل ، بالضم : ما يجعل لقاء عمل ، والمراد هنا : بالمال المعد لمن يدل على مكانه .

وهو يُعشِّى أصحابَه ، فجلس معهم وجعل يتعاجم ، فلما خرج أصحابُه كشف عن وجهه وقال : جئت عائذًا بك . فكتب ابن جعفر إلى أمِّ البنين بنت عبد العزيز ، وهى زوجة الوليد بن عبد الملك ، لتشفع له ، فشفَّعها فيه ، وقال لها : مُريهِ يحضر مجلسَ العشية . فحضر مع النّاس ، فأذِن لهم وأخَّر الإذن له حتَّى أخذوا مجالسهم ثم أذن له ، فلما دخل قال عبد الملك : يا أهل الشام ، أتعرِفون [1] هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا عُبيد الله بن قيس الرقيات ، الذى يقول :

كيفَ نومى على الفِراش ولمَّا ... تَشْمَلِ الشامَ غارةٌ شعواءُ
تُذهِل الشيخَ عن بَنِيه وتُبدِى ... عن خدامِ العقيلةُ العذراءُ [2]

قالوا : ياأمير المؤمنين اسقِنا دمَ هذا المنافق . قال : الآن وقد أمَّنته وصار على بِساطى [3] وفى منزلى ؟! إنَّما أخَّرتُ الإذنَ له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه فى الإنشاد فأذِن له . فأنشده : ٢٦٩

* عاد له من كثيرةَ الطَّرَبُ *

حتَّى وصل فيها إلى قوله :

إنَّ الأغرَّ الذى أبوه أبو الـ ... ـعاصى عليه الوَقارُ والحُجبُ
خليفـــةُ الله فى رعِيَّتـــه ... جفَّت بذاك الأقلامُ والكتب [4]
يعتـدِلُ التـاج فوق مَفرِقـــه ... على جبيـنٍ كأنَّـه الـذهبُ

---

(١) ط : « تعرفون هذا » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) هو من شواهد حذف التنوين للضرورة . وقيل إنه على نية إضافة « خدام » إلى ضمير العقيلة . انظر الإنصاف ٦٦١ وابن يعيش ٩ : ٣٧ وما سيأتى فى ص ٢٨٩ .

(٣) ش : « وسار على بساطى » ، صوابه فى ط . وفى الأغانى ٤ : ١٥٦ : « وقد أمنته وصار فى منزلى وعلى بساطى » .

(٤) ط : « بذلك الأقلام » ، صوابه فى ش والديوان .

فقال له عبد الملك : تمدحنى بما يُمدح به الأعاجم [١] وتقول فى مصعب بن الزُّبير :

إنَّما مصعبٌ شهاب من الـ ـلهِ تجلَّتْ عن وَجهه الظلماءُ
مُلكه مُلكُ رحمةٍ ليس فيه جَبَروتٌ ولا به كِبرياءُ
يَتَّقى اللّهَ فى الأُمور وقد أفْـ ـلحَ من كان همَّه الاتِّقاءُ

أَمَّا الأَمان فقد سبق لك ، لكن لا تأْخذ مع المسلمين عطاءً أبدًا !
فقال ابن قيس لابن جعفر : وما ينفعنى أَمانى ولا آخُذَ مع الناس عطاء ؟!
فقال له ابن جعفر : كم بلغت من السِّنّ ؟ قال : ستِّين سنة . قال : فعَمِّرْ نفسَك [٢] . قال : عشرين سنة [٣] . قال : كم عطاؤك ؟ قال : أَلفا درهم .
فأَمر له بأَربعين أَلف درهم [٤] .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : لما قُتل مصعب صار إلى ابن جعفر يستشفع به إلى عبد الملك ، فقال له : إذا دَخلت معى فكلْ أَكلًا يستشنعه . ففعل فقال : مَن هذا يا ابن جعفر ؟ قال : هذا أَكذبُ الناس .
قال : ومن هو ؟ قال : الذى يقول :

ما نَقِمُوا من بنى أُميَّة إ لَّا أَنَّهم يحلُمون إنْ غضِبوا
وأَنَّهم معدنُ الملوك فلا تصلحُ إلَّا عليهمُ العربُ

---

(١) فى الأغانى : « تمدحنى بالتاج كأنى من العجم » .
(٢) أى قدر لنفسك عمرا مستقبلا .
(٣) فى الأغانى : « قال : عشرين سنة من ذى قبل ، فذلك ثمانون سنة » .
(٤) بعده فى الأغانى : « وقال : ذلك علىَّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك » .

قال : قد عفونا عنه ، ولكن لا يأخذ مع المسلمين عَطاء . فكان ابن جعفر إذا خرج عطاؤه يُعطيه منه . انتهى .

وفى رواية صاحب الأغانى : قال ابن قيس الرقيات : تسأل أمير المؤمنين عن أمرى ؟ قال : نعم ، فإذا دخلتُ إليه فادخل معى ، وإذا دُعىَ بالطّعام فكل أكلًا فاحشا . ففعل فقال عبد الملك : من هذا يا ابن جعفر ؟ قال : إنسانٌ قد يجوز أن يكون صادقًا إن استُبقِىَ ، وإن قُتل كان أكذبَ الناس . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّه الذى يقول :

ما نَقَمُوا من بنى أميّة إ لّا أنّهم يحلمُون إن غضبوا

الأبيات . فإنْ قتلته لغضبك عليه كذّبته فيما مدحَكم به . قال : هو آمن ، ولكن لا أُعطيه عطاءً من بيت المال . قال : ولم وقد وهبتَه لى ، فأُحبُّ أن تَهَبَ لى عطاءه أيضًا كما وهبت لى دمَه ! قال : قد فعلتُ . قال : وتعطيه ما فاته من العَطاء . قال : قد فعلت . وأمر له بذلك . انتهى .

وقوله : « كيف نومى على الفراش » البيتين ، أوردهما ابن السِّيد (فى أول أبيات معانيه) وقال : الغارة الاسم ، والإغارة المصدر . والشّعواء : الواسعة . والخِدام : جمع خدَمَةٍ بالتحريك : الخلخال : وحذف التنوين من خدامٍ للضّرورة ، والعقيلة فاعل تبدى ومعناها المرأة التى عُقلت أى حُصِّنت من أن تُرَى ، وهى الكريمة . والعذراء [1] : البكر .

* * *

(١) ش : « العذراء » بدون واو قبلها .

٢٧٠ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الخمسمائة (١) :

٥٣٤ (ومِنْ طلبِ الأَوتارِ ماحَزَّ أَنفَهُ قَصِيرٌ ورامَ الموتَ بالسَّيفِ بَيْهَسُ
نعامـةُ لمَّـا صرَّعَ القـومُ رهطَـه تبيَّن فى أَثوابِـه كيـف يَلْـبَسُ)

على أَنَّ الشاعر قد أُتبع اللقب الاسم ، فإِنَّ بيهسًا اسم رجل ، ونعامةُ لقبه ، وهو عطف بيان لبيهس .

قال شارح اللباب : هذا من الإجراء فى المفرد ؛ فإنَّ نعامة وبيهس : اسمان لذاتٍ واحدة ، والثانى لقب ، فكان القياس إضافة العلم إلى اللقب ، وقد أُجرىَ عليه .

وكذا قال أَبو حيان (فى تذكرته) قال : إذا كان الاسم واللَّقبُ مفردَين بلا أَلْ أُضيف الاسم إلى اللَّقب . وقد يُجمع بينهما ويُفصل أَحدُهما عن الآخر ، وجاء ذلك فى الشعر . وأَنشد البيتين .

وما فى (ما حَزَّ) إمّا زائدة ، أَى ومن طلب الأَوتار حزَّ أَنفه قصير ، وهو إشارة إلى قصَّة قصير مع الزَّبّاء ، وهى مشهورة . أَو مصدريّة على أَنَّه مبتدأٌ مع خبره ، والجار والمجرور وهو من طلبِ خبرُه مقدَّما عليه ، أَى حزُّ أَنفهِ حاصلٌ من جهة طلب الأَوتار .

و (نعامة) عطف بيان لبيهس ، وهو محل الاستشهاد . ومحلُّ كيف نصبٌ على الحال ، والعامل يلبس ، والجملة وهى كيف مع ما عمل فيه سادٌّ

---

(١) ديوان المتلمس ٦ مخطوطة الشنقيطى ، والحماسة بشرح المرزوقى ٦٥٩ .

مَسَدَّ المفعولين لتَبيَّنَ (١) . ولا يجوز أن يكون مفعولًا لتبيَّن لِئَلَّا يبطل صدريَّته . انتهى .

صاحب الشاهد
والبيتان من قصيدة للمتلمس أورد منها أبو تمام (فى الحماسة) بعضَها . وهذا أوَّل ما أورده :

أبيات الشاهد
(ألم تر أنَّ المرء رهنُ مَنِيَّةٍ صريعٌ لعافِى الطير أو سوفَ يُرمَسُ
فلا تَقبلَنْ ضَيمًا مخافةَ مِيتةٍ ومُوتَنْ بها حرًّا وجلدُك أملسُ
فمن طلب الأوتار ما حزَّ أنفه .... البيتين
وما الناسُ إلا ما رأَوْا وتحدَّثوا وما العجزُ إلَّا أن يُضاموا فيَجلسوا
ألم تر أنَّ الجونَ أصبحَ راسيا تُطِيف به الأيامُ ما يتأيَّسُ
عَصى تُبَّعًا أزمانَ أُهلكتِ القُرى يُطانُ عليه بالصَّفيح ويُكلَسُ
هلُمَّ إليها قد أُثيرت زروعُها وعادت عليها المنجنونُ تَكَدَّسُ
وذاك أوانُ العِرضِ حَىَّ ذُبابهُ زنابيــرُهُ والأزرقُ المُتَمــلسٌ
يكون نذيرٌ من ورائىَ جُنَّةً وينصُرنى منهم جُلَىٌّ وأحمَسُ
وجمْعَ بنى قُرانَ فاعرِضْ عليهمُ فإن تقبلوا هاتا التى نحنُ نُوبِسُ
فإن يُقبلوا بالودِّ نُقبلْ بمثِله وإلَّا فإنَّا نحن آبَى وأشمَسُ
وإنْ يك عنَّا فى حُبيبٍ تثاقلٌ فقد كان مِنا مِقنبٌ ما يعرِّسُ)

هذا ماأورده أبو تمام .

قال ابن الأعرابىّ : إنَّما قال [هذا] (٢) فيما كان بين بنى حنيفة وبين ضُبيعة باليمامة ، فأراد بنو حنيفة (٣) ، فنهاهم أن يُقيموا على الذلّ وأن يقبلوا

(١) كذا فى النسختين ، أى قول ساد مسد المفعولين .
(٢) التكملة من ش .
(٣) كذا فى النسختين ، والمعنى : أرادوا قبول الضيم .

الضَّيم من قومهم ، وأَمرهم (١) بقتالهم حتَّى يعطوهم حَقَّهم .

ومعنى أَلم تر : أَلم تعلم . يقول : الإنسانُ مُرتَهنٌ بأَجل ، فإمّا أَن يموت حتفَ أَنفه فيدفن ، وأَمّا أن يُقتَل فى معركة فيترَك لعوافي الطَّير والسِّباع . وهو جمع عافية ، وهو كلُّ طالب رزقٍ من إنسان أَو بهيمة أَو طائر . والرَّمْس : الدَّفن .

٢٧١

وقوله : « فلا تقبلَنْ ضيما » إلخ الضيم : الظلم ، والهضْم . ومِيتة : فِعلة من الموت ، تكون للحال والهيئة ، أَى لا تقبلِ الضيمَ مخافةَ حالةٍ من حالات الموت ونوع من أَنواعه . وميتة مرجع الضمير فى « بها » ، أَى مت بتلك المِيتة حرًّا لم يستعبدك الحُرّ . وجلدك أَملس : نقىٌّ من العار سليمٌ من العيب . يريد أَنَّ الموتَ نازل بك على كلِّ حال ، فلا تتحمل العار خوفًا منه .

وقوله : (فمن طلب الأَوتار) من للتعليل ، وما إمَّا زائدة وإما مصدرية . والأَوتار : جمع وتر بفتح الواو وكسرها : الثَّأْر والذَّحل . وحزّ بالحاء المهملة والزاء المعجمة : ماضٍ من حززت الخشبة حزا ، من باب قتل : فَرضتُها . والحزُّ : الفرض . وأَنفَه مفعولهُ ، وقصير فاعله .

و (صرَّع) مبالغة صرَعتُه صرعا ، من باب نفع ، إذا قتلتَه . والقوم فاعله ، ورهطه مفعوله . والرَّهط : ما دون عشرة من الرجال ليس فيهم امرأَة ، وقيل من سبعة إلى عشرة . وما دون السَّبعة إلى ثلاثةٍ نفرٌ . وقال أَبو زيد : الرهط والنَّفر : ما دون العشرة من الرجال . وقال ثعلب : الرَّهط والنفَر والقوم

(١) ط : « أمر » وأثبت ما فى ش .

والمعشر والعشيرة ، معناهم الجمع ، لا واحدَ لهم من لفظهم ؛ وهو للرِّجال دون النساء . وقال ابن السكيت : الرَّهْط والعِتْرة بمعنًى . ورهط الرجل : قومُه وقبيلته الأَقربون . كذا فى المصباح . و (تبَيَّنَ) بمعنى عَلِم . وهذا الكلام من المتلمِّس تحضيضٌ على دفع الضَّيم وركوب الإباء من التزام العار ، فلذلك أُخذ يذكِّر بحالِ من لم يزل يحتال حتّى أَدرك مَباغِيَه من أَعدائه .

وفى اليت إشارةٌ إلى قصَّتين : إحداهما : قصة قصير صاحب جذيمة الأَبرش مع الزباء ، والثانية : قصة بَيْهس .

قصة قصير

أَمّا الأُولى فقد رواها صاحب الأَغانى عن ابن حبيب قال : كان جذيمة الأَبرش من أَفضل الملوك رأْيًا وأَبعدِهم مُغارا ، وأَشدِّهم نكاية . وهو أَوّل من استجمع له الملكُ بأَرض العراق . وكانت منازُله ما بين الأَنبار ، ورَقَّة [1] ، وهِيت ، وعَين التّمر ، وأَطراف البَرّ ، والقُطقُطانة ، والحِيرة . فقصد فى جموعه عمرَو بن الظَّرِب بن حسّان بن أُذَينة بن السَّميدع بن هَوْبر العاملى ، من عاملة العماليق ، فجمع عمرٌو جموعَه ولقيَه ، فقتله جذيمةُ وفَضَّ جموعَه فانفَلُّوا [2] وملَّكوا بعده عليهم ابنته الزبَّاء ، وكانت من أَحزم النساء ، فخافت أَن يغزوَها ملوكُ العرب فاتَّخذت لنفسها نَفقًا فى حصنٍ كان لها على شاطئ الفرات ، وسَكَرَت الفرات [3] فى وقتِ قلَّة الماء ، وبنت فى بطنه أَزَجًا من الآجُرّ والكِلْس ، متَّصلًا بذلك النفق ، وجعلت نفقًا آخر فى البرِّيَّة متَّصلًا

---

(١) كذا فى النسختين ، وصوابها : « وبقّة » كما فى الخزانة ١١ : ٤٠٩ .

(٢) يقال فل القوم يفلهم فلا : هزمهم فانفلوا . وفى الأغانى ١٤ : ٧١ : « ونفلوا » ، وما هنا صوابه .

(٣) سكر النهر يسكره سكرا : سد فاه . وفى الأغانى : « وسكنت الفرات » ، تحريف .

بمدينةِ أُختها ، ثم أَجرت الماءَ عليه ، فكانت إذا خافت عدوًّا دخلت النَّفق . فلمَّا استجمع لها أَمرُها أَرادت أَن تغزوَ جذيمة ثائرةً بأَبيها ، فقالت لها أُختها ، وكانت ذاتَ رأْى وحزم : الرَّأْى (١) ابعثى إليه فأَعلميه أَنَّكِ قد رغبت فى أَن تتزوَّجيه وتَجمَعى ملكَك إلى ملكه ، وسليه أَن يُجيبك ، فإن اغترَّ ظفِرتِ به بلا مخاطرة . فكتبَتْ إليه بذلك ، فاستخفَّه الطمع ، وشاوَرَ أَصحابَه فكلٌّ صوَّب رأْيَه فى قصدها وإجابتها ، إلَّا قصيرَ بنَ سعد بن عمرو بنِ جَذيمة بن قيس بن هلال بن نُمارة بن لخم ، فقال : هذا رأْى فاتر ، وغَدْرٌ حاضر ، فإن كانت صادقة فلتُقبلْ إليك ، وإلَّا فلا تملِّكها من نفسك (٢) . فلم يوافقْ جذيمةَ قَولُه ورحل إليها ، فلمَّا دخل عليها أَمَرتْ بقطع رواهِشه (٣) ، ونزف دمُه إلى أَن مات . فخرج قصيرٌ إلى عمرو بن عدى ، ابن أُخت جذيمة ، ٢٧٢ فقال : هل لك فى أَن أَصرفَ الجنود إليك على أَن تطلبَ بدم خالك ؟ فجعلَ ذلك له ، فأَتى القادةَ والأَعلامَ فقال : أَنتم القادةُ والرؤساء ، وعندنا الأَموال والكنوز . فانصرَفَ إليه منهمْ بشَرٌ كثير ، وملَّكوا عمرو بن عدى ، فقال قصير : انظُرْ ما وعدتَنى به فى الزباء . قال : وكيفَ وهى أَمنعُ من عقاب الجوّ ؟! فقال : إذا أَبيتَ فإنِّى جادعٌ أَنفى وأُذنى ، ومحتالٌ لقتلها ، فأَعنِّى وخَلَاكَ ذمّ . فقال له عمرو : أَنت أَبصر . فجدع قصيرٌ أَنفَه ثم انطلق حتَّى دخل على الزبَّاء فقال : أَنا قَصِير ، لا وربِّ البشَر ما كان على ظهر الأَرض

---

(١) كذا . والعبارة مسهبة فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « فلا تمكنها من نفسك » .

(٣) الرواهش : عروق فى باطن الذراع .

أحدٌ كان أنصحَ لجذيمة منّى ولا أغشَّ لك ، حتّى جدعَ عمرُو بن عدىٍّ أنفِى وأُذنى ، فعرَفْتُ أنّى لم أكن مع أحد أثقلَ عليه منك . فقالت : أىْ قصيرُ ، نقبَل ذلك منك ونَصرفك فى بضاعتنا . فأعطته مالًا للتجارة ، فأتى بيتَ مال الحِيرة فأخذ ممّا فيه بأمر عمرو بن عدى ما ظَنَّ أنّه يرضيها ، وانصرف إليها به . فلمّا رأت ما جاءَ به فرحت به وزادته ، ولم يزل بها حتّى أنِسَتْ به ، فقال لها يومًا : إنّه ليس من مَلِكةٍ ولا مَلِك إلّا وينبغى لها أنْ تتّخذ نفقًا تهرُب إليه عند حدوث حادثة . فقالت : إنّى قد فعلت ذلك ، تحت سريرى هذا ، يخرج إلى نفقٍ تحتَ سرير أختى . وأرَتْه إيّاه . فأظهر سرورًا بذلك ، وخرج فى تجارته كما كان يفعل ، وعرف عمرو بن عدىّ ما فعله ، فركب عمرو فى ألفَىْ دارعٍ على ألف بعير فى جَوالق ، حَتّى إذا صاروا إليها تقدّم قصيرٌ ودخل على الزبّاء فقال : اصعدى حائطَ مدينتِك ، فانظرى إلى مالِكِ ، فإنّى قد جئتُ بمالٍ صامت . وقد كانت أمِنَتْه فلم تكن تتّهمه ، فلما نظرت إلى ثِقَل مَشْيِ الجمال قالت – وقيل إنّه مصنوعٌ منسوب إليها – :

ما للجمالِ مشيها وئيدَا أجَندلًا يحمِلْنَ أم حديدا

الأبيات المشهورة . فلما دخلت الإبل خرجوا من الجَوالق فثاروا بأهل المدينة ضربًا بالسيف ، ودخلوا عليها قصرَها فهَربت تريد السَّرَبَ [(١)] ، فوجدت قَصيرًا قائمًا عنده بالسّيف ، فانصرفتْ راجعة واستقبلها عَمرو بن عدىّ فضربها . وقيل : بل مصّت خاتَمها وقالت : « بيدِى لابيَدِ عمرو ! » وخرِبت المدينة وسُبِيَت الذّرارىُّ ، وغنم عمرٌو كلَّ شيءٍ كان لها ولأبيها وأختها . انتهى .

---

(١) السرب ، بالتحريك : الحفير تحت الأرض .

قصة بيهس

وأمَّا بيهس الذى يلقب « نَعامة » فهو رجلٌ من بنى فزارة ، وكان يحمَّق ، فقُتِل له سبعةُ إخوة ، فجعل يلبس القميصَ مكانَ السَّراويل ، والسراويلَ مكان القميص ، فإذا سئل عن ذلك قال :

البَسْ لكلِّ حالة لَبوسها إمَّا نعيمَها وإمَّا بُوسَها [١]

فتوصَّل بما صوَّره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته .

وقوله : « البس لكلِّ حالة » إلخ قال الزمخشرى (فى أمثاله) : قاله بيهس حين شقَّ قميصه فغطَّى به رأسه وكشف استَهُ بعد قتل إخوته . وإنَّما أراد أنَّه افتضح بقتلهم ، وإنَّه إن لم يثأر بهم فهو كالمقنَّع رأسَه واستُه مكشوفةٌ . يضرَب فى تلقِّى كلِّ حال بما يَليق بها [٢] . انتهى .

وقد أورده (فى الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمناهُ صنْعَةَ لَبوسٍ ﴾ [٣] على أن أصل لَبوسٍ اللباس ، بمعنى ما يُلبس .

٢٧٣

بيهس بن صهيب

وقد أخطأ خَضرٌ الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين) فى نسبته إلى بيهس بن صُهيب القضاعى ، وهو شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، وقد ترجمه الأصبهانى (فى الأغانى) بحكاياتٍ ونقلها خضرٌ منها ، ونسبها إلى قائل البيت . وقد حصل له اشتباهٌ من اتِّفاق الاسمين .

وقائل البيت جاهلىٌّ ، وقد ضرب به المثل فى الجاهلية .

---

(١) ط : « بؤسها » بالهمز ، صوابه فى ش والأغانى ٢١ : ١٢٣ .

(٢) ط : « يلتقى بها » ، صوابه فى ش .

(٣) الآية ٨٠ من سورة الأنبياء .

وقال أبو عبيد : المدركون الثأرَ فى الجاهلية ثلاثة : بيهس ، وقَصير ، وسيفُ [بنُ] ذى يزن (١) .

وبيهس صاحب البيت (كما فى الجمهرة) هو بيهس بن خلف بن هلال بن غُرَاب (٢) . بن ظالم بن فزارة بن ذُبيان . فهو عدنانىٌّ ، وذاك قحطانى .

قال ابن الكلبى (فى الجمهرة) : بيهس وإخوته التسعة ، منهم : نُفْر ، وربيع ، وحُصين ، بنو خَلَف ، كانوا من أشطر فتيان العرب . انتهى .

والمشهور أنَّهم سبعة .

قصة بيهس

وهذه قصته (من مجمع الأمثال للميدانى) قال : بيهس الفَزارىّ الملقَّب بنعامة كان سابعَ سبعة إخوةٍ ، فأغار عليهم ناسٌ من أشجع بينهم وبينهم حرب ، وهم فى إبلهم ، فقتلوا منهم ستَّة وبقىَ بيهس ، وكان يحمَّق ، وكان أصغرهم ، فأرادوا قتله ثم قالوا : وما تريدون مِنْ قتلِ هذا ، يحسَب عليكم برجلٍ ، ولا خير فيه . فتركوه فقال : دعونى أتوصَّل معكم (٣) . فلما كان من الغد نزلوا فنحروا جَزورًا فى يوم شديد الحرّ فقالوا : ظلِّلوا لحمكم لا يفسُد . فقال بيهس : « لكنَّ بالأثلات لحمًا لا يظلَّل » يريد إخوته ، فذهبت مثلا .

فلما قال ذلك قالوا : إنَّه لَمُنكَرٌ ، وهمُّوا أن يقتلوه ، ثم تركوه وظلُّوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون ، فقال أحدهم : ما أطيبَ يومَنا وأخصبه !

---

(١) التكملة من ش والأغانى ٢١ : ١٢٢ .

(٢) ط : « عزاب » ، صوابه فى ش .

(٣) فى أمثال الميدانى ١ : ١٣٨ : « أتوصل معكم إلى الحى » .

فقال بيهس : « لكنْ على بَلْدَحَ قومٌ عَجْفَى ! » . فأرسلها مثلا .

ثم انشعب طريقهُم فأتى أُمَّه فأخبرها الخبر ، قالت : فما جاءنى بك من بين إخوتك ؟ قال بيهس : « لو خُيِّرت لاخترت » . فذهبت مثلا .

ثم إنَّ أمَّه عطفَتْ عليه ورقَّت ، فقال الناس : لقد أُحبَّت أُمُّ بيهس بَيهسا . فقال : « ثُكْلٌ أَرْأَمَهَا ولدًا ! » أى أعطفها على ولد . فأرسلَها مثلا .

ثم إنَّ أُمَّه جعلت تعطيه ثيابَ إخوته فيلبَسُها فيقول : « ياحبَّذا التُّراثُ لولا الذِّلَّة ! » . فأرسلها مثلا .

ثم إنَّه أتى على ذلك ما شاء الله ! فمرَّ بنسوة من قومه يُصلحن امرأة منهنَّ ، يردن أن يُهدينها لبعضٍ قتلةِ إخوته ، فكشف ثوبَه عن استه وغَطَّى رأسه ، فقلن : ويلك ما تصنع يابيهس ؟ فقال : « البَسْ لكلِّ حالة » البيت . فأرسلَها مثلا .

ثم أمر نساءً من بنى كنانة وغيرِها فصنعن له طعامًا ، فجعل يأكل ويقول : « حبَّذا كثرةُ الأيدى فى غير طَعام ! » . فأرسلها مثلا ، فقالت أُمُّه : لايَطلبُ هذا بثأر ! فقال : « لا تأمن الأحمق وفى يده سكين ! » . فأرسلها مثلا .

ثم إنَّه أُخبر أنَّ أُناسا من أشجع فى غارٍ يشربون فيه ، فانطلق بخالٍ له يقال [له] (١) أبو حنش فقال له : هل لك فى غارٍ فيه ظباءٌ لعلَّنا نصيبُ منها ؟ ويروى : « هل لك فى غنيمة باردة ؟ » . فأرسلها مثلا . فانطلق بيهسٌ

---

(١) التكملة من ش .

بخاله حتَّى أقامه على فم الغار ، ثم دفع أبا حنش فى الغار فقال : ضربًا أبا حنش ! فقال [1] بعضهم : إن أبا حنشٍ لبطل ! فقال أبو حنش : « مُكرهٌ أخاك لا بَطل » . فأرسلها مثلا [2] .

فقتلهم جميعًا ، وجعل يتتبع قتلة إخوته ويتقصَّاهم حتَّى قتل منهم أناسًا كثيرًا .

وقوله : « لكنْ على بلدح قومٌ عجفى » يضرب فى التحزُّن بالأقارب . وبَلدح ، كجعفر : جبلٌ فى طريق جُدّة ، على أربعة أميال من مكة .

وقوله : « وما الناس إلَّا ما رأوْا » إلخ رواه أبو عمرو :

وما البأسُ إلَّا حملُ نفسٍ على السُّرى ... وما العجزُ إلَّا نومةٌ وتشمُّسُ ٢٧٤

ومعنى الأول : ما الناس إلَّا رؤية وتحدُّث ، أى اعتبار بالمشاهدة أو بما يروَى من أخبار الأمم .

وقوله : « ألم تر أنَّ الجون » إلخ بفتح الجيم : حصنُ اليَمامةِ . يقول : لاتوعدونا فإنَّ حصننا حصين لا يُوصَل إليه ، ولا يُستباح حِماه . وجملة : « تطيف » إلخ إمّا فى موضع خبر ثان لأصبح ، وإمّا صفة لراسيًا . « وما يتأيّس » : لا يلين ، فى موضع الحال .

وقوله : « عصى تُبَّعا أزمانَ » إلخ يقول : إنَّ تُبَّعا لمَّا غزا القرى والمدن ، لم يصل إلى اليمامة . و « يُطانُ عليه بالصَّفيح » ، أى يجعله بَدَلَ طينِه فى الإصلاح والعِمارة . ويجوز أن يكون بالصفيح حالًا ، أى يطان ويكلس بصفاحه ، أى هو مبنىٌّ بالحجارة . ويُكْلَس : يُصهرج . والكِلْس :

(١) ط : « قال » ، وأثبت ما فى ش وأمثال الميدانى .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية القصة لم أجده فى الميدانى .

الصَّاروج [١] . والصفيح : الحجارة العِراض . ومعناه أنَّه يُبنى على المياه التى هى كالصَّفيح . والصَّفيح : السيوف ، واحدها صفيحة . ويشبَّه الماء إذا كان صافيا بالسَّيف . وذكر الماء وأراد العمارة ، لأنَّها به تكون .

وقوله : « هلَّم إليها » إلخ يخاطب النعمان . وهذا تهكُّمٌ وسُخريَة . يقول : إن قدرتَ عليها فاقصِدها فإنَّها أخصب ما يكون ، مُزدَرعُها مُثار ، ودواليبها تدور [٢] . وضمير إليها لليمامة . والمَنْجنون : الدُّولاب . ومعنى تَكدَّس : يركب بعضها بعضا فى الدَّوران . ويستعمل فى سَير الدوابِّ وغيرها .

وقوله : « وذاك أوانُ العِرض » بكسر العين المهملة : واد من أودية اليمامة . وحيَّ أى عاش بالخصب . وروى : « جَنَّ » أى كثُر ونشِط . وزنابيره بدل من ذبابه . وذباب الرَّوض قد يسمَّى الزنابير . وقوله « الأزرق المتلمِّس » : جنسٌ آخر يكون أخضر ضخمًا . والمتلمس : الطالب . وقد سُمِّى الشاعر المُتلمِّس بهذا البيت ، واسمه جرير . ولك أن تنصب الأوانَ وترفع العرض بالابتداء ، واسم الزمان يضاف إلى الجمل ، كأنَّه قال : وهذا الذى ذكرت هو فى ذاك الأوان .

وقوله : « يكون نذير من ورائى » إلخ هو نذير بن بُهثة بن وهب . وقيل أراد بالنذير المنذِر . والمعنى : إنِّى لمُرصِدٌ لهم مَن يُنذِرنى بهم فأتَّقى وأتحرَّز . وجُلَىٌّ بضم الجيم وفتح اللام وتشديد الياء ؛ وأحمس : بطنان من ضُبيعة

(١) فى النسختين : « الصهروج » ، وصوابه من اللسان والقاموس .

(٢) ط : « تدر » ، صوابه فى ش .

ابن ربيعة . يقول : فإذا جاء وقتُ التحارب قام بنصرى هذان البطنان . وقيل نذير وجُلَيٌّ : أخوان ، وأحمس بن ضُبَيعة أبوهما . يقول : هم ينصروننى ويكونون لى وقايةً من العدوّ .

وقوله : « وجَمْعَ بنى قُرّان » إلخ جمع منصوب بفعل مضمر ، كأنه قال : سَمِّ جمع بنى قُرّان . ومعنى البيت : أجرونا مُجرى نظائرنا ، فإنّا نرضى بهم قُدوة ، واعرِضوا ما تَسُوموننا [١] على بنى قُرّان ، فإن التزموه وقبلوه فلَنا بهم أُسوة ، وإلّا فالامتناع واجب . وقوله : « هاتا » إلخ أى هذه الخطة التى نُكرَهُ عليها . والأَبْس : القهر . وقال ابن الأعرابى : أَبَست الرجل ، إذا لقيتَه بما يكره ، وأَبَسته إذا وضعتَ منه باستخفافٍ وإهانة .

قوله : « فإن يُقبلوا بالودّ نقبل بمثله » إلخ أعاد الشرط وذلك أنّه قال قبل هذا : فإن يَقبَلُوا هاتا ، ولم يأتِ له بجواب ، ثم قال : فإن يُقبلوا بالودّ نُقبل بمثله ، فاكتفى بجوابٍ واحد لاشتماله على ما يكون جوابًا لهما ، فكأنّه قال : إن قبلوا ما نوبَسُ به نَقبل مثله ، وأن أَقبلوا بعد ذلك وَادِّينَ أَقبلْنا ، وإلّا فنحن أَشدُّ أو أَبلغ شِماسا ، أى امتناعا . وكان بنو ضبيعة حلفاءَ لبنى ذُهل بن ثعلبة ابن عُكابة ، فوقع بينهم نزاع ، فعاتبَهم المتلمس .

٢٧٥ وقوله : « وإن يك عنّا » إلخ أراد : حُبَيِّب فخفّف ، وهو حُبيِّب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . يقول : إن تكاسَل بنو حبيِّب عن إدراك ثأرنا فقد كان منّا من يدأب ويسهر . والمِقنب بالكسر : زهاء ثلثمائةٍ من

(١) ط : « ماتساموننا » ، والصواب من ش .

الخيل . والتعريس : النزول فى آخر الليل . وقوله : « ما يعرِّسُ » أى ما يستقرُّون إذا وُتِروا ، ولكنّهم يَغْزُون [١] ويُغيرون أبدًا حتَّى يدركوا بثأرهم .

المتلمس

والمتلمس شاعرٌ جاهلى ، واسمه جَرير بن عبد المسيح ، وسمِّى المتلمسَ بالبيت المذكور . وقد تقدَّمت ترجمته مفصَّلة فى الشاهد التاسع والستين بعد الأربعمائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٣] :

٥٣٥ (ألا يا ديارَ الحىِّ بالسَّبُعانِ)

على أنَّ (السَّبُعان) أُعرب بالحركة على النون مع لزوم الألف . وإذا نسب إليه قيل السَّبُعانىّ .

وقال الزمخشرى (فى باب النسب من المفصل) : ومن ذلك قِنَّسرىٌّ ونَصيبىٌّ ، فيمن جعل الإعراب قبل النون . ومن جعله معتقب الإعراب قال قِنَّسرينى . وقد جاء مثل ذلك فى التثنية قالوا : خليلانىٌّ وجاءنى خليلانِ [٤] اسم رجل . وعلى هذا قوله :

* ألا يا ديارَ الحىِّ بالسَّبُعانِ *

---

(١) ط : « يفرون » ، صوابه فى ش .

(٢) انظر ما سبق فى ٦ : ٣٤٥ – ٣٥٢ .

(٣) فى كتابه ٢ : ٣٢٢ . وانظر الخصائص ٣ : ٢٠٣ وإصلاح المنطق ٣٩٤ وابن يعيش ٥ : ١٤٤ والاقتضاب ٤٧٢ والعينى ٤ : ٥٤٢ والتصريح ١ : ٦٩ – ٢ : ٣٢٩ والأشمونى ٤ : ٣٠٩ . والبيت فى ديوان تميم ٢٣٥ .

(٤) ط : « وجاءنى خيلانى » ، صوابه فى ش وابن يعيش ٥ : ١٤٤ .

قال ابن المستوفى : وجدت بخط الزَّمخشرىّ : ومن جعله مُعْتِقِب الإعراب ، بكسر القاف . وقد صحَّح عليه مرَّتين . فالمفتوح القافِ مصدر ، والمكسورها اسم فاعل . انتهى .

وقد أورد سيبويه هذا المصراع فى أوزان الأسماء قال : ويكون على فَعُلانٍ وهو قليل ، قالوا : السَّبُعان ، وهو اسمٌ . قال ابن مقبل :

* ألا يا ديارَ الحىِّ بالسبعانِ * انتهى

وأورده ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) على أنَّه لم يأت اسمٌ على فَعُلان إلّا حرف واحد .

وكذلك قال أبو عُبيدٍ عبدُ الله البكرى (فى شرح أمالى القالى) . وقال (فى معجم ما استعجم) : السَّبُعان بفتح أوله وضم ثانيه على بناء فعُلان ، هكذا ذكره سيبويه ، وهو جبلٌ قِبَل الفلج . وأنشد هذا البيت . والفلج بفتح الفاء وسكون اللام بعدها جيم : موضعٌ فى بلاد بنى مازن ، وهو فى طريق البصرة إلى مكة .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : السبعان منقول من تثنية السَّبُع بفتح فضم ، قال أبو منصور : هو موضعٌ معروف فى ديار قيس . وقال نصر : السَّبُعانِ : جبلٌ قِبَل فلج ، وقيل واد شَمالىّ سَلَم عنده جبلٌ يقال له العَبد ، أسود ليس له أركان . ولا يعرف فى كلامهم اسمٌ على فَعُلان غيرُه . انتهى .

وهذا المصراع وقع صدر بيتٍ هو مطلعُ قصيدتين لشاعرين إحداهما (١) لتميم بن مقبل ، وهو شاعرٌ إسلامىٌّ مخضرم ، وتقدمت ترجمته فى

(١) ط : « أحدهما » ، صوابه فى ش .

الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب [١] .

والثانية لشاعر جاهلىٍّ من بنى عُقَيل .

أمّا الأُولى وهى [٢] المشهورة التى ذكرها شُرَّاح الشواهد ، فهذه أبيات من أوّلها :

أبيات الشاهد

(ألا يا ديارَ الحىِّ بالسَّبُعان أمَلَّ عليها بالبلى المَلَوانِ
نهارٌ وليلٌ دائب مَلَواهُما على كلِّ حال الناسِ يختلفانِ
ألا يا ديارَ الحىِّ لا هَجْرَ بيننا ولكنَّ روعاتٍ من الحَدَثان
لدهماءَ إذْ للنَّاس والعيشِ غِرَّةٌ وإذْ خُلُقانا بالصِّبا عَسِرانِ) ٢٧٦

وقوله : (ألا يا ديار الحىّ) إلخ ألا : حرف تنبيه . يتأسَّف على ديار قومِه بهذا المكان ، ويُخبر أنَّ الملوين ، وهما الليل والنهار ، أبلياها ودَرَساها . والحىّ : القبيلة . وقوله : (بالسَّبُعان) متعلّق بمحذوف على أنّه حال من ديار .

وقوله : (أمَلّ عليها) فيه التفاتٌ ؛ لأنَّه لم يقل عليكِ ، قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : هو من أمللت الكتاب أُمِلُّه . خاطبَها ثم خرج عن خطابِها إلى الإخبار عن الغائب . وقيل : ويجوز أن يكون من أمللت الرجلَ ، إذا أضجرتَه وأكثرتَ عليه ما يؤذيه ، كأنَّ الليل والنهار [٣] أمَلَّاها من كثرة ما فعلا بها من البِلَى . و (الملوان) : اللَّيل والنهار ولا يُفرد واحدٌ

---

(١) الخزانة ١ : ٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) ط : « هى » صوابه فى ش .

(٣) الكلام بعده إلى كلمة « الليل والنهار » التالية ساقط من ش .

منهما . يريد أنّ الليل والنهار أمَلّا عليها أسباب البلى ، فزاد الباء [١] كما قال :

* لا يقرأْن بالسُّوَرِ * انتهى

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى [٢]) : أمَلّ بمعنى دأب ولازم ، ومن هذا قيل للدين مِلّة ، لأنّها طريقةٌ تلازم . وقال الأصمعى : أملّ فى معنى أملى ، أى طال . انتهى .

وقال الجوهرى : أملّه وأملّ عليه ، أى أسامَهُ ، فأراد بأملّ عليها أسامَها الملوانِ بالبلى لكثرة اختلافِهما عليها . والبِلى ، بالكسر والقصر مصدر بلىَ الثوبُ يبلَى ، من باب تعب ، بِلًى وبَلاءً بالفتح والمد ، أى خَلُقَ ، فهو بالٍ . وبلىَ الميّت : أفنَتْه الأرض .

وأنشد ابن السكيت هذا البيت (فى إصلاح المنطق) على أنّ الملوين فيه بمعنى الليل والنهار .

وقال أبو عبيد البكرى ، وابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : جعل الشاعر الملوين هنا بمعنى الغداة والعشىّ ، ويدلُّ عليه قوله بعده :

* نهارٌ وليلٌ دائبٌ ملواهُما *

ودأب : اجتهد وبالغ فى العمل . وقوله : « على كلّ » متعلق بدائب . والرَّوعة : المَّرة من الروع ، وهو الفزع . والحدَثانُ : مصدر حدثَ الشىء ، من باب قَعد ، إذا تجدَّد . أراد حوادث الدهر .

---

(١) الكلام بعده إلى « طريقة تلازم » ساقط من ش .

(٢) سمط اللآلىء ٥٣٣ .

والغِرة بالكسر : الغفلة . وخُلقانا : مثنى خُلُق بضمتين ، مضاف إلى نا .

وأمّا الثانية فقد أورد خمسة أبيات من أوّلها إبراهيمُ الحُصْرىّ (فى كتابه زهر الآداب [١]) ، وقال : إنّها لشاعرٍ جاهلى من بنى عُقيل . وتابعه ياقوت (فى معجم البلدان) ، وهى :

أبيات أخرى

(ألا يا ديار الحىِّ بالسَّبُعانِ ... عَفَتْ حِجَجًا بعدِى وهنَّ ثَمانى
فلم يبق منها غيرُ نُؤيٍ مهدّمٍ ... وغيرُ أثافٍ كالرَّكِىِّ دِفانِ
وآثارِ هابٍ أورقِ اللّون سافرت ... به الرِّيحُ والأمطارُ كلَّ مكانِ
قِفارٌ مَرَوْرَاةٌ يَحارُ بها القطا ... ويُضحِى بها الجأْبانِ يفترقانِ
يُنيرانِ مِن نسجِ الغُبار ملاءَةً ... قميصين أسمالًا ويرتديانِ)

وقوله : (عفَتْ حججا) يقال عفت الدار تعفو ، أى اندرست وذهب أثرها . والحِجج : جمع حِجّة بكسر أولهما : السَّنة . ورَوَى ياقوت :

* خلت حججٌ بعدى لهنَّ ثمانِ *

وقوله : « فلم يبق منها » إلخ النؤى : حُفيرةٌ حول الخباء لئلّا يدخله ماء المطر . والأثافىّ [٢] : جمع أُثفيّة ، وهى ثلاثة أحجار [٣] تكون عليها القِدر . والرَّكى : جمع ركية ، وهى البئر . ودِفان بكسر الدال بعدها فاء ، يقال ركية دفين ودِفان ، إذا اندفن بعضُها . والجمع دُفُن بضمتين .

---

(١) زهر الآداب ٩٢٦ .
(٢) ط : « وأثاف » .
(٣) ط : « ثلاثة أحجارة » ، ش : « ثلاث حجارة » ، والوجه ما أثبت .

وقوله : « وآثار هابٍ » الهابى : التراب الناعم الدقيق ، وهو اسم فاعل من هبا يهبو هَبْوًا ، أى ارتفع . والهَبَاء : دقاق التراب . والهابى أيضًا : ترابُ القبر ، وأنشد له الأصمعى : ٢٧٧

وهابٍ كجثمان الحمامة أجفلَتْ به ريحُ تَرْجٍ والصَّبا كلَّ مُجفَلِ [1]

والمراد به هنا الرَّماد ، لأنَّ الوُرقة هى لون الرَّماد .

وقوله : « قفار مَرْوْراة » إلخ القفار : جمع قَفر ، وهو المَكان الذى لا ماءَ فيه ولا نبات ، وهو صفة لمكانٍ قبله . والمروراة بفتح الميم والراء قال فى الصحاح : هى المفازة التى لا شيء فيها ، وهى فَعَوعلة [2] والجمع المَرَورَى والمرورَيات والمَراوِىّ . والجأب ، بفتح الجيم سكون الهمزة : الحمار الغليظ من حُمر الوحش . وأراد بالجأبين الذكر والأنثى ، وإنَّما يفترق كلٌّ منهما عن الآخر لعدم القُوت .

وقوله : « ينيران من نسج » إلخ أى يَحُوكان ، يقال أنرت الثوبَ وهَنَرته ، أى حُكْته . ويقال أيضًا نِرْتُه أنيره نَيْرا بالكسر . والنِّير : علَم الثوب ولُحمته . وفى القاموس : النِّير علَمٌ للثوب . ونرت الثوب نَيْرا ونيَّرته وأنرته : جعلت له نِيرا . وهُدب الثوب : لحمته . ومن نسج ، كانَ صفةً لقميصين ، فلمَّا قدِّم عليه صار حالًا منه . والمُلاءة بالضم والمد : الرَّيطة . وقميصين بدل من ملاءة ، وملاءة مفعول ينيران ، وعليهما حال من الغبار . وأسمالًا : خلَقًا ، يقال ثوب أسمالٌ أى خَلَق . ويرتديان معطوف على يُنيران ، ومعناه يلبَسَانِ .

---

(١) نسب فى اللسان (ترج ، جفل) إلى مزاحم العقيلى ، وأنشده فى (هبا) بدون نسبة ، ولم يستشهد به ياقوت فى (ترج) .

(٢) ط : « علة » ، صوابه فى ش .

يريد أنَّ الحمارين ، لشدة عدْوِهما ، يثور التراب ويعلوهما ، فيصير كالثوب عليهما . وإنَّما اشتدَّ عدوُهما للنَّجاة من هذه المفازة .

قال ياقوت : زعموا أنَّ أول من جَعل الغبار ثوبا هذا الشاعر . وكذلك قال الحُصْرى : هُو أوَّل من نظر إلى هذا المعنى ، وتبعته الخنساء فى قولها من أبيات ، وقد قيل لها : لقد مدحتِ أخاك حَتَّى هجوتِ أباك ! فقالت :

جارى أباه فأقبلَا وهما يتعَاورانِ مُلاءَة الحُضْرِ

وهذه أبرع عبارة ، وأنصع استعارة . وتبعها عدىُّ بن الرقاع فى وصف حمار وأتانِه :

يتعاوران من الغُبار ملاءةً بيضاءَ محدَثَةً هما نَسَجاها

تُطوَى إذا ورَدَا مكانًا جاسيا وإذا السَّنابكُ أسهَلَتْ نَشَراها

قال شارح ديوانه : قوله يتعاوران إلخ ، أىْ تصير الغبرة للعَيْر مرَّة وللأتان مرَّة . ويقال من العاريَّة : قد تعوَّرنا العوارىّ . والمكان الجاسى : الغليظ ، فإذا جرَيا فيه لم يكن لهما غُبْرةٌ ، وإذا أسهلا ، أى صارَا إلى سهولة الأرض ، ثار لهما غبار . فجعل إثارة الغبار بمنزلة مُلاءة تنشر عليهما ، وزوالَ الغبار بمنزلة طىِّ الملاءة . وهذا أحسن ما قيل فى وصف الغُبار والعَجَاج . وإلى هذا المعنى أشار أبو تمام الطائى فى وصف كثرة ظَعْنه وقصده الملوك :

يثير عجاجةً فى كلِّ يوم يَهيم بها عدىُّ بنُ الرِّقاع

وقد سلك البحترىُّ طريقة الخنساء وأحسن فيه ، إذ يقول فى يوسف ابن أبى سعيد (١) :

جَدٌّ كجد أبى سعيد إنّه ... ترك السِّماكَ كأنّه لم يُشرِفِ

قاسمتَه أخلاقه ، وهى الرّدَى ... للمعتدِى ، وهى النّدى للمُعْتفِى

فإذا جرى فى غايةٍ وجريْتَ فى ... أخرى التقى شأواكما فى المَنْصِفِ

* * *

٢٧٨

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٣٦ (ولها بالماطِرُونِ إذا ... أَكَلَ النملُ الذى جَمَعا)

على أنَّ أبا على قال : الماطرونَ مجرور بكسرةٍ على النون .

أقول : قاله فى باب ما جعلت فيه النون المفتوحة اللاحقة بعد الواو والياء فى الجمع حرفَ إعراب (من كتاب إيضاح الشعر) ، وهذا نصُّه :

اعلم أنَّ هذه النون إذا جُعلت حرفَ الإعراب صارت ثابتةً فى الكلمة ، فلم تُحذف فى الإضافة كما كانت تُحذَف قبل (٣) ، كما لا تُحْذف نون فِرسِين وضَيفن ورَعْشنٍ ونحو ذلك من النونات التى تكون حرف إعراب ، وإن كانت زائدة . ويكون حرف اللين قبلها الياء ولا يكون الواوَ ، لأنَّ الواو تدلُّ على إعرابٍ بعينه فلم يجُزْ ثباتها ، من حيث لم يجز

---

(١) هو يوسف بن أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، ولاه المتوكل حرب أرمينية وأذربيجان بعد وفاة أبيه فجأة فى سنة ٢٣٦ .

(٢) الحيوان ٤ : ١٠ والكامل ٢١٧ والأغانى ٦ : ١٥٠ والعينى ١ : ١٤٨ والتصريح ١ : ٢٦ ومعجم البلدان (الماطرون) ، وديوان أبى دهبل ٨٥ .

(٣) ط : « كما كانت لا تحذف قبل » ، صوابه فى ش . والمراد كما كانت تحذف قبل أن تكون حرف إعراب .

ثبات إعرابين فى الكلمة . ألا ترى أنّهم إذا نسبوا إلى رجلان ونحوه من التثنية حذفوا فقالوا : رجلىٌّ ، مع أنَّ الألف قد لا تدلُّ على إعرابٍ بعينه ؛ لأنَّ قومًا يجعلون حرف الإعراب فى الأحوال الثلاث ألفًا . فإذا حذفوا ذلك مع أنّهم قد جعلوها بمنزلة الدالِّ فيه ، لا يكون لإعرابٍ مخصوص ، فأنْ لا تثبت الواو الدالةُ على إعراب مختصٌّ أولى . فأمّا من أجاز ثبات الواو فى هذا الضَّرب من الجمع ، وزعم أنَّ ذلك يجوز فيه ، قياسًا على قولهم زيتون ، فقوله فى ذلك يبعُد من جهة القياس ، مع أنّا لم نعلمه جاء فى شىءٍ عنهم . وذلك أنَّ هذه الواو لم تكن قطُّ إعرابًا ولا دالًّا عليه ، كما كانت التى فى مسلمون . فالواوُ فى زيتون كالتى فى منجنون ، فى أنَّه لم يكن قطُّ إعرابًا كما أنَّ التى فى منجنون كذلك . وعلى ما ذهب إليه الناس جاء التنزيل ، وهو قوله تعالى : ﴿ ولا طَعَامٌ إلَّا مِنْ غِسْلينٍ [1] ﴾ ، لمّا صارت النون حرف إعراب صار حرف اللين قبله الياء . وقال تعالى : ﴿ لَفِى عِلِّيِّينَ * وما أدراكَ ما عِلِّيُّونَ [2] ﴾ . فأمّا قولُ الشاعر :

ولها بالماطـرونِ إذا أكل النملُ الذى جَمَعا

فأعجمىٌّ ، وليست الواو فيه إعرابًا كالتى فى سنين . فأمّا ثبات الياء فى سنين وفلسطين وقنّسرين فإنّها لما لم تدلَّ على إعراب ، بعينه ، أشبهت الياء التى فى شمليل وقنديل ، ولذلك ثبتت فى النسب ولم تحذف كما حذف ما يكون فى ثباته فى الاسم اجتماعُ علامتين للإعراب . وقد كثر هذا الضرب من

---

(١) الآية ٣٦ من الحاقة .

(٢) الآيتان ١٨ ، ١٩ من المطففين .

الجمع ، حتّى لو جُعل قياسًا مستمرًّا كان مذهبا . انتهى

ومثله قول ابن جنى (فى سر الصناعة) : فأمّا الماطرونُ فليست النونُ فيه بزائدة ، لأنّها تعرَب . قال :

* ولها بالماطرونِ إذا *

بكسرِ النون ، فالكلمة إذًا رباعيّة . انتهى .

وفيه ردٌّ لمن جعل الكلمة ثلاثية ، كصاحب القاموس ، فإنّه قال (فى مادة مطر) : وماطرون : قريةٌ بالشام .

وفيه أنّه كان يجب أن يقول الماطرون .

وقد خالف الجوهريُّ فرواه « الناطرون » بالنون ، وقال : الناطرون : موضعٌ بناحية الشام ، والقول فى إعرابه كالقول فى نصيبين ، ويُنشَد هذا البيتُ بكسرِ النون :

ولها بالناطرونِ إذا .... البيت

وردّ عليه الصاغانى (فى العباب) فقال : الماطرون : موضع قرب دمشق . وقال بعضُ من صنَّف فى اللغة : الناطرون : موضع بناحية الشام .

وكذلك غلّطه صاحب القاموس [(١)] . ولم يذكره أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) . وقال العينىّ [(٢)] كالشارح المحقق : « فى شرح كتاب ٢٧٩

(١) قال فى مادة (مطر) : « ووهم الجوهرى فقال : ناطرون بالنون » . وفى مادة (نطر) : « وغلط الجوهرى فى قوله ناطرون موضع بالشام وإنما هو ماطرون بالميم » .

(٢) العينى ١ : ١٤٧ فى شواهد المعرب والمبنى ، وهو قول أبى دهبل :

طال ليلى وبت كالمجنون واعترتنى الهموم بالماطرون

سيبويه : الماطرون بالميم وطاء مفتوحة ، والمشهور الماطِرون بالميم وكسر الطاء .
وقال أبو الحسن القُفْطى : الماطرون : بستانٌ بظاهر دمشق » . ثم قال :

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ ليزيدَ بن معاوية بن أبى سفيان تغزَّل بها [1] فى نصرانيَّة قد ترَّهبت فى دَيرٍ خراب عند الماطِرون ، وهو بستانٌ بظاهر دمشق يسمَّى اليوم المَيْطور . وأوّلها :

أبيات الشاهد

(آبَ هذا الليلُ فاكتنعا   وأُمِرَّ النومُ فامتنعَـــا
راعيًا للنَّجم أَرقُبُــه   فإذا ما كوكبٌ طَلَعا
حالَ حُتَّى إننى لأَرى   أنَّه بالغَوْرِ قدْ رجَعا
ولها بالماطــــرونَ إذا   أكلَ النملُ الذى جمعا
خُرفةٌ ، حتَّى إذا ارتبعتْ   سَكنت من جِلِّقٍ بِيَعَا
فى قِبابٍ حَولَ دَسكرةٍ   حولها الزيتونُ قد يَنَعا)

آب : رجَع . واكتنع : افتعل من الكَنَع ، بالكاف والنون ، قال صاحب العباب : اكتنع الليل : حضر ودنا . وأنشد هذا البيت . وأُمِرَّ بالبناء للمفعول بمعنى جُعِل مُرًّا .

وقوله : (ولها بالماطرون) اللام متعلّقة بمحذوف على أنَّه خبر مقدَّم وخُرفة مبتدأٌ مؤخر ، وضمير المؤنث للنَّصرانية التى تغزَّل بها [1] ، وبالماطرون فاعل لها ، وإذا ظرف عاملُه متعلَّق اللام . والخُرفة بضم الخاء المعجمة وبالفاء : المُختَرَف والمُجتَنى ، وقيل ما يجتنى . وهذه الرواية رواية المبرد (فى الكامل) ، وروى صاحب العباب فى البيت : « خِلْفة » بالكسر بدل خُرفة .

---

(١) ط : « تنزل بها » ، صوابه فى ش .

وقال : خِلْفة الشجر : شجرٌ يخرج بعد الثَّمَر الكثير . وكذا روى العينىُّ عن ابن القوطيّة أنَّه قال : الرواية هى الخِلفة باللام ، وهو ما يطلع من الثمر بعد الثمر الطيِّب . والجيِّدُ عندى رواية الخِلْفة على أنها اسمٌ من الاختلاف أى التردُّد . والنَّمل فاعل أكل ، والذى مفعوله ، والعائد محذوف أى جَمَعَه . وارتبعت : دخلت فى الرَّبيع . ويروى : « ربعت » بمعناه . ويروى : « ذكرت » بدل سكنت . وجِلِّق ، بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة : مدينة بالشام . ومن جلِّق كان صفة لقوله بيعا ، فلما قدِّم عليه صار حالًا منه . وبِيعا : مفعول سكنت أو ذَكرت ، وهو جمع بيعة بالكسر . قال الجوهرىّ وصاحبا (العباب والمصباح) : هى للنَّصارى . وقال العينى : البِيعة لليهود ، والكنيسة للنصارى . وهذا لا يناسب قوله إنَّ الشِّعر فى نصرانيَّة .

ومعنى البيتين أنَّ لهذه المرأة تردّدًا إلى الماطرون فى الشتاء ، فإنَّ النمل يخزُن الحب فى الصَّيف ليأكله فى الشتاء ، ولا يخرج إلى وجه الأرض من قريته . وإذا دخلت فى أيام الرَّبيع ارتحلت إلى البِيَع التى بجلِّق . وقال العينى : « قوله بالماطرون صفةٌ لخرفة » . وهذا مخالفٌ لقولهم إن صفة النكرة إذا تقدَّمت صارت حالا منه . وقال : إذا للوقت ، والتقدير : لها خُرفة وقتَ أكل النَّمل ما جمعه .

وقوله : « فى قِباب حول » إلخ الظرف صفة لقوله بيعا ، وهو جمع قُبّة . والدَّسكرة بفتح الدال ، نقل صاحب العباب ، عن الليث أنَّها بناءٌ يشبه قصرًا حوله بيوتٌ ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . ويَنَع : لغةٌ فى أينع أى نَضِج واستوى .

قال المبرد (فى الكامل) : أينعت الثمرة إيناعا ، أى أدركت . وينَعت يَنْعا ويُنْعا بالفتح والضم . ويقرأ: ﴿ انظُرُوا إلى ثَمَره إذا أثمَرَ ويَنْعه [1] ﴾ و (يُنعِه) كلاهما جائز . وأنشد هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة وقال : قال أبو عبيدة : هذا الشعر يُختلف فيه ، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص ، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية . انتهى .

وقد سها العينىُّ هنا فى قوله : « الاستشهاد بالماطرون حيث نزِّل منزلة الزيتون فى إلزامه الواو وإعرابه بالحروف » ، وصوابه « وإعرابه بالحركات » .

ولو استشهد الشارح المحقِّق بقوله :

طال ليلي وبتُّ كالمجنون   واعترتنى الهُمومُ بالماطرونِ

كما استشهد به ابنُ هشام (فى شرح الألفيَّة) لكان أولى ، فإنَّ كسرة النون صريحة ، لوقوعها فى القافية .

وهو مطلع قصيدة ، وبعده :

صاحِ حيًّا الإله حيًّا ودُورا   عند أصل القناة من جَيْرونِ
عن يَسارى إذا دخلتُ إلى الدا   رِ ، وإنْ كنتُ خارجًا فيمينى
فَلِتلكَ اغتربت بالشَّام حتَّى   ظَنَّ أهلى مُرجَّماتِ الظُّنونِ
هِى زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغـ   ـوَّاصِ ميزَتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا ما نسَبْتَها لم تجِدْها   فى سَناءٍ من المكارمُ دُونِ
تجعلُ المِسكَ واليَلَنْجوج والنَّـ   ـدَّ صِلاءً لها على الكانونِ

(١) الآية ٩٩ من الأنعام .

ثُمَّ خاصرتُها إلى القُبّة الخضـ ـراءِ تَمشِى فى مَرمرٍ مسنونِ
قُبّةٌ من مَرَاجـلٍ ضربَتْهـا عند حدِّ الشتاء فى قَيْطونِ
ثمَّ فارقتُهـا على خير ما كا نَ قريـنٌ مفارِقًـا لِقَريـنِ
فبكت خَشيةَ التَّفرُّقِ للبَيْـ ـنِ بكاءَ الحزينِ إثْرَ الحزينِ
ليتَ شعرى أمِنْ هوًى طار نومى أَمْ برانى ربِّى قصيرَ الجُفونِ (١)

وجَيرون : بابٌ من أبواب دمَشق . والرَّجم : الكلام بالظنِّ . واليلنجوج بجيمين : عود البَخُور ، وروى بدله « الأَلُوَّة » بفتح الهمزة وضم اللام ، وهو العود أيضاً . والصِّلاء بالكسر والمد : التدفِّى بالنار . والمخاصرة : أَن يضع كلُّ اثنينِ (٢) يدَه على خَصْر الآخر . والمسنون : الأملس المجلوّ . والمراجل : جمع مِرجل بالكسر ، وقال ابن الأعرابىّ وحدَه : بفتح الميم ، هو ضربٌ من برود اليمنِ . كذا فى العباب . وأخطأ العينىُّ فى قوله : هو القِدر من النُّحاس ، إذ لا مناسبة له هنا . والقيطون : المُخْدع .

قال العينى : هذه القصيدة لأَبى دَهبلٍ الجُمَحى ، وهو شاعرٌ إسلامىٌّ شَبَّب فيها بعاتكة بنتِ معاوية ، حين حجَّتْ ورجع معها إلى الشام ، فمرض بها . ويقال إنَّ يزيد قال لأَبيه إنَّ أَبا دهبلٍ ذكر رملةَ ابنتَكَ فاقتلْه . فقال : أَىَّ شىءٍ قال ؟ قال :

هى زهراء مثل لؤلؤة الغـ ـوَّاصِ .... البيت

(١) فى النسختين : « أم برانى رمى » ، صوابه فى الحماسة البصرية ٢ : ٢٠٧ . ويروى أيضا : « أم برانى البارى » ، كما فى الأغانى ٦ : ١٥٤ .

(٢) الوجه « كل واحد من اثنين » .

قال معاوية : لقد أحسن ! قال : فقد قال :

وإذا ما نسبتها .... البيت

قال : صدق ! قال : فقد قال :

ثم خاصرتُها إلى القبَّة .... البيت

فقال معاوية : كذبَ !

وقال ثعلب : حدَّثنا الزبير قال : حدَّثنى مصعب قال : حدثنى إبراهيم ابن أبى عبد الله قال : خرج أبو دهبل يريد الغَزْو ، وكان رجلا صالحا جميلا ، فلما كان بِجَيرونَ جاءَته امرأة فأعطته كتابًا ، فقالت : اقرأْ لى هذا الكتاب . فقرأه لها ، ثم ذهبت وخرجت إليه فقالت : لو تبلَّغت معى إلى هذا القصر فقرأْته على امرأةٍ فيه كان لك فيه أجر . فبلغ معها القصر ، فلمَّا دخله فإذا فيه جوارٍ كثيرة ، فأغلقوا عليه القصر ، وإذا امرأةٌ وضيئةٌ تدعوه إلى نفسِها ، فأَبى ، فحبِس وضُيِّق عليه حتى كاد يموت . ثم دعته إلى نفسها فقال : أمَّا الحرام فو الله لا يكون ، ولكن أتزوَّجكِ . فتزوَّجته وأقام معها زمانًا طويلا لا يخرج من القصر حتَّى يُئِس منه وتزوّج بنوه وبناته واقتسموا ماله ، وأقامت زوجتُه تبكى عليه حتَّى عميت .

ثم إنَّ أبا دهبل قال لامرأته : إنَّكِ قد أثمتِ فىَّ وفى أهلى وولدى فأْذنى لى فى المصير إليهم ، وأعودَ إليك . فأخذت عليه العهودَ أن لا يقيم إلَّا سنة . فخرج من عندها ، وقد أعطته مالًا كثيرًا ، حتَّى قدم على أهله فرأى حال زوجته فقال لأولادهِ . أنتم قد وَرِثتمونى وأنا حىٌّ ، وهو حظُّكم ، والله لا يَشرَك

زوجتى فيما قدِمْتُ به أحد . فتسلَّمتْ جميعَ ما أتى به .

ثم إنَّه اشتاقَ إلى زوجته الشاميَّة ، وأراد الخروج إليها ، فبلغه موتُها ، فأقام وقال هذه القصيدة . ويقال إنَّها لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وذهب إليه الجوهريّ وغيره . وقال ابن برّىّ : الصحيح أنَّها لأبى دهبل . انتهى كلام العينى .

ولم ينسبها أبو الفرج الأصبهانى (فى الأغانى) إلَّا لعبد الرحمن بن حسان قال : حدثنا محمد بن العبّاس اليزيدى قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدَّثنا المدائنى ، عن أبى عبد الرحمن المبارك قال :

٢٨١

شبَّب عبد الرحمن بن حسّان بأُخت معاوية ، فغضب يزيد فقال لمعاوية : اقتلْ عبد الرحمن بن حسان . قال : ولم ؟ قال : شبَّب بعمَّتى . قال : وما قال ؟ قال : قال :

طال ليلى وبتُّ كالمحزونِ ومِلِلتُ الثَّواءَ فى جَيرونِ

قال : يابُنىَّ ، وما علينا من طول ليله وحزنه .

– وهذا هو مطلع القصيدة عند صاحب الأغانى ، وليس فيه ذكر الماطرون –

قال يزيد : إنه يقول :

فلذاك اغتربت بالشام [1] .... البيت

---

(١) فى النسختين : « فلذلك اغتربت » ، تحريف . وفى الأغانى ٦ : ١٥٧ : « فبذاك اغتربت » .

قال : يابُنىَّ وما علينا من ظنِّ أهله ؟ قال : إنَّه يقول :

هى زهراء مثل لؤلؤة الغـ ـوّاصِ .... البيت

قال : صدَق يابنىَّ . قال : وإنَّه يقول :

وإذا ما نسبتها لم تجدها .... البيت

قال : صدق ، هى هكذا . قال : إنَّه يقول :

ثم خاصرتها إلى القبة .... البيت

قال : ولا كلُّ هذا يابنىّ . ثم ضَحِك وقال : أنشدْنى ما قال أيضًا . فأنشده قولَه :

قُبَّـة من مراجـلٍ نصبوهـــا عند حدِّ الشتاء فى قَيطونِ

عن يسارى إذا دخلت .... البيت

تجعـــل النَّـــدَّ والألوّة .... البيت

وقباب قد أشْرِجَتْ وبُيوتٌ نُطِّقَتْ بالريحان والزَّرَجونِ (١)

قال : يابنى ليس يجب القتل فى هذا ، والعقوبة دون القتل ، ولكنَّا نكفُّه بالصِّلة والتجاوز عنه .

ونسخت من كتاب ابن النطَّاح : وذكَر الهيثم بن عدىّ عن ابن دأْب قال : حدَّثنا شعيب بن صفوان ، أنَّ عبد الرحمن بن حسان كان يشبِّب بابنة معاوية ويذكُرها فى شعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلته نكالًا . فقال : لا ، ٢٨٢

(١) الزرجون : قضبان الكرم .

ولكن أداويه بغير ذلك . فأذن له وكان يدخل فى أُخريات الناس ، ثم أجلسه على سريره معه ، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ثم قال : إنَّ ابنتى الأُخرى عاتبةٌ عليك . قال : فى أىّ شىء ؟ قال : فى مِدحتك أُختَها وتركك إيّاها . قال : فلها العُتبى وكرامةٌ ، أنا ذاكرُها . فلمَّا فعل وبلغ ذلك الناسَ قالوا : وقد كنّا [1] نرى أنَّ نسيب عبد الرحمن بن حسان بابنة معاوية لشىءٍ ، فإذا هو على رأى معاوية وأمرِه . وعلمَ من كان يعرف أنَّه ليس له بنت أُخرى ، أنَّه إنَّما خدعه ليشبِّب بها ، ولا أصل لها ، ليعلم الناس أنَّه كذَبَ على الأُولى لمَّا ذكر الثانية .

هذا ما أورده صاحب الأغانى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [2] :

٥٣٧ (ليتَ شعرِى وأينَ منِّىَ ليتٌ إنَّ لوًّا وإنَّ ليتًّـــا عنـــاءُ)

على أنَّ الكلمة المبنيَّة إذا أُريد بها لفظُها فالأكثر حكايتُها على ما كانت عليه ، وقد تجىء معربةً كما فى البيت ، كما أُعرب ليتٌ الأُولى بالرفع على الابتداء ، ونصبَ الثانية مع لو بـإنَّ .

وأورده سيبويه (فى تسمية الحروف والكلم) قال : والعرب تختلف

---

(١) فى الأغانى ١٣ : ١٤٢ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٢ . وانظر المقتضب ١ : ٣٢٥ / ٤ : ٣٢ ، ٤٣ والجمهرة ١ : ١٢ / ٢ : ٢٩ وابن يعيش ٦ : ٣٠ / ١٠ : ٥٧ وديوان أبى زبيد الطائى ٢٤ .

فيها ، يؤنِّثها بعض ويذكِّرها بعض . وأمَّا ليت وإنَّ فحرِّكت أواخرها بالفتح ، لأنَّها بمنزلة الأفعال ، فإذا صيَّرتَ واحدًا منهما اسمًا فهو ينصرف على كلِّ حال . وإن جعلته اسمًا للكلمة وأنت تريد لغة من ذكَّر لم تصرفها ، وإنْ سمَّيتَها بلغة من أنَّثَ كنتَ بالخيار .

إلى أن قال : وأمَّا أَوْ ولَوْ فهما ساكنا الأواخر [1] ، فإذا صارت كلُّ واحدةٍ منهما اسمًا فقصَّتها فى التأنيث والتذكير ، والانصراف وترك الانصراف ، كقصة ليت وإنَّ ، إلَّا أنَّك تلحق واوًا آخَرَ [2] فتثقِّل . وذلك لأنَّه ليس فى كلام العرب اسمٌ آخره واو قبلها حرف مفتوح . قال أبو زُبيد :

ليت شعرِى وأين منِّى ليتٌ   إنَّ ليتًا وإنَّ لوًّا عناءُ

وقال آخر :

ألامُ على لوٍّ ولو كنتُ عالما   بأذناب لوٍّ لم تَفُتنى أوائلُه

انتهى كلام سيبويه .

قال الأعلم : الشاهد فى تضعيف لو ، لمَّا جعلها اسما وأخبر عنها ، لأنَّ الاسم المفرد المتمكِّن لا يكون على أقلَّ من حرفين متحرِّكين ، والواو فى « لو » لا تتحرَّك ، فضوعفت لتكون كالأسماء المتمكنة . ويحتمل الواو [3] بالتضعيف الحركة . وأراد بلو ههنا لو التى للتمنِّى فى نحو قولك : لو أتيتنا ، لو أقمت عندنا ، أى ليتك أتيت . أى أكثرُ التمنِّى يكذِّب صاحبَه ويعنِّيه ، ولا يبلغ فيه مراده . انتهى .

---

(١) سيبويه : « فهما ساكنتا الأواخر » .

(٢) سيبويه : « واوا أخرى » .

(٣) ط : « للواو » ، صوابه فى ش والشنتمرى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لأَبى زُبَيْدٍ الطائى ، أَورد منها الأَعلم (فى باب النسيب من حماسته) ستَّةَ أَبيات ، وهى :

أبيات الشاهد

(ولقد مِتُّ غير أَنِّى حَىٌّ ❊ يومَ بانت بودِّها خَنساءُ

من بنى عامر لها شِقُّ قلبى ❊ قسمةً مثل ما يُشَقُّ الرداءُ [١]

أُشرِبَتْ لونَ صفْرةٍ فى بياض ❊ وهى فى ذاك لَدْنةٌ غَيداءُ

كلُّ عينٍ مَتَى تراها من النا ❊ س إليها مُديمةٌ حَولاءُ

ليتَ شعرى وأَين منى ليتٌ ❊ إنَّ ليتًا وإنَّ لوًّا عناءُ

٢٨٣

أَىُّ ساعٍ سعَى ليقطع شِربى ❊ حِين لَاحت للصَّابِحِ الجوزاءُ)

قوله : « ولقد مِتُّ » إلخ يعنى أَنا لشدَّة الحزن ميت ، إلَّا أَنِّى فى عداد الأَحياء . وبانت : فارقت ، يريد هجَرَتنى .

وقوله : « لها شِقّ قلبى » بالكسر ، يريد : شقَّت قلبى بحبِّها فاستولت عليه .

وقوله : « أُشرِبَتْ لونَ صفرة » إلخ أَى صُبغت بهذين اللونين . وهذا أَحْمَد الأَلوان عندهم . وفى بمعنى مع . واللَّدنة : الناعمة . والغيداءُ : المتثنِّية من النَّعمة ، وهى أَيضًا الطويلة العنق .

وقوله : « كلُّ عين » إلخ كلُّ مبتدأ ، ومتى اسم استفهام ظرف لتراها ، وجملة تراها صفة لعين ، ومُدِيمة خبر المبتدأ ، وإليها متعلق به ، وهو اسم فاعل من أَدمت أَى واظبت . وحَولاء خبر ثانٍ . جعلها حولاء لميْلها إليها بالنَّظر ، فكأَنَّ بها حوَلًا .

(١) فى الديوان : « لها شق نفسى » .

وقوله : (ليت شعرى) إلخ قد شرحه الشارح فى ليت [١] وقال : التُزم حذفُ الخبر فى ليت شعرى مردَفًا باستفهام ، نحو : ليت شعرى أتأتينى أم لا ؟ وهذا الاستفهام مفعولُ شعرى . فجُملةُ « أىُّ ساعٍ سعَى » فى البيت بعده مفعول شعرى . والشِّرب بالكسر : النَّصيب من الماء . والصابح : مِن صبَحت الإبل ، إذا سقيتَها فى أوَّل النَّهار ؛ والإبل مصبوحة ، والقوم صابحون . كذا فى الجمهرة لابن دريد ، وأنشد هذا البيت .

وقال القالىُّ (فى المقصور والممدود) : والجوزاء : برجٌ مِنْ بروج السماء . والعرب تقول : « إذا طلعت الجوزاء توقَّدت المَعْزاء ، وكَنَست الظِّباء ، وعرِقَت العِلباءُ [٢] ، وطاب الخباء » . وأنشد هذا البيت .

وزاد صاحب الأغانى بعد هذا :

(فاستظلَّ العصفورُ كَرهًا مع الضَّـ	ـبِّ وأوفى فى عُودِهِ الحِرباءُ
ونفى الجُندبُ الحصى بكُراعَيْـ	ـهِ وأذكَتْ نيرانَها المَعْزاءُ
من سَمومٍ كأنَّها حَرُّ نار	شَفَـعتها ظهيرةٌ غرَّاءُ
وإذا أهلُ بلدةٍ أنكرونى	عرفَتْنى الدوِّيَّـةُ الملساءُ
عرفَتْ ناقتى شمائلَ منِّى	فهى إلَّا بُغامَها خرساءُ
عرفت ليلَها الطَّويلَ وليلى	إنَّ ذا النومَ للعيونِ غِطاءُ)

سبب القصيدة

وأورد سبب هذه القصيدة بسنده عن ابن الأعرابى قال : كان الوليد

(١) ط : « فى البيت » صوابه فى ش

(٢) العلباء ، بالكسر : عصب العنق . قال اللحيانى : « هو مذكر لا غير » ، لكن ورد هنا بالتأنيث .

ابن عُقبة قد استعمل الربيع بن مُرَىّ بن أَوس بن حارثة بن لأْم [(١)] الطائىَّ على الحِمَى ، فيما بين الجزيرة وظهر الحِيرة ، فأَجدبت الجزيرة . وكان أَبو زُبيد فى تغلب . فخرج لهم ليُرعِيَهم [(٢)] فأَبَى عليه الأَوسىُّ وقال : إن شئتَ أُرعيك وحدَك فعلتُ . فأَتى أَبو زُبيد الوليدَ بن عقبة ، فأَعطاه ما بين القصور الحُمر من الشام إلى القصور الحُمر من الحيرة ، وجعلها له حمًى وأَخذَها من الآخر .

قال عُمر بن شَبّة فى خبرِه خاصَّة : فلما عُزل الوليدُ عن الكوفة وولى سعدُ بن أَبى وقَّاص مكانه ، انتزعها منه وأَخرجها من يده ، فقال أَبو زُبيد :

ولقد مِتُّ غير أَنِّىَ حىٌّ   يوم بانت بودِّها خنساءُ

إلى آخر القصيدة .

وأَبو زبيدٍ الطائىُّ : شاعر نصرانىٌّ كان فى صدر الإسلام ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والثمانين بعد المائتين [(٣)] ٢٨٤

* * *

(١) ط : « حارثة بن لؤى » صوابه فى ش مع أثر تصحيح والاشتقاق ٣٨٣ والمعمرين ٣٥ وكامل المبرد ١٣٢ . وفيه يقول بشر بن أبى خازم (ديوانه ٣٢٢ والكامل ١٣٣) :

إلى أوس بن حارثة بن لأم   ليقضى حاجتى فيمن قضاها

وقال ابن دريد فى الاشتقاق : انه كان رأسا لطيئ ، وعاش مائتى سنة . وفى المعمرين : « عاش أوس بن حارثة بن لأم بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن لوذان ابن رومان بن خارجة بن سعد بن جندب بن فطرة بن طيئ ، مائتى سنة وعشرين سنة » .

(٢) ش : « بهم ليرعيهم » .

(٣) الخزانة ٤ : ١٩٢ – ١٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد المفصَّل [١] :

٥٣٨ (بوحْشِ إصمِتَ)

هو قطعة من بيتٍ للرّاعى ، وهو :

(أَشْلَى سَلُوقِيَّةً باتت وبات بها بوحْشِ إصمِتَ فى أصلابها أَوَدُ [٢])

على أنَّه [٣] إذا سمِّى بفعل فيه همزة وصل قُطِعَتْ ، كإِصمتَ بكسر الهمزة والميم .

وتقدَّم عن الشارح المحقق أنَّه منقول من فعل أَمر ، لبرِّيَّة معيَّنة . وقيل : هو علم الجنس لكلِّ مكانٍ قفر ؛ تقول : لقيته بوحش إصمتَ وببلدِ إصمت . والوحش : المكان الخالى . وكسر ميم إصمِتَ ، والمسموع فى الأمر الضم ، لأَنَّ الأَعلامَ كثيرًا ما تغيَّر عند النقل تبعًا لنقل معانيها ، كما قيل فى شُمْس بن مالك ، بضم الشين . انتهى .

وقوله : « وكسر ميم إصمت » إلخ جواب عن سؤال مقدَّر ، وهو أَنَّه لو كان منقولًا من فعل الأَمر لكانت الهمزة والميم مضمومين ، لأَنَّه يقال صمت يصمُت صَمتًا من باب نصر ، وصُموتا وصُمتا بضمهما بمعنى سكت ، واصمُتْ مثله ، فأَجاب بما ذكره .

ومثلُه للأَندلسى (فى شرح المفصل) قال : المشهور فى مضارع

---

(١) ابن يعيش ١ : ٢٩ ، ٣٠ والأشمونى ١: ١٣٣ ومعجم البلدان (اصمت) واللسان (صمت ٣٦٠) وديوان الراعى ٤٦ .

(٢) فى المعانى الكبير ٢٢٠ :

يشلى سلوقية زلا جواعرها مثل اليعاسيب فى أصلابها أود

(٣) ش : « يعنى أنه » .

صمت : يصمُت بالضم ، فإمَّا أَن يكون الكسر لغة فيه ، لم يُنقل ، وإما أن يكون ممَّا غيِّر فى التسمية كما قالوا : شُمس بن مالك ، بالضم فغيَّروا لفظ الشَّمس . وإمَّا أَن يكون مرتجلا وافق لفظَ الأَمر الذى بمعنى اسكت فلا يكون من هذا الفصل . انتهى .

وكذا قال ابن يعيش (فى شرح المفصل) .

وأَجاب ابن الحاجب (فى أَماليه على المفصَّل) بغير هذا ، قال : وقد أُخذ على صاحب المفصل باستشهاده ، فإنَّ العرب تقول صمت يصمُت ، فالأَمرُ فيه بالضم ، فكيف جاء إصمت ؟ وجوابه أَن يقال : إنَّ فَعَلَ يأْتى على يفعُل ويفعِل . ومنهم من يقول : إنْ سُمع للفعل مضارع اتُّبع وإلَّا فأَنت فيه مخيَّر ، إن شئت قلت يفعُل أَو يفعِل . ومنهم من يقول : إن كثُر استعمال المضارع اتُّبع ، وإلَّا كنت فيه بالخيار . انتهى .

وقال فى شرح المفصل : واستشهاده بالبيت مستقيم على وجهين : أَن يثبت أَنَّ فعَلَ يجىء على يفعُل ويفعل .

والوجه الثانى : أَن يثبت صمت يصمِتُ ، ولا يستقيم على غير ذلك

وقول بعضهم : « يجوز أَن يكون أُصله اصمُت ثم غيِّر بالتسمية » فغَيْر ثَبْت .

وأَصله أَنَّ رجلا قال لصاحبه فيها : اصمت ، تخويفًا ، فسمِّيت به . وقد قيل إنَّ وحش إصمت علمٌ على كلِّ مكان قَفر كأُسامة ، وإن كان وحشٌ فى أَصله بمعنى خالٍ ، ولا يخرج بذلك عن أَن يكون إصمت علمًا

منقولا قدّر ، أَوْ مرتجلا ، كحمارِ قَبَّانَ ونحوه من المضافات . انتهى .

وهذا كله مبنىٌّ على أَنَّه لم يسمع يصمت بالكسر .

وقد نقله ابن المستوفى (فى شرح أَبيات المفصل) عن الجمهرة لابن دريد قال : قال أَبو بكر محمد بن الحسن : الصَّمت معروف ، صَمت يَصمِتُ صَمْتًا ، إذا سكت ، وأَصمتُّه أَنا إصماتا ، إذا أُسكتُّه . كذا سمعته على شيخنا أَبى الحرم مكّى بن زبان بكسر الميم (فى الجمهرة) . فسقطَ ما تمحَّلوه هنا .

وقال ابن جنى (فى الخصائص [1]) : وأَما الفعل المستقبل المنقول إلى العلم فنحو قولهم فى اسم الفلاة إصمت ، وإنَّما هو فى الأَصل أَمر من ٢٨٥ صمت يصمت إذا سكت . كأَنَّ إنسانًا قال لصاحبه فى مفازةٍ : إصمت يُسكِتُه تسمُّعًا لنبأة أَوْجَسَهَا ، فسمِّى المكان بذلك . وهذا ونحوه ممَّا ذهب إليه أَبو عمرو بن العلاء فى قول الهذلى [2] :

على أَطرِقَا بالياتِ الخيا م إلَّا الثُّمامُ وإلا العصىُّ

أَلا تراه قال : إنَّ أَصله أَنَّ رجلا قال لصاحبه هناك : أَطرقا ، فسمِّى المكان به فصار علمًا له ، كما صار إصمت علمًا له . وقطْعُ الهمزة من إصمت مع التسمية به خاليًا من ضميره ، هو الذى شجَّع النحاة على قطع هذه الهمزات إذا سمِّى بما هى فيه . فإن قيل : فقد قالوا : لقيته بوحشِ إصمتَةَ ، ولو كان إصمت فى الأَصل فعلا لما لحقته تاء التأْنيث ؟ قيل : إنَّما

---

(١) لم أعثر على هذا النص فى الخصائص .

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين ١ : ٦٥ .

لحقت هذه التاء فى هذا المثال على هذا الحدِّ ليزيدوا فى إيضاح ما انتحَوْه من النقل ، ويُعلموا بذلك أنَّه قد فارقوا موضعه من الفعلية ، من حيث كانت هذه التاء لا تلحق هذا المثال فعلًا ، فصارت إصمتةُ فى اللفظ كإجردَة وإبرِدة [١] . نعم وآنسهم بذلك تأنيثُ المسمَّى به ، وهو الفلاة . انتهى .

وقال الزمخشرى (فى أمثاله) : لقيته بوحش إصمت : المكان الوحش : الموحش ، وهو الخالى من الإنس . وإصمت علم للفلاة القفر ، سمِّيت بذلك لأنَّه لا أنيس بها فينطقُوا ، أَوْ لأنَّها لشدَّتها تُصمت سالكها . والدَّليل تشتبه عليه طرقها فلا يتكلَّم ، لأنه لايتَّضح له الهُدَى فيها . ومانعُها من الصرف التعريف ووزن الفعل ، لأنَّه بزنة اضرب ، وهى مجرورة الموضع بإضافة وحشٍ إليها . وقيل : اسم بلدة بعينها . ويروى : « ببلدة إصمت » . ويقال تركتنى ببلدة إصمتة وبلدِ إصمت . يضرب للرجل الذى لا ناصر له ولا مانع . انتهى .

ولم يورد أبو عبيد البكرى هذه الكلمة (فى معجم ما استعجم) وأوردها ياقوت (فى معجم البلدان) وقال : إصمِت بالكسر وكسر الميم وتاء مثناة : اسم علم لبرِّيَّة بعينها . قال الراعى :

* أشلى سَلوقيَّةً باتت وبات بها * إلخ

وقال بعضهم : العلَمُ هو وحش إصمت ، الكلمتان معًا . وقال أبو زيد : يقال لقيتُهُ بوحش إصمت ، وببلدَةِ إصمتَ ، أى بمكان قفر .

(١) الإجردة ، بتشديد الدال وتخفيفها : نبت يدل على الكمأة . والإبردة بتخفيف الدال : برد فى الجوف . ويجد الرجل بالغداة البرد فيقول : انما هى إبردة الثرى ، وإبردة الندى

وإصمت منقول من فعل الأمر مجرد [(١)] عن الضمير ، وقطعت همزته ليجرىَ على غالب الأسماء . هكذا جميعُ ما يسمَّى به من فعل الأمر . وكسرُ الهمزة فى إصمت ، إمَّا لغةٌ لم تبلغنا ، وإمَّا أن يكون غُيِّر فى التسمية به عن إصمُت بالضم الذى هو منقول فى مضارع هذا الفعل [(٢)] ، وإمَّا أن يكون مرتجَلا وافق لفظ الأمر الذى بمعنى اسكت . وربَّما كان تسميةُ هذه الصحراء بهذا الفعل للغَلَبة ، لكثرة ما يقول الرجل لصاحبه إذا سلكها : اصمُت لئلَّا تُسْمَع فتهلِك [(٣)] ، لشدَّة الخوف . انتهى .

فهذه عدة توجيهات لكسر الهمزة والميم ، ولتسمية الفلاة به .

وإصمته غير منصرف أيضًا ، لكنْ للعلميَّة والتأنيث .

والقول بأنَّ إصمت مرتجل لا منقول أسلم وأسهل ، وحينئذ لا يحتاج إلى توجيه كسر الميم ، ويكون منع الصرف للعلمية والتأنيث المعنوى ، وفى إصمتة التأنيث اللفظى على طريقة واحدة .

والعجب من ابن يعيش فإنَّه وجَّه منع الصرف فى إصمت بما ذكرنا مع القول بالنقل . وكونُه علَم جنس أظهر من كونه علَم شخص لبقعةٍ معيَّنة ، كما هو ظاهرٌ من استعمالهم : والصحيح أنَّ العَلَم إنَّما هو إصمِت وإصمِتة ، ٢٨٦ لا مجموع وحش إصمت ووحش إصمتة ، بدليل أنَّه يقال بلد إصمت ، وصحراءُ إصمت وغير ذلك ، ولم يقل أحد بعلمية المجموع فيه ، وما يضاف

(١) ط : « ومجرد » ، وفى معجم البلدان : « مجردا » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) وكذا فى معجم البلدان . وفى ش « فى المضارع لهذا الفعل » .

(٣) فى معجم البلدان : « فنهلك » بالنون .

إليهما من وحشٍ وبلد وبلدة وصحراءَ أيضًا ، كما نقله صاحب القاموس ، إضافتُه للتخصيص . وقد يجمع إصمِت على إصمِتينَ شذوذًا ، كأنَّهم سمَّوا كلَّ قطعةٍ منها بإصمت إن كان إصمت علَم قفرٍ بعينه . وإن كان علم جنسٍ فواضح . وقد رأيتُه فى شعر أُمية بن أَبى الصَّلت ، قال من قصيدة :

وتُرذَى النَّاب والجعماء فيـه بوحش الإصمِتينَ له ذُبابُ [(١)]

قال شارح ديوانه : تُرذَى من الرذيّة ، أى تُترك ، وقد أُرذِيَت فهى مُرْذاة . والناب : الناقة المسنَّة . والجعماء [(٢)] : الذاهبة الأسنان . والإصمتين : مكانٌ ليس فيه أحد . وهو مثلٌ للعرب ، يقال تركت فلانًا بوحش الإصمتِينِ . وله ذبابٌ ذبابَ الحمار [(٣)] . انتهى .

واعلم أنَّ ابن المستوفِى استشكل كون إصمت منقولاً من الفعل دون ضميره وقال : قول النحاة إنَّ إصمت منقول من فعل الأمر مجرَّدًا من الضمير ، فيه نظر ، لأنَّه جمعٌ بين نقيضين ، وذلك أنَّهم إنَّما سمَّوا به بعد الأمر للمواجهة ، فلابدَّ من الضمير فيه . وإذا كان كذلك فهو من باب المسمَّى بالجملة المركبة من الفعل والفاعل . اللهمَّ إلَّا أن يكونوا نزعوه بعد التسمية تحكُّما منهم . انتهى .

أقول : لا يردُ ماذكره ، فإنَّهم قالوا : إذا سمِّى بفعل فإن لم يُعتَبر ضميره الفاعلُ فهو مفرد لا ينصرف ، وإن اعتُبر ضميره فهو جملة محكيَّة ،

---

(١) ترذى : تهلك . والجعماء : الناقة المسنة ، أو التى غابت أسنانها فى اللثات . ط وديوان أمية ١٩ : « والجمعاء » ، وهى الناقة الهرمة أيضا .

(٢) ط : « والجمعاء » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) ش : « وله ذباب الحمار » .

سواء كان الضمير مما يجب استتاره أم لا ، بدليل أَحمَدَ المنقولِ من المضارع للمتكلم ، وتغلبَ المنقول من المضارع للمخاطب ، فالضمير أمر اعتبارى يجوز أن يلاحظ ويعتبر ، ويجوز عدمه ، ولا ينظر إلى مكان تجريده من الفعل حين التسمية .

واستشكَل أيضًا قطع الهمزة بعد التسمية بأنّه من باب تحصيل الحاصل ، لأنّها مقطوعة قبل التسمية ، إذ لم تقع حشوا . قال : وقولهم إنّهم قطعوا الهمزة من إصمت مع التسمية به خاليًا من الضمير ، فيه أيضًا نظر ، لأنّ المكان عندهم إنّما سمّى بقول الرجل لصاحبه : اصمت ، يُسْكِتُه [1] بذلك من غير أن يكون تقدّمه كلام قبله ، وصلَه به فوصل الهمزة . وكذا كلُّ فعل أمر من يفعل قطعت همزته . انتهى .

أقول : مرادهم التزام قطعها بعد التسمية دَرْجًا وابتداء ، بخلاف إصمت قبل التسمية ، فإنّ الهمزة لا تقطع فى الدَّرْج ، وهذا ظاهر . وأمّا ما قاله صاحب القاموس من أنّ إصمت وإصمتة بقطع الهمزة ووصلِه فمشكل ، ولم أره لغيره ، وكأنّه مأخوذ من مفهوم قول أبى زيد كما نقله ابن مكرَّم (فى لسان العرب) ، وهو أنّ بعض العرب قطع الألف من إصمت ونصب التاء . ومفهومه أنّ أكثر العرب يصل الألف ويسكن التاء ، ويكون حينئذ هذا من باب التسمية بالجملة المحكية . ولم أر من قاله . وأمّا وصلها فى إصمتةَ فلم أعرف وجهه ، وقد ذكروا همزة الوصل فى أسماءٍ معدودة وليس هذا

(١) ش : « يسكنه » ، بالنون .

منها ، اللهمَّ إلّا أن يقال توصل بنقل حركتها إلى ساكن قبلها ، كقولك : منِ اصمتة . والله أعلم .

وأمّا أطرِقا فقد أدرجه صاحب المفصَّل فى المنقول من فعل الأمر مع إصمت . وظاهره أنَّه كإصمت غير منصرف ، وأنَّه من التسمية بالفعل دون ملاحظة الضمير البارز الفاعل . ولو لَاحَظَه لذكره فى العلم المركَّب من جملة أو غيرها ، والصَّواب ذكره فى قسم المركَّب ، لأنه جملة مركبة من فعل وفاعل قطعًا . ولهذا قال ابن الحاجب (فى شرحه) : تمثيله بقوله أطرقا فى غير قسم المركَّب ليس بمستقيم . وأجاب ابن يعيش بأنَّ أطرقا لها جهتان : جهة كونه أمرًا ، وجهة كونه جملة . فإيرادهُ هنا من حيث أنَّه أمر . ولو أورده فى المركَّبات من حيث هو جملة لجاز . انتهى . ٢٨٧

وفيه نظر ؛ فإنَّ التقسيم يصير حينئذ فاسدًا ، لأنَّ كل تقسيم صحيح ذكرت فيه أنواعٌ باعتبار صفاتٍ مصحِّحةٍ للتقسيم يجب أن يكون صفة كلّ قسم منتفية عن بقية الأقسام [1] ، وإلّا لم يصحَّ التقسيم باعتبارِها ، وههنا التقسيم قد ذكر فيه المركب فيجب أن يكون التركيب منتفيًا عن بقية الأقسام .

وأجاب بعضهم بأنَّه يصح أن يكون أطرقا أمرًا للواحد ، وتثنيتُه تثنية الفعل لا الفاعل ، كأنَّه قال : أطرق أطرق ، كما قيل فى : ﴿ أَلْقِيَا فى جَهَنَّمَ [2] ﴾ ، وفى : « قفا نبك » ، تأكيدًا ومبالغة .

(١) الكلام بعده إلى كلمة « الأقسام » التالية ساقط من ش .

(٢) الآية ٢٤ من سورة ق .

وأَجابَ بعضٌ آخر بأَنَّ الأَلف يجوز أَن تكون بدلا من نون التوكيد الخفيفة ، والأَصل أَطرقن ، فأَبدلت للوقف أَلفًا . ويردُّه ما حكوا فى وجه التسمية من أَنَّ رجلًا قال لصاحبيه فى موضع : أَطرِقا ، تخويفًا لهُما ، فسمِّى به .

قال أَبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : أَطرقا : موضعٌ بالحجاز . قال أَبو عمرو بنُ العلاء : غزا ثلاثةُ نفرٍ فى الدَّهر الأَول ، فلمَّا صاروا إلى هذا الموضع سمِعوا نبْأَة فقال أَحدهم لصاحبيه : أَطرِقا ، أَى اسكتا [1] . وقال فى موضع آخر : أَى الزما الأَرض ، فسمِّى به ذلك الموضع . قال أَبو الفتح بن جنى : دلَّ قولُ أَبى عمرٍو أَنَّ الموضعَ سمِّى بالفعل وفيه ضميره لم يجرَّد عنه ، كما يقال : لقيته بوحش إصمتَ ، أَى بفلاة يُسكت [2] فيها المرءُ صاحبه فيقول له . اصمُت ، إلَّا أَنَّه جرَّد إصمت مِن الضمير ، فأَعربه ولم يصرفه ، للتعريف والتأْنيث أَو وزن الفعل . انتهى كلام أَبى عبيد .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : قال أَبو عمرو : أَطرقا : اسمٌ لبلد بعينه من فعل الأَمر ، وفيه ضمير وهى الأَلف . كأَنَّ سالكه سمع نبأَة فقال لصاحبيه : أَطرقا . وقال الأَصمعىّ : كان ثلاثة نفر بهذا المكان فسَمِعوا صوتًا فقال أَحدهم لصاحبيه : أَطرقا ، فسمِّى بذلك . انتهى .

وقيل إنَّ أَطرقا غير علم لأَرض ، فلا شاهد فيه . ثم اختلفوا فقال قوم :

---

(١) وكذا فى معجم ما استعجم ١٦٧ . وفى ش « اسكنا » بالنون .

(٢) ش فقط : « يسكن » بالنون .

هو جمع طريق ، كصديق وأصدقاء ، وقُصر للضرورة . حكاه ياقوت .

وقال أبو عبيد (فى المعجم) : قال بعضهم : هو جمع طريق على لغة هذيل ، ويجوز أن يكون مقصورًا من الممدود ، نحو نصيب وأنصباء . وعلى هذا استشهد به الحربى . انتهى .

قال ابن يعيش : يكون على هذا حذَف الألف الأولى التى للمدّ ، فعادت ألف التأنيث إلى أصلها ، وهو القصر . وينبغى أن تكتب الألف بالياء . انتهى .

وقال ثعلب ، كما نقله أبو عبيد أيضًا : قوله على أطرقا ، أراد على أطرقة ، فأبدل من تاء التأنيث ياءً كما يقال فى شُكَاعى شكاعة [1] كما يبدل أيضًا من الألف تاء . قال الراجز :

مِن بعدِما وبعدِمتا وبعدِمَتْ صارت نفوسُ القَومِ عندالغَلصَمَت [2]

انتهى .

وقال بعضهم : الرواية « علا أطرقا » وقال ابن يعيش : رواه بعضهم بضم الراء ، كأنَّه جعله جمع طريق ، ويجعل علا فعلًا ناصبًا له من العلوِّ ، وفيه ضمير ، كأنَّه قال : السَّيل علا أطرقًا . وعلى هذا يكون قد أُنِّث الطريق ؛ لأنَّ فعيلا وفَعَالا إنَّما يجمعان على أفعُل إذا كان مؤنثا ، نحو عَنَاق وأعنق ، ٢٨٨

---

(١) وكذا فى معجم ما استعجم ص ١٦٨ . وكتب مصحح طبعة بولاق : « كذا بالأصل » ولعل المناسب فى « شكاعة شكاعى » .

(٢) الرجز لأبى النجم العجلى ، كما فى مجالس ثعلب ٣٢٦ .

ويكون باليات الخيام من صفة أُطُرقًا . انتهى .

وحكاه أبو عبيد أيضًا قال : ويروى : علا أُطرُقًا من العلوّ . وجمْعُ طريقٍ على أُطرق يدلُّ على تأنيثه ، لأنَّه تكسير المؤنث كعَناق وأعنق وعُقاب وأعقب . وقال ياقوت : قال أبو الفتح : وبروى « علا أطرقًا » ، فعلا فعلٌ ماض . وأطرقا : جمع طريق . فمن أنَّث الطريق جمعه على أطرق مثل عناق وأعنق ، ومن ذكَّره جمعه على أطرِقًا ، كصديق وأصدقاء ، فيكون قد قصره ضرورة . هذا ، والصحيح أنَّ أطرِقا علَم أرض ، بدليل قول عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى ، يخاطب بنى كعب بن عمرو ، من خُزاعة ، وكان يُطالبهم بدم الوليد بن المغيرة (١) ، أبى خالد بن الوليد ، لأنَّه مرَّ برجل منهم يصلح سِهامًا فعثر بسهم منها فجرَّحه ، فانتقض عليه فمات :

إنِّى زعيمٌ أن تسيروا وتهرُبوا ... وأنْ تتركوا الظَّهْرَانَ تَعوِى ثعالُبه

وأن تتركوا ماءً بجِزْعةِ أطرِقا ... وأنْ تسلكوا أىّ الأراكِ أطايبه (٢)

وإنَّا أُناسٌ لا تُطَلُّ دماؤنا ... ولا يتعالى صاعدًا مَن نُحاربُه

وقالوا فى تفسير هذا : الجِزعة والجِزع بمعنًى واحد ، وهو معظَم الوادى . وقال ابن الأعرابىّ : هو ما انثنى منه . وأطرقا هنا وقع مضافًا إليه ، وهو علم موضع ، سمِّى بفعل الأمر كما تقدَّم . ولا يتأتَّى هنا ما تمحَّلوه فى ذلك البيت .

---

(١) الوليد هذا هو والد خالد بن الوليد ، كما فى جمهرة ابن حزم ١٤٧ .

وقد وردت كلمة « بن » مقحمة فى النسختين ، بعد « المغيرة » ، والصواب حذفها كما فعل الإمام الشنقيطى فى نسخته بالترميج عليها .

(٢) ط : « أصائبه » ، صوابه فى ش ومعجم البلدان (أطرقا) .

قال ياقوت : وهذا الشّعر يؤذن بأَنَّ أُطرقا موضع من ضواحى مكة ، لأَنَّ الظَّهرانَ هناك ، وهى منازلُ كعب من خزاعة . فيكون أُطرقا من منازلها بتلك النَّواحى ، وهى من منازل هُذيلٍ أَيضًا ، ولذلك ذكروه فى شعرهم . والله أَعلم . انتهى .

وقد آن لنا أَن نرجع إلى المقصود فنقول : البيت الشاهد من قصيدةٍ للراعى واسمه عُبيد بن حُصين النُّميرىّ (١) ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة (٢) . وهى من قصيدة مدح بها عبدَ الله بنَ معاوية بن أَبى سفيان ، أَوَّلها :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

طافَ الخيال بأَصحابى وقد هجَدوا ... من أُمّ عَلْوانَ لا نَحْوٌ ولا صدَدُ

فأَرّقت فتيةً باتُوا على عَجلٍ ... وأَعيُنًا مسَّها الإدلاجُ والسَّهَدُ (٣)

هل تبلغنِّىَ عبدَ الله دَوسرةٌ ... وجناءُ فيها عَتيق النىِّ ملتبدُ

كأَنَّها يومَ خِمْسِ القوم عن جُلَبٍ ... ونحنُ والآلُ بالموماة نَطَّرِدُ

قَرْمٌ تعدَّاه عادٍ عن طَرُوقته ... من الهِجان على خُرطومه الزَّبَدُ

أَو ناشطٌ أَسفعُ الخدَّينِ أَلجأَهُ ... نفحُ الشَّمَالِ فأَمسى دونه العَقَدُ

---

(١) ط : « النمرى » ، صوابه فى ش ، فإن الراعي من بنى نمير بن عامر بن صعصعة . وأَما النمرى بفتح الميم فهو نسبة إلى النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى .

(٢) فى الخزانة ٣ : ١٥٠ – ١٥١ .

(٣) كذا على الصواب فى النسختين ، وظنها مصحح بولاق « فارقت » من الفراق ، فعلق عليها بما يفيد تصحيحها : « قد فارقت » ، ووقع فى ذلك ناشر ديوان الراعى ٤٤ فجعلها « قد فارقت » .

ثم وصف الثور والأطلال فقال :

حتّى إذا هبط الأُحدانَ وانقطعت عنها سلاسلُ رملٍ بينَها وُهُدُ
صادف أَطلسَ مَشّاءً بأَكلُبه إثر الأَوابِدِ ما يَنمِي له سَبَدُ
أَشلَى سَلوقيّةً باتتْ وبات بها بوحشِ إصمِتَ فى أَصلابها أَودُ
٢٨٩ يدِبُّ مستخفيًا يُغْشِى الضَّراءَ بها حتى استقامت وأَعراه لها جَدَد (١)
فجال إذْ رُعْنَه ينأَى بجانبِه وفى سوالفها من مثله قِدَدُ

هجدوا : رقدوا . والنَّحو : التوجُّه . والصَّدَد : القُرب . وخبر نحو محذوف ، أى منها .

والإدلاج : السَّير من أَول الليل . والسَّهَد بفتحتين (٢) : الأَرق والسَّهر .

عبد الله بن معاوية — وعبد الله هو أَخو يزيد بن معاوية . فى الجمهرة : وعبد الله بن معاوية كان أَحمقَ الناس ، وأُمّه فاختة بنت قَرَظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . وأُم يزيدَ ميسونُ بنتُ بَحْدَل الكلبيّة .

والنَّوسرة ، بالفتح : النَّاقة الضخمة . والوَجْناء : الشديدة . والنَّىُّ ، بفتح النون : السِّمَن والشحم . والخِمس ، بالكسر من أَظماء الإبل : أَن ترعى ثلاثةَ أَيام وترد اليوم الرابع .

والجُلَب ، بضم الجيم وفتح اللام : جمع جُلْبة ، وهى الشِّدَّة . يقال :

---

(١) كذا ورد فى متن البيت وشرحه ، لذا أبقيته على خطئه . والصواب إن شاء الله : « يمشى الضراء » . يقال فلان يمشى الضراء ، — بفتح الضاد — إذا مشى مستخفيا فيما يوارى من الشجر . قال بشر :

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا
بشهباء لا يمشى الضراء رقيبها

(٢) يقال بفتحتين ، وبضمتين ، وبضمة أيضا .

أصابتنا جُلبةُ الزمان وكُلبتُه . والآل : السراب بعد الزوال . والموماة ، بالفتح : الفلاة .

وقرْم خبر كأنَّها ، وهو بفتح القاف وسكون الراء : البعير المكرَّم لا يحمل عليه ولا يذلَّل ، ولكن يكون للفِحلة . وتعدَّاه أى تعدَّى عليه . وعادٍ من عدا عليه ، أى تجاوز عليه الحدّ . والطَّروقة : أُنثى الفحل . يقال طرق الفحل الناقة طرْقا ، فهى طروقة ، فَعُولة بمعنى مفعولة . والهِجان من الإبل ، البيضُ ، يستوى فيه المؤنث والمذكر والواحد والجمع . والخُرطوم : الأَنف . والزَّبَد : الرّغوة التى تظهر على فم البعير عند هيجانه . شبَّه ناقته فى حالة جهدها وشدَّتها ، وهو سائرٌ فى شدَّة الهجير ، بفحل هائج ، حال دون أُنثاه حائل . وفيه مبالغاتٌ لا تخفى .

وقوله : « أَو ناشط » إلخ ، يعنى أَنَّها إمّا تشبهُ ذلك الفحلَ أو تشبه الناشط ، وهو الثور الوحشىُّ يخرج من أَرضٍ إلى أَرض . والأَسفع : الأَسود ، من السُّفعة بالضم ، وهى سوادٌ مشرَبٌ حمرة ، يعنى اسودَّ وجهُه من شدَّة الحر ، أَو من شدَّة البردِ والريح . وأَلجأَه : اضطرَّه . والنَّفح : الهُبوب . والشَّمال : الريح المعروفة . قال الأَصمعىّ : ما كان من الرياح نفح فهو برد ، وما كان لفح فهو حرّ . والعَقِد بفتح العين وكسر القاف وفتحها : ماتعقَّد من الرمل ، أَى تراكم ، الواحدةَ عقِدَة كذلك . يعنى فهو مسرعٌ ليصل كِناسه ومأْواه . والأُحدان بالضم : قطع رمل متفرقة ، والأَصلُ وُحْدانٌ جمع أَوحد [(١)] .

---

(١) نظيره أسود وسودان .

ووُهُد بضمتين : جمع وهاد ، وهو جمع وهدة ، وهو المكان المطمئن .

وصادف ، أى ذلك الناشط . وأطلس مفعوله ، يريد به صيّادًا وقانصا . والأطلس قال فى القاموس : هو الرجُل يُرمَى بقبيح ، والسارق ، والذئب الأمعط . وفى الصحاح : الأطلس : الخَلَق ، وكذلك الطِّلْس بالكسر ، والجمع أطلاس . ورجل أطلس الثَّوب . قال ذو الرمة يصف قانصًا :

مُقزَّع أطلس الأطمارِ ليس له إلَّا الضِّراءَ وإلَّا صيدَها نشَبُ

ومَشّاءٌ : مبالغةُ ماشٍ أى كاسب . وأكلُب : جمع كلب . والأوابد : جمع آبدةٍ ، وهى الوحوش .

ويَنمِى ، من نَمى المال وغيرُه يَنمِى نماءً : زاد . والسَّبَد : الصُّوف ، كنى به عن المال والماشية .

وقوله : « أشْلَى سلوقيّة » ، فاعل أشلى ضميرُ أطلس ، المرادُ به القانص . قال أبو زيد : أشليت الكلب : دعَوته . وقال ابن السِّكّيت : يقال أوسَدت الكلب بالصَّيد وآسدته ، إذا أغريتَه به . ولا يقال : أشليته ، إنَّما الإشلاء الدُّعاء . يقال أشليتُ الشّاةَ والناقَةَ ، إذا دعوتَهما بأسمائهما لتحلُبهما . وقول زيادِ الأعجَم : ٢٨٩

أتينا أبا عمرٍو فأشْلَى كلَابَه علينا فكدنا بين بيتَيْهِ نُؤكَلُ

يروى : « فأغرى كلابه » . كذا فى الصحاح . وسَلوقيّه أى كلابًا سلوقيّة . قال أبو عُبيد البكرىّ (فى معجم ما استعجم) : سَلوق بفتح أوله

وضم اللام : موضعٌ تنسَب إليه الكلاب السَّلوقيةُ والدُّروع [١] . و (فى كتاب العين) : موضعٌ باليمن تنسب إليه الكلاب . وقال أيضًا : السَّلوقى من الدُّروع والكلاب : أجودها . وقال الأصمعىّ : إنَّما هى منسوبة إلى سَلَقْيَة ، بفتح أوله وثانيه وإسكان القاف وتخفيف الياء ، وهو موضعٌ بالروم . فغيَّره النسب . هكذا حكى أبو بكر . و (فى البارع) عن أبى حاتم : السَّلوقية من الكلاب منسوبةٌ إلى مدينة من مدائن الرُّوم يقال لها سَلَقْية [٢] ، فأعربت [٣] . قال أبو حاتم : وقال أبو العالية : إنَّما يقال لها سَلوقيَة ، وقد دخلتُها ، وهى عظيمة ، ولها شأن . انتهى .

وقوله : (باتت وبات بها) قال صاحب المصباح : بات ، له معنيان أشهرهما اختصاص الفعل بالليل ، كما اختصَّ الفعل فى ظلِّ بالنَّهار . فإذا قلت : بات يفعل كذا فمعناه فعله بالليل . وقال الليث : منْ قال بات بمعنى نام فقد أخطأ ، لأنَّك تقول باتَ يرعى النجوم ، ومعناه ينظر إليها ، وكيف ينام من يراقب النجوم . والمعنى الثانى تكون بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواءٌ كان فى ليل أو نهار . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « فإنَّه لا يدرى أين باتت يَدُه [٤] » . والمعنى صارت ووصلَتْ . انتهى .

---

(١) ط : « الدرع » ، صوابه فى ش ، مع أثر تصحيح ، ومعجم ما استعجم .

(٢) فى النسختين : « سلقية » ، صوابه من معجم ما استعجم .

(٣) ط : « فعربت » ، وأثبت ما فى ش ومعجم ما استعجم .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد والأربعة ، وأوله : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا » . الجامع الصغير ٤٣٥ .

وقال الشارح المحقق : وتجىء بات تامّة بمعنى أقام ليلًا ونزل ، سواء نام أو لم ينم . وفى كلامهم : « سِرْ وبِتْ » . انتهى .

وقوله : (فى أصلابها أود) أى فى أصلاب الكلاب السّلوقية . إذْ لكلّ كَلبٍ صُلبٌ . ولهذا قدَّرنا موصوف السلوقية جمعًا ، ولقوله : (بأكلُبِهِ) . وقدَّر بعضُهم تبعًا لابن الحاجب : كلبةً سلوقيَّة . ووجَّه جمع الأصلاب بجَعْلِ كلّ طائفة من الفِقرَ صُلبا . وله العذر لأنَّه لم يقف على ما قبله . والصُّلب : وسَط الظَّهر من العنق إلى العجز ، وهى فِقَرات أى خَرَزات منتظمة . والمتنانِ يكتنفانِ يمينًا وشمالا . والأَوَدُ بفتحتين : الاعوجاج . والجملة حالٌ من ضمير الكلاب ، وهى حالٌ لازمة ، لأنَّ الكلاب السَّلوقية يكون أوساطها مخروطةَ الشّكل خِلقة . قال الأصمعىّ : إذا كان فى ظهر الكلب احديدابٌ قليل كان أفرَهَ له ، وكذلك إذا كان واسعَ الفَقْحة كان أسرع لجريه ، وكذلك من الدوابّ . وكذا إذا اتَّسع مَنخراه وشِدْقاه . فقوله : « أشلى سلوقيَّة » استئناف بعد الإخبار عن الناشط بما ذكره . وأراد : أشلى عليه ، أى أغرى الكلابَ على الناشط .

وجملة باتت إلخ استئناف بيانىٌّ ، كأنه قِيل : فما صنعَتْ ؟ قال : باتت . وقيل الجملة صفة سلوقية . وباتَ هنا تامَّة كما نقلنا عن الشارح المحقق . وقوله « وبات بها » أى وبات الصيَّاد مع السلوقيَّة ، فالباء بمعنى مع ، والضمير للسَّلوقية . وقوله : (بوحشٍ إصمِت) الباء بمعنى فى ، متعلّق بأحد الفعلين . وقال ابن الحاجب (فى أماليه) : المجرور فى قوله : بوحش ، يتعلق

 بأشلى ، وتقديره : أشلى سلوقية بوحش هذه البرِّيَّة ، باتت السلوقيَّة فى هذه البرّيّة . وبات بها ، أى عندها ، والضمير للسلوقيَّة . انتهى .

يريد أنَّ الضمير فى قوله « عندها » للسَّلوقيَّة ، وأما ضمير بها فهو لوحش إصمت . وصرَّح به (فى شرح المفصل) قال : بها ، أى بوحش إصمت . وأضمرَ لأنَّه متقدِّم فى المعنى لأشلى أو لباتت الأوّل . انتهى .

وكذا صنع الأندلسىُّ قال : أعمل الفعل الأوّل وأضمر الثانى . وروى أبو الحسن علىُّ بن عبد الله الطُّوسى :

أشلى سَلوقِيَّةً زُلًّا جَوَاعِرُها بوحش إصمت إلخ .

والزُّلّ بضم الزاى المعجمة وتشديد اللام : جمع أزَلّ ، وهو الممسوح العجُز . والجواعر : جمع جاعرة ، وهو موضع رَقْمةِ است الحمار [1] .

وقوله : « يدبُّ مستخفيًا » إلخ دبَّ يدِبُّ من باب ضرب ، أى مشى مشيًا رويدا . وفاعله ضمير الصيَّاد . وكذلك ضمير يُغْشِى مضارع أغشَى ، بمعنى أحاط . والضِّراء مفعوله ، وهى جمع ضِروةٍ بالكسر ، وهو ولدُ الكلب . وضمير بها للسَّلوقيَّة . وجملة يُغشى حالٌ من ضمير يدبّ . وحتَّى بمعنى إلى . وأعراه : كَشفه . والضمير للناشط . وجَدَدُ فاعله ، وهو بفتحتين : الأرض الصُّلبة .

وقوله : « فجال » ، من الجوَلان ، وفاعله ضمير الناشط ، وإذ ظَرفٌ لجال ، ورُعْنَه من الرَّوع ، وهو الذعر ، والنون ضمير الكلاب السلوقيَّة

(١) ش : « رقمة الحمار » .

وينأَى : يبعُد . يريد أَنَّ الناشط نجا من يَدِ الكَلَّاب والحالُ أَنَّ فى سوالف الكِلاب من جِلدِ مثل هذا الناشِط قِدَدًا [١] . والسَّالفة : صفحة العنق . والقِدَد : جمع قِدَّة ، وهو سير غير مدبوغ .

وأَما البيت الثانى فهو لأَبى ذؤيبِ الهُذلى ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين [٢] من قصيدةٍ عدّتها أَربعةَ عشرَ بيتا ذكر من أَولها دروس الديار وطموسَها ، إلى أَن رثى ابن عمّه نُشَيبة بخمسة أَبيات من آخرها . وأَوَّلُها :

عَرفتُ الدِّيارَ كرقم الدَّوا ة يزبُرها الكاتبُ الحميرىُّ

إلى أَن قال بعد أَبيات ثلاثة :

* على أَطرِقا باليات الخيام *

إلى آخره . يزبُرها [٣] : يكتبها . وذكَرَ الحميرىَّ لأَنَّ الكتابة أَصلُها من اليمن . يريد : عرفتُ رسومَ الديار وآثارَها خفيّة كآثار الخطِّ القديم . وقوله : « على أَطرِقا » قال السكرى (فى شرحه) : أَراد : عرفتُ الديارَ على أَطرقا . والثُّمام : شجرُ يُلقَى على الخيام . والعِصىُّ : خشبُ بيوتِ الأَعراب . وقوافى هذه القصيدة إنْ شدَّدتها وصلتَها ، وإلَّا خفضتَها . انتهى .

والخَيمة عند العرب : بيتٌ من عيدان . والثُّمام : نبتٌ ضعيف يحشى

---

(١) فى النسختين : « قدد » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٣) ط : « بربرها » ، صوابه فى ش .

به خَصاصُ البيوت ويُستَر به (١) جوانبُ الخيمة . فالثمام والعصى استثناء من الخيام ، ويكون الاستثناء متَّصلا .

قال ابن يعيش : هذه القصيدة تروى مطلقةً مرفوعة ، وتروى مقيَّدة ساكنة ، وهى من المتقارب . فمن أطلقها كانت من الضرب الأوّل ووزنه فعولن عِصِىْ يُو . ومن قيَّدها كانت من الضرب الثالث ، وهو المحذوف . فِعِلْ عِصِى . وقوله : « على أُطرقا » نصبٌ على الحال من الدِّيار ، وكذلك بالياتِ الخيام حال . والمراد : عرفتُ الديار على أُطرقا فى هذه الحال . وقوله : « إلَّا الثمام وإلَّا العصى » يروى برفع الثمام ونصبه ، فمن نصب فلا إشكال فيه لأنَّه استثناء من مُوجَب . ومن رفع فبالابتداء والخبر محذوف ، والتقدير : إلَّا الثمامُ وإلا العصىُّ لم تَبْلَ . ومن نصب الثمام ورفع العصىّ فإنَّه يحمله على المعنى ، وذلك أنَّه لما قال بليت ، إلَّا الثمام ، كان معناه بَقِىَ الثمامُ ، فعطف على هذا المعنى وتوهُّمِ اللفظ . ومن قيَّد القافية جاز أن تكون العصىُّ مرفوعة كالمطلقة على ما ذكرنا ، وجاز أنْ تكون منصوبةً بالعطف على الثمام ، إلَّا إنَّه أُسكن للوقف . وما فيه أن يكون الوقف عليه كالمرفوع والمجرور . انتهى .

٢٩٢

وقال (صاحب المقتبس) : ويروى : « باليات » ، مرفوعًا ومنصوبًا على أنَّه خبر مبتدأ محذوف ، أى هى ، وعلى الحال . وقوله : على أُطرقا متعلِّق بعرفْت . قال بعض فضلاء العجم : ويجوز أن يكون باليات على رواية الرفع مبتدأ وخبره على أُطرقا ، والإضافة كسَحْق عِمامة . وعلى هذا كان كلامًا

(١) ط : « ويستتر به » .

منقطعًا عن الأوّل وإخبارا ثانيًا عن اندراس المنازل .

وقال ابن الحاجب (فى الإيضاح) : باليات الخيام حالٌ من الديار . وإلّا الثمام استثناءٌ منقطع . وبعض الناس يُنشد بالياتُ بالرفع ، يجعله مبتدأً . وبعضهم ينشده « إلّا الثُّمامُ وإلّا العصىُّ » بالرفع ، وليس بصواب ، وإنّما يجوز بناء الرفع على وجهين : أحدهما على الإتباع على المعنى دون اللفظ ، فيكون [مثل [1]] : أعجبنى ضربُ زيدٍ العاقلُ بالرفع . والثانى إمّا على قولهم : ما جاءنى أحدٌ إلّا حمارٌ على اللغة التميمية . فقوله باليات الخيام ، الخيام مرفوعة من حيث المعنى ، فكأنّه قال : باليات خيامُها ، فيكون قوله إلّا الثُّمام على اللغة التميمية ، وإمّا على أنّ إلّا بمثابة غير . وكلٌّ منهما ضعيف . أمّا أعجبنى ضربُ زيدٍ العاقلُ فلأنّ زيدًا معرب ، والتوابع إنّما تجرى على متبوعاتها على حسب إعرابها . وأمّا ما جاءنى أحدٌ إلّا حمار ، فلأنّ ذلك إنّما يثبُت فى النفى ، مع أنّه فيه ضعيف ، لأنّ الحمار ليس من جنس الأحد ، فلا يكون بدلًا ، وأمّا كون إلّا بمثابة غير فشرطُه فى الفصيح أن تكون تابعةً لجمع منكَّر غير منحصر ، وذلك مفقود . انتهى .

وتوجيه ابن يعيش لرواية الرفع ، أسلمُ من هذا . فتأمَّلْ . فلا يردُ عليه ما ذكره .

* * *

(١) بمثل هذه يلتئم الكلام .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٥٣٩ (بَنَاتُ أَلْبُبِي)

على أنَّه إذا سمِّى بألبب يبقى الفكُّ ولا يدغم ، وهو بفتح الهمزة وسكون اللام وضمِّ الموحَّدة الأُولى .

وهذا قطعةٌ من بيت ، وهو :

* (تأْبَى له ذاك بناتُ أَلْبُبِى) *

قال صاحب الصحاح : وبنات أَلْبُب : عروقٌ فى القلب تكون فيها الرِّقَّة . وقيل لأَعرابيَّة تعاتب ابنًا لها : مالك لا تدعين عليه ؟ قالت :

* تأْبى له ذاك بناتُ أَلبى *

والذى أَورده سيبويه :

* قد علمت ذاك بناتُ أَلْبُبِهْ *

قال : وإذا سميَّت رجلًا بأَلْبُب ، من قولك :

* قد علمت ذاك بنات أَلْبُبه *

تركته على حاله ، لأَنَّ هذا اسم جاء على الأَصل ، كما قالوا : رَجاء بن حَيْوة [٢] ، وكما قالوا : ضَيون . فجاءُوا به على الأَصل . وربَّما جاءت العرب

---

(١) فى كتابه ٢ : ٣ ، ٦١ ، ٤٠٣ ، والمنصف ١ : ٢٠٠ / ٣ : ٣٤ .

(٢) ش : « كما قالوا بن حيوة » ، وكلمة « رجاء » من ط وسيبويه . ورجاء بن حيوة بن جرول الكندى الفلسطينى كان ثقة فاضلا كثير العلم ، من عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ٤ : ١٨٦ .

بالشيء على الأصل . ومجرى بابه فى الكلام على غير ذلك . انتهى كلام سيبويه .

قال صاحب الصحاح : قال المبرِّد فى قول الشاعر :

* قد علمت ذاك بنات ألْبَبِه *

يريد : بنات أعْقَلِ هذا الحيّ . فإن جمعت ألبًّا قلت ألابِب ، والتصغير أُلَيْبِب ، وهو أولى من قول من أعلَّها . انتهى .

وقال ياقوت (فى حاشية الصحاح) : ويروى : « بنات ألْبَبِه » بفتح الباء الأولى . والله أعلم .

ولم يوردِ أبو جعفر النحاس ولا الأعلم الشَّنتمريّ هذا البيت فى شواهد سيبويه ، وكأنَّهما لم يتنبها لكونه شعرًا . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(يَعْصِرْنَ السَّليطَ أقاربُه)

على أنَّه لو سمِّىَ بضرْبْنَ [(١)] على لغة أكلونى البراغيث ، بجعلِ النونِ حرفًا دالًّا على الجمع المؤنَّث كما فى « يعصرن السليط أقاربه » ، فإنَّ النون فيه على قولٍ حرفٌ علامةٌ لجمع المؤنث .

وأقاربه هو الفاعل ، والسَّليط مفعوله ، وهو الزيت .

وهذا المقدار قطعةٌ من بيت للفرزدق ، تقدَّم شرحُه فى الشاهد السادس والسبعين بعد الثلثمائة [(٢)] .

* * *

---

(١) ش : « يضربن » ، صوابه فى ط . وفى شرح الرضى ٢ : ١٣٤ : « ولو سميت بضربن على لغة يعصرن السليط أقاربه ، جعلت النون معتقب الإعراب ولم تصرفه للتعريف والوزن » .

(٢) الخزانة ٥ : ٢٣٣ — ٢٤١ .

أســماء العدد

أنشد فيه ، وهو الشاهد الأربعون بعد الخمسمائة [١] :

٥٤٠ (حَتَّى استثاروا بِىَ إحدَى الإحَدِ)

على أنَّ إحدى يُستعمَل فى المدح ونفى المِثْل . فمعنى « هو إحدى الإحَد » : داهيةٌ هى إحدى الإحَد .

قال الدمامينى (فى شرح التسهيل) : إن قلتَ : كيف حمل إحدى الإحِدِ مع أنَّه للمؤنَّث على المذكَّر ؟ قلتُ : لأنَّ المراد به داهيةٌ واحدة من الدواهى ؛ ومثله يحمل على المذكَّر ، فتقول : هو داهيةٌ من الدَّواهى . وأَحَدُ الأحدينَ المرادُ به إحدى الدَّواهى ، ولكنَّهم يجمعون ما يستعظمونه جمع العاقل وإن لم يكن عاقلا . فمن قال هو أَحَدُ الأَحِدِينَ ، فقد راعى مطابقة لفظِ هو فلذلك ذكَّر اللفظين جميعاً . ومن قال إحدى الإحد راعى المعنى ، فلذلك أتى بإحدَى ، لأنَّ ألفها إمَّا للتأنيث ، أو للإلحاق ، ولكنَّها تشبه فى اللفظ ألف التأنيث ، فأضافها إلى جمع المؤنَّث وهو الإحَد بكسر الألف وفتح الحاء . وفيه لغةُ أخرى وهو ضَمُّ الألف وفتح الحاء . والمشهور فى هذا الجمع أعنى فُعَل بضم الفاء ، أن يكون مفرده فَعلةً مؤنَّثا بالتاء ، كغرف جمع غرفة ، لكنَّه جمع به المؤنث بالألف كإحدَى ، حملًا لها على أختها ، أو يقدَّر له مفرد مؤنَّث بها ، كما حقَّقه السُّهيلى (فى الروض الأنف) فى جمع ذكرَى وذكر .

---

(١) الأغانى ٩ : ١٥١ والميدانى ١ : ٢٥٨ واللسان (وحد ٤٦٦) .

وكما أنَّ إحدى الاحد ، معناه إحدى الدواهى ، كذلك معنى أحد الأحدين [1] لايختصُّ استعماله بالعقلاء ، لكنهم يجمعون ما يستعظمونه جمعَ العقلاء .

قال (صاحب اللباب) : ما لا يعقل يُجمع جمع المذكَّر فى أسماء الدّواهى ، تنزيلًا له منزلة العقلاء فى شدة النِّكاية . والداهية : الأمر العظيم . ودواهى الدَّهر : ما يصيب الناسَ من عظيم نوَبه . والدَّهْى ، بسكون الهاء : النُّكر وجودة الرأى . يقال رجلٌ داهية بيِّنُ الدَّهْى والدَّهاء بالمد . وقد يضاف إحدى إلى ضمير الإحَد . قال أبو زيد : يقال : لا يقوم لهذا الأمر إلَّا ابن إحدَاها ، أى الكريم من الرجال . وهذا تفسيرٌ بالمعنى .

وزعم أبو حيان أنَّ إحدى الإحد خاصٌّ بالمؤنَّث . قال : كما قالوا : هو أحَدُ الأحَدِين ، وهى إحدى الإحَد ، يريدون التَّفضيل فى الدهاءِ والعقل ، بحيث لا نظير له . قال :

* استثاروا بىَ إحدى الإحِدِ * انتهى

وهذا البيت الذى أورده يرّد عليه .

ويقال أيضاً : هو واحد الواحدين ، نقله صاحب القاموس . ويقال أيضًا : هو واحد الأحِدين ، وواحد الآحاد ، حكاهما صاحب العباب .

ولا تختصُّ إضافة إحدى ، وواحِد ، وأحِدِ ، إلى الجمعِ من لفظه . قال صاحب الكشاف ، عند قوله تعالى : ﴿ إنَّها لإحْدَى الكُبَر [2] ﴾ ، أى ٢٩٤

(١) ش : « إحدى الأحدين » ، صوابه فى ط .

(٢) الآية ٣٥ من سورة المدثر .

لإحدى البلايا ، والدَّواهى الكُبَر . ومعنى كونها إحداهنَّ أنَّها منهنَّ واحدةٌ فى العِظَم لا نظير لها ، كما تقول : هى إحدى النساء . وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ليكونُنَّ أهْدَى من إحدى الأُمم (١) ﴾ : من الأُمَّة التى يقال لها إحدى الأُمم ، تفضيلاً لها على غيرها فى الهُدى والاستقامة .

قال (صاحب الكشف) : أقول : دلالتها على تفضيلها على سائر الأُمم ليس بالواضح ، بخلاف واحد القوم ونحوه . ثُم وجَّهها بأنَّه على أُسلوبِ :

* أو يرتبطْ بعضَ النُّفوسِ حِمامُهَا (٢) * انتهى .

قال شيخنا الخفاجى : يريد أنَّ واحدًا بمعنى منفرد ، ويلزم من انفراده امتيازُه وعظمتُه ، بخلاف إحدى فإنَّه اسمٌ لجزء الشىء ، فلا دلالة له على التعظيم ، إلَّا أنْ يقال إنَّ البعض يدلُّ عليه كما فى البيت ، لأنَّ فيه إبهامًا ، والإبهام يستعمَل للتعظيم . ولك أنْ تقول : لا حاجة إلى هذا ، لأنَّ الزمخشرىَّ أشار إلى أنَّ إحدى هنا بمعنى واحدة . انتهى .

وردَّ الدمامينى على صاحب الكشَّاف ، بأنَّ الذى ثبت استعمالُه للمدح أحَد وإحدى مضافين إلى جمعٍ من لفظهما ، واستعملوا ذلك أيضًا فى المضاف إلى الوصف ، نحو : هو أحد العلماء . أمَّا فى أسماء الأجناس مثل الأُمم ففيه نظر . انتهى .

---

(١) الآية ٤٢ من سورة فاطر .

(٢) البيت للبيد فى معلقته . وصدره :

* تراك أمكنة إذا لم أرضها *

قال شيخنا : لا حاجة إلى النقل ، لأنّه إن كان استفادته من أُحد بمعنى واحد ومنفرد فهو معنى حقيقيٌّ لا معنى لنخصُّصه . وإن كان لأنَّ إبهام البعض يفيدُه فهو مجازيٌّ ، فهو لا يُقتَصَر فيه على السَّماع . وفى الحماسة :

يا واحِدَ العُرْب الذى ما إنْ لهم من مَذهبٍ عنه ولا من مَقْصِرِ [١]

وقال زهير :

* إذا طرَّقت إحدى الليالى بمعظَمِ [٢] * انتهى

وقد سمع فى إحدى قطعُها عن الإضافة ، سئل ابن عبّاسٍ رضى الله عنه ، عن رجل تتابع عليه رمضانان ، فسكَت ، ثم سأله آخر فقال : « إحدَى من سَبْع ، يصوم شهرين ويُطعم [٣] » . قال ابن الأثير (فى النهاية) : يريد به إحدى سِنِى يوسفَ عليه السلامُ المجدبة . فشبَّه حاله بها فى الشدّة . أو من الليالى السَّبع التى أُرسَل الله فيها العذابَ على عاد . انتهى .

وهذا يردُّ على ابن مالك فى قوله (فى التسهيل) : « ولا يستعمل إحدى فى غير تنييف دون إضافة » فإنَّ إحدى قد استعملت بلا إضافة ، إلَّا أن يزعم أنَّ الأَصل أنَّها إحدى الإحَد من سبع ، فحذف المضاف إليه .

صاحب الشاهد

والبيتان من رجزٍ للمرَّار بن سعيد الفَقعسىّ ، أُورد بعضه الأَصبهانى

(١) نسب فى الحماسة ١٧٦٢ بشرح المرزوقى إلى ابن المولى ، واسمه محمد بن عبد الله بن مسلم . والبيت فى مدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب . والمقصر بفتح الصاد وكسرها : الكف والإمساك .

(٢) من معلقة زهير . وصدره :

« لحى حلال يعصم الناس أمرهم »

(٣) وكذا فى الفائق ١ : ١٥ : « يصوم شهرين ويطعم مسكينا » .

(فى الأغانى) قال : كان المرّار قصيرًا مفرِط القصر ، ضئيل الجسم . وفى ذلك يقول :

عَدُّونىَ الثعلبَ عند العَدَدِ [١] حتّى استثاروا بىَ إحدَى الإحدِ

ليثًا هِزبرًا ذا سلاحٍ مُعتَدِ يَرمى بطَرْفٍ كالحريق المُوقَدِ

يقول : حسِبونى من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال ، أرُوغ عنهم ولا أكافحهُم . وحتّى بمعنى إلى . و (استثاروا) : هيَّجوا ، من ثار إلى الشرّ ، إذا نهض ، واستثارهُ : أنهضه . وثارت الفتنة : هاجت . واستثارها : هيَّجها . والباء من (بىَ) تجريديّة . والتجريد (كما فى الكشف) هو تجريد المعنى المرادِ عمن قام به ، تصويرًا له بصورة المستقلّ ، مع إثبات ملابسة بينه وبين القائم به بأداة أو سياق . والأداة هنا الباء ، كما يقال : لقيت بك أسدًا ، و ﴿ اسأَلْ به خبيراً [٢] ﴾ : قال صاحب الكشف : ولعلَّ جعْلَها إلصاقيَّة أوجَه ، أى كائنا ملصَقًا بك . والمراد التصوير المذكور ، لأنَّ الإلصاق هو الأصل ، فقد سلم عن الإضمار وأفاد المبالغة الزائدة . انتهى . ٢٩٥

قال شيخنا الخفاجى : وفيه أنَّ السبب مبدأٌ أو مَنشأٌ للمسبَّب ، كما أنَّ المنتزع مع المنتزع منه كذلك ، فهو أقرب إلى التجريد ، ومجرَّدُ الإلصاق لا يفيده . انتهى .

و (إحدى) منصوب بفتحة مقدَّرة ، مفعول للفعل قبله ، أى إحدى

---

(١) فى الميدانى ١ : ٢٥٨ : « الثعلب فيما عدوا » ، وما هنا صوابه .

(٢) الآية ٥٩ من الفرقان . وقد اكتفى فى الاستشهاد وحذَف الفاء . ونص الآية : ﴿ الرحمن فاسأل به خبيرا ﴾ .

الدَّواهى . قال أَبو الهيثم : إحدى الإِحد ونحوهُ أَبلغُ المدح . وقال صاحب (العباب) ، وتبعه صاحب القاموس : يقال فى الأَمر المتفاقم : إحدى الإِحد ، أَى الأَمر المشتدّ ، الصَّعبُ ؛ منْ تفاقم الأَمر ، إذا عظم .

و (فى أَمثال الميدانى [١]) قال ابن الأَعرابىّ : هذا أَبلغ المدح ، كما يقال واحدٌ لا نظير له . التَّأْنيث للمبالغة بمعنى الداهية . وأَنشد هذا البيتَ ، وقال : يضرب لمن لا نهاية لدهائه ، ولا مِثلَ له فى نَكرائه [٢] . ومثلُه لرجل من غطَفان :

إنَّكـمُ لا تنْتهوا عن الحسدْ ... حتَّى يدلِّيكمْ إلى إحدى الإِحَدْ

وقوله : « ليثا هزبْرًا » إلخ هذا تفسيرٌ وعطف بيان لإحدى الإحد . واللَّيث : الأَسَد ، وكذلك الهزبر . و « ذا سلاح » صفة لقوله ليثا . وكذلك قوله « معتدى » ، إلَّا أَنَّه وقف على لغة ربيعة فى تسكين المنصوب . وهو من الاعتداء ، قال فى الصحاح : والعُدوان : الظُّلم الصُّراح ؛ وقد عدَا عليه ، وتعدَّى عليه [٣] واعتدى ، كلُّه بمعنًى [٤] .

وقوله : « يرمى » إلخ هو صفة أُخرى لقوله ليثا . والطَّرْف : نظر العين . والحريق : المُحْرَق . والمُوقَد بفتح القاف . أَراد أَنَّ عينه فى غضبِهِ حمراءُ كالنارِ الموقدة الملتهبة .

---

(١) أورده فى باب الذال فى قولهم : « ذاك أحد الأحدين » .

(٢) إلى هنا ينتهى نص الميدانى . وقد أوجزه البغدادى إيجازا .

(٣) فى النسختين : « عدى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) قلت : الأولى أن يكون من قولهم : أعتد الشيء إعتادا : أعده ، كما فى قوله :

أعتدت للغرماء كلبا ضاريا ... عندى وفضل هراوة من أرزن

والمرار بن سعيد : شاعرٌ إسلاميّ فى الدولة المْروانية ، وكان لصًّا من لصوص العرب . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (١) . وهو بفتح الميم وتشديد الراء الأُولى .

تتمة

قد ذكر الشارح المحقّق بعد هذا البيت إحدى وعشرين كلمة من الكلمات التى تختصُّ بالنفى ، وهى فى أكثر النسخ محرفة غير منتفَع بها ، فرأينا من الإحسان ضبطَها وشرحَها ، ابتغاءً لوجه الله عزّ وجل وهى :

الأُولى : عَرِيب ، بفتح العين المهملة وكسر الراء ، قال ابن السِّيد : أى ما بها مُعرب يُبين كلامَه ويُعربه . وقد قالوا : ما بها معرِبٌ ، فى هذا المعنى . وكذا قال صاحب القاموس .

الثانية : ديَّار ، أُصله دَيْوار ، فَيْعال من دار يدور فأُدغِم . قال ابن السِّيد (فى شرح إصلاح المنطق) : ديَّار من الدَّار ، إمّا أن يكون فعّالا من ذلك ، وكان حكمه دوَّار ، لأَن دارًا من الواو ، بدليل قولهم فى تحقيرها : دُوَيرَةٌ . قال يعقوب (فى إصلاح المنطق) : وفى جمعها أَدؤر قلبت واوه همزةً لانضمامها كأُجوهٍ (٢) فى وجوه . وإما أَنْ يكون فَيعالًا أُصلها ديوار ، فأُدغم . وقد غلط يعقوب فى ديّار لأَنَّ ذا الرمة استعمله فى الواجب فقال :

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٨ – ٢٨٩ .

(٢) ط : « كأوجه » ، صوابه فى ش .

إلى كلِّ ديّارٍ تعرَّفن شخصَه ... من القفر حتَّى تقشعِرَّ ذوائبُه [١]

الثالثة : دارِىٌّ منسوب إلى الدار . والدَّارِىُّ أيضًا : ربُّ النَّعم ، سمى بذلك لأنَّه مُقِيمٌ فى داره فنسب إليها . وإذا أرادوا المبالغة فى لزوم الرجل الدار قالوا : داريّة ، والهاء للمبالغة . والدَّارِىُّ : العطَّار أيضا ، وهو منسوبٌ إلى دارِينَ : فُرضة بالبحرين ، وفيها سوقٌ ، وكان يُحمل المسكُ من الهند إليها . والدَّارِىُّ أيضًا : نُوتِىُّ السفينة ومَلَّاحُها ، منسوب إلى دارين أيضًا . ٢٩٦

وهذه الثلاثة لا تلتزم النفى . وأمَّا تميمٌ الدارىُّ الصّحابى فمنسوب إلى الدار [٢] ، أحد آبائه .

الرابعة : دُورىّ ، قال يعقوب (فى إصلاح المنطق [٣]) : ما بها دُورىٌّ [٤] غير مهموز . قال ابن السِّيد : هو منسوبٌ ، فكان قياسه دارىٌّ ، لأن دُورًا جمع دار ، وإذا نسب إلى الجمع فالحكم أن يردَّ ذلك الجمعُ إلى الواحد . وأما أبو عُمَر الدُّورىُّ فليس منسوبًا إلى الدُّور التى هى جمع دار ، إنَّما هو منسوبٌ إلى موضعٍ بالعراق يقال له دُور . انتهى . وزاد بعضهم : دؤرىٌّ بهمز الواو ، قال القالى [٥] (فى أماليه) : قال اللّحيانى :

---

(١) ديوان ذى الرمة ٤٨ .

(٢) فى الإصابة : تميم بن أوس بن حارثة – وقيل خارجة – بن سود – وقيل سواد – بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار . و « دراع » كذا وردت فى الإصابة والاستيعاب . لكن فى تهذيب التهذيب : و « وداع » ويقال « ذراع » .

(٣) الكلام بعده الى « قال » التالية ساقط من ش .

(٤) إصلاح المنطق ٣٩١ .

(٥) ط : « قال قال القالى » .

دؤرى بالهمز غلطٌ عندنا . وزاد صاحب القاموس ما بها دَيُّور ، وهو فيعول . وهذه الخمسة من مادة واحدة .

الخامسة : طُورىٌّ . قال ابن السِّيد : هو منسوبٌ إلى الطُّور ، وهو الجبل . أى ما بها إنسىٌّ ولا وحشىٌّ . وقال القالى : هو منسوب إلى الطُّورة ، وهى فى بعض اللغات : الطِّيَرة . انتهى . نقل صاحب (العباب) عن ابن دريد أنَّ الطِّوَرة ، بكسر الطاء [1] ، فى بعض اللغات مثل الطيرة ، بكسرها وفتح الياء ، أى التطُّير . وكونه منسوبا إلى هذا بعيد . والصَّواب الأوَّل . ومثله طُورانىٌّ بزيادة الألف والنون . قال صاحب العباب : الطُّورىّ : الوحشى والغريب . قال ذو الرمة :

أعاريبُ طُوريُّون من كلِّ قَرْيةٍ يَحيدون عنها من حِذارِ المَقادرِ [2]

وقال أبو عمرو : وقوله « طوريُّون » ، واحدهم طُورىٌّ وطُورانىّ كذلك ، وهما الوحشىُّ من النَّاسِ والطير . يقال حمام طُورىٌّ وطُورانىّ . ويقال ما بها طُورىٌّ وطُورانىٌّ ، أى أحد . قال العجاج :

* وبلدةٍ ليس بها طورىٌّ * انتهى .

وعلى هذا لا يلزم طورىٌّ النفْى .

السادسة : طاوىٌّ بألف وواو ، نقله القالى عن اللحيانى . وقال : ما بها طاوىٌّ غير مهموز . وضبطها صاحب القاموس بضم الطاء وفتح الهمزة وهى عين الفعل ، وكسر الواو وهى لام الفعل ، وياء مشدَّدة . ولم أر من

---

(١) بعده فى ط : « انتهى » وهى كلمة مقحمة رمج عليها فى ش .

(٢) ديوان ذى الرمة ٢٩٧ واللسان (طور) وقال : « يحيدون عن القرى حذار الوباء والتلف » .

ذكر هذه الكلمة فى عداد نظائرها كذا كابن السكّيت ، فإنّه عقد لها فصلًا (فى أواخر إصلاح المنطق) . وكالقالى (فى أماليه [١]) فإنّه ذكر جملةً كثيرة منها . وذكر صاحب القاموس فيها لغتين أُخريين ، ذكرهما القالى ولم يذكر الأُولى : إحداهما طوئىٌّ بتأْخير الهمزة عن الواو مع ضم الطاء وسكون الواو . وعلى هذه اقتصر صاحب الصحاح . والثانية طُؤُوىٌّ بضم الطاء وسكون الهمزة وكسر الواو . ولم يذكر ابن السكيت غير هذه [٢] . قال ابن السيد (فى شرحه) : وطؤوىٌّ من طاء يطوء ، مثل طاع يطوع ، إذا ذهب فى الأَرض . غير أَنّه مقلوب ، وكان قياسه طَوئِىٌّ على مثل طَوْعىّ ، وعليه قولهم : طوئى . انتهى .

فظهر بهذا التحقيق أَنَّ طاوِيًّا المذكور أَوّلًا فى كلام صاحب القاموس مقلوب أَيضًا وأَصله طوئى ، فتكون [٣] الثلاثة من مادة واحدة ، وهى طاء وواو وهمزة . ولو كانت الكلمة معتلّة كما زعم صاحب القاموس تبعًا لصاحب الصِّحاح كيف يصحُّ [٤] إيراد طوئى بتأْخير الهمزة فيها . وقد ذُكرتْ هذه الكلمة (فى التسهيل) كما فى الشرح ، فقال الدَّمامينى (فى شرحه) : هى بطاء مهملة مفتوحة فهمزة ساكنة فواو فياءِ نسب . كذا هو مضبوطٌ فى بعض النسخ . وقد قيل إنّه من الطَّىّ ، أَى ما بها أَحد يَطوِى . قال ابن هشام : هذا لا يصحُّ لاختلاف المادة ، إلّا إن قيل إن الهمزة مثلُها فى العَأْلم .

٢٩٧

(١) إصلاح المنطق ٣٩١ وأمالى القالى ١ : ٢٤٩ – ٢٥١ .

(٢) الذى فى إصلاح المنطق : « طوئى » بتأْخير الهمزة .

(٣) ش : « فيكون » .

(٤) كذا فى النسختين ، مع وجوب نفى جواب « لو » بلم إذا كان مضارعا ، كما فى المغنى ، وتصح بالتأويل .

قلت : لا يصحُّ ؛ لأَنَّ الطىَّ مادته طاء فواو فياء ، بدليل طويت . ووقعتْ فى بعض النسخ لفظةُ طأْوِىٌّ مضبوطة بفتح الهمزة . ولا يتأَتَّى أَن يكون من الطَّىِّ أَصلا . وقد يقال إِنَّه من وطىء ، فقلبت فاء الكلمة إِلى موضع اللام . انتهى كلام الدمامينى .

والتحقيق ما نقلناه عن ابن السِّيد ، وبه تلتئم لغاتها ، ويزول الإِشكال . هذا وفى غالب نسخ الشرح : « طارىّ » بالراء . وقد أَثبته ابن الصائغ على هامش التسهيل ، وقال : هو الغريب الذى طرأً على البلاد . وعليه تكون الكلمة مهموزةَ اللام ، أَبدلت ياءً لانكسار ما قبلها وتطرُّفها . لكن يَرِدُ أَنَّ هذه الكلمة غير لازمة للنّفى .

السابعة : أَرِم ، أَوردها ثعلب (فى الفصيح) ، قال شُرَّاحه : بفتح الهمزة وكسر الراء . وأَما الإِرَم بكسر الهمزة وفتح الراء فهو العلَم ، وهو حجارةٌ يجعل بعضُها على بعض فى المفازة والطريق يُهتدى بها . كذا قال شارحه الهَرَوىّ .

الثامنة : أَرِيم ، بزيادة الياء على ما قبلها . وكلاهما وصفٌ ، ويقال أَيضًا آرم على فاعل . قال ابن السِّيد : أَرِم وآرم على فَعِل وفاعل ، معناهما آكل . يقال أَرم يأْرِم أَرمًا من باب ضرب ، إِذا أَكل . والأُرَّم : الأَضراس ، جمع آرم ، لأَنَّها تأْرِم ، أَى تأكل . ومنه قيل : فلانٌ يحرُق عليك الأُرَّم ، أَى يصرف بأنيابه عليك غيظًا ، يعنى يصوِّت . قال الشاعر [1] :

نُبِّئْتُ أَحماءَ سُليمَى أَنَّما ظَلُّوا غضابا يحْرُقون الأُرَّما

(١) الرجز فى نوادر أبى زيد ٨٩ والمخصص ١٣ : ١٢٦ واللسان (أرم) . وكثيرا ما يطلقون اسم الشاعر على الراجز .

ويزاد فى آخر الأوّل ياء النسبة فيقال أُرَمىٌّ ، نقله القالى عن ابن الأعرابى ، وصاحبُ العباب . وضبطه صاحبُ القاموس بضبطين لم أجد واحدًا منهما لأحد . قال إِرَمىٌّ كعنبىّ ويحرَّك ، ويقال أيرمىٌّ أيضًا ، نقله القالىُّ عن ابن الأعرابىّ أيضًا ، وصاحبُ العباب عن أبى خيرة . وهو فى الحقيقة مقلوب أُريمىّ . وزاد صاحب القاموس : كسر أوّله .

التاسعة : كَتِيع بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية . قال ابن السِّيد : هو من قولك : أجمع أكتع . وأنشد القالىُّ عن ابن الأنبارىّ :

أجدَّ الحىُّ فاحتملوا سِراعًا فما بالدار إذْ ظعنوا كتيعُ [١]

وزاد صاحب العباب عن ابن عبَّاد « كُتَاع » كغراب . وقد جاء الكتيع بمعنى المفرد من الناس ، فالأولى أن يكون منه .

العاشرة : كَرَّاب بفتح الكاف وتشديد الراء ، وهو فَعّال من الكِرَاب ، يقال كربت الأرض كِرابًا ، إذا قلبتها للحرث . ولم يذكر هذه الكلمةَ ابنُ السكيت .

الحادية عشرة [٢] : دُعوىٌّ ، بضم الدال وسكون العين وكسر الواو وياء النسبة . قال ابن السكيت : هو من دَعوت . ووقع عند شارحه دُوعىٌّ ، وقال : هو من الدُّعاء ، نسب على غير قياس ، وكان قياسه دَعوى أو دعائى . انتهى ، ولم أره لغيره .

---

(١) أمالى القالى ١ : ٢٥١ . ونظيره فى اللسان (كتع) والأصمعيات ١٧٦ ، لعمرو بن معديكرب :

وكم من غائط من دون سلمى قليل الأنس ليس به كتيع

(٢) ش : « الحادى عشر » ، ولا تلتئم مع سبقها بكلمة « العاشرة » .

الثانية عشرة [1] : شفْر ، بفتح الشين وضمها مع سكون الفاء فيهما ، حكاهما القالى عن اللِّحيانى . قال ابن السِّيد : ما بها شفْر ، أى ما بها قليل ولا كثير ، من قولك : شَفَّرَ بالتشديد ، إذا قلَّ . وزاد صاحب العباب عن الفرّاء : شَفْرة بالفتح والهاء ، وأُنشد عن شمر : ٢٩٨

رأَتْ إخوتى بعد الجميع تفرَّقوا فلم يبق إلَّا واحدًا منهم شَفْرُ [2]

وقول الشارح المحقق : « وقد لا يصحب نفيًا » ، أى يقع فى الإيجاب . وأُورد له صاحب العباب قولَ ذى الرمة :

تَمرُّ لنا الأَيَّامُ ما لَمحت لنا بصيرةُ عينٍ مِن سِوانا إلى شَفْرِ [3]

وقال : أى تمرُّ بنا . ويروى : « إلى سَفْر » يريد المسافرين .

الثالثةَ عشرةَ : دُبِّىٌّ ، بضم الدال وكسر الموحَّدة المشددة بعدها ياءُ نِسبة . فى العباب : قال الكسائىّ : هو من دببت ، أى ليس فيها منْ يدِبُّ . وقال ابن السِّيد : هذا على غير القياس ، والقياس دبيبىٌّ ، لأنَّه منسوب إلى الدبيب .

الرابعة عشرة : دِبِّيج بكسر الدال وكسر الموحدة المشدَّدة . قال ابن السِّيد : هو من الدَّبْج ، وهو النَّقْش والتَّزيين . ورواه بعضهم : دِبِّيح بالحاء المهملة ، ولا وجه له إلَّا أن يكون فِعِّيلا من قولهم : دبّحَ الرجلُ بالتشديد ، إذَا طأْطأَ رأْسه . انتهى . وقال صاحب (العباب) : شكَّ أَبو عُبيدٍ فى الجيم

---

(١) ش : « الثانية عشر » . وكذا يستمر التعداد على هذا النمط الخاطئ فيها إلى « التاسعة عشر » .

(٢) ط : « رأيت » ، صوابه فى ش واللسان (شفر) . والكلام بعده إلى لفظ « المسافرون » ساقط من ش .

(٣) ديوان ذى الرمة ٢٦٨ . أى ما نظرت منا عين إلى إنسان سوانا ، وذلك لانقطاعهم فى السفر فى الفلاة .

والحاء ، وسأل عنه بالبادية جماعةً من الأعراب : فقالوا : ما بالدار دُبِّىٌّ ، وما زادوا على ذلك . ووُجد بخطِّ أبى موسى الحامض : ما بالدار دِبِّيجٌ ، موقَّع بالجيم ، عن ثعلب . وقال ابن فارس : الحاء فى هذه الكلمة أقيس من الجيم . قال : وإن كان بالجيم كما قيل فليس من هذا ، ولعلَّه يكون من دُبِّىّ من الدَّبيب ، ثم حوِّلت ياء النِّسبة جيمًا على لغة من يفعل ذلك . انتهى .

وقال القالىّ : أنشد ابنُ الأعرابىّ :

هَل تعرفُ المنزلَ مِنْ ذاتِ الهُوجْ [1] ليس بها من الأَنِيس دِبِّيجْ

وهو فِعِّيل من الدَّبْج ، وهو النقش والتزيين ، وأصله فارسىٌّ مأخوذ من الدِّيباج .

الخامسة عشرةَ : وابرٌ ، بالواو وكسر الموحَّدة . قال ابن السِّيد : يجوز أن يكون معناه ذا وَبَرٍ ، أى مالك إبل . ويجوز أن يكون معناه مخيِّم بخِباء من وَبَر . وأنشد القالىُّ عن ابن الأعرابىّ :

يمينًا أرى من آل زَبّانَ وابرًا فيُفلِتَ منِّى دون منقطَعِ الحبلِ

والفعل منفىٌّ فى جواب القسم ، أى لا أرى . وأنشد (صاحب العباب) أيضًا :

فأُبتُ إلى الحىِّ الذين وراءهم جريضا ولم يفلتْ من الجيش وابرُ [2]

وفى غالب نسخ الشرح : « آبر » بدل وابر ، وهو اسم فاعل من

---

(١) فى النسختين : « المنزل ذات الهوج » ، صوابه من أمالى القالى وسمط اللآلئ ٥٦٥

(٢) اللسان (وبر) .

أبرت النخلةَ ، إذا أصلحتها باللَّقْح . ولم أر من ذكرها فى هذه الكلمات ، مع أنها لا تلزَم النفى . ووقع فى التسهيل أيضًا آبر ، قال الدَّمامينىّ : هو تحريف من النُّسَّاخ ، فإنَّ « آبرًا » يستعمل فى الإيجاب ، والصواب : وابر ، بالواو .

السادسة عشرة : آبِز ، قال الشارح : هو بالزاى ، وهو اسم فاعل من أَبَزَ الظبى يأْبِز أَبْزًا وأُبوزًا : وثب أو تطَلَّق فى عدْوه . والآبز أيضًا : الإنسان الذى يستريح فى عَدْوه ثم يَمضى . ولم أرها أيضًا فى هذه الألفاظ مع أنَّها لا تلزَم النفى . وإن قلنا إنها وابز ، أوّلها واو ، فليست مادة الواو والباء والزاى موجودة . ولا أَشكُّ أنَّ هذه الكلمة تصحَّفت على الشارح إمّا من آبن بالنون ومدّ الهمزة ، وهى فى التسهيل ونقلها القالىّ عن ابن الأعرابى . قال الدمامينى : آبن على زنة اسم الفاعل من أبنه ، إذا عابه ، أى ما فيها من يعيب ، وذلك جنسُ الإنسان ، وإمَّا من وابن ، نقل القالى عن اللِّحيانى : ما بها وابنٌ بالواو والموحَّدة . قال صاحب القاموس : وما فى الدار وابنٌ بالموحّدة كصاحب ، أى أحد ، مأخوذ من الوَبْنة وهى الجَوْعة . ٢٩٩

السابعة عشرة : تأْمور : قال ابن السِّيد : حكى أبو زيد : ما بها تأْمور ، أى أحد ، بالهمز . ويقال أيضًا : ما فى الرَّكيَّة تامور ، يعنى الماء . وكذا نقل القالى عن أبى زيد . والتامور ، بلا همز : الدَّم . ويقال دم النَّفْس . قال أوس بن حجر يحضِّض عمرو بن هند على بنى حنيفة فى قتْل المنذر بن ماء السَّماء :

أُنبئْتُ أَنَّ بنى سُحيمٍ أَدخلوا أَبياتَهم تامورَ نفسِ المنذرِ (١)

قال الأَصمعى : يعنى مُهجة نفسه . والتامور : الخمر ، والزعفران أَيضًا .

الثامنة عشرة : تُؤمور ، بضم التاء والهمزِ ، نقل القالى عن اللِّحيانى : ما بها تامور ولا تؤمور بالهمز ، أَى أَحد .

التاسعة عشرة : تُومور ، بضم التاء بلا همز .

العشرون : تُومُرِىٌّ ، بضم التاء والميم . قال ابن السِّكِّيت : وما بها تومُرىّ منسوب إلى تامور . وبلادٌ خلاءٌ (٢) : ليس بها تومرىّ . ويقال للمرأَة : ما رأيت تومَريًّا أَحسنَ منها ، للمرأَة الجميلة ، أَى لم أَر خَلْقا . وما رأَيت تومريًّا أَحسن منه . انتهى . قال شارحه ابنُ السِّيد : تُومُرى منسوب إلى التامور ، وهو دم القلب ، نسبة على غير قياس .

وهذه الكلمات الأَربعة من مادة التمر .

الحادية والعشرون : نُمِّىٌّ ، بضم النون وتشديد الميم وتشديد الياء . قال صاحب القاموس : وما بها نُمِّىٌّ كُقُمِّىٍّ : أَحد . والنُّمِّىُّ أَيضًا : الخيانة ، والعيب ، والطبيعة ، وجوهر الإنسان وأَصله . وقال القالى : هو من نممت ، وهو منسوبٌ على خلاف القياس إلى النِّمَّة بالكسر ، وهى القَمْلة . فالنُّمِّىُّ معناه ذو قمل . وهذه الكلمة ليست موجودةً (فى الإصلاح) ، وهى مذكورة (فى التسهيل) . هذا ماذكره الشارح المحقِّق . وهو فى هذا تابعٌ لابن مالك .

---

(١) ديوان أوس بن حجر ٤٧ واللسان (تمر) .

(٢) ط : « خلا » ، صوابه فى ش .

وبقيت كلماتٌ أُخَر أوردها ابن السكيت ، هى : صافر . قال شارحه : هو اسم فاعل من صَفَر الرجلُ يصفِر صفيرًا ، إذا صوَّت بنَفَسه .

ونافخ ضَرَمَة بفتح الضاد والراء ، قال شارحه : أى نافخ حَطَبة فيها نار .

وصوَّات ، وهو فعَّال من الصوت .

ولاعِى قَرْوٍ ، بالعين المهملة وفتح القاف وسكون الراء بعدها واو . قال شارحه : أمَّا لاعى فلاعقٌ حريص ، يقال رجلٌ لعْوٌ ولعًا ، وكلبة لَعْوة كذلك . والقَرْو : مِيلغة الكَلب ، فكأنَّ معناه : ما بها كلبٌ ولا ذئب . وقال صاحب الصحاح : « يقال ما بها لاعِى قروٍ ، أى ما بها مَنْ يلحس عُسًّا ، معناه ما بها أحد » .

ومنها : « ما بها ناخر » قال شارحه : ناخر : اسم فاعل من نخر يَنخِر ، إذا ردَّد نَفَسه فى خيشومه .

ومنها : ما بها نابح ، قال شارحه : يعنى كلبًا . يقال نَبَحَ الكلب يَنبحُ بكسر الباء وفتحها ، فهو نابح ونبَّاح .

ومنها : أنيسٌ . قال شارحه : هو فعيل من أَنِسَ بالشىء . غير أنَّه لا يستعمل إلَّا فى الجَحْد . قال :

* وبلدةٍ ليسَ بها أنيسُ [1] *

(١) لجران العود فى ديوانه ٥٢ . وبعده :

* إلا اليعافير وإلا العيس *

والكلام بعده إلى نهاية البيت التالى ساقط من ش .

ويرِدُ عليه قولُه ، كما يأْتى قريبًا :

أذئبُ القَفْر أم ذئبٌ أَنيسٌ أَصابَ البكرَ أم حَدَثُ اللَّيالى [١]

فهذه ستّة أُخرى .

وأَورد أَيضًا : ما بها داعٍ ولا مجيب .

ولا يخفى أَنَّ هذا لا يختصُّ بالنفى .

ولم يزِدْ شارحه على قوله : داعٍ من الدعاء ، ومجيب من الإجابة .

وأَورد : ما بها راغٍ ولا ثاغٍ . قال شارحه : قد تستعملان فى غير النفى [٢] ؛ لأَنَّ الثغاء صوت المعز ، والرُّغاء صوت الإبل . ومعلوم أَنَّهما قد يستعملان فى الإيجاب والنفى .

وهذه كلمات أُخرُ (من أَمالى القالى) : ما بها دَوِّىٌّ منسوب إلى الدَّوِّيَّة . وقال صاحب الصحاح : ما بها دَوِّىٌّ أَى أَحد ممن يسكن الدَّوّ وهو أَرض من أَرض العرب . وربَّما قالوا : داوِيَّة قلبوا الواو الأُولى الساكنة أَلفا لانفتاح ما قبلها . ولا يقاس عليه .

ومنها : ما بها عينٌ . وزاد أَبو عبيد عن الفرَّاء : ما بها عائن . وزاد اللحيانى : ما بها عائنة . قال صاحب الصحاح : عائنة بنى فلان : أَموالُهم ورُعْيانهم . وما بها عائن ، وكذلك ما بها عينٌ ، أَى أَحد . وبلدٌ قليل العَيْن ، أَى قليل الناس . انتهى .

---

(١) ستأتى نسبته إلى الحطيئة فى ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٢) ش : « قد يستعملان فى الإيجاب والنفى . وما بعده إلى كلمة « النفى » التالية ساقط من ش .

فعلم أنَّ عينا وعائنة لا يلزمان النفى . وكذلك قال ابن السِّيد (فى شرح الإصلاح) : حكى عن الفراء : ما بها عائن وما بها عين . فأمَّا عائن فلا يستعمل فى الإيجاب ، وأمَّا العين فهم أهل الدار ، فقد يستعمل فى الإيجاب . قال الراجز :

* تشرب مافى وَطْبها قبل العَيْنْ *

ومنها : ما بها طارف ، أى من يطرِف بعينه ، أى ينظر بها . فهذه ثلاث كلمات ، فالمجموع تسع كلمات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الخمسمائة [1]:

٥٤١ (لها ثَنَايا أربعٌ حِسانُ   وأَرْبَعٌ ، فثغرُها ثَمَانُ)

على أنَّه قد تحذف الياء من ثمانى ويجعل الإعراب على النون .

واستشهد به صاحبُ الكشَّاف لقراءةِ من قرأ : ﴿ وله الجَوَارُ المُنشَآت [2] ﴾ ، بحذف الياء من الجَوار ورفع الراء كما فى ثمان .

وأنكر الحريرى (فى دُرَّةِ الغوّاص) حذفَ هذه الياء .

وقال ابن برّيّ فيما كتب عليه : الكوفيُّون يجيزون حذف هذه الياء فى الشعر . وأنشد عليه ثعلبٌ قوله :

لها ثنايا أربعٌ حِسانُ   وأربعٌ فثغرها ثمانُ . اهـ

والصحيح أنَّه غير مختص بالشِّعر بدليل الحديث الذى أورده

(١) التصريح ٢ : ٢٧٤ والأشمونى ٤ : ٧٢ واللسان (ثمن ٢٣١) .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرحمن .

الشارح المحقق ، وهو (فى صحيح مسلم ، فى باب الكسوف) ، عن ابن عباس أنّه قال [١] : « صلّى رسولُ اللهِ ﷺ حينَ كسفت الشّمسُ ثَمَانَ ركعاتٍ فى أربع سجدات » ، قال شارحه النوويّ : قوله ثمانَ ركعاتٍ فى أربع سجدات ، أى ركع ثمانَ مرات ، كلّ أربع فى ركعة ، وسجد سجدتين فى كل ركعة . وقد صرّح بهذا فى الكتاب فى الرواية الثانية .

ولا أعرف صاحب هذا الرجز . وأنشد المعرّىُّ (فى شرح ديوان البحترى [٢]) قبل هذين البيتين :

* إنَّ كُرَيًّا أَمَةٌ مِيسانُ *

وكُرَيًّا ، بضم الكاف وفتح الراء وتشديد المثناة التحتية : اسم أَمَة . والأَمَة : خلافُ الحرّة . ومِيسان ، بكسر الميم : فِيعال من المَيْس ، وهو مصدر ماس يميس ميسًا ومَيَسَانا أيضا ، وهو التبختر . أراد أنّها تتبختر فى مشيها .

وقوله : (لها ثنايا) إلخ هى جمع ثَنيّة ، وهى أربعٌ من مقدّم الأسنان ثِنتان من فوق وثنتان من تحت . وحذفُ التاء من أربع لأنّ المعدود وهى الثنيّة مؤنّث . وأراد بالأربع الثانى الرَّباعيَاتِ ، بفتح الراء ، وتخفيف الياء ، جمع رباعيَة على وزن ثمانية . والرَّباعيَات : أربع أسنان ، ثنتان من يمين الثنية ، واحدة من فَوق وواحدة من تحت وثنتان من شِمالها ، كذلك . و (الثَّغر) : المبسِم ، على وزن مجلس ، وهو موضع البَسْم . يقال بسم بَسْمًا من باب ضرب ، إذا ضحك قليلًا . وابتسم وتبسّم كذلك . والإنسان إذا تبسّم فإنّما يُرى من أسنانه الثنايا والرباعيّات ، وهى ثمانية . ٣٠١

---

(١) كلمة « قال » ليست فى ش .

(٢) هو المسمى « عبث الوليد » . وقد طبع بمطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦ بعناية محمد عبد الله المدنى .

واعلم أنَّ أسنان الإنسان أربع وثلاثون سِنًّا (١) : أربعُ ثنايا : وأربعُ رَبَاعيَات ، وأربعة أنياب ، وأربعة نواجذ ، وستَّة عشر ضِرسا . وبعضهم يقول : أربع ثنايا ، وأربعُ رباعيَات ، وأربعة أنياب ، وأربعة نواجذ ، وأربع ضواحك ، واثنتا عشرة رحًى .

* * *

وأنشد بِعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٤٢ (ثلاثةُ أَنفُسٍ وثلاثُ ذودٍ لقد جارَ الزمانُ على عيالى)

على أنه يجوز إضافة العدد إلى اسم الجمع ، وهو هنا الذَّود .

وأنشدَه سيبويه شاهدًا على تأنيث ثلاثة أنفس ، وكان القياس ثلاث أنفس ، لأنَّ النفس مؤنَّثة ؛ لكن أنَّث لكثرة إطلاق النفس على الشخص . ويأتِى نصُّه بعد أربعة شواهد .

ذكر الأصبهانى (فى الأغانى) بسنده ، أنَّ الحطيئة خرج فى سَفَرٍ له حين عمَّ الغلاء (٣) ، ومعه امرأته أُمامة ، وبنتُه مُليكة ، فنزل منزلًا وسرَّح ذودًا ثلاثا ، فلما قام للرَّواح فقد أحدَها فقال :

---

(١) كذا . والصواب أنها اثنتان وثلاثون ، كما فى المخصص ١ : ١٤٦ وكما يقتضيه العد والتفصيل التالى . وقد تنبه لذلك مصحح طبعة بولاق . وفى اللسان (ربع ٤٦٥) « قال الأصمعى : للإنسان من فوق ثنيتان ، ورباعيتان بعدهما ، ونابان ، وضاحكان ، وستة أرحاء من كل جانب ، وناجذان . وكذلك من أسفل » . ومجموع ذلك اثنتان وثلاثون سنا .

(٢) فاته أن يذكر هنا أنه من شواهد سيبويه . وانظر سيبويه ٢ : ١٧٥ ومجالس ثعلب ٣٠٤ والخصائص ٢ : ٢١٤ والإنصاف ٧٧١ والعينى ٤ : ٤٨٥ والتصريح ٢ : ٢٧٠ والهمع ١ : ٢/٢٥٣ : ١٤٩ ، ١٧٠ والأشمونى ٤ : ٦٣ وديوان الحطيئة ١٢٠ .

(٣) حين عم الغلاء ، ليست فى الأغانى ٢ : ٤٧ .

أَذئبُ القفر أَم ذئبٌ أنيسٌ   أَصابَ البَكر أَم حَدَثُ اللَّيالى
ونحنُ ثلاثَةٌ وثلاثُ ذَودٍ   لقد جارَ الزَّمانُ على عيالى

سَرَّح الدابَّة : أَطلقها لترعى .

و (الذَّود) من الإبل ، قال ابن الأَنبارىّ : سمعت أَبا العباس يقول : ما بين الثلاثِ إلى العشر ذَوْد .

وقال الفارابى : وهى هنا ثلاثة ، وهى مؤنثة .

وقال (فى البارع) : الذَّود لا تكون إلَّا إناثًا .

ويرِدُ عليه قوله أَصاب البَكْر ، بفتح الباء ، وهو الفتىُّ من الإبل .

والرَّواح : المسير . والقفر : الخلاءُ والمفازة . وأَراد بالذِّئبِ الأَنيسِ السارق . وحَدَث الليالى بفتحتين : ما يحدُث فيها من المصائب ، والمراد مطلق الحدَث لا بِقَيْدِ كونه بالليل . وأَصاب : أَدرك ، وفاعله ضمير الذئب ، والبَكر مفعوله ، أَراد : ما أَدرى كيف تلفَ البكرُ ، أَصابه أَحدُ الذئبين ، أَم حدثُ الليالى .

وقوله : (ثلاثة أَنفسٍ) خبر مبتدإٍ محذوف ، أَى نحن ثلاثة . و (العيال) بكسر العين : أَهل البيت ، ومن يمونه الإنسان ، الواحد عيِّل كجياد جمع جيِّد .

وترجمة الحُطيئة تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأَربعين بعد المائة [1] .

ورأَيت (فى أَمالى الزجاجى الوسطى [2]) قال : أَخبرنا الأَشناندانىُّ

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٠٦ - ٤١٣ .

(٢) لم ترد فى صلب أمالى الزجاجى . وقد أثبتها فى ملحقات الأمالى ٢٣٣ .

عن العُتْبىّ عن رجلٍ من قريش قال : حضرت مجلِسَ عبد الملك وعنده بطنٌ من بنى عامر بن صعصعة ، وكان رجُلٌ بينهم معه ابنتاه وذَوْدُه ، وهنَّ ثلاثٌ ، فراح ذودُه يوما ، ففقدَ منها واحدًا ، فنشده – أى سأل عنه وطلبه – فلم يُنشَد ، فأوفى على صخرة وأنشأ يقول :

(أذئبُ القفر أم ذئبٌ أنيسٌ   سَطا بالبَكْر أمْ صرفُ اللَّيالى
وأنتم ، لو أراد الدهرُ عَدْوًا   عديدُ التُّرب من أهلٍ ومال
ونحنُ ثلاثةٌ وثلاثُ ذَود   لقد جارَ الزَّمانُ على عيالى [١]
ولو مَوْلًى ضِبابٍ عالَ فيهم   لجُرَّ الدَّهرُ عن حالٍ لحالِ [٢]
ومولاهم أبى لا عيبَ فيه   وفى مولاكمُ بعضُ المقالِ
هلُـمَّ براءةً والحىُّ ضاح   وإلَّا فالوقوفُ على إلالِ
دعا داعى القلوص على ثَبيرٍ   ألا أينَ القلوصُ بنى قِتالِ

٣٠٢

فطلبوا له ذودهُ فردُّوها عليه ، وغرِموا له وقالوا : اخرجْ عنَّا . انتهى .

وسطا بكذا وعليه : بطشَ بشدّة . والصَّرف ، بالفتح : حادث الدهر . وأنتم مبتدأٌ ، وعديد خبرُه ، والجملة دليلٌ لجواب لو . والعَدْو : مصدر عدا عليه ، أى ظلمه وتجاوز الحدّ . وعال الزمان ، بالعين المهملة ، أى جار ، مصدره العَوْل .

والمولى هنا : حليف القوم . وضِباب بالكسر : قبيلة . وعال هنا بمعنى افتقر وصار ذا عَيْلة . وجُرَّ بالبناء للمفعول ، والدهر نائب الفاعل . يوبِّخهم بأنَّه مولًى لهم ولم يأخذوا بيده .

---

(١) ش : « لقد عال الزمان » .

(٢) هكذا ضبط البغدادى الدهر بالشرح بعده : ولو نصب « الدهر » على الظرفية لكان أولى .

وهَلُمَّ هنا بمعنى احضُروا . وبراءةً : مفعول له . وضاح : بارز . والإلال بكسر الهمزة ولامين : جبل بعرفات . يعنى إنْ لم تحضُروا للبراءة فى حال حال كون الحىِّ ضاحيًا فنحن نقف معكم على إلال .

وداعى فاعل دعا . والقَلوص : الناقة الشابة . وثَبير : جبَل بَيْنَ مكة ومِنَى . وقتال ، بالكسر : اسم رجل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من أبيات المفصَّل [1] :

٥٤٣ (ثلاثُ مئينٍ للمُلوكِ وفَى بها رِدائى وجَلَّتْ عن وُجوهِ الأهاتِمِ)

على أنّه جاء ثلاث مئين فى ضرورة الشّعر .

وقال صاحب المفصل : وقد رجع إلى القياس من قال :

ثلاث مئين .... البيت

قال ابن يعيش : هذا فى الشعر على القياس ، لأنَّ الشّعر يفسَح لهم فى مراجعة الأُصول المرفوضة . فهذا ، وإن كان القياسَ ، إلّا أنّه شاذٌّ فى الاستعمال . وكذا قال ابن مالك : إذا كان مفسِّر الثلاثة وأخواتها مائة فيفرد ، نحو ثلثمائة . وكان القياس أن يجمع فيقال ثلاث مئات أو مئين . إلّا أنّ العرب

---

(١) ابن يعيش ٦ : ٢١ . وانظر المقتضب ٢ : ١٧٠ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٤ ، ٦٤ والعينى ٤ : ٤٨٠ والتصريح ٢ : ٢٧٢ والأشمونى ٤ : ٦٥ والنقائض ٣٧١ وديوان الفرزدق ٨٥٣ .

لا تجمع المائة إذا أضيف إليها عددٌ إلّا قليلا ، كقوله :

ثلاث مئين للملوك ... البيت

وكلّهم من سيبويه [١] قال : يقال ثلثمائة ، وكان حقُّه أن يقولوا مئين أو مئات ، كما تقول ثلاثة آلاف ، لأنَّ ما بين الثلاثة إلى العشرة يكون جماعة نحو : ثلاثة رجال ، وعشرة رجال ، ولكنَّهم شبهوه بأحدَ عشر وثلاثة عشر . انتهى .

والنون من مئين منوَّنة . قال شارح اللباب ، قالوا : قُتِل فى معركة ثلاثةٌ من ملوك العرب ، وكانت دياتُهم ثلثمائة بعير ، فرهَن رداءَه بالدّيات الثلاث ، وهو دليلُ شرَفه . (والأهاتم) بنقطتين من فوق : بنو الأهتم بن سنان بن سُمَىّ . وإنَّما سمِّى بذلك لأنَّه كسرت ثنيَّتُه يوم الكُلاب . والهتم : كسر الثنايا من أُصلها . انتهى .

وقال بعض فضلاءِ العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : قوله ثلاث مئين ، قيل غرم ثلاثَ ديات فرهَن بها رداءَه . وكانت الدية مائة إبل ، والمعنى ثلثمائة إبل . وفَى بها ردائى حين رهنتُه بها ، وجلَّت تلك المئونَ المرهونُ بها ردائى حين أَدَّيتها ، وجَلَّت فَعْلتى هذه العارَ عن وجوه الأهاتم ، وهم قوم الأهتم ، وهو لقب سنان بن سُمَىّ ، لأنَّه هتمت ثنيَّته يوم الكُلاب . وفى البيت وصفٌ لعظم شأنه ، لأنَّه لا يُقدم على تحمل الديات والغراماتِ إلاَّ السِّيد العظيمُ الشأن . ووصفٌ لنفاسه بُرده وغَلاء ثمنه ، حيث رهنه بثلثمائةٍ من الإبل . وفيه تأكيدٌ لعظم شأنه [٢] . انتهى . ٣٠٣

(١) انظر سيبويه ١ : ١٠٦ - ١٠٧ بولاق و ١ : ٢٠٩ من نسختى .

(٢) ش : « بعظم شأنه » .

وقوله : « ووصفٌ لنفاسة بردهِ » إلخ ليس رهنُ البردة لأنَّها تقاوم ثمن الإبل المذكورة ، بل لأنَّ الشَّريف إذا رهن شيئًا ولو كان حقيرًا فلا بدَّ له من فِكاكه لئَلا يلزمه العار ، ولو مات فكَّه بنوه أو أقاربه . ومصداق ذلك ما قَدَّمناه فى ترجمة أبى تمام من حكاية كِسْرى مع حاجب بن زُرارة ، فى الشاهد الرابع والخمسين (١) .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق مذكورةٍ (فى المناقضات) وليست رواية البيت كذا ، وإنَّما هى :

فِدًى لسيوفٍ مِن تميم وفى بِها ردائى وجلَّت عن وجوه الأهاتم (٢)

قال شارح المناقضات : يعنى بالأهاتم الأَهتَمَ بن سِنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سَعد بن زيد مناة بن تميم .

فعُرِفَ أنَّ الأهتم ليس لقبًا لسنان بن خالد ، ولا سنان هو ابن سَمّى كما تقدَّم . ومشى عليه العينى .

وناقضه جرير بقصيدة مثلها منها :

فغيرك أدنَى للخليفة عَهْدَهُ وغيرك جلَّى عن وجوه الأهاتم

قال شارحها : قوله فغيرك أدنَى إلخ ، يعنى وَكيعَ بن حسّان بن قَيْس ، قتل قتيبة بنَ مسلم فتكًا ، وبعث برأسِه إلى سليمانَ بن عبد الملك بن مروان وطاعتِه (٣) ، لأنَّ قتيبة كان خلع سليمان .

وقصّة رداء الفرزدق رواها أبو عبيدة ، قال : كان الفرزدق بالمدينة حين جاءت وقعة وكيع ، وحجَّ سليمانُ بن عبد الملك فبلغه بمكة وَقْعة وكيع

(١) الخزانة ١ : ٣٥٤ – ٣٥٦ .

(٢) رسمت « فدى » فى ط بالألف فى هذا الموضع وتاليه .

(٣) فى النقائض ٤٠٠ : « وبعث بطاعته مع الرأس » .

بقتيبة ، فخطب النَّاسَ بمسجد عرفات : فذكر غدرَ بنى تميم ووثوبَهم على سلطانهم ، وإسراعَهم إلى الفتن ، وأنَّهم أصحاب فتن وأَهلُ غدر وقلَّة شكر ، فقام إليه الفرزدق فقال وفتح رداءَهُ : يا أَمير المؤمنين ، هذا ردائى رهنٌ لك بوفاءِ بنى تميم ، والذى بلغك كذب ! فقال الفرزدق فى ذلك حيثُ جاءت بيعة وكيع لسليمان :

أبيات الشاهد

(فدًى لسيوفٍ من تميم وَفى بها ... رِدائى وجَلَّتْ عن وجوه الأَهاتِمِ
شَفَيْن حزازات الصُّدور ولم تَدَعْ ... علينا مقالًا فى وفاءٍ للائِم
أَبأْنا بِهم قتلَى وما فِى دمائهم ... وفاءٌ وهنَّ الشافيات الحوائِم
جَزَى الله قومى إذْ أَرادَ خَفَارتى ... قُتيبة سَعْىَ الأَفضلِينَ الأَكارِمِ [1]
هُمُ سَمِعُوا يومَ المحصَّب من مِنًى ... ندائى إذا التفَّتْ رفاقُ المواسِمِ [2])

والحوائم : العطاش التى تحوم حولَ الماء . وخفض الحوائم على معنى الحسن الوجه . انتهى .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب [3] .

وقال العينى : الرداء فى البيت الشاهد بمعنى السَّيف . وأَنشد عليه بيتًا [4] ثم قال : ثلاث مئين مبتدأ ، وجملة وفى بها خبره . وجَلَّت بالتشديد ،

---

(١) الخفارة : الذمة ، وانتهاكها . والمراد هنا انتهاكها .

(٢) وفيها يقول أيضا (الديوان ٨٥٤) :

فإن فك قيس فى قتيبة أغضبت ... فلا عطست إلا بأجدع راغم
وما كان إلا باهليا مجدعا ... طغى فسقيناه بكأس ابن خازم

ويقول لجرير أيضا :

أتغضب أن أذنا قتيبة حزتا ... جهارا ولم تغضب ليوم ابن خازم

(٣) الخزانة ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٤) هو قول الشاعر :

ينازعنى ردائى عبد عمرو ... رويدًا يا أخا سعد بن بكر

بمعنى جَلَت بالتخفيف ، من جلَّ القوم عن البلد يَجُلُّون بالضم ، إذا جَلَوْا وخرجوا . والمعنى : كشفَتْ ردائى حين وفت بديات الملوك الثلاثة ، هَمَّ ذلك ، وتَمادِىَ الحروب عَن أعيان الأَهاتم وكبرائهم . فافهم . ٣٠٤

هذا كلامه ، وهو كلام من لم يصل إلى العُنقود .

ورأيت مثل البيت الشاهد فى شعر قُراد بن حَنَش الصارديّ ، وهو :

ونحن رَهنَّا القوسَ ثُمّت فُودِيَتْ بأَلِفٍ على ظهر الفزاريِّ أَقرعا

بعشرِ مئينٍ للملوك سَعَى بها ليوفِىَ سيَّارُ بن عمرٍو فأَسرعا

قال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد [١]) : إنَّ سيار بن عمرو بن جابرٍ الفَزارى احتمل للأسود بن المنذر ديةَ ابنه الذى قتله الحارث بن ظالم ، أَلفَ بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنَهُ بها قوسَه ، فوفى . وكان هذا قبل قوس حاجب ابن زرارة .

وقال أبو عبيدة (فى مقاتل الفُرْسان) : إنَّ أَخا سيار لأُمّه الحارث بن سفيان الصَّارِدىَّ تكفَّلها للأَسود [٢] ، فقام منها بثمانمائة ثم مات ، فرهن سيَّار قوسه على المائتين الباقيتين لا غير ، فلمَّا مدح قُراد بن حَنش بنى فزارة جعل الحمالة كلَّها لسيَّار . انتهى .

وأَلف أَقرع ، بالقاف ، أَى تامّ .

---

(١) لم أجد هذا النص فى العقد بتتبُّع فهارسه ، فليس فى أعلامه سيار بن عمرو ، ولا الأسود ابن المنذر .

(٢) ش : « كفلها للأسود » .

وقراد بن حنش : شاعرٌ جاهلى من بنى صاردة ، بتقديم الراء على قراد بن حنش
الدال ، وهم فخذ من فزارة .

* * *

[وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الخمسمائة (١) :

٥٤٤ (وحاتمُ الطائىُّ وهَّابُ المِئِى)

على أنَّ أصله عند الأخفش : المئين ، فحذفت النون لضرورة الشعر .

وهذا البيت من رجز أورده أبو زيد (فى نوادره) فى موضعين : الموضع الأول قال فيه : هو لامرأة من بنى عامر . والموضع الثانى قال فيه : هو لامرأة من بنى عُقيل ، تفخر بأخوالها من اليمن ، وهو :

(حَيدة خالِى ولَقيطٌ وعَلِى   وحاتمُ الطائىُّ وهابُ المِئِى
ولم يكن كخالِكَ العبدِ الدَّعِى   يأكل أزمانَ الهُزال والسِّنِى
هَنَاتِ عَيْرٍ مَيِّتٍ غير ذَكِى)

قولها : هَنات عَيرٍ ، تعنى ذكَر العير ، فكنتْ عنه لأنَّها امرأة . انتهى

وقال فى الموضع الأوّل : حذف التنوين من حاتم الطائى لالتقاء الساكنين . وقال أبو علىّ فيما كتبه عليه : خفِّفت ياءاتُ النسب كلها للقافية . فأمّا المِئىُّ والسنِىُّ فإنّها جمعٌ على فعول ، ثم قلبت الواوات ياءات فصار مئىّ وسنىٌّ ، ثم خفِّف بأنْ حذف إحدى الياءين كما فعل فى على والدعى ، فبقى المئى والسِّنِى . انتهى .

---

(١) نوادر أبى زيد ٩١ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٨٣ والإنصاف ٣٨٨ وشرح شواهد الشافية ١٦٣ والعينى : ٥٦٥ عرضا واللسان (مأى ١٣٧) .

(٢) هذا الموضع الأول لم أعثر عليه فى النوادر .

وقال أبو بكر بن السراج (فى الأصول) : ذكر الأخفش سنين ومئين فقال : فيهما قولان . ثم اختار أحدهما وهو الصحيح عندنا ، فقال : وأمّا سِنين ومِئين فى قول من رفع النون فهو فَعِيل ، ولكن كسر الفاء ككسرة ما بعدها ، وأجمعوا كلهم على كسرها ، فصارت النون فى آخر سنين بدلًا من الواو ، لأنَّ أصلها من الواو . وفى مئين النون بدل من الياء ، لأنَّ أصلها من الياء ، كأنَّها كانت مئى ؛ وقد قالوها فى بعض الشعر ساكنةً ، ولا أراهم أرادوا إلّا التثقيل ثم اضطرُّوا فخفَّفوا ، لأنَّهم لو أرادوا التخفيف لصار الاسمُ على فِعِل ، وهذا بناءٌ قليل . قال الشاعر :

حَيدةُ خالى ولقيطٌ وعلى وحاتم الطائىُّ وهَّاب المِئِى

٣٠٥ وأما قولهم : ثلاث مئى ، فإنهم أرادوا بمئى جماعة المائة ، كتمرة وتمر ، تقول فيه : رأيت مئيًا مثل مِعْيًا . وقولهم : رأيت مِئًا مثل مِعًا خطأٌ ، لأنَّ المئى إنَّما جاءت فى الشعر . فنقول : ليس لك أن تدَّعى أنَّ هذه الياء للإطلاق ، وأنت لا تجد ما هو على حرفين يكون جماعةً ويكون واحدُه بالهاء نحو تمرة وتمر . قال أبو الحسَن : وهو مذهب يونس ، يعنى بالياء . قال : والقياس الجيِّدُ عندنا أن يكون سنين فِعْلينا مثل غسلين محذوفة ، ويكون قول الشاعر سِنى والمئى مزنَّما . فإنْ قلت : إن فعلينا لم يجئْ فى الجمع ، وقد جاء فَعِيل نحو كليب وعبيد ، وقد جاء فيه ما لزمه فِعِيل مكسور الفاء نحو مئين ، فإنَّ من الجمع أشياءَ لم يجئ مثلُها إلّا بغير اطّراد نحو سَفْر ، وقد جاء منه ما ليس له نظير

نحو عِدًى . وأنت إذا جعلت سنينًا (١) فعيلا جعلت النون بدلا ، والبدل لا يقاس عليه ولا يطَّرد ، ومخالفة الجمع للواحد قد كثر ، فأن تحملَه على ما لا بدل فيه أولى . وليس يجوز أن تقول إنَّ الياء فى سنين أصليّة وقد وجدتَها زائدة فى هذا البناء بعينه لمَّا قلت فِعلين وفِعلون ، يعنى أنَّك تقول سنين يا هذا أو سنون .

ثم قال : قوله :

وحاتم الطائىُّ وهابُ المِئى ياْكل أزمانَ الهُزال والسِّنِي

فهذا إمَّا أن يكون رخَّم سنين ومئين ، وإمَّا أن يكون بنى سنة ومائة على سنى ومئى ، وكان أصلهما سِنُو ومِئُو ، فلمَّا حذف النون ورخَّم بقىَ الاسم آخره واوٌ قبلها ضمة ، فلمَّا أراد أن يجعله اسماً كالأسماء التى لم يحذف منها شيء قلب الواو ياءً وكسر ما قبلها ، لأنَّه ليس فى الأسماء ما آخره واوٌ قبلها ضمة . فمتى وقع من هذا شيءٌ قلبت الواوُ ياء . ا هـ .

وقولها : (حيدة خالى) مبتدأٌ وَخبر . وحَيدة بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية . ولَقِيط بفتح اللام معطوف على حيدة . وكذا علىٌّ وحاتم ، فيكون أخوالها أربعة . وروى هذين البيتين فقط الأخفش سعيد بن مَسْعدة (فى كتاب المعاياة) لرجل من طيِّئ ، وذكر خالدًا بدل حاتم .

وقولها : « ولم يكن كخالكَ » إلخ الكاف مفتوحة لأنَّها خاطبت رجلاً . والدَّعىُّ : غير خالص النسب .

وقولها : « ياْكل أزمان » إلخ هذا بيانٌ لعدم المشابهة بين خالها

(١) ط : « جعلت شيئا » ، صوابه فى ش .

وبينه . وأَزمانَ : ظرفٌ ليأْكل ، وهو جمع زمان . والهُزَال بالضم : الضَّعف من الجوع . والسِّنى : مرخَّم سنين جمع سنة ، بمعنى الجدب والقحط .

وهناتِ مفعول يأْكل ، منصوب بالكسرة ، جمع هَنَة مؤنث هَنٍ ، وهو كناية عما يُستقبَحُ التصريحُ باسمه ، وهو هنا أَير الحمار . والعير ، بفتح العين المهملة : الحمار الوحشيّ والأَهليّ أيضًا ، والأُنثى عيرة . وميِّت : وصف عير ، وكذلك غير ذكى . والذكيُّ : المذبوح ، خففت الياء للضرورة .

وقال أَبو الحسن عليٌّ الأَخفش (فيما كتبه على نوادر أَبى زيد) : قال أَبو سعيد [1] : وروَى الرياشيُّ مرّةً أُخرى بدل البيت الأَخير :

* هَناتِ عَير مِيتة غير ذكِي [2] *

قال أَبو الحسن : الأَوّل أَحبُّ إلىّ ، وهو أَجود . والمَيْتة بفتح الميم يكون نعتًا للشيء ، فإذا كسرت كانت الشيءَ بعينه . قال أَبو الحسن : المِيتة تكون مصدرًا كقولك القِعدة والرِّكبة وما أَشبهها ، وتكون نعتًا كقولك : مررت بفرس مِيتة فتنعته بالمصدر ، كما تقول : مررت برجل عدل ، ثم يصير اسماً غالبا كأَجدل وما أُشبهه ، فتقول : هذا مِيتة كما تقول : هذا أَجدلٌ . والميتة بكسر الميم : الحال التى يكون عليها الشيء ، كقولك : كريم الميتة وحسن الصِّرعة . والكسر مطَّرد فى الحالات كلها ، كما أَنَّ الفتح مطَّرد فى المرَّة . هذا الحق عندى الذى لا يجوز غيره . انتهى . ٣٠٦

(١) أبو سعيد الحسن بن الحسين البصرى ، المعروف بالسكرى .

(٢) فى النوادر : « هنات عين » ، وما هنا صوابه .

تتمـــة

زعم العينى أن البيت الشاهد من هذا الرجز ، وهو :

إنِّى لدى الحربِ رخيٌّ اللببِ   عِنْدَ تناديهم بهالٍ وهَبِ (١)
أُمّهتى خِندفُ والياسُ أبى   وحاتمُ الطائىُّ وهابُ المئى

وهذا لا أصل له ، فإنَّ الرجز عنده لقصىّ بن كلاب ، أحد أجداد النبى ﷺ . وكيف يكون حاتم الطائى أبًا لقصىٍّ مع أنَّه بعده بمدة طويلة . وقافية الرجز أيضًا تأْبَاه ، وليس فى هذا اشتباه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٥٤٥ (إذا عاش الفَتَى مائتينِ عامًا   فقد ذهبَ اللَّذاذةُ والفَتاءُ)

على أنَّه قد يفرد مميِّز المائة ويُنصَب ، كما فى البيت .

وأورده سيبويه فى موضعين : الأوّل (فى باب الصفة المشبَّهة بالفاعل) وذكرِ أسماء العدد وعملها فى الأسماء التى تبيِّنها بالجر والنصب . حتى انتهى إلى قوله : « فإذا بلغت العقد تركت التنوين والنون وأضفت ، وجعلت الذى يعمل فيه وتبيِّن به العدد من أىِّ صنف هو ، واحدًا ، كما فعلت ذلك فيما

---

(١) ط : « أن لدى الحرب » ، صوابه فى ش .

(٢) فى كتابه ١ : ١٠٦ ، ٢٩٣ . وانظر المقتضب ٢ : ١٦٩ ومجالس ثعلب ٣٣٢ والمعمرين ٧ وأمالى المرتضى ١ : ٢٥٤ والجمل ٢٤٦ وابن يعيش ٦ : ٢١ والمقرب ٦٦ والاقتضاب ٣٦٩ والعينى ٤ : ٤٨١ والهمع ١ : ٢٥٣ والتصريح ٢ : ٢٧٣ والأشمونى ٤ : ٦٧ واللسان (فتا ٣) .

نوَّنت . إلَّا أنَّك تدخل فيه الألف واللام ، لأنَّ الأوَّل يكون به معرفة ولا يكون المنوَّن به معرفة . وذلك قولك : مائة درهم ومائة الدرهم . وكذلك إن ضاعفته ، فقلت : مائتا الدرهم ومائتا الدينار ، وكذلك الذى بعده ، واحدًا كان أو مثنًّى . وذلك قولك : ألف درهم وألفا درهم . وقد جاء فى الشِّعر بعض هذا منوَّنا . قال الرَّبيع بن ضَبُع الفَزارى :

* إذا عاشَ الفتى مائتين عامًا * » انتهى .

والموضع الثانى (باب كم) قال فيه : « لأنَّه لو جاز إذا اضطُرَّ شاعر [1] فقال : ثلاثة أثوابا ، كان معناه معنى ثلاثة أثواب ، قال الشاعر :

* إذا عاش الفتى مائتين عاما * » انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه إثبات النون فى مائتين فى ضرورة ، ونصب ما بعدها ، وكان الوجه حذفَها وخفضَ ما بعدها ، إلَّا أنَّها شبِّهت للضَّرورة بالعشرين ونحوِها مما يثبت نونه وينصب ما بعده .

وصف فى البيت هَرَمه وذَهابَ مروءته ولذَّتِه ، وكان قد عُمِّر نيِّفًا على المائتين فيما يروى . وروى : « أودى » بدل ذهب ، بمعنى انقطع وهلك . والفتاء : مصدرٌ لفَتى [2] . وروى : « تسعين عاما » ، ولا ضرورة فيه على هذا . انتهى .

---

(١) فى سيبويه ١ : ٢٩٣ : « لأنه لو جاز فى الكلام أو اضطر شاعر » .

(٢) ش : « مصدر الفتى » .

ورواية « تسعين » لا أُصل لها كما يعلم مما يأتى . ورُوى : « التخيّل » بدل « اللذَاذَة » . والتخيُّل : التكبُّر وعُجْب المرء بنفسه . وروى بدله : « المسرّة » و « المروءة » أيضًا . والفَتَى : الشابُّ ، وقد فَتِيَ بالكسر يَفْتَى بالفتح فَتًى ، فهو فتىٌّ السنّ بيِّن الفتاء . قال الجواليقى : والفتاء مصدرٌ لفَتِيَ [1] .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ ستّة للرَّبيع بن ضَبُع الفزارى ، وهى :

(أَلا أَبلغ بَنِيّ بَنِى ربيع   فأَنذالُ البنينَ لكمْ فداءُ [2]

بأَنِّى قد كبرت ودَقَّ عظمى   فلا تَشْغَلْكمُ عنِّى النساءُ

فإِنَّ كنائنى لَنساءُ صِدق   وما أَلَّى بنِىَّ وما أَساءُوا

٣٠٧

إِذَا كان الشتاءُ فأَدفئونى   فإِنَّ الشيخ يَهدمُه الشتاءُ

فأَمَّا حين يذهبُ كلُّ قُرٍّ   فسربالٌ خفيف أَو رداءُ

إِذا عاش الفتى مائتين عاما   ....) البيت

قوله : « فأَنذال البنين [3] لكم فداء » جملة دعائية معترضة . وروَى الجواليقى (فى شرح أُدب الكاتب) : « فأَشرار البنين » ، قال : وصفهم بالبِرّ . وقوله : « بأَنِّى قد كبرت » الباء متعلقة بقوله أَبلغ فى البيت المتقدم . وكبِر من باب تعب . ودقَّ ، أَى صار دقيقا . ودقَّ يدِقُّ من باب ضرب دِقَّة : خلاف غلُظ ، فهو دقيق . وروى : « ورقَّ جلدى » ، أَى صار رقيقا بالرَّاء ، من الرقَّة . ولا ناهية . وشغل من باب نفع . وعَنِّى أَى عن تفقُّد

---

(١) ش : « مصدر لفتى أيضا » .

(٢) ش : « فانزال » ، صوابه فى ط .

(٣) ش : « فانزال » ، صوابه فى ط .

أُمورى وإصلاحها . والكنائن : جمع كَنَّة بالفتح والتشديد ، وهى امرأة الابن والأخ . يريد أنَّهنَّ نعم النساء . وأَلَّى بتشديد اللام ، أى ما أبطئوا وما قصَّروا . وهو من أَلَّوْت . يقول : ما أبطأ بَنِىَّ عن فعل المكارم وما يجبُ عليهم من القيام بأمرى . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل) : معنى أَلَّى قصَّر فى بِرِّى . يقال أَلا يأْلو ، فإذا أكثرت الفعل قلت : أَلَّى يؤلِّى تأْلية . انتهى .

وقال أبو حاتم السِّجستانى (فى كتاب المعمَّرين) : حدّثنا أبو الأسود النُّوشجانى عن العُمَرى عن أبى عمرو الشيبانىّ قال : سألنى القاسم بن معن عن قوله :

* وما أَلَّى بَنِىَّ وما أساءُوا *

قلت : أبطئُوا . فقال : ما تركتَ فى المسألة شيئًا .

ونقل صاحبُ الصحاح هذه الحكاية مجملة ثم قال : أبو حاتم : والتأْلية التقصير ، ومن قال « وما آلى » بالمد فمعناه ما أقسموا ، أى لا يرُّونى . انتهى .

وقال السَّيِّد المرتضى (فى أماليه) : أَلَّى بالتشديد هو الصحيح ، ومعناه قصَّر فى قول بعضهم . واللغة الأُخرى أَلا مخفَّفا ، يقال أَلا الرجلُ يأْلو ، إذا قصَّر وفتر . فأمَّا آلى بالمد فى البيت فلا وجه له ، لأنَّه بمعنى حلف ، ولا معنى له ههنا . انتهى .

وقوله : « إذا كان الشتاء » إلخ هذا البيت من أبيات الجمل وغيره .

ويروى : « إذا جاء الشتاء » . وادفئونى : سخِّنونى لأَدفأ . يقول : إذا دخل فصلُ الشتاء فدثِّرونى بالثياب . فإنَّ هذا الفصل يُضعف قوَّة الشَّيخ ويَهدِم عمره ، ويُخاف عليه فيه . ودلَّ على أنَّه يريد أن يدفأ بالثياب لا بغير

ذلك ، قولُه بعد البيت : « فأمَّا حين يذهب كلُّ قُرٍّ » . والشِّتاء فى غير هذا الموضع ، يراد به الضِّيق وشظَفُ العيش ، كما قال الحطيئة :

إذا نزل الشِّتاءُ بدار قومٍ تجنَّب جارَ بيتهم الشِّتاءُ

إذ الشِّتاءُ نفسُه لا يقدر أحدٌ أن يمتنع منه ، وإنَّما أراد أنَّهم يواسون من جاورهم فيتجنَّبه الضيقُ وسوءُ الحال والمعيشة . ويهدمه ، من هدمت البناء ، من باب ضرب ، إذا أسقطتَه فانهدم . وروى : « يُهرِمه » بالراء [1] ، أى يُضْعفه ، يقال هرِم الرجل من باب تعب ، إذا كبر وضعف .

والقُرُّ بضم القاف : البَرْد . والسِّربال بالكسر : القميص . قال الجواليقى : وأو بمعنى الواو .

وقوله : (إذا عاش الفتى) إلخ نصب عامًا على التمييز ، كما ينصب [2] المفرد بعد العشرين وما فوقها . ولمَّا صرفه عن الإضافة نصبه على التمييز وأعمل فيه مائتين ، ونصب مائتين على الظرف . قال ابن المستوفى : نُسبت هذه الأبياتُ ليزيد بن ضبَّة . والرواية : « إذا عاش الفتى ستِّين عامًا » فلا ضرورة ولا شاهد . انتهى ٣٠٨

وقول شارح اللباب : ورُوى « إذا عاش الفتى خمسين عامًا » ، رواية واهية ، فإنَّ ابن الخمسين لا يبلغ من الضَّعف هذه الرتبة .

والصحيح أنَّ الأبيات للربيع بن ضبُع الفزارى ، كما رواها له جمٌّ غفير ، وهو من المعمرين ، أورده أبو حاتم السجستانى (فى كتاب المعمرين) وقال : الربيع بن ضبع

---

(١) بعده فى النسختين : « من باب تعب » . والوجه فى هذه العبارة أن توضع بعد كلمة « الرجل » التالية كما أثبت .

(٢) ش : « كما نصب » .

قالوا : وكان من أطول من كان قبلَ الإسلام عمرًا : رَبيع بن ضبع بن وهب بن بَغيض بن مالك بن سَعد بن عدىّ بن فزارة ، عاش أربعين وثلثمائة سنة ولم يُسلم . وقال لمّا بلغ مائتى سنة وأربعين سنة :

أصبحَ منّى الشبابُ قد حَسَرا … إن يَنأ عنّى فقد ثوى عُصُرا
ودَّعنا قبلَ أن نودِّعَه … لما قضى من جِماعنا وَطَرا
ها أنا ذا آمُل الخلودَ وقد … أدرك عقلى ومولِدِى حُجُرا
أباامرئِ القيس، هل سمعت به … هيهاتَ هيهاتَ طال ذا عُمُرا
أصبحتُ لا أحمِلُ السِّلاحَ ولا … أملكُ رأسَ البعير إنْ نفرا
والذئبَ أخشاه إن مررتُ به … وحدى، وأخشَى الرياح والمطرا
مِن بعدِ ما قوَّةٍ أُسَرُّ بها … أصبحتُ شيخًا أُعالج الكِبَرا

وقال لمَّا بلغ مائتى سنة :

ألا أبلغ بَنِّى بنى رَبيعٍ … فأشرارُ البنينَ لكم فِداءُ

الأبيات المتقدمة . هذا ما أورده أبو حاتم .

وأورده ابن حجر (فى قسم المخضرمين من الإصابة) فيمن أدرك النبى ﷺ وكان يمكنه أن يسمع منه ، فلم يُنقل ذلك . وقال : هو جاهلىّ ، ذكر ابن هشام (فى التيجان) أنَّه كبر وخَرِف وأدرك الإسلام . ويقال إنَّه عاش ثلثمائة سنة ، منها ستُّون فى الإسلام ، ويقال لم يسلم . انتهى .

وذكره السيد المرتضى (فى فصل المعمرين من أماليه) قال :

ومن المعمَّرين : الرَّبيع بن ضَبُع الفزارى ، يقال إنَّه بقى إلى أيام بنى أُميَّة وروى أنَّه دخل على عبد الملك بن مرْوان ، فقال له : ياربيع ، أخبرنى عمَّا أدركتَ من العمر والمَدَى ، ورأيتَ من الخطوب الماضية . فقال : أنا الذى أقول :

ها أنا ذا آمُلُ الخلودَ وقد أُدرك عَقْلى ومَولدى حُجُرا

فقال عبد الملك : قد رويتُ هذا من شعرك وأنا صبىٌّ . قال : وأنا القائل :

إذا عاش الفتى مائتين عامًا فقد ذهبَ اللذاذةُ والفَتاءُ

قال : وقد رويتُ هذا من شعرك وأنا غلام ، وأبيك يا ربيعُ لقد طار بك جَدٌّ غير عاثر ، ففصِّل لى عمركِ . قال : عشت مائتى سنة فى فترة عيسى عليه السلام ، وعشرًا ومائة سنة فى الجاهليَّة ، وستِّين سنةً فى الإسلام . قال : فأخبرنى : عن فِتيةٍ من قريش متواطئِى الأسماء . قال : سل عن أيِّهم شئت . قال : أخبِرنى عن عبد الله بن عباس . قال : فَهمٌ وعِلْم ، وعطاءٌ جَذْم ، ومِقرًى ضخم . قال : فأخبرنى عن عبد الله بن عُمر . قال : حلم وعلم ، وطُول كظم ، وبعدٌ مِن الظُّلم . قال : فأخبرنى عن عبد الله بن جعفر . قال : ريحانه طيِّبٌ ريحُها ، ليِّنٌ مسُّها ، قليل على المسلمين ضرُّها . قال : فأخبرنى عن عبد الله بن الزُّبير . قال : جبلٌ وعر ، ينحدر [1] منه الصخر .

٣٠٩

(١) فى النسختين : « يتحذ » . وفى هامش ش : « ب يتحلد » ، إشارة إلى نسخة . وأثبت ما فى أمالى المرتضى ١ : ٢٥٤ .

قال : لله درُّك يا ربيع ما أَعرفَكَ بهم ؟ قال : قُربَ جوارى ، وكثرةُ استخبارى .

قال السيِّد رضى الله عنه : إن كان هذا الخبر صحيحًا فيشبه أَن يكون سؤال عبد الملك إنَّما كان فى أَيَّام معاوية ، لا فى ولايته ، لأَنَّ الربيع يقول فى الخبر : عشت فى الإسلام ستين سنة ، وعبد الملك ولى فى سنة خمس وستين من الهجرة . فإنْ كان صحيحًا فلا بدَّ مما ذكرناه . فقد رُوى أَنَّ الربيع أَدرك أَيّام معاوية .

ويقال إنَّ الربيع لمَّا بلغ مائتى سنة قال :

أَلَا أَبلغْ بَنىَّ بنى ربيع .... الأَبيات المتقدمة .

وقوله : « عطاءٌ جَذْم » ، أَى سريع . وكلُّ شىء تسرَّعت به فقد جذمته . وفى الحديث : « إذا أَذَّنت فرتِّل ، وإذا أَقمت فاجذِم [1] » ، أَى أَسرع . والمِقْرَى : الإناء الذى يُقرَى فيه الضَّيف . انتهى ماذكره السيد المرتضى .

وقال ابن السيد (فى شرح أَبيات الجمل) : روى الرُّواة أَنَّ الرَّبيع بن ضبُع عاش حتَّى أَدرك الإسلام ، وأَنَّه قدم الشامَ على معاوية بن أَبى سفيان ، ومعه حَفَدَاته [2] . ودخل حفيده على معاوية فقال له : اقعد يا شيخ . فقال له : وكيف يقعد من جدُّه بالباب ؟ فقال له معاوية : لعلَّك من ولد الرَّبيع بن ضبُع ؟ فقال : أَجل . فأَمره بالدخول ، فلما دخل سأَله معاوية عن سنِّه فقال :

---

(١) ش : « فاجزم » ، صوابه فى ط وأمالى المرتضى ١ : ٢٥٦ .

(٢) الحفدات : جمع حفدة بالتحريك ، وهم أولاد الاولاد .

أَقفَر من مَيَّةَ الجريبُ إلى الزُّ جَّيْنِ إلَّا الظباءَ والبقَرا

كأنَّهــا دُرَّةٌ منعَّمــةٌ من نِسوةٍ كنَّ قبلها دُرَرا

أَصبح منِّى الشباب مبتكرًا إنْ يناً عنى فقد ثوى عُصُرا

إلى آخر الأَبيات المتقدِّمة . فقرأَ معاوية : ﴿ ومن نُعَمِّره نُنَكِّسْهُ فى الخَلْق (١) ﴾ . انتهى .

وقد أَورد أَبو زيد (فى نوادره) هذه الأَبياتَ كذا . وقال أَبو حاتم : الزُّخِّين (٢) بالخاء المعجمة . وقال الأَخفش : الذى صحَّ عندنا بالجيم (٣) .

وقوله : « أَصبح منِّى الشَّبابُ » إلخ حسر البعير : أَعيا . وروى : « مبتكرا » اسم فاعل من الابتكار . وإنْ يناً ، أَى يبعد (٤) وثوى : أَقام . وعُصُرا ، بضمتين ، أَى دهرا .

وقوله : « فارقنا » أَى الشَّباب . وهذا البيت أَورده ابن هشام (فى المغنى) على أَنَّ المراد : أَراد فراقنا . قال ابن جنى (فى المحتسب) : ظاهر هذا البيت إلى التناقض ، لأَنَّا إذا فارقَنا فقد فارقْناه لا محالة ، فما معنى قوله من بعد : « قبل أَن نفارقه » . وهو عندنا على إقامة المسبَّب مقام السَّبب ،

(١) الآية ٦٨ من سورة يس .

(٢) الذى فى النوادر ١٥٨ : « وروى أبو حاتم : الزُّجين والزُّجين » . ش : « الرخين » .

(٣) الذى فى النوادر : « قال أبو الحسن : الذى صح عندنا الزجين بالجيم معجمة » .

(٤) ش : « أى إن وجد » .

وهو وضع المفارقة موضع الإرادة ؛ لقرب أحدِهما من الآخر [١] . وروى بدله [٢] :

* ودَّعنا قبل أن نودِّعه *

والجماع : الاجتماع . والوَطَر : الحاجة . وهاتان الكلمتان هنا قبيحتان .

قال الدماميني (فى الحاشية الهندية على المغنى) : وقع فى حماسة أبى تمام قول ربيع بن مالك [٣] يرثى مالكَ بن زهير العبسى :

مَن كان مسرورًا بمقتل مالكٍ فليأْتِ نسوتَنا بوجه نهارِ
يجدِ النساءَ حواسرًا يندبنه بالصُّبح قبل تبلُّج الأَسحارِ

قال المرزوقى : إنِّى لأَتعجَّب من أَبى تمَّام مع تكلُّفه رَمَّ جوانبِ ما اختاره من الأَبيات كيف ترك قوله : « فليأْتِ نِسوتَنا » وهى لفظةٌ شنيعة جدًّا . وأَصلحه المرزوقى بقوله : « فليأْت ساحتَنا » . قال التفتازانى : وأَنا أَتعجَّب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه ، وحافظ على لفظ الشاعر دراية ، مع زعمه أَنَّ القراء يقرءُون القرآن برأْيهم . وأَنا أَتعجَّب من إنشاد ٣١٠

(١) فى المحتسب ١ : ١٦٨ : « فوضع المفارقة » ، وهى المسبب . موضع الارادة لها ، وهى السبب ، وذلك لقرب أحدهما من صاحبه .

(٢) أى بدل رواية ابن جنى ، وهى « فارقنا قبل أن نفارقه » . والرواية التى يشير إليها هى المثبتة فى الإنشاد السابق فى ص ٣٨٤ .

(٣) فى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف . والصواب : ربيع بن زياد » . وهو الربيع بن زياد ابن عبد الله بن ناشب العبسى . وهذا الصواب هو الثابت فى الحماسة ٩٩٥ من مقطوعة أولها :

أنى أرقت فلم أغمض حار من سيِّئ النبأ الجليل السارى

صاحب المغنى لمثل هذا البيت ، أورده هنا مع أنّه أشنع من بيت الحماسة وأفحش . ولقد كان فى غُنية بما أورده من الكتاب والسنة .

قال ابن نُباتة (فى مطلع الفوائد ومجمع الفرائد) : فى قوله : « بالصُّبح قبل تبلج الأسحار » سؤالٌ لطيف ، وهو أنّ الصُّبح لا يكون إلّا بعد تبلّج الأسحار ، فكيف يقول قبله ؟ والجواب : أنّه أراد بقوله يندبنه بالصُّبح ، أنّهن يصفنه بالخلال المضيئة ، والمناقب الواضحة ، التى هى كالصُّبْح . انتهى .

وقوله : « أصبحت لا أحمل السلاح » إلخ أُورد (فى التفسيرين) عند قوله تعالى : ﴿ فهُمْ لها مالِكُون [1] ﴾ على أنّ المِلك الضبط والتسخير ، كما فى قوله : لا أملك رأس البعير ، أى لا أضبطه .

وقوله : « والذئبَ أخشاه » إلخ أورده سيبويه (فى كتابه) والزجاجى (فى جملِهِ) ، وابن هشام (فى شرح الألفيّة ، باب الاشتغال) على أنّ الذئب منصوب بفعلٍ يفسِّره أخشاه . يقول : قد ضعفَتْ قواه عن حمل سلاح الحرب ، وصار فى حال من لا يقدر على تصريف البعير إذا ركبه ، ويخاف الذئب أن يعدوَ عليه ، ويتأذّى بالرِّيح إذا هبّت ، والأمطار إذا نزلت .

وحجر بضم الحاء المهملة والجيم هو أبو امرئ القيس الشاعر . وقوله : « طال ذا عمرا » هو تعجُّب . أى ما أطولَ هذا العمر .

وقوله : « من بعد ما قوّة » إلخ ما زائدة . وأُعالج ، أى أُقاسى أمراضَ الكبر [2] .

* * *

(١) الآية ٧١ من سورة يس .

(٢) هذا ما فى ش . وفى ط : « أى أقاسى فى أمراض الكبر » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من أبيات الأصول (١) :

٥٤٦ (فيها اثنتانِ وأربعونَ حلوبةً سُودًا كخافية الغُراب الأسحَمِ)

على أنَّه يجوز وصف المميِّز المفرد بالجمع باعتبار المعنى ، كما فى البيت ، فإنَّ (حلوبة) مميِّز مفرد للعدد وقد وصف بالجمع ، وهو سُود : جمع سوداء .

قال ابن السَّرَّاج (فى الأُصول) : وتقول : عندى عشرون رجلًا صالحًا ، وعشرون رجلًا صالحون ، ولا يجوز صالحين على أن تجعله صفة رجل . فإن كان جمعًا على لفظ الواحد جاز فيه وجهان تقول : عندى عشرون درهما جيادًا وجيادٌ . ومن رفع جعله صفة للعشرين ومن نصب أتبعه التفسير . وهذا البيت ينشَد على وجهين :

فيها اثنتـان وأربعـون حَلوبـةً سُودًا كخافية الغُراب الأسحَمِ

ويروى « سودٌ » بالرفع . وتقول : عندى ثلاث نسوةٍ عجوزان وشابَّةٌ ، وعجوزين وشَابَّةٌ ، تردُّ مرَّةً على ثلاث ، ومرّة على نسوة . انتهى .

فعرف أنَّ كلام الشارح ليس على إطلاقه ، وينبغى تقييده بأن تكون الصفة على زنة المفرد ، بأن لا تكون جمعًا .

وبالنصب والرفع رواه شُرَّاح معلقة عنترة .

قال أبو جعفر والخطيب التبريزى : قوله سودًا نعت لحلوبة ،

(١) يعنى أصول ابن السراج . والبيت من شواهد ابن يعيش ٣ : ٥٥ / ٦ : ٣٤ وشذور الذهب ٢٤١ والأشمونى ٤ : ٧٠ والعينى ٤ : ٤٨٧ .

لأنّها فى معنى الجماعة ، والمعنى من الحلائب . ويروى : « سودٌ » على أن يكون نعتا لقوله اثنتان وأربعون . فإن قيل : كيف جاز أن ينعتهما وأحدُهما معطوف على صاحبه ؟ قيل : لأنّهما قد اجتمعا فصارا بمنزلة قولك : جاءَ زيد وعمرٌو الظريفان . انتهى .

٣١١

قال العينى : الشاهد فى قوله سودًا ، فإنّها نعتٌ لقوله حلوبة ، وروعىَ فيها اللفظ . انتهى .

ووجه ما قاله شُرَّاح معلقةِ عنترة : أبو جعفر النحوى ، والأعلم ، والخطيب ، أنَّ الحلوبة تستعمل فى الواحد والجمع على لفظٍ واحد ، يقال ناقةٌ حَلوبة وإبلٌ حلوبة .

وقال الزّوزنى (فى شرح المعلقة) : الحلوبة : جمع الحلوب عند البصريِّين ، وكذلك قَتوبة وقتوب ، ورَكوبة وركوب . وقال غيرهم : هى بمعنى محلوب ، وفعولٌ إذا كان بمعنى المفعول جاز أن تَلحقه التاء [٢] . انتهى .

وعلى هذا لا شاهد فيه ، ويكون من وصف الجمع بالجمع .

ولم يذكر الإمام المرزوقىُّ (فى شرح الفصيح) غير هذا الأخير ، قال : وفعول إذا كان فى معنى مفعول قد تلحقه الهاء ، نحو : رَكوبة وحَلوبة وقَتوبة . وأنشد هذا البيت .

وبما تقدَّم يُردُّ قول الأعلم ، فى زعمه أنَّ سودًا ليس بوصفِ الحلوبة . قال : قوله سودًا حال من قوله اثنتان وأربعون ، وهو حال من نكرة .

---

(١) ط : « يلحقه التاء » .

ويجوز رفعه على النعت . ولا يكون نعتًا لحلوبة لأنَّها مفردة ، إذا كانت تمييزًا للعدد ، وسودًا جمع ، ولا ينعت الواحد بالجمع . انتهى .

ويُعرفُ جوابُه مما سُقناهُ .

صاحب الشاهد والبيت من معلقة عنترة بن شدَّاد العَبسى ، وقبله :

(ما راعَنى إلَّا حَمولـةُ أَهلِهـا وَسْطَ الدّيار تَسَفُّ حبَّ الخِمْخِم)

راعنى : أفزعنى . والحمولة ، بفتح الحاء : الإبل التى يُحمَل عليها . ووسْطَ ظرف . وتسَفّ : تأكل ، يقال سَفِفْت الدواء وغيره بالكسر ، أَسَفُّه بالفتح . قال أبو عَمرو الشيبانى : والخِمخِم ، بكسر الخاءين المعجمتين : بقلة لها حبٌّ أسوَد ، إذا أكلته الغنم قلَّت ألبانها وتغيَّرت . وإنَّما وصفَ أنَّها تأكل هذا لأنَّها لم تجد غيره . وروى ابنُ الأعرابى : « الحِمحِم » بكسر الحاءين المهملتين ، يروى بضمهما . وقال : الحِمحم أسرع هَيْجًا ، أى يُبْسًا ، من الخمخم . وإنَّما راعه كون الحمولة وسط الدَّار لأنَّها كانت عازبةً فى المرعى ، فلما أرادوا الرَّحيل ردُّوها إلى الديار ليتحمَّلوا عليها ، فأفزعَه ذلك .

وقال الخطيب : معنى البيت أنَّه راعه سَفُّ الحمولة حبَّ الخِمخِم ، لأنَّه لم يبق شىء إلَّا الرحيل ، فصارت تأكل حبَّ الخمخم ، وذلك أنَّهم كانوا مجتمعين فى الربيع ، فلما يبس البقل ارتحلوا وتفرَّقوا . يقول : لمَّا جئتُ فنظرْتُ إلى أهلها قد تحمَّلوا أفزعنى ذلك ، لفراق إيَّاها . وقوله : « فيها اثنتان وأربعون حلوبة » إلخ أى فى هذه الحمولة من النُّوق التى تُحلَب اثنتان وأربعون حَلوبة .

وقال العينى : الضمير راجعٌ للرِّكابِ [1] فى بيت قبله .

---

(١) فى النسختين : « للركائب » ، صوابه من العينى . ونصه : « فيها ، أى فى الركاب » . وروى فى البيت قبله : « زمت ركابكم بليل مظلم » .

وهذا خلافُ الظاهر مع القرب . وفيها خبر مقدَّم ، واثنتان مبتدأٌ مؤخر ، والجملة حال من الحمولة .

وقال أبو جعفرٍ ، والخطيب : اثنتان مرفوع بالابتداء ، وإن شئت بالاستقرار . يريد أَنَّ فيها حالٌ من حمولة ، واثنتان فاعلُ فيها . وقالا : ويروى : « خليَّة » بفتح الخاء المعجمة بدل حَلوبة . والخليَّة : أَن يُعطَف على الحوار ثلاثٌ من النوق ، ثم يَتخلَّى الراعى بواحدةٍ منهنّ . فتلك الخليَّة . وأَوضحُ منه أَنَّ الخلية ناقةٌ تعطف مع أخرى على ولدٍ واحد فتدرَّان عليه ، ويتخلَّى أَهلُ البيت بواحدةٍ يحلبونها . ٣١٢

وقوله : (كخافية) صفة سودًا . وشبَّه سواد تلك النوق الحلائب بسوادِ خوافى الغراب ، وهى أَواخر الرِّيش من الجناح مما يلى الظَّهر ، سميت بذلك لخفائها . و (الأَسحَم) : الأَسود . وإنَّما خَصَّ الخَوافىَ لأَنَّها أَسبط وأَشدُّ بريقًا وأَلين . وإنَّما ذكر أَنَّ فى إبلهم هذا العددَ من الحلوبة السُّود ليخبر بكثرتهم ، وكثرة إبلهم ، لأَنَّه إذا كان فى إبلهم هذا العدد من هذا الصنف على غرابته وقلَّته ، فغيره من أصناف الإبل أَكثر من أَن يُحصَى عدده . وإنَّما وصفَها بالسُّود لأَنَّها أَنفسُ الإبل عندهم وأَعزُّها .

وترجمة عنترة صاحب المعلقة تقدَّمت فى الشاهد الثانى عشر من أَوائل الكتاب [1] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٢٨ – ١٢٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٥٤٧ (وكانَ مَجنِّى دُونَ مَنْ كُنْتُ أتَّقِى ثلاثَ شُخوصٍ : كاعبان ومُعْصِرُ)

على أنَّه يجوز اعتبار المعنى فتجرَّد علامة التأنيث من عدد المؤنَّث المعنوى ، كما هنا ، فإنَّه جرَّد ثلاثًا من التَّاء لكون شخوص بمعنى نساء ، بدليل الإبدال عنه بما بعده .

قال سيبويه : وزعم يونس عن رؤبة أنَّه قال : ثلاث أنفُس [٢] على تأنيث النفس ، كما تقول : ثلاث أعين للعين من الناس . قال الحطيئة :

ثلاثة أنفسٍ وثلاثُ ذَودٍ لقد جار الزَّمانُ علَى عيالِى [٣]

وقال عمر بن أبى ربيعة :

فكان مجنِّى دونَ من كنتُ أتَّقى ثلاثَ شُخوصٍ : كاعبانِ ومُعْصرُ

فأنَّث الشخص إذْ كان فى المعنى أُنثى . انتهى

قال أبو جعفر النحَّاس : قرأت على أبى الحسن علىّ بن سليمان ، عن أبى العباس المبرد هذا البيت . قال أبو العباس : لما اضطُرَّ جعل الشخص بدلًا من امرأة إذْ كان يقصدها به ، ولذلك قال : كاعبان ومعصر ، فأبان .

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٧٥ . وانظر المقتضب ٢ : ١٤٨ والكامل ٣٨٣ وأمالى الزجاجى ١١٨ والخصائص ٢ : ٤١٧ والإنصاف ٧٧٠ والمقرب ٦٧ والعينى ٣ : ٤٨٣ والتصريح ٢ : ٢٧١ ، ٢٧٥ والأشمونى ٣ : ؟ وديوان عمر ٩٢ .

(٢) فى النسختين : « ثلاثة أنفس » ، صوابه فى سيبويه واللسان (نفس ١٢١) .

(٣) ديوان الحطيئة ١٢٠ .

ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ مَنْ جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالِها [1] ﴾ لأنَّ المعنى واقعٌ على حسنات ، وأمثال نعتٌ لما وقع عليه العدد . وكذلك : ﴿ وقطَّعناهم اثنتى عَشْرَة أسباطًا [2] ﴾ لأنَّ المعنى واقعٌ على جماعات . وعلى هذا تقول : عندى عشرة نسَّابات ، لأنَّك تريد الرِّجال ، وإنَّما نسابات نعت . وتقول إذا عَنَيتَ المذكَّر : عندى ثلاثةُ دوابَّ يا فتى ، لأنَّ الدَّوابَّ نعت ، فكأنك قلت : عندى ثلاثة براذين دوابّ . وتقول : عندى خمسٌ من الشاءِ ، لأنَّ الواحدة شاةٌ لذكرٍ كان أو أنثى . انتهى .

وما نقله عن المبرِّد هو مسطور (فى الكامل) قال فيه : قوله ثلاث شخوص ، الوجه ثلاثة شخوص ، ولكنَّه لما قَصد إلى نساءٍ أنَّث على المعنى . وأبان ما أراد بقوله : كاعبان ومعصر . ومثله قولُ الشاعر [3] :

فإنَّ كلابًا هذه عَشْرُ أبطُنٍ ... وأنتَ برىءٌ مِن قبائِلها العَشْرِ

فقال : عشر أبطن لأنَّ البطن قبيلة ، وأبان ذلك فى قوله من قبائلها العشر . وقال الله عز وجلّ : ﴿ مَنْ جاء بالحسَنة فله عشرُ أمثالها ﴾ ؛ لأنَّ المعنى حسنات . انتهى .

وكذا قال السكرى (فى شرح أشعار اللصوص) ، قال : كان يجب أن يقول ثلاثة ، لأنَّ الشخوص مذكَّرة ، ولكنَّه ذهب إلى أعيان النِّساء ، لأنَّهنَّ مؤنثات ، وإن كان سبب اللفظ مذكَّرًا . ٣١٣

(١) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

(٣) هو النواح الكلابى . والبيت من شواهد سيبويه ٢ : ١٧٤ .

وقد أدرج ابن جنى (فى الخصائص) هذا فى فصل سمّاه الحَمْل على المعنى ، قال : اعلم أنَّ هذا الشرج [١] غَورٌ من العربيّة بعيد ، ومذهب نازح فصيح ، قد وردَ به القرآن وفصيحُ الكلام ، منثورًا ومنظوما ، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ، وتصوُّرِ معنى الواحد فى الجماعة والجماعةِ فى الواحد . ثمَّ قال : فمن تذكير المؤنَّث قولُ الحطيئة : ثلاثة أنفس ، ذهب بالنَّفس إلى الإنسان فذكَّر . وقال عمر : « ثلاثُ شخوص » ، أنَّث الشخص لأنَّه أراد به المرأة . انتهى .

وقال ابن السِّكِّيت (فى كتاب المذكَّر والمؤنَّث) : أنَّث الشُّخوص لأنَّها شخوصُ إناث . فلو قلت ثلاثة شخوص كان أجود ، لأنَّ الشخص ذكر وإن كان لأُنثى . وممَّا اجتمعت عليه العرب لإيثار المضمر على الظاهر قولهم : ثلاثة أنفس ، وثلاثة أعيان . والخليل يختار : ثلاث أعين . والعين والنفْس أنثيان ، فذهبوا إلى أعيان الرجال وأنفس الرجال . فإذا وجَّهت النفس إلى الرجل أو المرأة ذهبت بهما جميعًا إلى التذكير ، لأنَّه غير مؤنث ، فتصير النَّفْس تؤدِّى عن الإنسان ، ويؤدِّى الإنسان عن الذكر والأُنثى ، فتقول : ثلاثة أنفس كما تقول : ثلاثة من الناسِ وإن عنيتَ نساء . فإذا أردت الزَّوجَ كانت النفسُ أُنثى ، وإذا أفردتَها بفعل أو وصفتها به عاملتها معاملة التأنيث ، كما قال الله تعالى : ﴿ خلقَكم من نفسٍ واحِدَة [٢] ﴾ ولم يقل واحد وهو آدم . وقد يجوز لكَ أن تذهب إلى المعنى ، فإن كانت أُنثى أنَّثت ، وإن كان ذكرًا ذكَّرت . وليس بالوجه . انتهى .

---

(١) الشرج ، بالجيم : النوع . وفى النسختين : « الشرح » ، تحريف .

(٢) الآية ٦ من سورة الزمر .

و (المِجنّ) بكسر الميم : التُّرس . قال العينى : ويروى : « فكان نصيرِى » ، بدل مجنِّى ، ومعناه مانِعِى وساترى . ويروى : « بصيرى » بالباء الموحدة ، جمع بصيرة ، وهى التُّرس . حكاه أبو عبيدة . وقال ابن سِيده : يؤيِّده رواية من روى : « فكان مجنِّى » . قال : وأكثر الناس يروونه « نصيرى » ، بالنون . وهو تصحيف . وقال أبو الحجّاج : هذا القول فيه إفراط ، ورواية النون غير بعيدة مِن الصَّواب ، وإن كان رواية الباء أظهر لقوله « دون » ، ولم يقل « على » المستعملةِ مع النَّصر فى مثلِ هذا النحو . انتهى .

و (الكاعب) قال الجوهرىُّ : هى الجارية حين يبدو ثديُها للنُّهود . وقد كعَبت تكعُب بالضم كُعُوبًا ؛ وكعَّبت بالتَّشديدِ تكعيبا مثله . و (مُعْصِر) بضم الميم وكسر الصاد ، هى الجارية أوّل ما أدركت وحاضت . يقال قد أعصرت ، كأنَّها دخلت عصر شبابها أو بلغتْه . قال الراجز [١] :

جارية بسَفَوانَ دارُها ... يرتجُّ عن مثل النَّقا إزارُها

قد أعصرَتْ أو قد دنا إعصارُها

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لعمر بن أبى ربيعة تقدَّم نقلها فى الشاهد التسعين بعد الثلثمائة [٢] . وهذه أبيات قبله :

أبيات الشاهد

(فلما تقضّى اللَّيلُ إلَّا أقلَّهُ ... وكادتْ تَوالِى نجمِه تتغوَّرُ [٣]

---

(١) هو منظور بن مرثد ، كما فى العقد ٣ : ٤٦٠ ، واللسان (عصر) .

(٢) الخزانة ٥ : ٣١٦ - ٣٢١ .

(٣) ويروى : « وكادت هوادى » .

٣١٣

أَشارت بأَنَّ الحىَّ قد حان منهمُ هُبوبٌ ولكن موعدٌ لك عَزْوَرُ ،
فلمَّا رأَت من قد تنوَّرَ منهمُ وأَيقاظَهمْ قالت:أَشِرْكيف تأْمرُ (١)
فقلتُ : أُبادِيهمْ فإِمَّا أَفوتُهمْ وإِمَّا يَنالُ السَّيفُ ثأرًا فيثأَرُ
فقالت : أَتحقيقًا لما قال كاشحٌ علينا ، وتصديقًا لما كان يُؤثَرُ
فإِنْ كان ما لا بدَّ منه فغيرُهُ من الأَمر أَدنى للخفاءِ وأَستَرُ
أَقصُّ على أُختَىَّ بدءَ حديثنا ومالىَ من أَن تعلما مُتأَخَّرُ
لعلَّهما أَن تَبغِيا لكَ مَخرجًا وأَنْ تَرحُبَا سَرْبًا بما كنتُ أَحْصَرُ (٢)
فقالت لأُختيها : أَعينَا على فتًى أَتى زائرًا ، والأَمر للأَمرِ يُقْدَرُ
فأَقبلَتا فارتاعتا ثم قالتا : أَقلِّى عليكِ اللَّومَ فالخطبُ أَيسَرُ (٣)
يقومُ فيمشى بينَنا متنكِّرًا فلا ميرُّنا يَفْشُو ، ولا هو يُبصَرُ (٤)
فكان مجنِّى دون مَن كنت أَتَّقى ثلاثَ شخوصٍ كاعبان ومُعصِرُ)

التوالى : التتابع (٥) . وتتغوَّرُ : تغور فتذهب ، وهو مأْخوذ من الغَور . والهبوب : الانتباه ، يقال هبَّ من نومه ، إِذا استيقظ .

وعَزْور ، بفتح العين المهملة وسكون الزاى المعجمة بعدها واو

---

(١) فى الديوان ٩٠ : « من قد تنبه » ، وأشير إلى رواية « من قد تثور » بالثاء .

(٢) فى الديوان : « لعلهما أن تطلبا » .

(٣) بين هذا البيت وتاليه فى الديوان :

فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفى ودرعى وهذا البرد ، إن كان يحذر

(٤) فى الديوان : « ولا هو يظهر » .

(٥) هذا حق ، ولكن ابن أبى ربيعة لم يرد بقوله « توالى نجمه » تتابعها . وانما أراد توالى : جمع تال ، وهو ما تأخر من النجوم هنا .

وفى اللسان (تلى ١١٢) : « والتوالى : ما تأخر » .

مفتوحة ، قال أبو على : هى ثنيَّة الجُحفةُ . وقال السَّكونىُّ : عزور : جبلٌ بينَه وبين جبل رضوَى قدرُ شوطِ الفرس . وهما جبلان شاهقان منيعان لا يرُومُهما أحد . ورَضوى من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ، مُيامِنةً طريق المدينة ، ومياسِرةٍ طريق البرِّ [١] لمن كان مُصعِدًا إلى مكة ، وعلى ليلتين من البحر . كذا (فى معجم ما استعجم) للبكَرى .

وأيقاظ : جمع يَقُظ ، بفتح الياء وضم القاف [٢] ، بمعنى يقظان .

وقوله : « فقالت أتحقيقًا » من كلام العرب : أَكُلَّ هذا بخلًا . وذلك أنَّه رآه يفعل شيئًا يكره فقال : أَكلَّ هذا تفعَلُ بخلا .

وقوله : « أُباديهم » يريد أُظهر لهم ، غير مهموز . يقال بدا يبدو غير مهموز ، إذا ظهر .

وقوله : « بدءَ حديثنا » يريد أوّل حديثنا .

وقوله : « وأن ترحبا » ، يريد أن تتّسعا ، أى تتّسع صدورهما ، من قولك : فلان رحيب الصدر . وقوله « أحصَر » أى أضيق به ذَرْعا ، يقال حَصِر صدُره ، بمهملات ، من باب فرح ، إذا ضاق . والسَّرْب ، بالفتح [٣] : الطريق .

---

(١) وكذا فى معجم ما استعجم ٦٥٥ . وصوابه « البريراء » ، كما فى كتاب عرام الذى ينقل عنه البكرى . انظر نوادر المخطوطات ٢ : ٣٩٦ .

(٢) وكذا يقظ ، بفتح فكسر ، كما فى القاموس واللسان .

(٣) الأولى أن يقال بالفتح وبالكسر ، من قولهم : إنه لواسع السرب ، بالكسر ، أى الصدر والرأى والهوى ، كما فى اللسان (سرب ٤٧٧) . وفى القاموس : « وبالكسر : القطيع من الظباء والنساء وغيرها ، والطريق ، والبال ، والقلب ، والنفس » ، بعد أن ذكر أن السرب بالفتح الماشية كلها ، والطريق ، والوجهة ، والصدور ، والخرز » .

وقوله : (فكان مِجنّى) إلخ أى وقايتى . ودُونَ بمعنى قدّام . ومِجنّى اسم كان ، وثلاثَ بالنصب خبرها ، ومَن موصولة والعائد محذوف ، أى أتّقيه .

ويروى أنَّ يزيد بن معاوية لمَّا أراد توجيهَ مسلم بن عُقبة إلى المدينة اعترض الناسَ ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشام ومعه تُرسٌ قبيح ، فقال : يا أخا أهل الشام ، مِجنُّ ابن أبى ربيعة أحسن من مِجنِّك . يشير إلى هذا البيت .

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدَّمت فى الشاهد السابع والثمانين [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [2] :

٥٤٨ (كأنَّ خُصيْيْهِ من التَّدلْدُلِ ظَرفُ عجوزٍ فيه ثِنْتا حَنْظَلِ)

على أنَّه ضرورة ، والقياس حنظلتان بدون العدد ، لما بيَّنه الشارح المحقق .

وأورده سيبويه فى باب تكسير الواحد للجميع بعد باب العدد . قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة ثنتا إلى الحنظل ، وهو اسم يقع على جميع الجنس . وحقُّ العدد القليل أن يضافَ إلى الجمع القليل . وإنَّما جاز على تقدير : ثنتان من الحنظل . هذا كما قال : ثلاثة فلوس [3] ، أى ثلاثة من هذا

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٧٧ ، ٢٠٢ . وانظر إصلاح المنطق ١٨٩ والمقتضب ٢ : ١٥٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٠ وابن يعيش ٤ : ١٤٣ ، ١٤٤ / ٦ : ١٨ والمقرب ٨٠ وشرح شذور الذهب ٤٥٨ والعينى ٤ : ٤٨٦ والدرر اللوامع ١ : ٢٠٩ وسيأتى فى ص ٥٢٦ .

(٣) كلمة « هذا » ليست فى الشنتمرى .

٣١٥ الجنس ، على ما بيّنه فى الباب . والتَّدلْدل : التعلق والاضطراب . وكان الوجهُ أن يقول : حنظلتان ، فبناه على قياس الثلاثة وما بعدها إلى العشرة [١] . وإنّما خصَّ ظرف العجوز لأنّها لا تستعمِل طِيبا ولا غيرَه مما يتصنّع به النِّساءُ للرجال ، يأسًا منهم [٢] ، ولكنّها تدخر الحنظل ونحوَه من الأدوية . وظرف العجوز هو مِزودها الذى تخزُن فيه متاعَها . انتهى .

وهذان البيتان أوردهما أبو تمام (فى باب الملح من الحماسة) . وروى : « سحق جراب » بدل ظرف عجوز ، قال ابن جنى فى إعرابها : أخرج التثنية عن أصلها [٣] ، وذلك أنَّ قياسها على الجمع عندى اثنا رجال [٤] ، كقولهم : عندى ثلاثة رجال ، غير أنَّ التثنية لمّا أمكنك فيها انتظام العِدّة وبيانُ النوع ، غَنِيتَ بقليل اللفظ عن كثيره ، أى غَنِيتَ برجلان عن اثنا رجال . فلمّا قال ثنتا حنظل علمتَ بذلك أنّه أخرجه على قياس الجمع [٥] . ويريد : كأنَّ

(١) يعنى إضافة العدد إلى تمييزه .

(٢) يريد يأسا من الرجال . وفى الشنتمرى : « ليأسها منهم » . وبعده وهو ختام ما فى الشنتمرى : « وإنما تدخر فيه ما تتعانى ، من الحنظل وغيره » . فما بعد « منهم » من الكلام هنا لم يرد فى الشتمرى .

(٣) ش : « على أصلها » وكذا فى إعراب الحماسة الورقة ٢٤٦ . والوجه « عن أصلها » كما فى ط ، لأن أصل التثنية ألا يذكر معها العدد فيقال رجلان وحنظلتان .

(٤) فى إعراب الحماسة : « على الجمع أن يقال : عندى اثنا رجال » .

(٥) فى النسختين : « عن قياس الجمع » ، صوابه فى إعراب الحماسة ، وذلك لأن الراجز خرج عن أصل التثنية ، وجرى على قياس الجمع .

خصيبه بما عليهما من الصَّفَن ، أو كأنَّ ما عليهما منه بهما ، سَحْقُ جِراب فيه ثنتا حنظل ، فحذف اختصارًا ، أو عِلمًا بما يعنيه . انتهى .

وأورده الشارح المحقِّق فى باب التثنية . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله هناك فى وجه تثنية خُصْى .

و (السَّحق) بالفتح : الخَلَق . و (الحنظل) واحدها حنظلة . وروى عن أبى حاتم أنَّه قال : الحنظل ههنا الثُّوم . وأوردهما الأعلم (فى حماسته) برواية : « ظرفُ عَجوز » . وكُتِب فى الهامش : شبَّه خصيتيه فى استرخاء صفَنهما وتجلجُل بيضتهما ، حين شاخ واسترخت جلدة استه ، بظرف عجوز [1] فيه حنظلتان . وخصَّ العجوز لأنَّها لا تستعمل الطِّيب ولا تتزيَّن للرِّجال ، فيكون فى ظرفها ما لا تتزيَّن به ، ولكنَّها تدَّخر الحنظل ونحوَه من الأدوية . ويحتمل أن يكون هذا فى وصف شجاع لا يجبُن فى الحرب فتتقلَّص خصيتاه . ويحتمل أن يكون هجوًا . ووجهه أنَّه يصف شيخًا قد كبر وأسنَّ ؛ ولذلك قال : ظرف عجوز ، لأنَّ ظرف العجوز خَلَقٌ متقبِّض فيه تشنُّج لِقِدَمه ، فلذلك شبَّه جلد الخُصية به للغضون التى فيه . والأولى أن يكون هجوا لِذِكْرِهِ العجوز ، مع تصريحه بذكر الخُصيتَين . ومثل هذا لا يصلح للمدح . انتهى .

وهذا الكلام هو ما قاله أبو عبد الله النَّمَرىُّ (فى شرح الحماسة) ، وزيَّفه أبو محمد الأعرابى ، الشَّهير بالأسود الغُنْدجانىّ . قال (فيما كتبه على شرح النمرى) : قال أبو عبد الله : هذا يحتمل الذَّم والمدح ، إلَّا أن يكون له

(١) ش : « كظرف عجوز » .

تمام فيُحْمل عليه [١] . فأمّا الذم فهو أن يصف شيخا قد اضطرب جلده لكبر سنّه وهَرَمه . وأمّا المدح فهو أنّ الأبطال يوصفون ، إذا شهدوا الحرب ، بطُول الخُصى وقلّة تقلُّصها . قال أبو محمد الأعرابيّ : هذا موضع المثل :

* لا تقعَنَّ البحرَ إلّا سابحا *

قوله : « هذا يحتمل الذم والمدح » يدلّ على أنه لم يمارس الأشعار والأراجيز ، ولم يستقْرِ الدواوين . ومثل هذا البيت لا يعرف مَعناه قياسًا إلا بمعرفة ما يتقدّمه من الأبيات . وقد أثبتُّها لك ههنا لئلا يشتبهَ عليك من معنى البيت ما اشتبه على أبي عبد الله ، فتكونا زَنْدين فى مرقّعة [٢] .

والأبيات لخِطامٍ المجاشعي ، وهى من نوادر الرجز : صاحب الشاهد

أشطار الشاهد ٣١٦

(يارُبَّ ببضاءَ بُوعْسِ الأرْمُلِ شبيهةِ العين بعينَىْ مُغْزِلِ
فيها طِماحٌ عن حَليلٍ حَنْكَلِ وهى تُدَارِى ذاك بالتجمُّلِ
قد شُغِفَتْ بناشئٍ هَبَرْكَلِ ينفُض عطفَىْ خَضِلٍ مرجَّلِ
يُحسَب مختالًا وإن لم يَخْتَلِ دَسَّ إليها برسول مُجمِلِ
عَنْ كيفَ بالوصل لكم أم كيف لى فلم تزلْ عن زوجها المُخْتشِلِ
ابعثْ وَكنْ فى الرّائحين أو كُلِ وكلُّ ما أكلت فى محلَّلِ

(١) فى النسختين : « فيعمل عليه » ، والوجه ما أثبت .

(٢) فى أمثال الميدانى ١ : ٢٩٢ : « قال أبو عبيد : نرى المرقعة كنانة أو خريطة قد رقعت . يضرب للرجل المحتقر لا يغنى شيئا » . والمراد هنا أنهما مستويان فى الخسة . وانظر المستقصى ٢ : ١١١ وأساس البلاغة (زند) .

وأَوْقِـرَنَّ يا هُدِيتَ جملى حتى إذا دبَّ الرِّضَا فى المِفْصلِ
وكان فى القلب تُحيتَ المَسْعَلِ ثم غدا الشَّيخُ لها بأَزْفَلِ
من الرِّضَا جنعْدَلِ التكتُّلِ كأَنَّ خُصيْيَهِ من التَّدلدُل
ظرفُ عجوزٍ فيه ثنتا حَنظل لمَّا غدا تبهَّلت : لا تأْتلى
عنْ : رَبِّ ياربِّ علَيه عجِّل برهْصةٍ تقتلُه أو دُمَّلِ
أَوحيَّةٍ تَعَضُّ فوقَ المِفْصَلِ)

قال أَبو محمد الأَعرابى : فقوله « كأَنَّ خُصيَيْه من التدلدل » أَذَمُّ ذَمٍّ يكون فى الشيخ . وذلك أَنَّهما يتدلَّيان من الكبر ، كما قال الآخر .

قد حلفَتْ بالله لا أُحبُّه أَنْ طال خُصياهُ وقَصرَ زُبُّه

يقال لمن هذه صفته : الدَّوْدَرِىُّ [(١)] . انتهى ما أَورده .

وبيضاء : امرأَةٌ حسناء . والوُعْس : جمع وعساء ، وهى أَرضٌ ليِّنة ذات رمل . والأَرمُل : جمع رمل . ومُغْزل : ظبيةٌ ذات غزال . شَبَّه عينها بعين الظبية .

والطِّماح بالكسر : الجماح . والحليل : الزَّوج . وروى : « خليل » بالمعجمة ، وهو الصديق . والحنكل بفتح الحاء وسكون النون وفتح الكاف : القصير ، واللئيم ، والجافى الغليظ . كذا فى القاموس . وتدارى من المداراة . والتجمُّل : تكلُّف الجميل .

وقوله : « قد شُغفتْ » هو جواب ربَّ . وشَغَفَ الهوى قلبَه ، من باب نفع ، إذا بلغ شَغَافه بالفتح ، أَى غِشَاءَه . والناشئ ، مهموز الآخر ، وهو

---

(١) فى اللسان (ددر) : « الدودرى : العظيم الخصيتين ، لم يستعمل إلا مزيدا ، إذ لا يعرف فى الكلام مثل ددر » .

الحدَث الذى جاوز حدَّ الصِّغر . والهبَركل ، بفتح الهاء الموحَّدة وسكون الراء وفتح الكاف : الشابُّ الحسن الجِسْم . وينفُض : يحرِّك . والعِطف ، بالكسر : الجانب . ونَفْضُ العِطف كنايةٌ عن العُجب والغرور . والخَضِل ، بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين : الرَّطب ، والناعم . أى قَوَامٌ خَضِل . والمرجَّل : الموشَّى والمزيَّن .

ويُحسب بالبناء للمفعول . والضمير للناشئ . والمختال : المعجَب بنفسه . وإن لم يَختَل ، أى وإن لم يُعجبْ بنفسه ، وأصله يَختال : حذفت الألف لالتقاء الساكنين بالجزم . ودسَّ : أرسلَ بخفية . والباء فى برسول زائدة . ومُجمل : اسم فاعل من أجمل فى الطلب ، إذا رفَق .

وقوله : « عن كيف » إلخ عن لغة فى أنْ ، وهى تفسيرية . والمُخْتَشِل : اسم فاعل من اختشَل ، بالخاء والشين المعجمتين ، إذا ذلّ وضعُف .

والمِفصَل ، بكسر الميم وفتح الصاد : اللسان . وتُحيتَ : مصغر تحت . والمَسْعَل : محل السُّعال . والأَزفَل ، بفتح الهمزة وسكون الزاى وفتح الفاء : الغضب والحدّة .

وقوله : «من الرضا [1] » إلخ من ابتدائية . وجَنَعْدَل ، بفتح الجيم وضمها وفتح النون وسكون العين وفتح الدال : الصُّلب الشديد . والتكتُّل : الاكتناز . وتبهَّلت : تضرَّعت ، و دعت . ولا تأْتلى : لا تقصِّر . ٣١٧

وعَنْ لغة فى أَنْ . ورَبِّ منادى . والرَّهْصَة ، بفتح الراء : أن يتلف باطنُ حافر الدابة من حجرٍ يَطؤه .

والدَّوْدَرِىُّ ، بفتح الدال وسكون الواو وفتح الدال الثانية

(١) كُتبت « الرضا » فى الرجز وفى التفسير هنا بالياء فى ش . وهى صحيحة . وفى اللسان : « وتثنية الرضا رضوان ورضيان ، الأولى على الأصل ، والأخرى على المعاقبة » .

وكسر الراء وتشديد الياء [١] . وفيه لغة أُخرى : دَرْدَرِيٌّ بالراء موضع الواو . وقال صاحب القاموس : هو الآدَر ، الطويل الخُصيتَين ، والذى يذهب ويجىء فى غير حاجة .

وقال ابن المستوفِى : ويروى قبل الرجز الشاهد قولهُ :

(تقول : يا ربّاه ، ياربِّ هَلِ إن كنتَ من هذا منجِّى أحبُلِى
إمّا بتطليقٍ وإمّا بارْحِلِى أو ارمِ فى وَجْعائه بدُمَّلِ)

وقال العينى فى هذا : الرجزُ لجندل بن المثنَّى . وفى (شرح الفصيح) قال ابن السيرافى : قالته سَلمى الهذلية . انتهى .

أقول : شرح ابن السيرافى هذين البيتين (فى شرح أبيات إصلاح المنطق) ولم يذكر هذه الأبياتَ الأربعةَ المتقدِّمة عليهما ، ولا نسبَ الرجزَ لأحد . وهذه عبارته : التدلدل : تحرُّك الشىء المعلَّق واضطرابه . وظرفُ العجوز : الجرابُ الذى تجعل فيه خُبزَها وما تحتاج إليه . وظرف العجوزِ خَلَقٌ متقبَض ، فيه تشنُّج لِقدمه . شبَّه جلد الخُصية به ، للغُضون التى فيه . وشبَّه الأُنثيين فى الصَّفَنِ بحنظلتين فى جراب . انتهى .

وقال ابن المستوفى : قال ابنُ السيرافىّ : حكى هذا الشاعر عن امرأةٍ أنّها دعَتْ على زوجها وطلبت الراحةَ منه . وقولها : « هَلْ » أرادت هل تحسنْ

---

(١) ضبط فى اللسان ضبط قلم بفتح الراء المخففة مع القصر ، وفى القاموس : « والدودرى كيهيرى : الذى يذهب ويجىء فى غير حاجة ، والآدر والطويل الخصيتين ، كالدردى » . وذلك بتشديد الراء المفتوحة مع القصر أيضا .

إلىَّ بتفريقِ ما بينى وبينه من الوُصلة وعَقْد التزويج . والأَحبُل : جمعَ حبل ، وهو ما بينهما من العَقد . ومنجِّى : خبر كنت ، وأَسكن الياء من أَجل القافية . وقوله : « إمّا بتطليق » : إمَّا أَن يطلِّق طلاقًا بيّنا . وإمَّا أَن يقول ارحَلى ، يريد به الطلاق . وحذفَ المستفهم عنه [1] اعتمادًا على فهم السامع . وحذف جواب الشرط ، وهو إن كنت منجّيًا لِى من هذا الرجل فافعَلْ .

وقوله : « أَو ارمِ فى وجعائه » إلخ هذا البيت أُورده العينى بعد الثلاثة وقال : الوجعاء ، بفتح الواو وسكون الجيم والمد : الاست .

وتقدَّمت ترجمة خطام المجاشعى فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة [2] . ٣١٨

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأَربعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [3] :

٥٤٩ (فطافَتْ ثلاثًا بينَ يومٍ وليلةٍ وكان النَّكيرُ أَن تَضِيفُ وتجأَرا)

على أَنَّ العدد المميز بمذكَّر ومؤنَّث معًا المفصولَ بينه وبينهما بلفظِ بينَ أَو من ، أَو بالمجموع ، إن كان المميِّزان يومًا وليلة ، فالغلبة للتأْنيث ، فإنَّه اعتبر جانبَ المؤنَّث فذكَّر عدده . وإن كان المميِّزان غير يوم وليلة فالغلبة للتذكير .

---

(١) ط : « منه » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٨ .

(٣) فى كتابه ٢ : ١٧٤ . وانظر المقرب ٦٨ والمغنى ٦٦٠ وديوان النابغة الجعدى ٤١ .

وهاتان المسألتان صرَّح بهما سيبويه . وهذا نصه : وتقول : سار خمس عشرةَ من بين يومٍ وليلة ، لأنك أَلقيت الاسم على الليالى ثم بيَّنتَ فقلت : من بين يوم وليلة . أَلا ترى أَنَّك تقول : لخمسٍ بقين أَو خلون ، ويَعلمُ المخاطَب أَنَّ الأَيام قد دخلت فى الليالى . فإذا أُلقىَ الاسمُ على الليالى اكتُفِى بذلك عن الأَيَّام ، كما أَنَّك تقول : أَتيته ضَحوةَ وبُكرة ، فيعلم المخاطب أَنَّها ضحْوة يومِك وبكرةُ يومك . وأَشباه هذا فى الكلام كثير . فإنَّما قوله : « من بين يوم وليلة » توكيدٌ بعد ما وقع على اللَّيالى ، لأَنَّه قد عُلم أَنَّ الأَيام داخلةٌ مع اللَّيالى . قال النابغة الجعدىّ :

فطافت ثلاثًا بين يومٍ وليلة   يكون النَّكير أَنْ تَضيف وتجأَرا

وتقول : أَعطاه خمسة عشر من بين عبدٍ وجارية ، لا يكون فى هذا إِلَّا هذا ، لأَنَّ المتكلم لا يجوز له أَن يقول : خمسة عشر عبدًا فيعلم أَنَّ ثَمَّ من الجوارى بعدَّتهم ، ولا خمس عشرة جارية فيعلم أَنَّ ثَمَّ من العبيد بعدَّتهن ، فلا يكون هذا إِلَّا مختلطًا ، ويقعُ عليهم الاسم الذى بيِّن به العدد . وقد يجوز فى القياس خمسة عشر من بين يوم وليلة ، وليس بحدِّ كلام العرب . انتهى .

وقد عمَّم الشارح المحقق فى قوله : « الغلَبة للتذكير ، نحو اشتريت عشرةً بين عبد وأَمة ، ورأَيت خمسة عشر من النُّوق والجمال » . وفى المثالين أَربع صور . والأَوَّل ممن يعقل ، والثانى ممن لا يعقل ، وفى كلٍّ منهما إمّا تقديم المذكَّرِ وإمَّا تأْخيره . والحكم فى الصُّور الأَربع واحد ، وهو تأْنيث العدد .

وهذا صريح قول سيبويه : لا يكون فى هذا إلّا هذا . وهذا هو الظاهر ، فإن المذكّر عاقلًا كان أو غيره لشرفه يغلّب على المؤنث ، قدِّم أو أُخِّر . وهذا يشمل ما لو كان مع غير عاقل ، نحو : اشتريت أربعة عشر بين عبد وناقة ، أو بين ناقة وعبد . وكذا يغلّب مؤنّث العاقل على غيره ، فتقول : اشتريت أربع عشرة بين جَمَل وأَمَة ، أو بين أمة وجمل . قال أبو حيّان : وهذا هو القياس .

وقد خالف الفرّاء فى الثلاثة [1] الأخيرة من الأربع [2] فى عموم قول الشارح المحقّق ، فأوجب تذكير العدد فيها لِتغليب المؤنث ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يتربّصْنَ بأنْفُسِهِنَّ أربعةَ أشهرٍ وعَشْرا [3] ﴾ : وتقول : عندى ثلاثةٌ بين غلام وجارية ، ولا يجوز هنا ثلاث . فإن قلت : بين ناقة وجمل غلّبت التأنيث ولم تبالِ أبدأْتَ بالجمَل أو بالناقة ، فقلت : عندى خمس عشرة بين جمل وناقة . ولا يجوز أن تقول : عندى خمس عشرة أمة وعبدًا ، ولا بين أمَة وعبد [4] إلّا بالتذكير ، لأنَّ الذُّكرانَ من غير ما ذكرتُ لك لا يُجتَزأُ [5] منها بالإناث ، ولأنَّ الذكَر [6] موسوم بغير سمة الأُنثى . انتهى .

---

(١) ط : « فى الثلاث » والأوفق ما أثبت من ش .

(٢) كذا فى النسختين ، وهو جائز ، فإنّ المعدود إذا لم يذكر جاز فى العدد المطابقة وعدمها .

(٣) الآية ٢٣٤ من البقرة .

(٤) ط : « بين عبد وأمة » ، وأثبت ما فى ش ومعانى القرآن ١ : ١٥٢ .

(٥) ط : « لا تجتزىء » ، وأثبت ما فى ش ومعانى القرآن .

(٦) فى معانى القرآن : « ولأن الذكر منها » .

ونقل ابنُ السكيت كلامه هذا بحروفه (فى كتاب المؤنث والمذكر) و (فى كتاب إصلاح المنطق) .

ووافق أبو حيان الشارح فيمن يعقل وخالفه فيمن لا يَعقِل . قال (فى الارتشاف) : وإذا ميَّزت عددًا مركَّبا بمذكَّر ومؤنَّث ذَوَىْ عقل فالحكم فى العدد للمذكَّر ، سواء أقدِّم التمييز المذكر أم أُخِّر ، أو اتَّصل بالمركب أو انفصل ببينَ ، أو كان المذكَّر نِصفًا أو أقلّ . تقول : اشتريت خمسة عشر عبدًا وأمة ، أو أمة وعبدًا ، أو بين عبدٍ وأمة ، أو بين أمة وعبد ، تغلِّب المذكَّر ولو كان واحدًا . فإن عُدم العقل منهما فإمّا أن يتَّصل التمييزانِ بالمركَّب أو يُفصل ببينَ . فإن اتَّصل فالحكم للسابق منهما ، فتقول : اشتريت ستَّة عشَرَ جملا وناقة ، وست عشرة ناقة وجملا . وإن فَصَلت [1] بِبينَ فالحكم للمؤنث . تقول : اشتريت ست عشرةَ بين جملٍ وناقة ، وست عشرة بين ناقة وجمل . انتهى .

وقول الشارح المحقق : إذا أُبهمت الليالى ولم تَذْكُر [2] جرى اللفظ على التأنيث إلخ لم يجعله عند الإبهام من باب التغليب موافقةً لسيبويه ، إذ لا يصدق عليه تعريف التغليب ، وهو أن تعمَّ كِلَا الصِّنفين بلفظ أحدهما ، إذْ لم يذكر عند الإبهام شيءٌ من الليالى والأيّام حتى يغلب [3] أحدُهما على الآخر . وإنَّما أراد الشارح أنَّ الليالى مستلزِمةٌ للأيَّام ، والأيام تابعةٌ لها وداخلةٌ ٣١٥

---

(١) ش : « فضل » .

(٢) فى الرضى ٢ : ١٤٦ : « فلهذا إذا أبهمت ولم تذكر الأيام ولا الليالى جرى اللفظ على التأنيث ، نحو قولك : أقام فلان خمسا » .

(٣) ش : « حتى تغلب » .

فيها ، كما قال سيبويه فى : لخمسٍ بقين . قال الزجاج فى تفسير الآية المذكورة : معنى قوله عز وجل : ﴿ وعَشْرًا ﴾ يدخل فيها الأَيّام . زعم سيبويه أنّك إذا قلت لخمسٍ بقين قد علم المخاطب أنَّ الأَيام داخلةٌ مع الليالِى . وزعم غيره أنَّ لفظ التأْنيث مغلَّب فى هذا الباب . انتهى .

وأَراد بغير سيبويه الفَرَّاء ، فإنَّه زعم فى تفسيره عند هذه الآية أنَّه تغليب . قال : لم يقل وعشرة ؛ لأَنَّ العرب إذا أُبهمت العدد من اللَّيالى والأَيّام غلَّبوا عليه الليالى ، حتَّى إنَّهم ليقولون : صُمْنا خمسًا من شهر رمضان ، لكثرة تغليبهم اللَّيالى على الأَيام . فإذا أَظهروا مع العدد تفسيره كانت الإناث بطرح الهاء ، والذُّكران بالهاء ، كما قال الله تعالى : ﴿ سَبْعَ ليالٍ وثمانيةَ أَيَّام [1] ﴾ . وإن جعلت العدد غير متَّصل بالأَيام كما يتصلُ الخافضُ بما بعده غلَّبت الليالىَ أَيضًا على الأَيّام . فإذا اختلطا فكانت ليالىَ وأَيامًا غلَّبت التأْنيث فقلتَ : مضى له سبعٌ ، ثم تقول بعد أَيام : فيها برد شديد . وأَمَّا المختلط فقول الشاعر :

* أَقامت ثلاثًا بين يومٍ وليلة *

فقال : ثلاثًا وفيها أَيّام . انتهى

ويردُ عليه ما ذكر من أنَّه ليس من التغليب فى شىء ، وهو أَوّل من ذهب إليه . لا الزجّاج ، فإنه حاكٍ للمذهبين . ولا الزجّاجىُّ ، فإنَّه تلميذه .

---

(١) الآية ٧ من سورة الحاقة .

قال ابن مالك (فى فصل التاريخ من شرح الكافية الشافية) . أوّل الشهر ليلةَ طلوع هلاله ، فلذلك أُوثِرَ فى التّاريخ قصدُ الليالى واستُغنىَ عن قصد الأيّام ، لأنّ كلّ ليلة من أيام الشهر يتبعها يومٌ ، فأغناهم قصد المتبوع عن التابع . وليس هذا من التغليب ، لأنّ التغليب هو أن تعمّ كلا الصّنفين بلفظ أحدهما ، كقولك : الزّيدون والهندات خرجوا . فالوَاوُ قد عمّت الزيدين والهندات تغليبًا للمذكّر . وقولك : كُتبَ لخمسٍ خلون لا يتناول إلّا الليالى ، والأيّام مستغنى عن ذكرها ، لكون المراد مفهومًا . انتهى .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : التأريخ عدد اللّيالى والأيّام بالنسبة إلى ما مضى من الشهر أو السنة وإلى ما بقىَ منهما . وفعله أرَّخ وورَّخ ، تأريخًا وتوريخًا ، لغتان . فإن ذكَرت الليالى والأيّام بالنسبة إلى السّنة أو الشّهر و ذكَرت العدد ، كان على جنسِه من تذكيرٍ وتأنيثٍ . فتقول : سِرت من شهر كذا خمسَ ليال ، أو خمسة أيّام . وإن لم تَذكر المعدود فالعرب تستغنى باللّيالى عن الأيّام فتقول : كُتبَ لثلاث خَلوْنَ من شهر كذا ، وليس من تغليب المؤنّث على المذكّر ، خلافًا لقوم منهم الزّجاجِىّ . انتهى .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : قالوا : يغلّب المؤنّث على المذكّر فى مسألتين : إحداهما ضبُعان فى تثنية ضَبُع للمؤنّث وضِبْعان للمذكّر ، إذ لم يقولوا ضِبْعانان . والثانية التأريخ ، فإنّهم أرّخوا باللّيالى دون الأيّام . ذكر ذلك الزجّاجىُّ وجماعة . وهو سهوٌ ، فإنّ حقيقة التغليب أن يجتمع شيئان فيجرى حكم أحدهما على الآخر ، ولا يجتمع الليل والنهار . ولا هنا تعبيرٌ عن شيئين

بلفظ أحدهما ، وإنّما أرّخت العربُ باللّيالى لسبْقها ، إذ كانت أشهرُهم قمريّة ، والقمر إنّما يطلُع ليلا . وإنّما المسألة الصحيحة قولك : كتبته لثلاثٍ بين يومٍ وليلة . وضابطه أن يكون معَنا عددٌ مميَّز بمذكَّر كلاهما ممَّا لا يعقل ، وفُصِلا من العدد بكلمة بين . قال :

* فطافَتْ ثلاثًا بين يومٍ وليلة * انتهى ٣٢٠

قال الشهاب ابن قاسم العبادىّ (فيما كتبه على هامش المغنى) : قد يكون الزّجاجىُّ عدَّ اعتبار أحدِ الأمرين دون الآخر كما هنا نوعًا آخر من التغليب ، لأنَّ فى التغليب تقديمَ أحدِ الأمرين فى الاعتبار على الآخر ، فلا يحكم بالسَّهو عليه . فليُتأمَّلْ . انتهى .

وقول ابن هشام : قالوا : يغلَّب المؤنَّث على المذكَّر فى مسألتين إلخ ، مأخوذ من (درّة الغوَّاص للحريرى) قال فيها : من أصول العربية أنّه متى اجتمع المذكر والمؤنث غلّب حكم المذكر على المؤنَّث ، إلَّا فى موضعين :

أحدهما : أنَّك متى أردت تثنية المذكَّر والأنثى من الضِّباع قلت ضَبُعانِ ، فأجريت التثنية على لفظ المؤنث الذى هو ضبُع لا على لفظ المذكر الذى هو ضِبْعان . وإنّما فعل ذلك فِرارًا مما كان يجتمع من الزوائد لو ثُنِّى على لفظ المذكر .

والموضع الثانى : أنَّهم فى باب التاريخ أرَّخوا باللَّيالى دون الأيَّام . وإنَّما فعلوا ذلك مراعاةً للأسبق ، والأسبق من الشهر ليلته . ومن كلامهم : سرنا عشرًا من بين يومٍ وليلة . انتهى .

وفى كل من المسألتين نظر . أمَّا الثانية فقد تقدَّم الكلام عليها ، وردَّ عليه ابن بَرِّىٍّ (فيما كتبه على الدرة) وقال : ليس باب التاريخ ممَّا غلِّب فيه المؤنث كالضبُع ، بل هو محمول على الليالى فقط ، كقولك : كتبت لخمسٍ خَلوْنَ . فإنْ قلت : سرت خمسةَ عشَر ما بين يومٍ وليلة فقد غلِّبت المؤنَّث على المذكَّر . انتهى . وأمَّا الأولى فقد حكىَ الضبُع المذكَّر فلا تغليب فى تثنيته . حكى الدَّميرى [1] (فى حياة الحيوان) عن ابن الأنبارىّ أنَّ الضبع يطلق على الذكر والأنثى .

وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوى (فى كتاب الإفصاح ، فى فوائد الإيضاح للفارسى) عن أبى العباس وغيره . انتهى .

وكذلك حكى الدمامينى (فى الحاشية المصرية على المغنى) عن ابن الأنبارِىّ . ونقل الصاغانى (فى العباب) عن الوزير الصاحب بن عبّاد ، أنه يقال ضَبُعَة بالهاء ، وجمعه ضَبُع ، فيكون اسمَ جنس جمعىّ يفرق بينه وبين واحدِهِ بالتاء . ويقال أيضًا ضِبعانةٌ مؤنث ضِبْعان . وقال الفيومى فى المصباح : الضَّبُع بضم الباء فى لغة قيس ، وبسكونها فى لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل يقع على الذكر والأنثى . وربَّما قيل فى الأنثى ضَبْعة بالهاء ، كما قيل سَبْع وسَبْعة بالسكون مع الهاء ، للتخفيف . والذكر ضِبْعانٌ والجمع ضَباعِينْ ، مثل سِرحان وسَراحَين . ويجمع الضبُع بضم الباء على ضباع ، وبسكونها على أَضبُع . انتهى .

---

(١) نسبة إلى دميرة ، بفتح الدال . قال صاحب القاموس : « قريتان بالسمدونية » . وهو كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميرى المتوفى سنة ٨٠٨ . جمع كتابه وهو ابن ثلاثين سنة ودفن فى ضريحه بالقاهرة بالحسينية فى مسجده المعروف بالصوابى . قاموس الأعلام للزركلى .

وقول (صاحب المغنى) : ولا يجتمع اللّيل والنهار ، أى لفظهما ، عند قصد الإبهام فى التاريخ ، نحو : كتب لخمسٍ خلون وسرنا خمسًا ، وأربعة أشهر وعشرًا ، فإنّه لم يذكر واحدًا منهما فضلا عن اجتماعهما كما بيّنّا . فلا تعبير عن شيئين بلفظ أحدهما .

ونقل بعضهم كلامَ المغنى (فى شرحه على الدرة) وتعقّبه بقوله : وفيه نظرٌ لا يخفى ، فإنّ قوله لا يجتمع الليل والنهار ، إنْ أراد فى الوجود فمسلّم ، لكنّه لا يفيد ، لأنّ المراد بالاجتماع فى التغليب الاجتماعُ فى الحكم ، وإرادة المتكلّم لدلالة اللفظ الواقع فيه التغليب عليهما . انتهى .

وهذه الإرادة واهية ، إذ لا يَتوهّم أحد اجتماعَهما فى الوجود ، وإنّما المراد اجتماعهما فى اللفظ . فإذا لم يُوجدا فيه فلا تغليب . وهذا ظاهر .

وقول ابن هشام : وإنّما المسألة الصحيحة ، أى لتغليب المؤنّث على المذكر فى التاريخ . إذ الكلام فيه ، وليس المعنى أنّه لا يغلّب المؤنث على المذكر إلاّ فى التاريخ ، إذ ليس الكلام على مطلق تغليب المؤنّث على المذكّر ، كما فهمه الدّمامينى (فى الحاشية الهنديّة) . وقال معترضًا عليه : أقول لا اختصاصَ لهذه المسألة بالتاريخ ، فإنّه يقال فى غيره : اشتريت عشرا بين جملٍ وناقة . ٣٢١

ويريد بالمثال أنّه يغلب المؤنّث على المذكّر فى غير التاريخ كما هو مدلول سياق كلامه . ومثالُه جارٍ على مذهب الفراء وأبى حيّان . وأمّا على ما ذكره الشارح المحقّق فيجب أنْ يقول : اشتريت عشرةً بالتأنيث ، لتغليب المذكّر .

وقول ابن هشام : وضابطه أن يكون مَعَنا إلخ أى ضابط تغليب المؤنث على المذكر فى التاريخ . ولا يرِدُ اعتراض الدمامينى بقوله يقع التغليب ، بدون هذا الضابط ، كقوله تعالى : ﴿ أَربعةَ أَشهرٍ وعَشْرا [1] ﴾ ، فإنَّ ابن هشام قد غلَّط من قال بالتغليب فى نحوها ، فإنَّ الآية ليست من التغليب فى شىء كما تقدم بيانه .

وحاصل كلام ابن هشام أنَّ التاريخ يكون بلا تغليب ، كما فى نحو الآية ، ويكون بتغليبٍ إذا كان داخلًا فى الضابطة المذكورة . والتغليب [2] يكون فيه وفى غيره كما ذكره الشارح المحقق وغيره فى تلك الأمثلة .

وهذا مما أنعم الله به علىَّ من فهم كلام المغنى ؛ فإنَّ شراحه لم يهتدُوا لمُرادِه . ولله الحمد على ذلك .

ولنرجع من هنا إلى شرح البيت فنقول : وصف النابغة الجعدى به بقرةً وحشيَّة أكل السَّبُعُ ولدَها فطافت – وروى : (أقامت) – ثلاثة أيام وثلاث ليال تطلُبه ، ولا إنكار عندها ولا غَنَاء إلَّا الإضافة ، وهى الجزع والإشفاق ، والجُؤار وهو الصِّياح . والنَّكير : الإنكار ، وهو من المصادر التى أتت على فعيل ، كالنذير والعذير . وأكثر ما يأتى هذا النوع من المصادر فى الأصوات ، كالهدير والهديل . أى ما كان عندها حين فقدته إلَّا الشفقة والصِّياح ، وتُضيف مضارع أضاف إضافة .

وأورد البيت العسكرى (فى موضعين من كتاب التصحيف)

---

(١) الآية ٢٣٤ من البقرة .

(٢) ش : « والضابط » .

قال فى الموضع الأوّل [1] : حدثنا أحمد بن يحيى قال : سمعت سلمة بن عاصم يقول : صحَّف الكِسائىُّ فى بيت النَّابغة الجَعدىّ فقال : هو تُصِيف ، بالصاد غير معجمة ، وتُضِيف أى تشفق . والإضافة : الشَّفقة . ويروى : « أن تَضِيف » بفتح التاء ، أى تعدِل ههنا مرة وههنا مرة . يقول : كان نكيرُها لمَّا رأت الشِّلوَ ، أنْ تُشفق وتجأر ، لا شئَ عندها غير ذلك .

وقال فى الموضع التانى [2] : يروى : « تُضيف » مضموم التاء والضادُ معجمة . ويروى : « تَضيف » مفتوح التاءِ فمن رواه بفتحها وهو الجيّد ، أراد تُشفِق . ومنه قوله :

وكنت إذا جارِى دعَا لمَضُوفةٍ   أُشمِّر حتَّى ينصُفَ الساقَ مِئزرِى [3]

وفى الحديث : « حتى إذا تضيَّفَت الشَّمسُ للغروب » بضاد معجمة ، أى مالت . ويقال ضافت تَضيف ضَيْفا ، إذا مالت .

وأخبرنى ابن الأنبارى عن ثعلبٍ قال : سئل ابنُ الأعرابىّ عن قوله حين تضيَّفَتْ فقال : لا أعرفه ، ولكن إن كان تصيَّفت بصاد غير معجمة فهو حين تميل ، كما قال أبو زُبَيد :

كلَّ يوم تَرميه مِنَّا برِشْقٍ   فمصيبٌ أوضافَ غيرَ بعيدِ [4]   ٣٢٢

---

(١) كتاب التصحيف ١٢٦ .

(٢) كتاب التصحيف ٣٢٧ .

(٣) لأبى جندب الهذلى فى ديوان الهذليين ٣ : ٩٢ واللسان (ضيف) . وانظر المحتسب ١ : ٢١٤ وابن يعيش ١٠ : ٨١ والعينى ٤ : ٥٨٨ .

(٤) الصواب : « ترميه منها » ، كما فى الديوان ٤٢ واللسان (رشق ، صيف) . وضمير « منها » عائد إلى « المنون » فى بيت قبله :

علل المرء بالرجاء ويضحى   غرضا للمنون نصب العود

يقال : صاف السهم وضاف ، حُكِيا جميعًا ، أى مال . وحكى أبو بكر بن الخبّاز [١] عن ثعلب عن ابن الأعرابى : يقال صاف السهم بصاد غير معجمة ، إذا أخطأ ، لم يقل عربىٌّ قطُّ ضاف منقوطة . وأنشد غيره :

* فلما دخلناه أضَفْنا ظهورنا [٢] *

وضِفتُ فلانا ، إذا ملتَ إليه . وأضفته ، إذا أملته إليك . ومنه قيل للدعىّ مضاف ، لأنّه مسندٌ إلى قومٍ ليس منهم . انتهى .

وبعـده :

(وألْفَتْ بيانًا عند آخر معهدٍ   إهابًا ومعبوطًا من الجوف أحمرا
وخدًّا كبُرقُوع الفتاة ملمَّعا   ورَوْقين لمَّا يَعْدُوَا أن تَقشَّرا)

أراد أنَّها وجدت عند آخر معهدٍ عهدَتْه فيه ، ما بيَّن لها وحقَّق عندها أنَّ السبع أكله . ثم فسَّر ذلك البيان بما ذكره بعد ذلك . والإهاب : الجلد . والمعبوط : الدَّمُ الطرِىّ . والرَّوقانِ : القرنانِ . وشبَّه خدَّه لمَا فيه من السَّواد ، ورَدْع الدّم والبياضِ ، ببُرقوع فتاةٍ لأنَّ الفتياتِ يزيِّنَّ براقعهن ، وبقر الوحش بيض الألوان لا سوادَ فيها إلَّا فى قوائمها وخدودها وأكفالها .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات من قصيدةٍ طويلة ، نحو مائتى بيت ، للنَّابغة الجعدى الصحابى ، أنشَدَ جميعها للنبىِّ ﷺ . ومنها :

---

(١) فى التصحيف ٣٢٧ : « أبو بكر الخباز » .

(٢) لامرئ القيس فى ديوانه ٥٣ . وتمامه فى التصحيف :

« إلى كل قينى جديد مقشب »

وفى الديوان :

« إلى كل حارى جديد مشطب »

(أَتيتُ رسولَ اللهِ إِذْ جاء بالهدى ويتلو كتابًا كالمَجَرَّة نيِّرا)

وهى من أَحسن ما قيل فى الفخر بالشجاعة ، وقد أَوردنا منها أَبياتًا كثيرة فى ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة [١] .

ومن أَواخرها :

(بلغْنَا السَّماءَ مجدُنا وسناؤنا وإِنَّا لنرجو بَعْدَ ذلكَ مظهَرا
ولا خير فى حلِمٍ إِذا لم تكن له بوادرُ تحمى صَفْوَهُ أَن يكدَّرا
ولا خيرَ فى جهلٍ إِذا لم يكن له حليمٌ إِذا ما أَوردَ الأَمرَ أَصدرا)

والبيت الأَوّل أُورده شرَّاح الأَلفيّة لإِبدال مجدنا بدل اشتمال من الضمير المرفوع فى قوله بلغنا . وروى على غير هذه الرواية ، وتقدَّم هناك . ويروى بنصب « مجدَنا » على أَنَّه مفعول لأَجله .

وأَنشدَهُ صاحب الكشاف أَيضًا عند قوله تعالى : ﴿ ورفَعْناهُ مَكَانًا عَلِيًّا [٢] ﴾ ، على أَنَّ الحسنَ البصريَّ فسَّر المكان بالجنة ، كما أَنَّ النَّابغة فسَّر المَظهَر بالجنَّة لمَّا سمع النبى ﷺ هذا البيت ، وقال له : إِلى أَين المَظْهَر يا أَبا ليلى [٣] ؟ فقال له النبى ﷺ : « أَجل إِن شاء الله » .

ولما أَنشده البيتين بعده قال له النبى ﷺ : « لا يَفْضُضِ الله فاكَ ! » . فكان من أَحسن الناس ثغرا ، وكان إِذا سقطت له ثنيَّة نبتت ، وكان فوه كالبَرد المتهلِّل ، يتَلأْلأُ ويبرق .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ١٦٩ – ١٧١ .

(٢) الآية ٥٧ من سورة مريم .

(٣) حاشية ش : « هكذا بخط المصنف ، وفيه نقص . وفى طبقات ابن قتيبة : فقال إِلى الجنة . والذى فى الأَغانى : فقال النبى ﷺ : فأَين المظهر يا أَبا ليلى ؟ فقلت : الجنة . فقال : قل إِن شاء الله . فقلت : إِن شاء الله » . وانظر الشعراء لابن قتيبة ٢٨٩ والأَغانى ٤ : ١٢٩ – ١٣٠ .

المذكر والمؤنث

أُنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون بعد الخمسِمائة [١] :

٥٥٠ (فقلتُ لها: أُصبتِ حَصاةَ قلبى ورُبَّتَ رميـةٍ مِنْ غَيْـرِ رامِـى)

على أنَّ تاء التأْنيث قد تلحق الحرفَ كربَّ إذا كان مجرورها مؤنثًا ، ليدلّ من أوّل الأمر أنَّ المجرور مؤنَّث . والمشهور أنَّها تزاد فى بعض الحروف للتأْنيث اللفظى . والبيت قبله :

(رمَتْنِى يومَ ذاتِ الغَمْر سَلْمَى بسهمٍ مُطْعِمٍ للصَّيدِ لامِ)

وذات الغمر : موضعٌ ، كذا ذكره ابن الأثير (فى المرصع) . وأنشد قول قيس الهذلى :

سَقى الله ذاتَ الغَمر وَبْلًا وديمة وجادت عليها البارقات اللوامعُ

ولم أره فى معجم البلدان ، ولا فى معجم ما استعجم .

وسَلمى فاعل رمتنى ، وهى اسم امرأة ، والباء متعلِّقة برمَتنى . والسَّهم : النُّشّاب : ولأْم صفته ، أى عليه ريشٌ لؤام ، بضم اللام مهموز العين على وزن فُعَال . قال صاحب الصحاح : واللُّؤام : القُذَذ الملتئمة ، وهى التى تلى بطنُ القُذَّة منها ظهرَ الأُخرى ، وهو أجود ما يكون . تقول منه : لأَمت السَّهم لأما . ومُطعِم : اسم فاعل من أُطعم . وحصاة القلب : حبَّته [٢] .

والبيتان أنشدهما الزمخشرى (فى المستقصى) ولم يعزُهُما لأحد ، وقال :

---

(١) المستقصى للزمخشرى ٢ : ١٠٥ .

(٢) ط : « حبتها » ، صوابه فى ش .

« ربَّ رميةٍ من غير رامٍ [١] » : مثَلٌ أوّلُ من قاله الحكم بن عبد يغوث المِنْقرى ، وكان من أرْمَى النَّاس . وذلك أنَّه نذر ليذبحنَّ مَهاةً على الغَبغَب ، فرام صيدها أيّامًا فلم يمكنه ، فكان يرجع مُخْفقًا حتَّى همَّ بقتل نفسِه مكانَها ، فقال له ابنه مُطعِم : احمِلْنى أرفِدْك . فقال : ما أحمِلُ من رعِشٍ رَهِلٍ جبان فَشِلٍ ! فما زال به حتَّى حمله ، فرمى الحكم مهاتَين فأخطأهما ، فلما عَرَضت الثالثةُ رماها مطعِمٌ فأصابها فعندها قال الحكم ذلك . يُضرب فى فلتة إحسانٍ من المسيء . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الخمسمائة [٢] :

٥٥١ (يا صاحِبَا رُبَّتَ إنسانٍ حَسَنْ)

على أنَّه قد جاء مَجرورُ ربَّتَ مذكَّرًا على خلاف الأوّل . ويجوز أن يريد بالإنسان المؤنَّث فيوافق ما قبله . والإنسان من الناس اسمُ جنسٍ يقع على الذَّكر والأُنثى ، والواحِدِ والجمع . كذا فى المصباح .

وهذا الالتزام ليس بلازم . على أنَّ بقيّة الرجز يَمنعُ ما أوَّلَه ، كما سيأتى .

قال أبو على (فى كتاب الشعر) : ولحقت بعضَ الحروف تاءُ التأنيث ، وذلك رُبّ وربت ، وثُمَّ وثُمَّت ، ولا ولات . قال :

ثُمَّت لا تجزوننى عنْد ذاكمُ ... ولكن سَيجزينى الإله فيُعقِبا [٣]

وأنشد أبو زيد :

---

(١) نص المثل فى المستقصى : « رمية من غير رام » . وعند العسكرى ١ : ٤٩ والميدانى ١ : ٣٧٣ وفصل المقال ٤٣ : « رب رمية » بزيادة « رب » ، كما هنا . وكذا فى الفاخر ١٤٣ .

(٢) ش : « الواحد والخمسون بعد الخمسمائة » . وانظر للشاهد نوادر أبى زيد ١٠٣ وابن يعيش ٨ : ٣٢ .

(٣) للأعشى فى ديوانه ٩٠ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٢٢ .

يا صاحبَا رُبَّتَ إنسانٍ حسن يسأَل عنكَ اليوم أو يسأَل عنْ

وقياس مَن يسكّن التاء فى ثمتْ ورُبّت أَن يقف عليها بالتَّاء ، كما يقف على ضربَتْ . وقياس من حرّك أَن يقف بالهاء كما يقف على كيت وذيت . انتهى .

أشطار الشاهد

والبيت من رجزٍ أَورده أَبو زيد (فى نوادره) :

(ياصاحِبَا رُبَّتَ إنسانٍ حسنْ يسأَل عنكَ اليوم أو يسأَل عنْ

٣٢٤

إنَّا على طُول الكلالَ والتونْ مما نقيم الميل من ذات الضِّغَنْ

نسوقُها سَنًّا وبعض السَّوق سَنّ حتَّى تراها وكأَنَّ وكأَنْ

* أَعناقَها مشرَّباتٌ فى قَرَنْ *)

قال أَبو زيد : ليست التاء [١] فى رُبّت للتأْنيث ، فلهذا جاز أَن يَقول [٢] ربَّت إنسان [٣] . انتهى .

وقوله : « ياصاحبَا » أَصله يا صاحبى ، فالأَلف أَصلها ياء . ويَسأَل جواب رُبّ ، وهو العامل فى محل مجرورها . وقوله : « أَو يسأَل عن » معطوف على يسأَل عنك ، وكلاهما بياء الغيبة . أَراد : يسأَل عنى بياء المتكلم .

وقوله : « إنَّا على » إلخ بكسر الهمزة ابتداء كلام . وعلى بمعنى مع . والكلال : مصدر كلّ يَكِلُّ ، من باب ضرب ، إذا تعب وأَعيا . والتَّوَنْ ،

---

(١) ش : « ليس التاء » .

(٢) ط : « أن تقول » بالتاء ، وأثبت ما فى ش .

(٣) لم أعثر على هذا التعليق فى النوادر المطبوعة .

بفتح التاء والواو ، وهو التوانى . قال صاحب الصحاح : وتوانَى فى حاجته ، أى قصَّر . وقولُ الأعشى :

ولا يدعُ الحمدَ ، بل يشترى بوَشْك الظُّنون ولا بالتَّوَنْ [١]

أراد بالتوانْ ، فحذف الألف لاجتماع الساكنين ، لأنَّ القافية موقوفة . والضِّغَن بكسر الضاد وفتح الغين المعجمتين : جمع ضِغْن بسكون الوسط . قال صاحب الصحاح : إذا قيل فى الناقة : هى ذات ضِغْن فإنَّما يراد نزاعها إلى وطنها .

والسَّنُّ بفتح السين المهملة ، قال الرِّياشىّ : هو أسرع السير . والقَرَن ، بفتح القاف والراء : حبلٌ يقرن به البعيران . والمشَرَّبات ، بفتح الراء المشددة ، قال أبو حاتم والرياشىُّ والمازنى : هى المُدْخَلات ، من قوله : ﴿ وأُشرِبُوا فى قُلوبِهِمُ العِجْل [٢] ﴾ . وقال أبو الحسن الأخفش : ومن روى : « مسَرَّبات » بالسين المهملة فإنَّه يذهب الى أنَّها تُسَرَّبُ فى القَرَن ، أى تذهب فيه وتجىء . من قوله تعالى : ﴿ وساربٌ بالنَّهار [٣] ﴾ .

وقول الشارح المحقق : وتلحق ، أى التاء ، ثُمّ أيضًا إذا عطفتَ بها قِصَّةً على قصة ، لا مفردا على مفرد . هذا هو المشهور . وقد رأيت فى شعر رؤبة بن العجاج عَطْفَ المفرد بها . قال :

فإن تكنْ سوائقُ الحِمام ساقتهمُ للبلدِ الشَّآمِ

فبالسَّلامِ ثُمَّتَ السَّلامِ

---

(١) فى الديوان ٢١ : « أو يشتريه » . وهو الصواب إن شاء الله . وانظر الصحاح واللسان (ونى) .

(٢) الآية ٩٣ من البقرة .

(٣) الآية ١٠ من سورة الرعد .

وكذلك استعملها ابن مالك فى جموع التكسير من (الألفية) قال :

أفعلة أفعُل ثم فِعلَه ثُمَّتَ أفعالٌ جموعُ قلَّه

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الخمسمائة [١] :

٥٥٢ (لقد أغدُو على أشقَـ ـرَ يَغتالُ الصَّحاريَّا)

على أنَّه جمع صحراء ، فلما قلبت الألف بعد الراء فى الجمع ياءً قلبت الهمزة التى أصلها ألفُ التأنيثِ أيضًا .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : قد اطَّرد عنهم قلب ألف التأنيث همزة [٢] . والقول فى ذلك أنَّ الهمزة فى صحراء وبابها إنَّما هى بدلٌ من ألف التأنيث ، كالتى فى نحو حُبلى وسكرى ، إلَّا أنَّها فى صفراء وقعت الألف بعد ألف قبلها زائدة ، فالتقى ألفان زائدتان ولم يجزْ فى واحدةٍ منهما الحذف . أمَّا الأولى فلو حذفتَها لا نفردت الآخرة ، وهم قد بنَوا الكلمةَ على اجتماع ألفين فيها . وأمَّا الآخِرة فلو حذفتها لزالت سلامةُ التأنيث [٣] . وأما الحركة فقال سيبويه : إنَّه لما انجزم الحرفان حركت الثانية فانقلبت همزة ، فصارت : صفراء وصحراء .

٣٢٥

---

(١) سر الصناعة ١ : ٩٧ والإنصاف ٨١٦ وابن يعيش ٥ : ٥٨ والمقرب ١٠٧ وشرح شواهد الشافية ٥ .

(٢) بعده فى سر الصناعة : « وذلك نحو حمراء وصفراء وصحراء ، وأربعاء ، وعشراء ، ورحضاء ، وقاصعاء ، وما أشبه ذلك » .

(٣) فى سر الصناعة : « لزالت علامة التأنيث التى وسمت الكلمة بها . وهذا أفحش من الأول . فقد بطل حذف شىء منهما » .

فإن قيل : ولِمَ زعمت أنّ الثانية منقلبة ، وهلاّ زعمت أنها زيدت للتأنيث همزة فى أول أحوالها ؟ فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنّا لم نرهم فى غير هذا الموضع أنّثوا بالهمزة ، إنّما يؤنّثون بالتاء أو بالألف ، فكان حمل همزة التأنيث فى نحو صحراء على أنّها بدلٌ من ألف التأنيث لِما ذَكَرْنا أحرى .

والوجه الآخر : أنّا قد رأيناهم لمّا جمعوا بعضَ ما فيه همزة التأنيث أبدلوها فى الجمع ولم يحقّقوها البتة ، وذلك قولهم فى جمع صحراء وصلفاء : صحارَى وصَلافَى ، ولم نسمعهم أظهروا الهمزة فى شيءٍ من ذلك ، فقالوا صحارىء وصلافىء . ولو كانت الهمزة فيهن غير منقلبة لجاءت فى الجمع . ألا تراهم قالوا : كوكب دِرِّیءٌ وكواكب دراریء ، وقُرَّاء وقَراریء ، ووُضَّاء ووضّائیء ، فجاءُوا بالهمزة فى الجمع لمّا كانت غير منقلبة ، بل موجودة فى قرأت ودرأت ووضُؤت . فهذه دلالة قاطعة .

فإن قيل : فما الذى دعاهم إلى قلبها فى الجمع ياءً ، وهلّا تركوها ملفوظًا بها كما كانت فى الواحدة فقالوا صحارِىء وصلافىء ؟ فالجواب أنّها إنّما كانت انقلبت وأصلها الألف ، لاجتماع الألفين ، وهذه صُورتها صحراا ، وصلفاا ، فلمّا التقت ألفان اضْطُرّوا إلى تحريك إحداهما فجعلوها الثانية ، لأنّها حرف الإعراب ، فصارت صحراء وصلفاء .

وحال الجمع ما أذكره ، وذلك أنّك إذا صرت إلى الجمع لزمك أن تقلب الأولى ياء لانكسار الراء فى صحارى قبلها ، كما تنقلب ألف قرطاس ياء

(١) ط : « ووضأت » ، صوابه فى ش وسر الصناعة ١ : ٩٦ .

فى قراطيس ، فكذلك تنقلب ألف صحراء الأولى ياء فتصير فى التقدير : صحارى ا وصلافى ا ، فتقع الياء الساكنة قبل الألف الأخيرة الراجعة عن الهمزة لزوال الألف [من قبلها ، فتنقلب الألف ياءً لوقوع الياء ساكنة قبلها ، وتدغم الأولى المنقلبة عن الألف (١)] الزائدة فى الياء الأخيرة المنقلبة عن ألف التأنيث ، فيصير صحارىّ . أنشد أبو العباس للوليد بن يزيد :

لَقد أَغدُو على أَشقَـ ـرَ يغتال الصحاريَّا

وقال آخر

إذا جاشَتْ حوالَيْهِ ترامَتْ ومدَّته البَطَاحىُّ الرِّغابُ (٢)

جمع بطحاء . وكذلك ما حكاه الأصمعى من قولهم : صَلافىّ وخبَارىّ ، جمع صَلفاء وخَبْراء . فبهذا استدللنا على أنَّ الهمزة فى صحراءَ وبابِها بدلٌ من ألف التأنيث . انتهى .

وهذا أصل كلِّ جمعٍ لنحو صحراء ، ثم يخفَّف بحذف الياء الأولى فيصير صحارِى ، بكسر الراء وتخفيف الياء ، مثل مدارِى ، ثم يبدل من الكسرة فتحة فتنقلب الياء ألفًا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها ، كما فعلوا فى مدارَى . وهذان الوجهان هما المستعملان ، والأوّل أصلٌ متروك يوجد فى الشعر :

وقوله : (لقد أغدو) مضارعُ غدا غدُوًّا من باب قعد ، إذا ذهب

---

(١) التكملة من سر الصناعة .

(٢) ش . « حوالبه » مع أثر تصحيح ، وما أثبت من ط يوافق سر الصناعة وابن يعيش ٥ : ٥٨ . وكلمة « ترامت » ساقطة من النسختين ثابتة فى سر الصناعة وابن يعيش ٥ : ٥٨ .

غُدوة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس . و (الأشقر) من الخيل : الذى حمرته صافية . والشُّقرة فى الإنسان : حمرة يعلوها بياض . و (يغتال) : يُهلك ، يقال اغتاله ، أى أهلكه . وعين الفعل واوٌ . استعارَ يغتال لقطع المسافة بسُرعة شديدة ، فأنَّ أصل اغتاله بمعنى قتله على غِرّة وغفلة . و (الصحراء) : البرّيَّة . وقال الليث : الصحراء : الفضاء الواسع . وقال النضر : الصَّحراء من الأرض : الملساء ، مثل ظهر الدابة الأجرد ، ليس بها شَجرة ولا آكام ولا جبال . ٣٢٦

ولم أقف على تتمة هذا الشعر . وهو للوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع عشر بعد المائة [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الخمسمائة [2] :

٥٥٣ (مَتَى كُنَّا لأُمِّك مَقْتَوِينَا)

على أنَّ مَقتوينا جمع مَقْتَوِىّ بياء النسبة المشدَّدة ، فلما جُمع جمع تصحيح حذفت ياء النسبة . والمَقْتَوِىُّ بفتح الميم : نسبة إلى المَقتَى بفتحها ، فقلبت الألف واوًا فى النسبة ، كما تقول مَعلَوِىٌّ فى النسبة إلى مَعْلًى . والمَقْتَى مصدرٌ ميمى . قال صاحب الصحاح : القَتْو : الخِدمة ، وقد قتوت أقتو قَتْوًا ومَقْتًى ، أى خدمت ، مثل غزوت أغزو غزوًا ومَغزًى . قال :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٢٨ .

(٢) نوادر أبى زيد ١٨٨ والخصائص ٢ : ٣٠٢ والمنصف ٢ : ١٣٣ والتصريح ٢ : ٣٧٧ ويس ١ : ٢/٧٣ : ٣٧٧ .

إنِّى امرؤٌ من بنى فَزارةَ لا أُحسِنُ قَتْوَ الملوكِ والخَبَبا [١]

ويقال للخادمِ مَقتَوىٌّ ، بفتح الميم وتشديد الياء ، كأَنَّه منسوب إلى المَقْتَى . ويجوز تخفيف ياء النسبة ، كما قال عمرو بن كلثوم :

* متى كنَّا لأُمِّك مَقْتَوينا * انتهى

قال ابن جنى (فى الخصائص) : كان قياسُه إذا جمع أَن يقال مَقتويُّون ومقْتَوِيِّين ، كما إذا جمع بَصرىٌّ وكوفى قيل : كوفيُّون وبَصريُّون ، إلَّا أَنَّه جعل علم الجمع معاقِبًا لياء النسبة ، فصحّت اللام لنيَّة الإضافة إلى النسبة ، ولولا ذلك لوجب حذفُها لالتقاء الساكنين ، وأَن يقال مَقْتَوْن ومَقْتَيْن ، كما يقال : هم الأَعلَوْن وهم المصطفَوْن . فقد ترى [٢] إلى تعويض علم الجمع من ياء النسبة . الجميعُ زائدٌ [٣] . انتهى .

ثم قال صاحب الصحاح : قال أَبو عبيدة : قال رجلٌ من بنى الجِرماز : هذا رجل مَقْتَوِينٌ وهذان رجُلان مَقْتَوِينٌ ورجالٌ مَقْتَوِينٌ ، كلُه سواء . وكذلك المؤنَّث . وهم الذين يعملونَ للنَّاسِ بطعام بطونهم . قال سيبويه [٤] : سأَلت الخليل عن مَقْتَوىٌّ ومَقْتَوِين فقال : هذا بمنزلة الأَشعرىٌّ والأَشعَرِين . انتهى .

والواو من مقتوين فى رواية أَبى عبيد مكسورة ، والنون منوَّنة بالرفع . وزاد عليه أَبو زيد (فى نوادرِهِ) فتح الواو ، قال : رجل مَقْتَوَينٌ ورجالٌ

---

(١) مجالس ثعلب ٥٣٤ وشرح القصائد السبع ٤٠٣ ويس ٢ : ٣٧٧ واللسان (خبب ، قتا) .

(٢) ط : « نرى » ، وأثبت ما فى ش والخصائص .

(٣) أى وكلها رائد . وفى النسختين : « زائدا » ، صوابه فى الخصائص .

(٤) سيبويه ٣ : ٤١٠ هارون .

مَقتَوِينٌ ، وكذلك المرأة والنساء ، وهو الذى يخدم القوم بطعام بطنه . وقال عمرو بن كلثوم :

تَهدَّدْنا وأَوعِدْنا رُوَيدًا   متى كُنَّا لأُمِّك مَقْتَوِينا

الواو مفتوحة ، وبعضهم يكسرها ، أى متى كنَّا خدمًا لأُمِّك . انتهى .

وقد تكلَّم أبو على (فى كتاب الشعر) على هذهِ اللفظة وبيَّن وجوه استعمالها ، مع شرح كلام أبى زيد وغيرهِ ، فلا بأس بإيراد كلامه ، وإن كان فيه طول . قال : أنشد أبو زيد :

* متى كنا لأُمِّك مَقتوَيْنَا *

قالوا : رجل مَقتوىٌّ وقالوا فى الجمع مَقْتُون ، كما قالوا أشعرىٌّ وأشعرون ، فحذفوا ياءى النسب مع الجمع بالواو فى هذين الموضعين ونحوهما . فأمَّا تصحيحهم الواو فإن شئت قلت صحَّحوها فى الجمع الذى على حدِّ التثنية ، كما صحَّحوها فى جمع التكسير حيث قالوا مَقاتوة ، كما أنَّهم لمَّا حذفوا ياءى النسب فى الجمع على حدِّ التثنية حذفوهما فى التكسير ، فقالوا : المهالبة . وإن شئت قلت : بنوْا مَقتُوون على الجمع ، كما بنَوْا مذروان على حدِّ التثنية . ألا ترى أنَّهم لم يفردوا الواحد منه بغير حرف التثنية ، كما لم يُفْردوا واحدَ مذروان وإنَّما استعمل واحدٌ بحرف النَّسب مَقْتَوىّ .   ٣٢٧

وفيه قول آخر ، وهو أنَّ الواو صحَّت لمَّا كانت النسبة مرادةً فى الكلمة ، فصحِّحت بالواو مع الحذف كما صحَّت مع الإثبات ، ليكون تصحيحُها دلالة على إرادة النسب ، كما صحَّت الواو والياء فى عَوِر وصَيِدَ ،

ليعلم أنَّ الفعل لمعنًى ما يلزم تصحيحُ الواو فيه . وكذلك ازدوَجوا واعتَوَرُوا . ألا ترى أنَّك لو بنيت منه افتعلوا ، لا تريد فيه معنى تفاعلوا ، لأعللت . فأمَّا النون فقد فتحت كما فتحت فى مُسلمون ، وقد جُعلت حرفَ الإعراب ، كما جعلت فى سنين ونحوِه حرفَ الإعراب . حُكى ذلك عن أبى عبيدة ، وحَكاه أبو زيد ، إلَّا أنَّ أبا زيد حكى الفتح والكسر فيما قبل الياء فيمن جعل النون حرف إعراب ، وحَكَيا جميعًا : رجلٌ مقتوينَ ورجلانِ مَقْتَوِينَ ورجالٌ مَقْتَوين . قال أبو زيد : وكذلك المرأة والنساء .

فأمَّا ما انفرد أبو زيد بحكايته من كسر الواو التى قبل الياء وفتحها ، فالأصل فيه الكسر ، ألا ترى أنَّك لو أثبتَّ ياء النسب لقلت مَقْتويُّون ، فإذا حذفتها وأنت تريدها وجب تقدير الكسرة ، كما كانت تقدَّر مع الياءين لو أثبتَّهما . فالذى فَتح إنَّما أبدل من كسرة الواو الفتحة ، كما أبدل الكسرة من الفتحة فى قوله :

* ولكنِّى أُريد به الذَّوِينا (٢) *

فأبدل من الفتحة فى الواو الكسرة . يدلُّك على أنَّ الأصلَ فيها الفتحة قوله تعالى : ﴿ ذَوَاتا أفنان (٢) ﴾ . وإنَّما جاز ذلك فى الفتحةِ والكسرة لأنَّهما كالمِثلين . ألا ترى أنَّهم قد حرَّكوا بالفتح مكان الكسر فى جميع مالا ينصرف ، وجعلوا النصب والجرَّ على لفظٍ واحد فى التثنية وضربَي الجمع المسلَّم فى التأنيث والتذكير . فكما كانت كلُّ واحدة من الكسرة والفتحة فى

---

(١) هو الشاهد ١٦ من الخزانة كما أنه من شواهد سيبويه ٢ : ٤٣ بولاق . وصدره :

« فلا أعنى بذلك أسفليكم »

(٢) الآية ٤٨ من سورة الرحمن .

هذه المَواضع بمنزلة الأُخرى ، كذلك جاز أن تفتح الواو وتكسَر من مَقتوين فيما رواه أبو زيد . فأمَّا إجراؤه الكلمة وهى جمعٌ على الواحد فيما اجتمع أبو زيد وأبو عبيدة فى حكايته ، فوجهه أنَّه قد جاء : ﴿ هُنّ أمُّ الكِتاب [١] ﴾ ولم يكنَّ أُمّهات . فكما أُجرى الواحد على الجميع ، كذلك فى مقتوين وصف الواحد بالجميع . وكأنَّ الذى حسَّن ذلك أنَّه فى الأصل مصدر . ألا ترى أنَّه مفعل من القَتْو ، والمصدر يكون للواحد والجميع على لفظ واحد ، فلمَّا دخله الواو والنون وكانا معاقبين لياء النسب صارتا كأنهما لغير معنى الجمع ، كما كانتا فى ثُبة وبُرة لمَّا كانتا عوَضًا من اللام المحذوفة لم يكونا على حالهما فى غير ما هما فيه عوض . ألا ترى أنَّ نحو طلحة لا يجمع بالواو والنون . فجرى مَقْتُوون على الواحد والجميع كما يجرى المصدر عليهما . وهذا الاعتلال يستمرُّ فى قول من لم يجعل النون حرفَ إعراب وفى قول من جعلها حرف إعراب . ألَا ترى أنَّ من قال سنين فجعل النون حرف إعراب فهو فى إرادته الجمع كالذى لم يجعلها حرف إعراب . ومن هذا الباب إنشاد من أنشد :

* قَدنِىَ من نَصْرِ الخُبيبينِ قَدِى [٢] *

من أنشدَه على الجمع أراد الخبيبين ونسب إلى أبى خبيب ، يريده ويريد شيعته . وعلى هذا قراءة من قرأ : ﴿ سَلامٌ على إلياسين [٣] ﴾ أراد النسب إلى الياس . وكما جُمع هذا النحو على حدِّ التثنية كذلك جمع على

---

(١) الآية ٧ من سورة آل عمران .

(٢) هو الشاهد ٤٠٣ من الخزانة . واختلف فى نسبة قائله .

(٣) الآية ١٣٠ من سورة الصافات . وانظر الإتحاف ٣٧٠ .

التكسير فى نحو المهالبة والمناذرة . ومن هذا الباب : الأَعجمونَ فى قوله تعالى :
٣٢٨ ﴿ ولو نَزَّلناه على بعْضِ الأَعجمِينَ (١) ﴾ . ومن زعم أَنَّ أَعجمين جمع أَعجم فقد غلط ، لأَنَّ نحو أَعجم لا يجمع بالواو والنون ، كما أَن عجماء لا تجمع بالأَلف والتاء إذا كانت صفة . فإنَّما أَعجمون جمع أَعجمىّ ، وحذف ياء النسب . وإنَّما أَعجم وأَعجمىٌّ مثل أَحمر و أَحمرىّ ، يراد بكلٍّ واحد منهما ما يراد بالآخر . إلَّا أَنَّ حكم اللفظ مختلف .

فأَما الأَلف فى قوله مقتوينا فتحتمل ضربين : من قال مَقْتَوِينٌ فالأَلف بدلٌ من التنوين كالتى فى رأَيت رجلا . ومن قال هؤلاء مَقْتَوُونَ ومَقْتَوِينَ فالأَلف للإطلاق ، كقوله :

* أَقلِّى اللوم عاذلَ والعتابا (٢) * انتهى .

وفيه لغة أُخرى وهى ضم الميم ، ولم أَر مَن ذَكرها ومن شَرحها غير أَبى الحسن الأَخفش (فيما كتبه على نوادر أَبى زيد) وغير أَبى علىّ . قال (فى أَواخر البغداديات) : قد كتبنا فى هذه الأَجزاء وفى غيرها شرح قوله :

* متى كنا لأُمِّك مُقتوِينا *

ودلَّلنا على صحَّة قول الخليل فيه ، من أَنَّه جمعٌ يراد به النسب على حدِّ الأَعجمينَ والأَشعرِين ، بتصحيح لام الفعل ، وأَنَّ ذلك إنَّما صحَّ كما صحَّ عَوِروا واجتَوَروا . وهذا دليلٌ بيِّن على صحة قول الخليل . فأَمَّا ما أَنشدَناهُ أَبو الحسن الأَخفش ليزيدَ بن الحكم ، قوله :

---

(١) الآية ١٩٨ من سورة الشعراء .

(٢) لجرير ، وهو الشاهد ٤ من الخزانة ١ : ٦٩ . وعجزه :

* وقولى إن أصبت لقد أصابا *

تَبدَّلْ خليلًا بى كشَكلك شَكلُه فإنِّى خليلًا صالحًا بك مُقْتوِى

فإنَّه أنشِدْناه عن أحمد بن يحيى مُقْتوِى بضم الميم ، وهكذا صحَّتُه .

وحُدِّثنا عن أحمد بن يحيى أنَّه قال : المُقْتوِى من الخدمة . وهو عندنا كما قال . وشرحه أنَّهُ مُفْعَلِلٌ ، فالواوُ الصحيح فى الكلمة لامُ الفعل ، والياء منقلبة عن اللام الزائدة وأصله واو . والدليل على ذلك أنَّه مثل احمررت ، فأمَّا الواو فصحَّت كما صحَّت فى ارعويت ونحوه ، إذ لا يجوز أن يتوالى فى الكلمة إعلال لامين ، ولا إعلال عين ولام ، لم يوجد ذلك فى شيءٍ إلا فيما حُكم له بالقلَّة .

وفى هذه القصيدة حروفٌ أُخرُ مثلها ، وهو قوله « مُحْجَوِى » ، و « مُدحوِى » ، وهو من حجا ودحا .

ويدلُّك أيضًا على ما ذكرنا من أنَّ مُقْتوى فى البيت مُفْعَلِلٌ ، وأنَّ الميم ليس بمفتوح ، إنما هو ميم مُفعِلِل ، تعدِّيهِ إلى قوله خليلا . والمفتوحة الميم لا تتعدَّى إلى شيء ، لأنَّه ليس باسم فاعل .

فإن قلت : أرأيت مُفْعَلِلٌ نحو مُرْعَوٍ متعدّيا فى موضع ، فيجوز تعدِّى هذا الذى فى البيت ؟ أوَ ليس هذا الباب يجيء كلُّه غير متعدّ ؟ فالقول فيه أنَّ هذا الباب من اسم الفاعل كما قلت غير متعدٍّ ، كما أنَّ فعله كذلك ، إلَّا أنَّ الشاعر للضرورة يجوز أن يكون حمل ذلك على المعنى فعدَّاه . والمعنى : فإنِّى خليلا بك خادمٌ . فحمله على هذا المعنى وعدَّاه . وإن شئتَ أضمرت شيئًا دلَّ عليه مُقتوِى فتنصبه به . انتهى .

وتبعه ابن جنى (فى المحتسب) قال : قالوا : ارعوى افعلَّ [(١)] ، واقتوى أى خدم وساس ، فمقتوٍ فى بيت يزيدَ مُفعَلّ [(٢)] من القَتْو ، وهو الخدمة . وخليلًا عندنا منصوب بفعل مضمر ، يدلُّ عليه مقتو ، وذلك أنَّ افعَلَّ [(٣)] لا يتعدى إلى المفعول به ، فكأنَّه قال : فإنى أخدُم أو أسوس ، أو أتعهد أو أستبدل بك خليلا . ودلَّ مقتو على ذلك الفعل . انتهى .

وقد شرحنا قصيدة يزيد بن الحكم فى أول باب المفعول معه ، فى الشاهد الثمانين بعد المائة [(٤)] .

والبيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى ، تقدَّم سببُها وشرح أبياتٍ منها مع ترجمته فى الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة [(٥)] . ٣٢٩

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ منها :

(بأىِّ مشيئةٍ عمرَو بنَ هندٍ تُطيع بنا الوُشاةَ وتَزدرينا

بأىِّ مشيئةٍ عمرَو بنَ هندٍ نكون لقَيْلكم فيها قَطينا

تهدَّدْنا وأَوعِدْنا رويدًا متى كنَّا لأمِّك مقتوينا

فإنَّ قناتَنا يا عمرُو أعيَتْ على الأعداءِ قبلكَ أن تَلينا)

قوله : « بأىِّ مشيئة » متعلق بتطيع . وعمرو منادًى مبنىٌّ على الضم . قال شُرّاح المعلَّقة : هو منصوب على أنَّه إتباع لقوله ابن هند كما قيل مِنْتِن ، فأتبعوا الميم التاء ، والقياس الضم .

---

(١) ط : « افعلل » ، وهو جائز على أصل الوزن قبل الإدغام .
وما أثبت من ش يطابق المحتسب ٢ : ٢٥ .

(٢) فى المحتسب : « مفتعل » ، وما هنا صوابه .

(٣) ط : « افعل » ، صوابه فى ش والمحتسب ٢ : ٢٦ .

(٤) الخزانة ٣ : ١٣٢ ، ١٣٩ .

(٥) الخزانة ٣ : ١٨٣ – ١٨٥ .

وعمرو بن هندٍ هو ملك الحِيرة فى الجاهليَّة ، قتله صاحبُ هذه المعلَّقة ، وتقدَّم سبب قتله هناك .

وتزدرينا : تحتقرنا . والمعنى : أىُّ شىءٍ دعاك إلى هذه المشيئة ، ولم يظهر منا ضَعفٌ يُطمع الملك فينا حتَّى يُصغِىَ إلى من يَشِى بنا عِنده ، ويُغريه بنا فَيحقِرنا ؟ وتقدير تطيع بنا ، أى فى أُمرنا . والقَيْل بفتح القاف : مَن هو دون الملك . وفيها ، أى فى المشيئة . والقطين : جمع قاطن ، من قطن بالمكان إذا أَقام فيه . يقول : كيف شئتَ يا عمرو أَنْ نكون خدَمًا ورعايا لمن ولَّيتموه أَمرَنا ، أى ما دعاك إلى هذه المشيئة ولم يظهر منا ضعفٌ يُطمع الملك فينا .

وقوله : « تهدَّدْنا وأَوعِدْنا رويدًا » هذا استهزاءٌ به . وهو بالجزم على أنَّه أمر ، أى ترفَّقْ فى تهدُّدنا وإيعادنا ، ولا تبالغ فيهما ، متى كُنَّا خدمًا لأُمِّك حتَّى نهتمَّ بتهديدك ووعيدك إيانا ؟! وروى : « تُهدِّدُنا وتُوعِدُنّا » بالمضارع على الإخبار . ثم قال رويدًا ، أى دع الوعيد والتهديد وأَهمِلْه . قال شرّاح المعلقة : قالوا : وعدته فى الخير والشر ، فإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته ، وإذا لم تذكر الخير قلت : وعدته ، وإذا لم تذكر الشر قلت ، أوعدته .

وذكر ابن الأَنبارىّ أَنَّه يقال وعدت الرجل خيرًا وشرا ، وأَوعدته خيرا وشرًّا . فإذا لم تذكر الخير قلت : وَعَدته . وإذا لم تذكر الشرَّ قلت أَوعدته .

وقوله : « فإنَّ قناتنا » إلخ قال الزَّوْزنى : العرب تستعير للعزِّ اسمَ القناة . يقول : إنَّ قناتنا أَبت أن تلين لأَعدائنا قبلك . يريد أَنَّ عزَّهم أَبى أَن يزول بمحاربة أَعدائهم ، لأَنَّ عزَّهم منيعٌ لا يرام .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الخمسمائة [1] :

٥٥٤ (كسامِعَتَىْ شاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ)

على أنّه إذا كان المؤنث اللفظى حقيقىَّ التذكير جاز فى ضميره التذكير والتأنيث . وشاة هنا مؤنَّثةٌ لفظا ، ومعناها الثَّور الوحشى ، وقد رجع إليه ضميره فى وصفه وهو مفرد مذكر ، رِعايةً لجهة المعنى .

قال ابن السكيت (فى كتاب المؤنث والمذكر) : ما جاءك من الجمع مثل الشاء والبقر والحصَى فهذا اسمٌ موضوع ، فإذا أرادت العرب إفراد واحِدهِ قالوا : شاة ، للذّكر والأُنثى .

ولم يُرَدْ بالهاء ههنا التأنيث المحض ، إنّما أرادُوا الواحد ، فكرِهوا أن يقولوا : عندى جراد ، وهم يريدون الواحد من الجراد ، فلا يعرف جمعٌ من واحد ، فجعلت الهاء دليلا على الواحد . فهذا قياس مطرد .

وهذا عجزٌ ، وصدره :

(مؤلَّلتانِ تَعرِف العِتقَ فيهما)

وقبله :

(وصادقتا سَمْعِ التوجُّسِ للسُّرى لجَرس خفىٍّ أو لصوتٍ مندَّدِ)

صاحب الشاهد وهما من معلقة طَرفة بن العبد المشهورة . وصف ناقتَه بعدّة أبيات إلى أنْ ٣٣٠ وصف أُذنيها فقال : « وصادقتا سمع » إلخ يعنى أُذنيها ، أى لا تكذبها إذا سمِعتْ شيئًا . والتَّوَجُّسُ : الخوف والحذَر من شىءٍ يُسمَع . وقوله : « للسُّرَى » أى فى السُّرى . والجَرْس بفتح الجيم : الصوت الخفىّ . والمندَّد بفتح الدال المشدَّدة : الصوت المرفوع المُبَيَّن .

---

(١) شروح المعلقات ، واللسان (شوه) .

وقوله : (مؤلَّلتان) صفة صادقتا ، أى محدَّدتان كتحديد الأَلَّة ، بفتح الهمزة وتشديد اللام ، وهى الحَرْبَة . ويريد أنَّ أُذنيها كالحربَة فى الانتصاب . و (العِتق) : الكرم والنَّجابة . أى أَنت تتبيَّن الكرم فيهما إذا نظرت إليهما ، لتحديدهما وقلة وبرهما . قال الخطيب التبريزى : العتق هنا فى الأُذنين : أَن لا يكون فى داخلهما وَبَر ، فهو أَجود . والسَّامعتان : الأُذنان .

قال شراح المعلقة : (الشاة) هنا : الثَّور الوحشى ، ولهذا قال مفرد بلا هاءٍ . و (حومل) اسم رملة ، لا ينصرف . وشبَّه أُذنى ناقته بأُذنَىْ تور وحشى ، لتحديدهما وصدقِ سمعهما . وأُذن الوحشىِّ أَصدق من عينه . وجعله مفردًا لأنَّه أَشَدُّ توجُّسا وحذرًا ، إذ ليس معه وحشٌ يلهيه ويشغله ، فانفراده أَشدُّ لسمعه وارتياعِه .

وترجمة طرفة بن العبد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة [1] .

* * *

وأَنشد بعده .

(فلا مُزْنةٌ ودَقَتْ ودْقَها ولا أَرضَ أَبقَلَ إبقالَها)

تقدَّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد الثانى أَول الكتاب [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الخمسمائة [3] :

٥٥٥ حَلفْتُ بهَدْيٍ مُشْعَرٍ بَكَراتُه يخُبُّ بصحراءِ الغَبيط دَرَادِقُه)

(١) الخزانة ٢ : ٤١٩ — ٤٢٥ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥ — ٥٥ .

(٣) الحماسة ١٧٤٦ بشرح المرزوق .

على أَنَّ تأْنيث نحو الزينبات مجازىّ لا يجب له تأْنيثُ المسند ، بدليل البيت ، فإن البكرات كالزينبات ولم يؤنَّث له المسند ، وهو مُشعَر .

وهذا ظاهر .

وقد خطَّأَ المبرد (فى كتاب الروضة) قولَ أَبى نواس :

كمَنَ الشَّنْآنُ منهُ لنا ككُمُون النَّار فى حَجَرِه

وقال : كان يجب أَن يقول فى حجَرها ، لأَنَّ النار مؤنَّثة . وأَجابوا عنه بأَنَّ أَبا نواس أَراد : ككمون النار فى حجَر الكُمون .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة لعارقٍ الطَّائىّ ، عدَّتها فى رواية أَبى تمام فى الحماسة أَحدَ عشر بيتا ، وفى رواية : الأَعلم (فى حماسته) أَربعة عشر بيتا . وبعده وهو آخر القصيدة :

(لئن لم تغيِّرْ بعضَ ما قد صَنعتمُ لَأَنْتحِيَنْ للعَظْمِ ذو أَنا عارقُه)

وبهذا البيت سمِّى عارقًا ، واسمه قيس كما يأْتى .

خاطب بها عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقيل أَخاه المنذَر بن المنذر بن ماءِ السماء . كان أَحدُهما بعث جيشًا للغزْو فلم يصيبُوا أَحدًا وأَخفقوا ، فمرُّوا بحىٍّ من طيِّئٍ فى حِمَى الملك فاستاقوهم ، وكان قد أَرعاهم الحمى وكتب لهم بذلك عهدا ، فلمَّا قدِموا بهم إلى الملك شاوَر فيهم زُرارة بن عُدُس الدَّارمى ، فأَشار عليه بقتل المقاتِلة منهم ، واستعبادِ ذراريهم ، فقام رجلٌ منهم وقال : هذا كتابُك لنا . فأَجرى عليهم الملك رزقًا ، فارتجل عارق هذا الشعر ، فلمَّا سمعه الملك أَحسنَ إليهم وخلَّى سبيلهم . ٣٣١

وقوله : (حلفتُ بهدْيٍ) إلخ الهدى : ما يُهدى إلى الحرم من النَّعَم . يقال أَهديت الهدْىَ إلى الحرم ، أَى سُقته إليه . و (مُشْعَر) : اسم مفعول

من الإشعار ، وهو أن يُطعن فى السَّنام فيسيلَ الدم عليه ، فيستدلّ بذلك على كونه هَدْيًا . وجعل الهَدْىَ دالًّا على الجنس . وما بعده صفته ، وهو مشعَرٍ ، وبكراته مرفوع بمشعر ، وهو جمع بَكْرة ، وهى الشَّابَّة من الإبل . وخبَّ يخُبُّ خببا ، كطلب يطلب طلبا . والخَبب : ضربٌ من العدو ، وهو خَطْو فسيح . والباءُ بمعنى فى . و (الغبيط) بفتح الغين المعجمة وكسر الموحَّدة : موضعٌ قريب من فَلْج فى طريق البَصرة إلى مكة . و (الدَّرادِق) : جمع دَردَق كجعفر ، وهو صغار الإبل . والضمير فى بَكراته ودرادقه للهَدْى .

وقوله : « لئن لم تغيِّر » إلخ هذه اللام هى اللام الموطئة ، وطَّأَت الجواب الآتىَ للقسم الذى قبل الشرط ، سواء كان القسم قبلها موجودًا كما هنا أو غير موجود كقوله تعالى : ﴿ لئن أُخرِجُوا لا يَخْرُجُون (١) ﴾ . ولا يجور أن تكون هذه اللام لام جواب القسم بأن يكون الجوابُ للشرط ، ومجموع الشرط وجوابه جواب القسم ، إذْ لو كانت كذلك لجاز جزم الفعل فى قولك : لئن أكرمتنى أُكرِمك ، بالجزم ، والتالى باطل والمقدَّم مثله . وقد أَجمع النُّحَاة على أن الفعل الثانى واجبُ الرفع . فإن قلت : فما جوابُ الشرط ؟ قلت : محذوف دلَّ عليه جوابُ القسَم . و « تغيِّر » بالخطاب ، وروى بالغيبة على البناءِ للمفعول ورفْع بعض . وقوله : « لأَنْتَحِيَنْ » اللام لام جواب القسم ، وأنتحين مؤكد بالنون الخفيفة جوابُ للقسم فى البيت قبله وهو حلفت . والانتحاء للشىء : التعُّرض له ، والاعتماد والميل . وروى : « لأَنتحينَّ العظمَ » بنون التوكيد الثقيلة وبلام

(١) الآية ١٢ من سورة الحشر .

التعريف بعدها . وذو صفة للعَظْم ، وهو فى لغة طيِّئ بمعنى الذى . وجملة « أَنا عارقُه » صلته . وبه أَورده الزمخشرى (فى المفصَّل) قال : ومن الموصولات ذو الطائية . وأَنشد البيت .

وعارق اسم فاعل من عرَقت العظم عَرْقا ، من باب قتل : أَكلتُ ما عليه من اللحم . جعل شكواه كالعَرْق ، وجعل ما بعده إن لم يغيِّر ما صنعه تأْثيرًا فى العظم . يقول : حلفت أَيُّها الملك بقرابين الحَرمِ وقد أُعْلِمَتْ بكرائها بعلامةِ الإهداء ، يخبُّ بصحراء ذلك الموضع صغارُها ، إن لم تغيِّر بعضَ ما صنعته ، ولم تتدارك ما فاتنا من عدلك لأَميلنَّ على كسر العظم الذى أَخذتُ ما عليه من اللَّحم . جعل شكواه وتقبيحه لما أَتاه كالعَرْق ، وجعل ما بعده إن لم يغير تأْثيرا فى العظم نفسه . وقد أَحسن فى التوعُّد ، وفى الكناية عن فعله وعما يهمُّ به [(١)] بعده . ومعناه : أَكسر عظمكم بعد هذا التهديد ، إنْ لم ترجعوا عنْ هذا الظلم [(٢)] .

عارق الطائى

وعارقٌ اسمه قَيس بن جِروة بن سيف [(٣)] بن وائلة بن عمرو بن مالك بن أَمان ، ويقال لأَولاده الأَجئيُّون ، لإقامتهم بأَجأ ، وهو أَحد جبلى طىّ . وأَمان هو ابن ربيعة بنَ جرول بن ثُعَل الطائى . كذا فى جمهرة الأَنساب . ويقال له الأَجئىّ لما ذكرنا . وهو شاعرٌ جاهلى أَورد أَبو تمام من شِعره فى عدّة مواضعَ من الحماسة .

* * *

(١) ط : « وعماهم » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ش : « كعب » ، صوابه فى ش ومعجم المرزبانى ٣١٦ .

(٣) فى معجم المرزبانى : « بن سيف بن مالك بن عمرو بن أمان » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الخمسمائة [1] : ٣٣٢

٥٥٦ (لو كنتُ مِن مازنٍ لم تَستَبِحْ إبلى
بنو اللَّقِيطةِ من ذُهْل بنِ شَيْبانا)

على أنَّ (بنون) لتغيُّر مفرده فى الجمع أشبه جمع المكسَّر ، فجاز تأنيث الفعل المسند إليه ، كما يجوز فى الأبناء الذى هو جمْع مكسَّر ، كما أُسند فى البيت (لم تستبِحْ) بتاء التأنيث فى أوله إلى بنو .

وهذا ظاهر .

صاحب الشاهد والبيت أوّل أبياتٍ ثمانية ، هى أوّل الحماسة ، لقُرَيْط بن أُنَيْف العَنْبَرِىّ . وبعده :

أبيات الشاهد
(إذَنْ لقامَ بنصرى مَعشرٌ خُشُنٌ ... عند الحفيظة إنْ ذو لُوثةٍ لانا
قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذَيه لهمْ ... طاروا إليه زَرافاتٍ ووُحدانا
لا يسألون أخاهم حِينَ ينْدُبهمْ ... فى النائبات عَلى ما قال برهانا
لكنَّ قومى وإنْ كانوا ذوِى عَدَدٍ ... ليسوا من الشرِّ فى شىءٍ وإنْ هانا
يَجزُون من ظلم أهلِ الظُّلم مَغفرةً ... ومِنْ إساءةِ أهلِ السُّوء إحسانا
كأنَّ ربَّك لم يخلُقْ لخشيته ... سِواهُمُ من جميع الناسِ إنسانا
فليتَ لى بهِمُ قومًا إذا ركبوا ... شَنُّوا الإغارةَ فُرسانا ورُكبانا)

قال أبو عبيدة : أغار ناسٌ من بنى شيبانَ علي رجل من بنى العنبر ، يقال له قُريط بن أُنَيْف ، فأخذُوا له ثلاثين بعيرًا ، فاستنجد قومه فلم ينجدُوه ، فأتى مازنَ تميم فركب معه نفرٌ فأطردوا لبنى شيبان مائة بعير ، فدفعوها إليه ، فقالَ هذه الأبيات . انتهى .

---

(١) الحماسة ٢٣ بشرح المرزوقى ، والمغنى ٢١ ، ٢٥٧ والأشمونى ٤ : ٤٣ واللسان (تيم ٣٤٢) .

ومازن هنا هو ابن مالك بن عمرو بن تميم ، أخى العنبر بن عمرو بن تميم . وإذا كان كذلك فمدحُ هذا الشاعر لهم يجرى مجرى الافتخار بهم .

قال المرزوقى : قصد الشاعرُ فى هذه الأبيات إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه ، لا إلى ذمِّهم . وكيف يذمُّهم ووبالُ الذَّمِّ راجعٌ إليه ؟ لكنه سلك طريقةَ كبشةَ أختِ عمرو بن معديكرب فى قولها :

ودَعْ عنكَ عَمرًا إنَّ عمرًا مسالمٌ ... وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لَمَطْعَمِ

فإنها لا تهجو أخاها ، وعمرٌو هو الذى كان يُعَدُّ بألف فارس ، ولكنَّ مرادها تهييجه .

و (الاستباحة) : الإباحة . وقيل الإباحة : التخلية بين الشىء وبين طالبه ، والاستباحة : اتخاذ الشىء مباحا . والأصل فى الإباحة إظهار الشىء للناظر ليتناوله مَنْ شاء ، ومنه : باحَ بسرِّه . (واللقيطة) إنَّما أُلحق بها الهاء ، وإن كانتْ فعيلًا بمعنى مفعول ، لأنَّها جعلت اسمًا ولم تتبع موصوفا كالذَّبيحة . كذا فى شروح الحماسة . ولا مناسبة للَّقيطة هنا لأنَّها فزارية ، لا اتِّصال لها بذُهْل بن شيبان . والصواب : (بنو الشَّقيقة) كما يأْتى .

وأوَّل من شرح على « اللقيطة » واتَّبعوه : أبو عبد الله النمرىُّ ، أوّلَ من شرح الحماسة . قال : اللقيطة نَبَزٌ نبزَهُم الشاعر به ، وليس بنسبٍ لهم ، جعل أُمَّهم ملقوطة ، وأخرجها مخرج النطيحة والرميَّة . هذا كلامه .

وردّ عليه الأسود أبو محمد الأعرابىّ ، (فيما كتبه على ذلك الشرح)

قال : هذا موضع المثل « أَوَّلُ الدَّنِّ دُردِيٌّ » . هذا أول بيت من الحماسة جهل جهة الصَّواب فى صحّة متنه واستواءِ نِظامه ، فاشتغل بوزن اللَّقيطة وذِكر النطيحة . والصواب إن شاء الله ما أَنشدَنَاه أَبو الندى ، وذكر أنّه لقُريط بن أُنيف العنبرىّ : ٣٣٣

لو كنتُ من مازن لم تستبْح إبلى بنو الشَّقيقة من ذُهْل بن شيبانا

قال : الشقيقة هى بنت عبّاد بن زيد بن عوف بن ذُهل بن شيبان . وهى أُمُّ سيّار ، وسمير ، وعبد الله ، وعمرو ، أَولاد سعد بن همام بن مرّة بن ذُهْلِ بن شيبان . وهم سيَّارةٌ مَرَدة ، ليس يأْتون على شىءٍ الّا أَفسدوه .

قال : وأَمَّا اللقيطة ، وليس هذا موضعها ، فهى أُمُّ حصن بن حذيفة وإخوَتِه ، وهم خمسة ، واسمها نُضَيْرة بنت عُصَيم بن مرْوان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة . وإنما أُلحق بها هذا الاسم لأَنَّ أَباها لم يكن له ولد غيرها ، والعرب ذاك الدّهْرَ تئد الجوارىَ ، فلما رآها انتشرت نفسه عليها ورَقَّ لها ، وقال لأُمِّها : استرضعيها وأَخفيها من النَّاس . فكان أَوّل من فَطِنَ لها حَمَل بن بدر ، فقال لأَخيه حذيفة ، وتحته العُذريَّة ليس له ولدٌ إلَّا منها ، وهو مسهر ، وبه كان يكتنى : مالك لا تتزوَّج وتجمع النساء نُرْزق منك عَضُدًا . قال : ومن لى بالنساءِ تُشْبِهُنى وتلائمنى ؟ قد علمتَ ما لقيتُ من العُذْريَّة وطلبها . قال : قد التقطتُ لك امرأَة ترضاها وتشبهك . قال : من هى ؟ قال : بنتٌ لعُصيم بن مروان بن وهب . قال : وإنَّ له لبنتا ؟ قال : نعم . قال : فإنِّى لم أَسمعْ بها . قال : كانت مُخْفاة وقد خُبِّرْت خبَرها . قال : فأَنْتَ رسولى إلى عُصيم فيها . قال : فأَتاه فزوَّجه إيَّاها .

وبهذا سمِّيت اللقيطة . وهى أُمُّ حصن ، ومالك ، ومعاوية ، وورد ، وشَريك ، بنى حذيفة . وإياهُم عَنَى زبّان بن سيَّارٍ بقوله :

أَعددتُها لبنى اللَّقيطة فوقَها رُمحٌ وسيفٌ صارم وشَلِيلُ (١)

انتهى كلام الأسود . وما أُورده فى تسمية اللقيطة خلافُ ما قاله السكَّرىُّ (فى شرح ديوان حسان بن ثابت) قال : اللقيطة : أُمُّ حصن بن حذيفة ، كانت سَقَطت منهم فى نُجعة وهى صغيرة ، فأُخذت فسمِّيت اللقيطة .

وكذا قال ياقوت (فى أَنساب العرب) قال : وحصن بن حذيفة ، هو ابن اللقيطة ، لأَنَّ قومها انتجعوا فسقطَتْ وهى طفل ، فالتقطها قومٌ فردُّوها عليهم . انتهى . والله أَعلم .

وقوله : « إذن لقام بنصرى » إلخ يأْتى إن شاء الله الكلامُ على إعراب هذا البيت فى إذن من نواصب الفعل . وقام بالأَمر : تكفَّل به . وخُشُن بضمتين : جمع خَشِن وقيل أَخشن ، وضمَّة الشين للإتباع . والحفيظة : الغضب فى الشىء الذى يجب عليك حِفظُه . واللُّوثة بضم اللام : الضَّعف ، وهى الرواية الصحيحة ، وبالفتح : القوّة والشدَّة . والأَوَل أَسدُّ ؛ لأَنَّ مراده التعريضُ بقومِه ليغضبوا أَو يهتاجُوا لنصرته .

وقوله : « قوم إذا الشر » إلخ الناجذ بالجيم والذال المعجمة : ضرس الحُلم ، زائد . والناجذ : مثَل لاشتداد الشَّر ، كما يقال : كشَّر الحربُ عن

---

(١) الشليل ، بالشين المعجمة : الدرع . ط : « وسليل » ، صوابه فى ش والمفضليات ٣٥٣ .

نابه [١] كذا فى شرح الطبرسى . وقال غيره : الناجذ : أقصى الأضراس ، كنى بإبدائه عن كشف الحال ورفع المجاملة . واستعمال الناجذ للشر استعارة لاشتداد أمره . وطاروا : أسرعوا إلى دَفْعِهِ ولم يتثاقلوا ، والزَّرافة ، بفتح الزاى ، قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : معناها الجماعة ، سمِّيت بذلك للزيادة التى فى الاجتماع والتضامِّ [٢] . ومنه التزريف ، للزيادة فى الحديث ، يقال زرَّف فى كلامه ، أى زاد فيه . ومنه الزَّرافة لطول عنقها وزيادته على المعتاد المألوف فيما قدُّه قدُّها . ووُحْدَان : جمع واحد ، كصاحب وصُحبان ، بمعنى منفردِين . ٣٣٤

وقوله : « لا يسألون أخاهم » إلخ قال ابن جنى : ليس يندبُهم هنا من النُّدبة التى هى التفجُّع ، وإنما هى بمعنى الاستغاثة . غير أنَّ أصلهما واحد ، وهو ما اجتَمعا فيه من معنى الخصوص والعناية .

والبرهان : الدليل ، فُعلالٌ لا فُعلانٌ ، لقولهم : برهنت عليه ، أى أقمت الدَّليل . وأخو القوم : الواحدُ منهم . واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قال لهمْ أخوهُمْ نوحٌ ألاَ تتَّقونَ [٣] ﴾ على أنَّ الأخ يطلق ويراد بِه الواحد من القوم كما فى البيت . وفى البيت تعريضٌ بقومه .

وقوله : « لكنَّ قومى » إلخ يعنى إنَّ قومى وإنْ كان فيهم كثرةُ عدد

---

(١) الحرب ، بمعنى القتال ، مسكن الراء ، مؤنث . وحكى ابن الأعرابى فيها التذكير . وأنشد :

وهو إذا الحرب هفا عقابه   كره اللقاء تلتظى حرابه

وقد تكون الحرب فتح فكسر ، وهو الغضبان .

(٢) فى إعراب الحماسة الورقة ٥ : « والتضام فيه » .

(٣) الآية ١٠٦ من سورة الشعراء .

وعُدَّةٍ ليسوا من دفع الشرِّ فى شىء وإن كان فيه خفَّة وقلَّة . وفيه مطابقةٌ ، حيث قابل الشرطَ بالشرط فى الصَّدر والعجز ، والعدد والكثرةَ بالهُون والخفَّة . ويريد أنَّهم يؤْثرون السلامة ما أُمكن ، ولو أَرادوا الانتقام لقَدَروا بِعَدَدهم .

وقوله : « يجزون من ظُلْم » هذا البيت وما بعده استشهد بهما أَهل البديع على النوع المسمَّى : « إخراج الذمّ مُخرج المدح » . ونبَّه بالبيتين على أَنَّ احتمالهم إنَّما هو لاحتساب الأَجر على زعمهم ، فكأَنَّ الله لم يخلق لخوفه غيرهم . وقوله : « سواهم » استثناء مقدَّم من إنسان .

وقوله : « فليت لى بهم » أَورده ابن هشام (فى حرف الباء من المغنى) على أَنَّ الباء فى بهم للبدلية . وقال ابن جنى : ليست الإغارة هنا مفعولًا به ، بل هى منتصبة على المفعول لأَجله ، أَى شدُّوا للإغارة فرسانًا وركبانًا ، أَى فى هذه الحال .

قريط بن أنيف

وقُرَيط بن أُنَيف ، بضم القاف وفتح الراء . وأُنيف بضم الهمزة وفتح النون . وهو شاعر إسلامى . قاله الخطيب التِّبريزى فى الحماسة .

وقد تتبَّعتُ كتب الشعراء وتراجمهم فلم أَظفرْ له بترجمة .

* * *

وأنشد بعده :

(بحَورانَ يعصِرْنَ السَّليطَ أَقاربه)

وتقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد السادس والسبعين بعد الثلثمائة [1] .

* * *

---

(١) الخزانة ٥ : ٢٣٣ – ٢٤١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الخمسمائة [1] :

٥٥٧ (مع الصُّبحِ رَكبٌ من أُحاظةَ مُجْفِلُ)

على أنَّ اسم الجمع بعضُه كالرَّكب يجوز تذكيره وتأْنيثه ، وفى الشعر جاء مذكَّرًا ، فإنه عاد الضميرُ عليه من مُجْفِل بالتذكير ، ولو أُنِّث لقيل مجفلة . ومجفل صفة ثانية لركب .

وهذا عجز بيتٍ ، وصدره :

(فعبَّتْ غِشاشًا ثم مرَّت كأنَّها)

والبيت من القصيدة المشهورة بلاميَّة العرب ، للشَّنفَرَى . وهذه أَبياتٌ منها متَّصلة به : صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(وتشربُ أَسآرِى القَطَا الكُدرُ بعدما ... سَرَت قَرَبًا أَحناؤها تتصلصلُ
هممتُ وهمَّتْ وابتدرنا وأسدلت ... وشمَّر منى فارطٌ مُتمهِّــــلُ
فولَّيتُ عنها وهى تَكْبو لِعُقرِهِ ... يباشرُه منها ذُقُونٌ وحَوْصَلُ
كأنَّ وَغَاها حَجْرَتيهِ وحولَه ... أَضاميمُ من سَفْر القبائل نُزَّلُ
تَوَافَيْنَ من شتَّى إليه فضمَّها ... كما ضمَّ أُذوادَ الأَصاريمِ منهلُ ٣٣٥
فعبَّت غِشاشا ....) البيت

وقوله : « وتشرب أُسآرى » إلخ الأَسآر بفتح الهمزة : جمع سؤر ، وهو بقية الماء . يريد أنَّه يسبق القطا إذا سايرَها فى طلب الماء لسرعته ، فترد بعدَه وتشرب سؤره ، مع أنَّ القطا أَسرع الطير ورودًا . وأُسآرى : مفعول تشرب ، والقطا فاعله ، والكُدر صفته .

---

(١) شرح شواهد الشافية ١٤٨ .

والقطا ثلاثة أضرب : أحدها كُدرىٌّ ، وهى الغُبْرُ الألوان ، الرُّقْش الظُّهور ، والبطون ، والصُّفْر الحلوق .

ثانيها : جُونىٌّ بضم الجيم ، وهى سود الأجنحة والبُطون ، وهى أكبر من الكدر (١) ، وتُعدَل جُونيَّة بكِدْريَّتين ، وهى منسوبة إلى الجُونة ، وهى الدُّهمة . والكدرىّ منسوبٌ إلى الكُدرة ، وهى الغبرة .

ثالثها : غَطَاطٌ ، وهى غُبْر البطون والظهور ، سودُ بطونِ الأجنحة ، طِوال الأرجل والأعناق ، لطاف الأجسام ، لا تجتمع أسرابًا ، أكثرُ ما تكون ثلاثًا أو اثنين . كذا فى (شرح أدب الكاتب) لابن برى ، واللَّبلى .

وسَرَيتُ ، إذا سِرتَ فى أول الليل ؛ وأسريتُ ، إذا سرتَ فى آخره . وقيل : بل هما لغتان .

والقرَب ، بفتح القاف والراء ، قال الخطيب التّبريزى (فى شرح القصيدة) : هو ورود الماء . يقال قرِبْت الماء أقرَبُه ، إذا وردتُه . وليلة القَرَب : ليلةُ ورود الماء .

وقال الزمخشرىّ (فى شرحها) : قرَبا : حال من ضمير سَرت . والقَرَب : السير إلى الماء بينك وبينه ليلة . قال الأصمعىُّ : قلت لأعرابىّ : ما القَرَب ؟ فقال : سير الليل لورُود الغد . وقال الخليل : القارب : طالب الماء ليلًا ، ولا يقال لطالب الماء نهارًا . انتهى .

والأحناء : جمع حنو ، بكسر المهملة وسكون النون ، هو الجانب . ويتصلصل : يصوِّت . قال الخطيب : وروايتى « أحشاؤها » وهو أجود عندى . ويقال لليابس : سمعت صلصلة ، أى صوتا من يُبسه .

---

(١) ش : « الكدرى » .

والصلصال : الفَخّار . يقول : تَتَصلصل [١] أجوافُها من العطش ليبسها .

وقوله : « هَممتْ وهَمَّت » إلخ هممتُ أنا وهمَّت القطا . وابتدرنا : استبقنا . وأسدلَتْ : أرخَتْ جناحَها وكفّت عن الطيران لتَعبِها . قال الخطيب : وحِفظى « وابتدرنا وقصَّرتْ » ، يريد أنَّ القطا عَجَزت عن العلْو وهو لم يكِلّ . وشمَّر : خفَّ . والفارط ، بالفاء : المتقدِّم . والمتمهِّل : المتأنّى . وفيه مبالغةٌ وتجريد .

وقوله : « فولَّيت عنها » إلخ تَكبو : تَتساقط القطا إلى عُقْر الحوض أى تقرب منه . والعُقْر ، بضم العين المهملة وسكون القاف ، هو مقام الساق من الحوض ، يكون فيه ما يتساقط من الماء عند أخذِه من الحوض . والذُّقون : جمع ذقن فى الكثرة ، وأذقانٌ فى القِلّة . وحوصل : جمع حوصلة . يقول : وردتُ وصدرتُ والقطا تكرع ثم تصدُر ، وكنت أسرعَ منها .

وقوله : « كأنَّ وغاها حَجرتَيه » إلخ وغاها : أصواتها . والوغى بالغين المعجمة والمهملة : الصوت . وحَجْرَتَيه منصوب على الظرف ، والضمير للعقْر ، أى مقام الساق . وحَجْرتاه : ناحيتاه ، مثنى حَجْرة بفتح المهملة وسكون الجيم : الناحية . وحوله ظرف معطوف عليه ، والضمير للعُقْر أيضا . وأضاميم : خبر كأنَّ على حذف مضاف ، أى كأنَّ وغاها وَغَى أضاميم ، لأنَّ التشبيهَ إنَّما هو بين الصَّوتين . وأضاميم : جمع إضمامة بالكسر ، وهو القوم [٢] ينضَمُّ بعضهم إلى بعض فى السفر . ٣٣٦

(١) ط : « يتصلصل » .

(٢) كذا فى النسختين . يعنى لفظ الأضاميم .

ونُزَّل : جمع نازل صفة أضاميم . أى يُسمع لهذهِ القطا أصواتٌ كما يسمع أصواتُ هؤلاء عند نزولهم .

وقوله : « توافَينَ مِن شتَّى » إلخ توافين : اجتمعن ، والضمير للقطا . ومن شَتَّى ، أى من طرق مختلفة ، جمع شتيت بمعنى مختلف . وضمير إليه للعُقْر ، وكذلك فاعل ضَمَّها ضمير العُقْر . وأذواد : جمع ذَود ، وهو ما بين الثَّلاث إلى العشر من الإبل . والأصاريم : جمع أصرام بالفتح ، وهو جمع صِرْم بالكسر ، وهو القطعة من الإبل . كذا قال الخطيب . وقال غيره : هو أبياتٌ مجتمعة من الأعراب . والمنهل : مورد الماء ، وهو فاعل ضَمّ ، وأذواد مفعوله .

وقوله : (فَعَبَّتْ غِشاشا) إلخ عبّت : شربت بلا مصٍّ . قال ثعلب : عبّ يعُبُّ ، إذا شرب الماءَ فصبّه فى الحلق صبًّا . وقال الخطيب : عبَّت : تابعت الشّرب ، كأنَّها تعبِّيهِ فى أجوافها ، فيكون من التعبية . وغِشاشا بكسر الغين المعجمة بعدها شينان معجمتان . قال الخطيب : قال بعض أهل اللغة : معناه على عجلة . وقال غيره : قليلًا أو غير مرىءٍ [١] . والرَّكب : رُكبانُ الإبل خاصّة . يقول : ورَدتِ القطا على عَجَل ثم صدرَت فى بقايا من الظُّلمة فى الفجر . وهذا يدلُّ على قوّة سُرعتها . ومُجفِل بالجيم : مسرع ، صفة ثانية لرَكب ، ومن أُحاظَة صفة أُولى . (وأُحاظَة) بضم الهمزة بعدها مهملة وظاء مُشالة معجمة ، قال الخطيب : أُحاظة فيما ذكر ثعلب : قبيلة

---

(١) ش : « قليلا أى غير مرىء » .

من الأَزْد . وقال غيره : هى قبيلةَ من اليمن . ولم يعرفها المبرد ، ولم أَسمع باسمها إلّا فى هذا الشعر . انتهى .

وقوله : « وقال غيره » إلخ ، غير جيد ، فإِنَّ الأَزد من اليمن .

وقيل أُحاظة موضع لا قبيلة . قال البكرى (فى معجم ما استعجم) : أُحاظة : بلد . وأَنشد هذا البيت ، ثم قال : وقد قيل إِنَّ أُحاظة قبيلة من ذى الكَلاع من حمير ، وهو الصحيح . انتهى .

وقد ذكره ابن الكلبى (فى جمهرة حِمير) قال : وأُحاظة أَخو مَيْتَم بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَريب بن زُهير ابن أَيمن بن الهَمَيْسع بن حمير بن سبأ . ثم ذكر مَيْتَم وأُحاظة وغيرهما . وقال : وقد تكلَّعُوا ، وهم رهط سَمَيفَع ، وهو ذو الكَلاع الأَصغر ، ابن ناكور ابن عمرو بن يعفُرَ بن يزيد ، وهو ذو الكَلاع الأَكبر ، ابن النعمان . ثم ذكر أَنَّ قبائل ذى الكلاع ثلاثٌ وعشرون قبيلة ، منهم مَيْتَم وأَخوه أُحاظة . ثم قال : تكلَّع هؤلاء فى الجاهلية على سَمَيفع . والتكلُّع فى لغتهم : التجمُّع . ومَيْتَم بفتح الميم وسكون المثناة التحتية وفتح المثناة الفوقية .

والشَّنفَرَى : شاعرٌ جاهلىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين [١] .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٣٤٣ - ٣٤٤ .

بـــــاب المثنى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الخمسمائة [١] :

٥٥٨ (أُحِبُّ منها الأنفَ والعَينانا)

٣٣٧ على أنَّ لزوم الألِف المثنّى فى الأحوال الثلاثة لغةُ بنى الحارث بن كعب ، فإنَّهم يقلبون الياء الساكنة إذا انفتحَ ما قبلها ألفا ، يقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت ثوبان ، والسَّلام علاكم . قاله أبو حاتم والأخفش (فى شرح نوادر أبى زيد) .

صاحب الشاهد والبيت من رجزٍ مسطورٍ فى هذه النوادر ، قال : وأنشدنى المفضَّل لرجل من ضبَّة ، هلك مذ أكثر من مائة سنة :

(إنَّ لسُعدَى عندنا ديوانا   يُخزِى فلانًا وابنَهُ فلانا
كانت عجوزًا عَمِرَتْ زمانا   وهى ترى سيِّئها إحسانا
أعرف منها الأنفَ والعينانا   ومَنخرين أشبها ظَبيانـا

ظَبيانُ : اسم رجل . أراد : منخرى ظبيان ، فحذف ، كما قال : ﴿ واسْأَلِ القَرية [٢] ﴾ ، يريد : أهل القرية . انتهى .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : من العرب من لا يخافُ اللَّبْس

---

(١) نوادر أبى زيد ١٥ وابن يعيش ٤ : ٦٧ ، ١٤٣ والمقرب ٨٠ والعينى ١ : ٨١٤ والتصريح ١ : ٧٨ والهمع ١ : ٤٩ والأشمونى ١ : ٩٠ وملحقات ديوان رؤبة ١٩٧ .

(٢) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

ويُجرى البابَ على أَصل قياسه ، فيدعُ الأَلف ثابتةً فى الأَحوال ، فيقول : قام الزيدان ، وضربت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، وهم بنو الحارث وبطنٌ من ربيعة . وأَنشدوا فى ذلك :

* تزوَّدَ منّا بين أُذناه ضربةً [(١)] *

وقال آخر [(٢)] :

فأَطرَقَ إطراقَ الشُّجاع ولو يَرَى   مساغًا لناباه الشُّجاعُ لصمَّما

وقال آخر :

أَعرفُ منها الجيدَ والعَينانا   ومَنخِرِيْنِ أَشبها ظَبْيانا

يريد : العينين . ثم إنه جاء بمنخِرَين على اللغة الفاشية . ورَوَيْنا عن قطرب :

* خبّ الفؤادِ مائل اليدانِ *

وقال آخر [(٣)] :

إنَّ أَباها وأَبا أَباها   قَد بلغا فى المجد غَايتاها

وفيها : وعلى هذا يتوجَّه عندنا قراءة من قرأ : ﴿ إن هَذَان لساحران [(٤)] ﴾ . انتهى .

وقوله :

* إن لسُعدَى عندنا ديوانا *

---

(١) لهوبر الحارثى فى اللسان (صرع ٦٤ هبا ٢٢٦) . وعجزه :

* دعته إلى هابى التراب عقيم *

(٢) هو المتلمس . ديوانه الورقة الأولى من مخطوطة الشنقيطى .

(٣) انظر الشاهد التالى .

(٤) الآية ٦٣ من سورة طه .

سُعدى ، بضم السين : اسم امرأة . قال السكريُّ : الدِّيوان مكسور ، ولذلك قالوا دواوين ، مثل قيراط ودينار . ولو كان ديوان بالفتح لقالوا دياوين ، ولأدغموا الواحدَ فقالوا دَيَّان ، كما قالوا ديَّار . انتهى .

قال ابن السِّيد : الديوان أُصله فارسى معرّب ، واستعملته العربُ ، وجعلوا كلّ محصَّلٍ من كلامٍ أو شعر ديوانا . وفاعل يُخزِى ضمير الديوان . وقوله : « كانت عجوزًا » ، أى صارت عجوزًا . وعَمِرَتْ ، بفتح العين وكسر الميم . وقوله : « ومنخِرين أشبها ظبيانا » تقدَّم عن أبى زيد أنَّ ظبيان اسم رجل ، وأنه على تقدير مضاف ، أى مَنخِرى ظبيان .

وزعم بعضُهم كما نقله العينى أنَّه مثنى ظَبْى ، على حذف مضاف ، والتقدير : أشبها منخرى ظبيين .

وهذا وإن كان فى نفسه صحيحًا إلَّا أنَّ نقل أبى زيد يدفعه .

والمنخر ، على وزن مسجد : خرق الأنف ، وأصله موضع النَّخير ، وهو الصَّوت من الأنف ، يقال نخر ينخُر من باب قتل ، إذا مدَّ النَّفَسَ فى الخياشيم . والمِنْخِر ، بكسر الميم للإتباع لغة . والمُنخور كعصفور : لغةُ طيِّئ .

وعُرف من نقل أبى زيد أنَّ الرواية : « أعرف منها الأنف » لا : « أُحِبُّ منها » كما هو فى الشرح .

وبنو الحارث بن كعب : قبيلةٌ عظيمة من قبائل العرب من قحطان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الخمسمائة [١] :

٥٥٩ (إنَّ أَباها وأَبا أَباها قد بلغا فى المجدِ غايتاها)

لما تقدَّم قبله . ٣٣٨

والشاهد فى : « غايتاها » ، و « أَبا أَباها » . فيجوز أَن يكون جاء على لغة القصر ، يقال : هذا أَباك ومررت بأَباك ، فتكون الحركة مُقدَّرة على الأَلف .

والبيتان نسبهما ابنُ السِّيد (فى أَبيات المعانى) لرجل من بنى الحارث . صاحب الشاهد
وقال العينى ، وتبعه السيوطى (فى شرح أَبيات المغنى) : نسبهما الجوهرىُّ إلى أَبى النجم ، وأَنشد قبلهما :

(واهًا لرَيَّا ثم واهًا واهَا هى المُنىَ لو أَنَّنا نِلناها
ياليتَ عينيها لنا وفاها بثمنٍ نُرضِى به أَباها)
إنَّ أَباها ... إلخ .

وقد رجعتُ إلى الصحاح فلم أَر فيه إلّا البيتين الأَوَّلين ، ولم أَر فيه ما أَنشده الشارح هنا .

وقال العينىُّ أَيضًا وتبعه السيوطى : أَنشد أَبو زيد فى نوادره عن المفضَّل قال : أَنشدنى أَبو الغُول ، لبعض أَهل اليمن :

(أَىَّ قلوصِ راكبٍ تراها شالُوا عَلَاهُنَّ فشُلْ عَلاها
واشددْ بمثْنَى حَقَبٍ حِقْواها ناجيةً وناجيًا أَباهــا

(١) الإنصاف ١٨ وابن يعيش ١ : ٣/٥١ : ١٢٩ والمقرب ٨١ والمغنى ١٢٢ ، ٢١٦ والشذور ٤٨ والتصريح ١ : ٦٥ والعينى ١ : ١٣٣ / ٣ : ٣٤٦ والهمع ١ : ٣٩ والأشمونى ١ : ٧٠ .

إنَّ أباها ...) إلخ .

وقد رجعت إلى النوادر أيضا فلم أر فيها هذين البيتين ، وإنَّما أورد عن المفضَّل الأبيات الأربعة من قوله : أىَّ قلوص إلى قوله : وناجيا أباها . أوردها فى موضعين من النوادر [١] ، ولم يزد على تلك الأربعة . وقد شرحناها فى الشاهد الثامن عشر بعد الخمسمائة من باب الظروف [٢] .

و (المجد) : الشَّرَف . وكان الظاهر أن يقول : قد بلغا فى المجد غايتيه ، بضمير المذكر الراجع إلى المجد ، لكنَّه أنَّث الضمير لتأويل المجد بالأصالة . والمراد بالغايتين الطَّرَفان من شَرَف الأبوين ، كما يقال أصيل الطرفين . وقال العينى : المجد : الكرم ، والضمير لريَّا . وهذا على ما ذكره الجوهرى من أنَّ قبل البيت : « واها لريَّا » . وأما على رواية أبى زيد فيكون ضمير أباها للقَلوص . هذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الخمسمائة [٣] :

٥٦٠ (يارُبَّ خالٍ لكَ من عُرَينَه فَسْوتُه لا تنقضِى شَهرَيْنَه
شهرَىْ ربيعٍ وجُمادَيَيْنَهْ)

على أن نون التثنية قد تفتح كما فى « شهرينه » و « جمادييىنهْ » ، وكما فى البيت السابق :

* أعرف منها الأنفَ والعينانا *

---

(١) نوادر أبى زيد ٥٨ ، ١٦٤ .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١١٢ – ١١٥ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ١٤٢ والمقرب ١٥٩ والإنصاف ٧٥٥ والمخصص ١٥ : ١١٤ .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : قرأْت على أَبى على (فى نوادر أَبى زيد) :

* أعرف منها الأَنفَ والعينانا [١] *

وروينا عن قُطربٍ لامرأةٍ من فقعَس :

يارُبَّ خالٍ لكَ من عُرَينه حَجَّ على قليِّص جُوَيْنَه
فَسْوتُه لا تنقضى شَهْرَينه شهرَىْ ربيع وجماديينَه

وقد حُكىَ أَنَّ منهم من ضمّ النون فى نحو الزيدانُ والعَمْرانُ . وهذان من الشذوذ بحيث لا يقاس غيرهما عليهما . انتهى .

وقيَّد ابن عُصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) فتح النون بحالة النصب والخفض ، وبحالة النصب فقط فى لغة من أَلزم المثنَّى الأَلف فى جميع الأَحوال .

وقد وجَّه أَبو على (فى كتاب الشعر) فتح النون على وجوه . قال : أَنشد أَبو زيد :

* أعرفُ منها الأَنفَ والعينانا * ٣٣٩

تحريك النون بالفتح يحتمل غير وجه . منها : أَنَّ حركتها لمَّا كانت لالتقاء الساكنين ، ورأَى التحريكَ فى التقائهما فى المنفصل والمتَّصلِ لا يحرَّك بضربٍ واحد من الحركة ، جعل التثنية مثل ذلك . أَلا ترى أَنَّهم قالوا : رُدَّ ، ورُدُّ ، ورُدِّ . وقالوا : عَوْضُ ، وعَوْضَ [٢] ونحو ذلك ، فلم يلزموا فى المتَّصل ضربًا واحدًا من التحريك ، فكذلك جعل نون التثنية بمنزلته .

---

(١) ط : « أعرف منه » ، صوابه فى ش ونوادر أبى زيد ١٥ .

(٢) كذا فى النسختين . والحق أنها مثلثة الضاد ، كما فى القاموس واللسان .

ويجوز أن يكون شبَّه التثنية بالجمع ، لمَّا رآهم يقولون : مضت سنون ، ويقولون: مضت سنين ، فيجعلون النون فى الجمع حرف الإعراب ، جَعلها فى التثنية كذلك .

ويجوز أن يكون شبَّه غير العلَم بالعلم . ألا ترى أنَّ النحويِّين قد أجازوا فى رجل يسمى بتثنيةٍ أن يجعلوا النون حرفَ الإعراب ، فيقولون : هذا زيدانُ وعَمْرانُ ، وكان القياس أن لا يُعرَّى من شىءٍ يدلُّ على التثنية ، كما أنَّه إذا سمىَ بجمعٍ بالألف والتاء لم يعرُّوه ممَّا يدلُّ على حكايةِ ذلك . إلَّا أنَّهم لما قالوا السَّبعانُ فى الاسم المخصوص فلم يُبقوا شيئًا يدلُّ على حكاية التثنية جاز على ذلك تغيير ما سمِّى بتثنية .

وقد حكى البغداديُّون تحريكَ نون التثنية بالفتح إذا وقعت بعد ياء . وأنشدوا :

* على أحوذِيَّينَ (١) *

ويشبه أنْ يكونوا شبَّهوا التثنية بالجمع . فكما فتحوا النون بعد الياء فى الجمع كذلك فتحوا ما بعد الياء فى التثنية ، وهذا مما يقوى فتح النون فى قوله : « العينانا » . ألا ترى أنَّه ليس يلزمها على رأيهم وعلى ما أنشدوه حركةٌ واحدة . وما عليه الجمهور أولى من جهة القياس أيضًا ، وهو الأكثر فى الاستعمال . وذلك أنَّ هذه الياء لا تلزم الكلمة .

وقد وجدتُ من الحروف ما لا يقع به الاعتداد لمَّا لم يلزم . فالياء فى

---

(١) البيت بتمامه كما فى اللسان (حوذ) فى وصف جناحى قطاة :

على أحوذيين استقلت عليهما فما هى إلا لمحة فتغيب

وهو لحميد بن ثور فى ديوانه ٥٥ .

هذا الموضع ليست بلازمة . ألا ترى أنَّ منهم من يجعلها فى جميع الأحوال ألفًا . وقد حذفوا هذه النون فى غير الإضافة ، كما يُحكى عن الكسائى أنَّه أنشد :

يا حبُّ قد أمسينا ولم تنام العَيْنا

أراد : العينان ، فحذف النون .

وقوله : « إنَّ عمَّىَّ اللذا » أشبهُ شيئًا [١] ، لأَنَّ الاسم قد طال بالصلة : انتهى .

وقوله : (يا رُبَّ خالٍ) إلخ يا حرف تنبيه ، وربَّ ، والعامل فى محلِّ مجرورها حجّ . و (عرينة) بضم العين وفتح الراء المهملتين : قبيلة باليمن . وقوله [٢] : « حجّ على قليِّص » إلخ حذفه الشارح المحقق لعدم تعلُّق غرضه به . وإنَّما ذكر البيت الأوّل وإن كان مثل الثانى ليعلم منه فتح النون فى البيتين الآخرين ، إذ لولا ذكرُه لربَّما ظُنَّ أنَّ النون فيهما مكسورة ، كقول الراجز :

قل لخليليكَ وتحسنانِه هل أنتما العيشَ ملبِّثانِه
فى دار حىٍّ حيث تعلمانِه إن لا تقولان فتُحسنانِه

وقُلِّيص : مصغر قَلوص ، وهى الناقة الشابة . وجُوَينة : مصغر جون بفتح الجيم . والجون من الخيل ومن الإبل : الأدهم الشديد السواد . وقوله : (فَسوته لا تنقضى) إلخ الفَسْوة بالفتح : ريح يخرج بغير صوت يسمع . وهو على حذف مضاف ، أى نَتْن فَسوته لا ينقضى فى هذه المدَّة ، ففسوته تشبه

---

(١) ط : « أشبه شىء » . والمراد أشبه قليلا . وهو يشير إلى قول الأخطل (الخزانة ٢ : ٤٩٩ بولاق) :

أبنى كليب ان عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

(٢) ش : « وقد » ، صوابه فى ط .

فَسوة الظَّرِبان . والظَّربان بفتح الظاء المعجمة المشالة وكسر الراء بعدها موحدة ، وهى دُوَيْبَّة كالهرّة منتنة الريح ، تزعم العرب أنَّها تفسو فى ثوب أحدهم إذا صادها ، فلا تذهب رائحته حتَّى يبلى الثوب . وقد ضُرب بها الأمثال ، يقال : « أنتن من ظَرِبان » ، و « أفسَى من ظربان » ، و « فسا بينهم الظَّربانُ » ، إذا تقاطع القوم وتهاجروا . و (تنقضى) : تذهب شيئًا فشيئًا . (شهرين) منصوب على الظرف وعامله تنقضى ، وهو مثنى شهر ، وفتح النون شذوذًا ، والهاء بعدها للسكت أُتىَ بها لبيان الفتحة ، فإنَّها قد يبيَّن بها حركة نون الاثنين مكسورة ومفتوحة ، ويبيَّن بها حركة نون الجمع أيضًا ، كقوله : ٣٤

قد صبَّحت بالأمسِ ماءَ لِينه (١) يحفُّها م القوم أربعونه

* حاليةً كاسيةً دهينه *

قوله : (شهرَىْ ربيع) إلخ بدل من شَهرينه . و (جُمادَيَيْنَه) معطوف على شهرى ، لا على ربيع ، لوجهين : أحدهما : أنَّه لا يقال شهر جمادى فإنَّ لفظ شهر لا يضاف إلَّا لما فى أوله راء كشهر ربيع وشهر رجب وشهر رمضان ، كما هو المشهور . ثانيهما : لئلَّا يفسد المعنى ، فإنه لو عطف على ربيع لاقتضى أنَّ البدل أربعة أشهر ، والمبدل منه شهران ، وهذا خُلْف من القول ، فعطفهُ على البدل يفيد أنَّ عدم الانقضاء فى أربعة أشهر : شهرى

---

(١) لينة ، بالكسر : بئر من أعذب الآبار بطريق مكة ، وقال السكونى : هو المنزل الرابع لِقاصِدِ مكة من واسط . قال زهير :

شج السقاة على ناجودها شبِما من ماء لينة لا طرقا ولا رنقا

ربيع وجماديين ، وهو مثنًّى جمادى بضم الجيم وقصر آخره ، فلمَّا ثنّى قلبت الألف ياء كقولك : فَتَيانِ فى تثنية الفتى .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الخمسمائة [1] :

٥٦١ (ليثٌ وليثٌ فى مَحلٍّ ضَنْكِ كِلاهُما ذو أُشَرٍ ومَحْكِ)

على أنَّ أَصل المثنى العطف بالواو ، فلذلك يرجع إليه الشاعر فى الضرورة كما هنا ، فإنَّ القياس أن يقول ليثان ، لكنَّه أُفردهما وعطف بالواو لضرورة الشعر .

قال ابن الشجرى (فى أُماليه) : التثنية والجمع المستعملان أُصلهما التثنية والجمع بالعطف ، فقولك : جاء الرجلان ومررت بالزيدين أُصله جاء الرجل والرجل ، ومررت بزيد وزيد ، فحذفوا العاطف والمعطوف وأُقاموا حرفَ التثنية مقامَهما اختصارًا . وصحَّ ذلك لاتفاق الذَّاتين فى التسمية بلفظ واحد . فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرير بالعاطف ، كقولك : جاء الرجل والفرس ، إذ كان ما فعلوه من الحذف فى المتَّفقينِ يستحيل فى المختلفين . ولمَّا التزموا فى تثنية المتَّفقين ما ذكرنا من الحذف ، كان التزامه فى الجمع ممَّا لا بدَّ منه ولا مندوحة عَنه ، لأَنَّ حرف الجمع ينوب عن ثلاثة فصاعدًا إلى ما لا يدركه الحصر . ويدلك على صحَّة ما ذكرته أَنَّهم ربَّما رجعوا

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١١ والمقرب ٧٩ والهمع ١ : ٤٣ .

إلى الأَصل فى تثنية المتَّفقين وما فُويقَ ذلك من العدد ، فاستعملوا التكرير بالعاطف إمَّا للضَّرورة ، وإمَّا للتفخيم . فالضَّرورة كقول القائل :

* كأَنَّ بينَ فكِّها والفكِّ [1] *

أَراد أن يقول : بين فكَّيها ، فقاده تصحيح الوزن والقافية إلى استعمال العطف .

ومثله فيما جاوز الاثنين قول أَبى نواس :

أقمنا بها يوما ويوما وثالثًا ويومًا له يومُ الترحُّلِ خامسُ

فإن استعملت هذا فى السَّعة فإنَّما تستعمله لتفخيم الشيء الذى تقصد تعظيمه ، كقولك لمن تعنِّفه بقبيحٍ تكرَّرَ منه ، وتنبِّهه على تكريرِ عفوك : قد صفحت عن جُرْمٍ وجُرمٍ وجُرم وجُرم ، وكقولك لمن يَحقِر أَيادىَ أَسديتَها إليه ، أَوْ يُنكر ما أَنعمتَ به عليه : قد أَعطيتك أَلفًا وأَلفا وأَلفا وأَلفا . فهذا أَفخم فى اللفظ ، وأَوقع فى النفس ، من قولك : قد صفحت لك عن أَربعة أَجرام ، وقد أَعطيتك ثلاثة آلاف . انتهى .

٣٤١

صاحب الشاهد

وهذا الشعر لواثلة بن الأَسقع ، أُورده له الكَلاعى (فى السيرة النبوية) فى وقَعة مرج الرُّوم قال : كان واثلة بن الأَسقع فى خيلِ قيسِ بن هُبيرة ، فى جيش خالد بن الوليد ، فخرج بِطْرِيقٌ من كبارهم ، فبرزَ له واثلة وهو يقول فى حملته :

(ليثٌ وليثٌ فى مجالٍ ضَنْكِ كلاهما ذو أُنُفٍ ومَحْكِ

---

(١) الرجز لمنظور بن مرثد ، كما فى اللسان (زكك) .

(٢) بين هذا الكلام وتاليه فى أمالى ابن الشجرى : « ومثله :

* ليث وليث فى مكان ضنك * »

أَجُولَ جَولَ حازمٍ فى العَرك أَو يكشفَ اللهُ قناعَ الشكِّ

مَعْ ظفرى بحاجتى ودَرْكى)

ثم حمل على البِطريق فقتله .

وأُورد الجاحظ تتمته وقصّته (فى كتاب المحاسن والمساوى) لجحدر بن مالك الحنفى على غير هذا الوجه ، قال :

كان باليمامة رجلٌ من بنى حنيفة [١] يقال له جحدر بن مالك ، وكان لسِنًا فاتكا شاعرا ، وكان قد أَفحشَ على أَهل هَجَر وناحيتها ، فبلغ ذلك الحجاج بنَ يوسفَ ، فكتب إلى عامل اليمامة يوبِّخه فى تلاعُب جحدرٍ به ، ثم يأْمرهُ بالتجرُّد فى طلبه حتَّى يظفرَ به . فبعث العامل إلى فِتيةٍ من بنى يربوع ابن حنظلة ، فجعلَ لهم جُعلاً عظيما إن هم قتلوا جحدرًا ، أَو أَتَوا به ، ووعَدَهم أَن يوفدهم إلى الحجاج ويُسْنِىَ فرائضهم [٢] ، فخرج الفتية فى طلبه حتَّى إذا كانوا قريبًا منه بعثوا إليه رجلا منهم يريه أَنَّهم يريدون الانقطاع إليه . فوثق بهم ، واطمأَنَّ إليهم . فبيناهم على ذلك إذْ شدُّوه وَثَاقا ، وقدِموا به إلى العامل فبعث به معهم إلى الحجَّاج ، فلما قدِموا به على الحجاج قال له : أَنت جحدر ، قال : نعمْ : قال : ما حملك على ما بلغنى عنك ؟ قال : جراَةُ الجَنَان ، وجَفوةُ السُّلطان ، وكَلَبُ الزَّمان . قال : وما الذى بلغ من أَمرك فيجترىَٔ جنانُك ، ويصلَك سلطانك ، ولا يكلَبَ عليك زمانك ؟ قال :

(١) فى معجم البلدان (حجر) : « من بنى حشم بن بكر » . وفى الموفقيات ١٧٠ : « رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلى » . وما فى أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٩٦ مطابق لما هنا .

(٢) أصل الإسناء الرفع . فالمراد زيادة الفريضة .

لو بَلانى الأَميرُ لوجدنى من صالحى الأَعوان ، وبُهَم الفُرسان [١] ومَنْ أَوفى عليّ أَهل الزّمان . قال الحجاج : أَنا قاذفُك فى قبّة فيها أَسد ، فإن قتلَكَ كفانا مؤنتك ، وإن قتلتَه خلَّيناك ووصلْناك . قال : قد أَعطيتَ أَصلحك الله المُنْية ، وعظّمت المِنَّة ، وقرَّبت المحنة . فأَمر به فاستُوثق منه بالحديد ، وأُلقِىَ فى السِّجن ، وكتب إلى عامله بكَسكَر يأمره أَن يصيد له أَسدًا ضاريا . فلم يلبث العامل أَنْ بعث له بأُسْدٍ ضاريات ، قد أَبزَتْ على أَهل تلك الناحية [٢] ومنعت عامَّة مراعيهم ومَسارح دوابِّهم ، فجعل منها واحدًا فى تابوت يُجَرُّ على عجلة ، فلما قدِموا به أَمر فأُلقىَ فى حَيِّزٍ [٣] ، وأُجيع ثلاثا ، ثُمَّ بعث إلى جحدر فأُخرِج وأُعطِىَ سيفا و دُلِّىَ عليه ، فمشى إلى الأَسد وأَنشأَ يقول :

(ليثٌ وليثٌ فى مجال ضنكِ كلاهما ذو أَنَفٍ ومَحْكِ
وصولةٍ فى بطشِهِ وفَتْكِ إن يكشِفِ اللهُ قِناعَ الشكِّ
وظفَرًا بجؤجؤٍ وبَرْكِ فهو أَحقُّ منزلٍ بترْكِ
الذئبُ يَعوِى والغُرابُ يبكى

٣٤٢

حتى إذا كان منه على قَدر [٤] رمح تمطَّى الأَسد وزأَر ، وحمل عليه ، فتلقَّاه جحدرٌ بالسَّيف فضربَ هامتَه ففلقَها ، وسقط الأَسد كأَنَّه

---

(١) جمع بهمة : بالضم ، وهو الفارس الذى لا يدرى مقاتله من أين يدخل عليه .

(٢) الإبزاء : الغلبة والقهر . وفى المحاسن ٥١ وأمالى ابن الشجرى : ٢ : ١٩٦ والموفقيات ١٧٣ : « قد أبرت » . والإبرار : الغلبة أيضا . يقال أبر عليهم إبرارا : غلبهم .

(٣) كذا فى النسختين والمحاسن . وفى الموفقيات : « حير » بالفتح والراء المهملة ، وهو الوجه . والحير ، كما فى القاموس : شبه الحظيرة .

(٤) ط : « قد رمح » ، صوابه فى ش . وفى أمالى الشجرى : « على قيد رمح » . والقيد ، بكسر القاف : القدر أيضا .

خيمةٌ قَوَّضَتها الرِّيح . ولم يلبث جحدرٌ لشدَّةِ حملة [١] الأسدِ عليه ، مع كونه مكبَّلاً ، أَنْ وقع على ظهره [٢] متلطِّخًا بالدم . وعلت أَصواتُ الجماعة بالتكبير ، وقال له الحجَّاج لمَّا رأى منه ما هاله : يا جَحدرُ ، إِنْ أحببتَ أَن أُلحِقك ببلادك وأُحسنَ جائزتك فعلتُ ذلك بك ، وإن أَحببتَ أَن تقيم عندنا أَقمتَ فأَسنَينا فريضتك . فقال : أَختار صحبة الأَمير . ففرض له ولجماعة أهلِ بيته ، وأَنشأَ جحدرٌ يقول :

يا جُملُ إنَّكِ لو رأَيتِ بسالتى ... فى يوم هَيْج مُردَفٍ وعَجاج [٣]
وتقدُّمى للَّيثِ أُرسُف نحَوه ... حَتَّى أُكابره عن الأَخراج [٤]
جَهْمٌ كأَنَّ جبينَه لما بدا ... طَبَق الرحَا متفجِّر الأَثباج
يرنو بناظرتين يَحْسَبِ فيهما ... من ظَنَّ خالهما شُعاعَ سِراج [٥]
شَثْنٍ براثنُـه كأَنَّ نيوبـه ... زُرْق المعابل أَو شَذاة زِجاجِ
وكأَنَّما خِيطتْ عليه عَباءةٌ ... بَرقاءُ أَو خَلَقٌ من الدِّيباج
قِرنان مُحتَضَرانِ قد ربَّتهما ... أُمُّ المنيَّة غيرَ ذات نتاج
وعلمتُ أَنِّى إن أَبَيْتُ نِزالَه ... أَنِّى من الحجَّاج لستُ بناج
فمشَيتُ أُرسُف فى الحديد مكبَّلا ... بالموت ، نفسى عند ذاكِ أُناجى

---

(١) ط : « حمل » . والوجه ما أثبت من ش .

(٢) ط : « اذ وقع على ظهره » ، صوابه فى ش .

(٣) فى الأخبار الموفقيات ١٧٤ :

يا جمل أنك لو رأيت كريهتى ... فى يوم هيج مسدف وعجاج

وبين الأبيات هنا وبينها فى الموفقيات خلاف فى الرواية والزيادة والنقص .

(٤) فى الموفقيات : « كيما أكابره على الأحداج » ، وفى النسختين هنا : « عنى » ، والوجه « حتى » كما فى المحاسن .

(٥) فى الموفقيات : « تحسب فيهما » لما أحالهما » .

هذا ما أورده الجاحظ [١] .

وقد أورد ابنُ الشجرى فى أماليه هذه الحكاية مختصرة لجحدر المذكور ، مع أربعة أبيات من الرجز ولم يذكر هذه الأبيات .

وأخرج السيوطى (فى بحث ربّ من شرح شواهد المغنى) هذه الحكاية بنحو ما ذكره ابن الشجرى عن المعافى بن زكريا ، وابن عساكر فى تاريخه بسند متّصل عن ابن الأعرابى ، وعن الزبير بن بكار (فى الموفّقيات) .

ولم يورد السكرى (فى كتاب اللصوص) شيئًا مما أورده الجاحظ ، مع أنه استوعب أحوال اللصوص وأشعارهم فى كتابهِ ، وأورد له أشعارًا كثيرة جيدة .

وقوله : (ليثٌ وليثٌ [٢]) : إلخ الليث : الأَسَدُ . والضَّنْك : الضّيق . و (الأَشَر) بفتحتين ، البَطر . وروى بدله : « ذو أَنِف » ، بفتح الهمزة والنون ، بمعنى الاستنكاف . (والمحك) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة : اللَّجَاج .

والحازم من الحزْم ، وهو التثبُّت والتيقُّظ . والعَرْك بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الحرب ، والمعركة موضعه . وقوله : « أو يكشف الله » إلخ أو هنا بمعنى إلى . والظَّفر : الغلبة . والدَّرك : الوصول .

والجُؤجؤ فى شعر جحدر ، بجيمين وهمزتين ، على وزن قنفذ : الصَّدر . والبرك بفتح الموحدة وسكون الراء : ما حول الصَّدر .

وقوله : « كأنَّه خيمة قوَّضتها الريح » ، رواه ابن الشجرى :

---

(١) فى المحاسن ٥٢ ستة أبيات بعد السابقة ، كما أن فى الموفقيات أربعة أبيات مع تلك الستة ، أغفل البغدادى روايتها .

(٢) ش : « وليث » ، بسقوط « ليث » .

« كأنَّه أُطُمٌ مقوَّض » ، وقال : الأُطم بضمتين : الحِصْن . والمقوَّض : من قوَّضت البناء ، إذا نقضتَه من غير هدم . والمكبَّل : المقيَّد ، والكَبْل بفتح الكاف وكسرها مع سكون الموحدة : القيد الثقيل .

وقوله : « يا جُمْل إنَّكِ لو رأيت بسالتى » إلخ جُمْل بضم الجيم وسكون الميم : اسم امرأة . والبسالة : الشَّجاعة . وأَرسُف : أَمشى بالقيد ، يقال رسَف فى قيده ، من باب ضرب وقتل . والجَهْم : العَبُوس . والأَثباج : جمع ثَبَج بفتح المثلثة والموحدة ، وهو ما بين الكاهل إلى الظَّهر . ويرنو : ينظر . وشَثْن بمعنى خشن . والبراثن : جمع بُرثن كقنفذ ، وهو ظُفر السَّبع . والنيوب : جمع نابٍ ، وهى السِّنُّ . وزُرق : جمع أَزرق . والمعابل : جمع مِعْبلة بكسر الميم ، وهو نصل طويل عريض . والشَّذاة بفتح الشين والذال المعجمتين : الطَّرَف . والزِّجاج بالكسر : جمع زُجّ بضم الزاى ، وهى الحديدة التى فى أُسفل الرمح . والقِرْنان : مثنَّى قِرن بالكسر ، وهو المساوى لصاحبِهِ فى الشَّجَاعة وغيرها . ٣٤٣

واثلة بن الأسقع

وواثلة بن الأَسقع ، بالمثلثة والقاف ، هو من الصحابة ، قال ابن الأَثير (فى أُسد الغابة فى أَسماء الصحابة) : واثلة بن الأَسقع بن عبد العُزَّى الكنانى الليثى ، وقيل : واثلة بن عبد الله بن الأَسقع . أبو شدّاد ، وقيل أَبو الأَسقع ، وقيل أبو قِرْصافة [1] . أَسلم وخدم النبى ﷺ ثلاثَ سنين . من أَصحاب الصُّفَّة . وله رواية . مات سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة ، وقيل : مات سنة

(١) بكسر القاف . والقرصافة : الخذروف ، ومن النساء والنوق : التى تتدحرج كأنها كرة .

خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة . وتوفى بالمقدس وقيل بدمشق . وكان قد عمىَ . انتهى .

ووقعة مرج الرُّوم كانَت بعد سنة خمسَ عشرةَ من الهجرة بعد فتح الشام ، فى خلافة عمر بن الخطَّاب . فلا شكَّ أن واثلة أقدمُ من جحدر ، ويكون جحدر قد أخذَ الشعر من واثلة وزاده . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٦٢ (كأنَّ بين فكِّها والفكِّ فارةَ مِسْكٍ ذُبِحَتْ فى سُكِّ)

لما تقدّم قبله . وكان القياس أن يقول : بين فكّيها ، لكنّه أتى بالمتعاطفين للضرورة .

قال ابن يعيش : الأصل فى قولك الزيدان : زيد وزيد . والذى يدلُّ على ذلك أنَّ الشاعر إذا اضطُرَّ عاود الأصل ، نحو قوله :

* كأنَّ بين فكِّها والفكِّ *

أراد : بين فكّيها ، فلمَّا لم يتَّزن له رجع إلى العطف ، وهو كثيرٌ فى الشعر . انتهى .

والفكُّ بالفتح : اللَّحْى ، بفتح اللام وسكون المهملة ، وهو عظم الحنَك ، وهو الذى عليه الأسنان . وهو من الإنسان حيث ينبتُ الشّعر

---

(١) إصلاح المنطق ٧ والمخصص ١١ : ٢٠٠ / ١٣ : ٢٩ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٠ وابن يعيش ٤ : ١٣٨ / ٨ : ٩١ واللسان (زكك) .

وقال (فى البارع) : الفَكَّان : مُلتقى الشِّدقين من الجانبين . قال ابن السِّيرافى : وصف امرأةً بطيب الفم . يريد أنَّ ريحَ المِسك يخرج من فيها . (وفأْرةَ) منصوبٌ اسم كأَنَّ ، وبين خبَرها . والسُّكُّ : ضرب من الطِّيب . انتهى .

(وذُبحت) بالبناء للمفعول . قال يعقوب (فى إِصلاح المنطق) : قال الأَصمعى : الذَّبح : الشقُّ . وأَنشد البيت . أَى شُقَّت وفُتِقت .

وقال المفضَّل بن سلمة الضبى (فى كتاب الطِّيب) : ومن الطِّيب المسك ، يقال هو المِسك ، والأَناب ، واللَّطيمة . وقال أَبو زيد : اللَّطيمة : المِسك ، يقال للعِير التى تحمل المسك أَيضا لطيمة . ويقال للتى فيها المسك : فارة ونافجة . قال الأَحوص :

كأَن فارة مسك فُضَّ خاتَمُها ... صهباءَ ذاكيةً من مسك دارينا

وقال آخر :

كأَنَّ حَشْوَ المسك والدَّمالِج ... نافجةٌ من أَطيب النَّوافِج

ويقال : فُتِقت الفارة ، وذُبحت ، وفُضَّت ، وشُقَّت . قال الراجز :

كأَنَّ بَين فكِّها والفَكِّ ... فارةُ مِسكٍ ذُبحتْ فى سُكِّ

٤٤

والسُّكُّ ، بضم السين : نوعٌ من الطِّيب . وقال أَبو حنيفة الدينَوَرِى (فى كتاب النبات) : الفار : جمع فارة ، وهى فار المسك ، وهى نوافجه التى يكون المسك فيها ، شبِّهت بالفار وليست بفار ، إنما هى سُرَرُ ظباءِ المسك . قال الشاعر :

إِذا التاجر الهندىُّ وافى بفارة
من المسك أَضحَتْ فى مَفارقهم تجرى [1]

---

(١) المخصص ١١ : ٢٠٥

وقال آخر فى وصف امرأة :

* كأنَّ فارة مِسكٍ فى مُقبَّلها *

وهى مهموزة فأْرة وفأر . وكذلك الفأْر كله مهموز . وبنواحى الهند فأر يجلب إلى أُرض العرب أحيانًا ، قد تأنَّست وأَلِفَتْ ، تدور فى البيوت ، تدخل بين الثِّياب . فلا تلابس شيئًا ، ولا تدخل بيتًا ولا تخرأُ على شىء ، ولا تبول عليه ، إلَّا فاح طيبًا . ويجلب التجَّار خرءَها فيشتريه الناس ، ويجعلونه فى صُرَرٍ ، ويضعونها بين الثياب فتطيب . وأَخبرنى مَن رآها أَنَّها نحو بنات مِقْرض . وفارة الإبل مأْخوذة من هذا ، وهى الإبل التى ترعى أَفواه البقول الطِّيبة فى العَذَوات العازِبَة (١) ثم ترد الماء فتشرب ، فإذا رويت ثم صدَرت فالتفَّ بعضها ببعض ، فاحتْ برائحة طيِّبة .

قال الأَصمعى : قلت لأبى مهديَّة : كيف تقول : ليس الطِّيب إلا المسك . وهو يريد أَن يعلم كيف يُعْرِبُه . فقال أبو مهدية له : فأَين العنبر ؟ فقال الأَصمعى : فقل : ليس الطيب إلَّا المسك والعنبر . فقال : أَين أُدهان حَجْر ؟ فقال : فقل ليس الطِّيب إلا المسك والعَنبر وأُدهان حَجْر . فقال : فأَين فارة إبل صادرةٍ ؟

ومن هذا الجنس والضرب الذى ذكرنا النُّوَيْبَة التى تسمَّى الزَّبَاد ، وهى مثل السِّنَّوْرة الصغيرة فيما ذكر لى ، تجلب من تلك النواحى ، وقد تأْنس فتُقتَنى وتحتلب شيئًا شبيهًا بالزَّبَد يظهر على حَلَمتها (٢) بالعَصر ، كما يظهر على آنِف الغلمان المراهِقين ، فيُجمع وله رائحة طيِّبة البَنَّة . وقد رأيتُه يقع فى

(١) العذاة ، كغداة : الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت . والعازبة : البعيدة النائية .

(٢) ش : « حلمته » .

الطِّيب . وقد بلغنى أنَّ شحمَه كذلك أيضا .

وقد ذكر بعضُ الشعراء القُدُم بعضَ هذا وجعله أمعاءَ الدابَّة ، وظن أنَّه إنَّما طاب جوفه لأنه يأكل الطِّيب ، فقال :

تَكسو المفارقَ واللَّباتِ ذا أَرجٍ   من قُصْبِ معتلِفِ الكافور درَّاجِ [1]

والأعراب لا يميِّزون هذا . وفى فارة الإبل يقول الراعى :

لها فأْرةٌ ذفراءُ كلَّ عشيّةٍ   كما فتق الكافورَ بالمسك فاتقُه

ظنَّ أنَّه يُفتَق به . وكان الراعى أعرابيًّا قُحًّا ، والمسك لا يُفتَق بالكافور . انتهى كلام الدينَوَرى .

والبَنَّة ، بالفتح للموحَّدة وتشديد النون : الرائحة الطَّيِّبة ، وربَّما قيلت فى غير الطَّيِّبة .

وقال أبو القاسم علىّ بن حمزة البصرىّ اللغوى (فيما كتبه على كتاب النبات من تبيين أغلاط الدينوَرى) : قد غلط فى همز هذه الفارة ، لأن الفأر كله مهموز إلَّا فارة الإبل . وقد اختلف فى فارة المسك وفأرة الإنسان وهى عضلُهُ . والأعلى فى فأْر المسك الهمزُ ، وفى فار الإنسان ترك الهمز . ومن كلامهم : « أَبْرِز نارك ، وإن أَهزَلْتَ فارك » [2] ، أى أطعم الطعام وإن أضررت ببدنك . فأمَّا قوله : « والمسك لا يُفتَق بالكافور » ، فصحيح . ولم يقل الراعى : « كما فتق المسك بالكافور فاتقه » ، إنَّما قال : « كما فتق الكافور   ٣٤٥

(١) للراعى فى ديوانه ٣٥ واللسان (قصب ، كفر) . وفى النسختين : « يكسو » بالياء ، صوابه بالتاء ، كما فى المراجع السابقة .

(٢) فى اللسان (فور) : « برز نارك » ، بالتضعيف .

بالمسك » ، وإن كان المسكُ لا يُفتق بالكافور فإنّ الكافورَ يُفتق بالمسك .

وجعل الراعىَ أعرابيًّا قُحًّا ونسبَه إلى الجفَاء ، وأوهم أنّه غلط ، وخطّأه فى شىء لم يقله ، إلاّ أن يكون عند أبى حنيفة أنّ الكافور لا يفتق بالمسك ، ويكون هو قد غلط فى العبارة وعَكَسَها ، فيكون فى هذه الحال أسوأ حالاً منه فى الأولى ، ويكون قليلَ الخبرة بالطِّيب وعملِه واستعماله . ولا رائحة أخمُّ من الكافور إذا فُتِق بالمِسْكِ ، يشهد بذلك بنو النَّعمة والعَطّارون قاطبة . انتهى .

صاحب الشاهد

والرجز الشاهد لمنظور بن مرثَدٍ الأسدىّ . قال ابن برى (فى حاشيته على صحاح الجوهرى) : وقبله :

يا حبَّذا جاريةٌ من عَكٍّ تُعقِّد المِرْط على مِدَكٍّ

* مثل كثيبِ الرمل غير رِكِّ *

وعَكٌّ بفتح العين المهملة : أبو قبيلة من الأزد فى قحطان . والمرط ، بالكسر : كساء من صوفٍ أوْ خَزّ يُؤتَزر به [1] وتتلفّع به المرأة . وأراد بالمِدَكّ بكسر الميم : العجُز . والرِّكُّ ، بكسر الراء المهملة : المهزول ، والمكان المضعوف [2] الذى لم يمطر إلّا قليلا . قاله الصغانى ، وأنشد البيت للمعنى الأوّل . وقال : وذكره بعضُ من صنَّف فى اللغة بالزاى ، فى اللغة وفى الرجز ، وهو تصحيف . انتهى .

وأراد به الجوهرىَّ . وقد خطّأه كذلك ابن بَرِّىٌّ (فى حاشيته على الصحاح) ، وتبعه الصَّفَدى أيضا .

ومنظور بن مرثد تقدم فى الشاهد الثانى والأربعين بعد الأربعمائة [2] .

* * *

(١) ش : « يتزر به » .

(٢) انظر الخزانة ٦ : ١٣٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الخمسمائة (١) :

٥٦٣ (لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنتَ أكرمَهُمْ   مَيْتًا وأبعدَهُمْ عن مَنزِلِ الذّامِ)

على أنّ تعاطف المفردين فيه ليس من قبيل ما تقدّم من كونه للضرورة ، بل لقصد التكثير ، إذ المُرادُ : لو عُدّت القبور قبرًا قبرًا . ولم يرد قبرين فقط ، وإنّما أراد الجنسَ متتابعًا واحدًا بعد واحد . يعنى : إذا حُصِّلت أنساب الموتى وجدتّنى أكرمَهم نسبًا ، وأبعدهم من الذّم .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات أربعة أوردها أبو تمّام والأعلم الشّنتمريُّ وصاحب الحماسة البَصْرية (فى حماساتهم) ، لِعِصام بن عُبَيْد الزِّمّانى . ونسبها الجاحظ (فى كتاب البيان) لهَمّامٍ الرَّقاشى ، وهى :

أبيات الشاهد

(أبلغْ أبا مِسمعٍ عنّى مُغلغلةً   وفى العتاب حياةٌ بينَ أقوامِ
أدخلتَ قَبلِىَ قومًا لم يكن لهمُ   فى الحقِّ أن يَلِجوا الأبوابَ قُدّامى
لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنت أكرمَهُمْ   مَيتًا وأبعدَهم عن منزل الذامِ
فقَد جعلتُ إذا ما حاجتى نزلَتْ   بباب دارك أدلُوها بأقوامِ)

قوله : « أبلغ أبا مسمع » إلخ هو بكسر الميم الأولى وفتح الثانية . والمغلغة : الرِّسالة ، لأنّها تُغَلْغَل إلى الإنسان حتّى تصل إليه من بُعْد ، من قولهم : تغلغل الماء ، إذا دخل بين الأشجار . وأصل الغلغلة دخول الشىء فى الشّىء . وجملة « وفى العتاب حياة » إلخ معترضة بين أبلغْ وبين أدخلتَ . والعتاب : اللّوم والتوقيف على الذنب . يعنى ما دام القوم يلومُ كلٌّ منهم

(١) المقرب ٧٩ والحماسة بشرح المرزوقى ١١٢٢ . ونسبه الجاحظ إلى همام الرقاشى فى البيان ٢ : ٣١٦ / ٣ : ٣٠٢ / ٤ : ٨٥ .

صاحبَه على ما صَدَر منهم من التقصير لصاحبه ، يُرجَى صلاحُهم وارتباط مَوَدَّاتهم . وإنْ لم يتعاتبوا انطوت ضمائرُهم على الأحقاد .

وقوله : « أدخلْتَ قبلىَ قوما » إلخ أى قدَّمتهم علىَّ فى الإذن وإن لم يكن من حقِّهم أنْ يتقدّموا علىَّ إذا وردْنا الأبواب . و يَلِجُوا : يدخُلوا . ورُوى : « أنْ يَدْخُلوا » . ودخل يتعدَّى فى الأصل بحرف جر ، ثم يحذف الجار تخفيفا فيقال : دخلت البيت . وقوله : « لو عُدَّ قبر وقبرٌ » إلخ قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : لم يُرد لوعُدّ قبران اثنانِ وإنّما أراد لو عُدّت القبور قبرًا قبرًا . ولو قال : عُدّ قبر قبر فرفع لم يجز ذلك كما جاز لو عدت القبورُ قبرًا قبرًا . وذلك أنَّ هذا من مواضع العطف ، فحذف حرفه لضربٍ من الاتِّساع . وهذا الاتساع خاصّةً إنّما جاء فى الحال ، نحو : فصَّلت حسابه بابا بابا ، ودخلوا رجلا رجلا ، أى متتابعين . ولو رفعت فقلت : فصِّل حسابُه بابٌ بابٌ ، وأُدخلوا رجلٌ رجلٌ على البدل لم يجُزْ . وعلى هذا قالوا : هو جارى بيتَ بيتَ ، ولقيتُه كَفَّةَ كَفَّةَ [1] ، فاتَّسعوا بالبناء على الحال . ونحوُها فى ذلك الظَّرف نحو قولك : كان يأْتينا يومَ يومَ ، وليلة ليلةَ ، وأَزمانَ أَزمانَ ، وصباحَ مساءَ . فلو خرجت به عن الظرفيّة لم يجز فيه هذا البناء . ألا تراك تقول : هو يأْتينا كلَّ صباحِ مَساءٍ ، فى ليلةٍ ليلةٍ ، فتعرب البتَّة . انتهى .

وقال الطَبرسّى : يريد لو عُدّت القبُور قبرًا قبرًا ، إلَّا أنّه اقتصر ،

---

(١) انظر سيبويه ٣ : ٣٠٤ . وهو بفتح الكاف ، أى كفاحا ، وذلك إذا استقبلته مواجهة . اللسان (كفف ٢١٣) .

وحذف القبور ، وجعل القبر فاعلا (١) وأزاله عن سَنَن الحال . وقيل : معناه لو عُدَّ قبرى وقبرُ الداخل قبلى لكنتُ أُكرمَ منه مَيْتا . انتهى .

والذام : لغة فى الذَّمّ بتشديد الميم .

وقوله : « فقد جعلت إذا » إلخ هو بالتكلّم . قال الطبرسى : أى طفقت وأقبلت ، إذا نزلَت حاجتى بباب دارِك ، يريد إذَا أُلجأتنى إليك حاجةٌ أدلوها أى أتنجَّزها بغيرى (٢) ، واستشفعت أقوامًا فى قضائها ، ولم أُقرِّبْك بنفسى . انتهى .

قال أبو حنيفة الدينَوَرىّ (فى كتاب النبات) : الدَّلو : الاستقاء بالدَّلو من العُمق . يقال أدلى الدلو : إذا حدَرَها للاستقاءِ ، يُدْلِيها إدلَاء . ودلّاها ، إذا اجتذبها إليه يَدلوها دَلوًا . قال تعالى : ﴿ فأرسَلوا وارِدَهم فأدلى دَلْوَه (٣) ﴾ ، فهذا من الإدلاء ، وهو إلقاؤها فى البئر .

وقال الشاعر فى دَلوت :

فقد جَعلتُ إذا ما حاجةٌ عرضت ... البيت .

أى أبتغِى شُفعاء يستخرجون لى حاجتى . انتهى .

وعصام بنُ عُبَيْد : شاعر جاهلى . وعُبَيْد : مصغَّر عبد بالتذكير . وزِمَّان بكسر الزاى وتشديد الميم : أحد أجداد الشاعر ، وهو من بنى حنيفة .

* * *

(١) فى حواشى ط : « قوله فاعلا يريد نائب الفاعل » . وفى حواشى ش بخط ناسخها : « هكذا بخط المؤلف ، والصواب نائب فاعل » والحق أن هذا تجوز فى التعبير بالفاعل عن نائبه .

(٢) ش : « أى أنجزها بغيرى » . والتنجز : طلب إنجاز العدة أو الحاجه ، كالاستنجاز .

(٣) الآية ١٩ من سورة يوسف .

وأنشد بعده :

(هَمَا نفثَا فى فىَّ من فَمَوَيْهِما على النَّابح العاوى أشدَّ رجامِ)

وتقدم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد السادس والعشرين بعد الثلثمائة [١] .

وضمير التثنية لإبليس وابن إبليس [٢] . و(نفثا) أى ألقيا على لسانى . و (النابح) هنا أُراد بهِ من يتعرَّض للهجو والسَّبِّ من الشعراء ، وأصله فى الكلب . ومثله العاوى . و (الرِّجام) : مصدر راجمه بالحجارة أى راماه . وراجم فلانٌ عن قومه ، إذا دافع عنهم . جعل الهجاء فى مقابلة الهجاء كالمراجَمَة ، لجعله الهاجى كالكلب النابح .

والبيت آخر قصيدة للفرزدق قالها فى آخر عمره تائبًا إلى الله تعالى ممَّا فرط منه من مهاجاته النَّاس ، وذمَّ فيها إبليَس لإغوائه إيَّاه فى شبابه .

* * *

٣٤٧ وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الخمسمائة [٣] :

٥٦٤ (يدَيانِ بَيضاوَانِ عِنْدَ محلِّمٍ)

هذا صدرٌ ، وعجزه :

(قد يَمنعانِك أَنْ تُضامَ وتُضْهَدَا)

على أنَّه مثنى يدًا بالقصر ، فلمَّا ثُنِّىَ قلبت أَلفه ياء ، كَفَتَيانِ

(١) الخزانة ٤ : ٤٥٩ – ٤٦٦ .

(٢) وذلك فى قول الفرزدق قبل هذا البيت :

وان ابن ابليس ألبنا لهم بعذاب الناس كل غلام

(٣) المنصف ١ : ٦٤ / ٢ : ١٤٨ وابن يعيش ٤ : ١٥١ / ٥ : ٨٣ / ٦ : ٥ / ١٠ : ٥٦ والمقرب ٨٠ ويس على التصريح ٢ : ٢٣٣ .

فى مثنّى فتى ، لأنَّ أصلها الياء ، فإنَّ التثنية من جُملة ما يَردُّ الشىء إلى أصله . وإنَّما قلبت فى المفرد ألفًا لانفتاح ما قبلها . وتقلب واوًا فى النسبة إليها عند الخليل وسيبويه ، فيقال يدَوِىٌّ . قال صاحب الصحاح : وبعض العرب يقول لليد : يدًا ، مثل رحًا [1] . قال الشاعر :

يارُبَّ سارٍ باتَ ما توسَّدا ... إلّا ذراعَ العَنْس أو كفَّ اليدا [2]

يديان بيضاوان .... البيت

وكذا قال ابن يعيش . وفيه ردٌّ على من زعم أنَّ يديان [3] مثنَّى يد [3] رُدّت لامُهُ شذوذًا ، كالزمخشرى (فى المفصل) . قال ابن يعيش : متى كانت اللام الساقطة ترجع فى الإضافة فإنَّها تُردُّ إليه فى التثنية ، لا يكون إلا كذلك . وإذا لم ترجع فى الإضافة لم ترجع فى التثنية كأَب وأَخ ، تقول أَخوان وأَبوان ، لأنَّك تقول فى الإضافة : أَبوك وأَخوك ، فترى اللام رجعَتْ فى الإضافة ، فلذلك رددتها فى التثنية . وذلك لأنَّا رأينا التثنية قد تردُّ الذاهب الذى لا يعود فى الإضافة ، كقولك فى يد : يدَيان ، وفى دم : دموان . وأَنت تقول فى الإضافة يدك ودمُك ، فلا تردّ الذاهب . فلمَّا قويت التثنية على ردِّ ما لم تردَّه الإضافة صارت أَقوى من الإضافة . وحمل أَصحابنا يديان على القلَّة والشُّذوذ ، وجعلوه من قبيل الضَّرورة .

---

(١) ش : « رحى » . والرحى تثنيتها كما فى اللسان رحوان ، قال ابن منظور : « والياء أعلى » ، أى رحيان ، فهى يائية واوية ، لأنه يقال رحوت بالرحا ورحيت بها .

(٢) هو الشاهد ٥٦٧ فى ص ٤٩٨ .

(٣) ش : « يدان » ، صوابه فى ط .

والذى أراه أنَّ بعض العرب يقول فى اليد : يدًا فى الأحوال كلِّها ، يجعله مقصورًا كرحًا . إلى آخر ما ذكره الجوهرىّ .

وكذا صنع ابن الشجرى (فى أماليه) قال : ويدٌ أصلُها يَدَىٌ لظهور الياء فى تثنيتها ، ولقولهم:يديتُ إليه يدًا ، أى أسديتِ إليه نعمة . قال :

يَدَيت على ابن حَسحاسٍ بن بدرٍ بأسفلِ ذى الجَذَاةِ يدَ الكريمِ (١)

فيجوز أن تكون اليد ، التى هى النِّعمة مأخوذةً من التى هى الجارحة لأنَّ النِّعمةَ تُسدَى باليد . ويجوز أن تكون الجارحة مأخوذةً من النعمة ، لأن اليد نعمةٌ من نعم الله على العبد ، ويدلُّ على سكون عينها جمعُها على أيدٍ ، لأنَّ قياس فَعْلٍ فى جمع القلة أفعُل ، كأكلُبٍ وأكعُب وأبحر ، وأنسر فى جمع نسر . وفتحُ الدالِ فى التثنية كقوله : « يديان بيضاوان » البيت لا يدُلُّ على فتحها فى الواحد ، لما ذكرته من إجراء هذه المنقوصات على الحركة إذا أعيدت لاماتها ، وذلك لاستمرار حركات الإعراب عليها فى حال نَقْصِها ، وكذلك إذا نسبتَ إليها أعدت المحذوف وفتحت الدال ، وأبدلت من الياء واوًا ، كما أبدلت من ياء قاض . فقلت : يدِوىٌّ . هذا قولُ الخليل وسيبويهِ فى النَّسَب إلى هذا الضرب .

وأبو الحسن الأخفشُ ينسُب إليه على زنته الأصلية ، فيقول يَدْيىٌّ ، وفى غدٍ : غَدْوِىّ ، وحِرٍ : حِرْحىّ (٢) . والخليل وسيبويه يقولون : غَدَوىٌّ

---

(١) البيت لمعقل بن عامر الأسدى كما فى الحماسة ١ : ١٨٩ بشرح التبريزى . وانظر حواشى شرح المرزوقى ١٩٣ . وفى حواشى نسخة من نسخ أمالى ابن برى أنه لعامر بن موألة . وفى ط : « الجزاة » بالزاى ، صوابه بالذال كما فى ش والحماسة . والجيم مفتوحة ومكسورة . انظر شرح التبريزى . والرواية فى جميع المراجع : « ابن حسحاس بن وهب » .

(٢) ط : « غدوى وحرحى » ، وتصحيحه واكماله من ش .

وجِرَحىّ . وجمع اليد التى هى الجارحة فى الأكثر على أيدٍ ، وقد جمعها على أياد فى قوله : ٣٤٨

* قُطنٌ سُخامٌ بأيَادِى غُزَّلِ *

سُخَامٌ : ناعم . واليد التى هى النعمة جمعُها فى الأكثرِ الأشهر على أيادٍ . وقد جمعوها على الأيدى ، وإنَّما الأيادى جمع الجمع ، كقولهم فى جمع أكلب : أكالب . وقولهم فى تثنيتها : يدانِ ، أكثر من قولهم : يديان . فهذا مضادٌّ لقولهم : دَمانِ [(١)] ودَمَيَانِ . انتهى .

وكذا قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) قال . إذا قالوا فى النسب إلى يدٍ يَدَوىّ تركوا عين الفعل محرَّكة بعد الردّ ، لأنَّهم لو حذفوا الحركة عند رد اللام لكانت اللام كأنها لم تردّ ، لأنَّها قد عاقبت الحركة . وهذا قولُ أبى علىّ فيما أخذته عنه ، وهو يشهد لصحَّة قول سيبويه فيما ذهب إليه فى تبقية الحركة التى حدثت بعد الحذف ، إذا ردَّ إلى الكلمة ما حذف منها . وأبو الحسن يذهب إلى ما وجب بالحذف عند ردِّ المحذوف ، والقول قول سيبويه . ألا ترى أنَّ الشاعر لما ردَّ الحرف المحذوف بَقَّى الحركة [(٢)] فى قوله :

يديان بيضاوان .... البيت

قال أبو على : فإن قيل : فما تصنع بقوله :

* إنَّ مع اليومِ أخاه غَدْوَا [(٣)] *

وقول الآخر [(٤)] :

وما النَّاس إلَّا كالدِّيار وأهلها ... بها يوم حَلُّوها وغَدْوًا بلاقعُ

---

(١) ط : « أدمان » ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « أبقى » ط : « وبقى » ، والوجه ما أثبت من المنصف .

(٣) اللسان (لا ٢٩٢ غدا ٣٥٢) ومعجم الشواهد ٥٥٨ .

(٤) هو لبيد . ديوانه ١٦٩ .

ألا ترى أنّه ردَّ اللام وحذف حركة العين . فهذا يشهد لصحَّة قول أبى الحسن الأخفش . فالجواب : أنَّ الذى قال غَدْوًا ليس من لغته أن يقول غد فيحذف ، بل الذى يقول غد غير الذى قال غدوًا . انتهى .

قال ابن المستوفى : الذى قاله ابن جنى غير ما ذكره الجوهرى ، فتَثْنيته يدين على ما ذكره ابن جنى صناعيَّة ، وعلى ما ذكره الجوهرىّ لغوية .

وقد تكلَّم ابن السكيت على « يد » زيادة على ما ذكرنا (فى كتاب المؤنث والمذكر) ، فأحببنا إيراده تتميمًا للفائدة . قال : اليد مؤنثة تصغيرها يُدَيَّة ، يردُّ إليها فى التصغير ما نقص منها ، والناقص منها ياء . والدليل على ذلك أنَّ الشاعر قال :

يَديانِ بيضاوانِ عند محَلِّمٍ قد تمنعانِكَ منهما أن تهضَما

وتجمع ثلاثَ أيد ، ثم جمعوها الأيادىَ ، ولم يقولوا يُدِىّ بالضم ، ولا أيداء ، وهو قياس . فاستُغنى بأيد وأيادٍ عنه . قال الشاعر (٢) :

فلن أذكرَ النُّعمانَ إلَّا بصالح فإنَّ له عندى يَديًا وأنعُمَا

فإن شئت جعلت اليَدىّ بالفتح على جهة عِصىّ وعُصِىّ ، وتركت ضم أولها أو كسره لثقل الضم والكسر فى الياء . وإن شئت جعلته جمعًا مفتعَلا (٢) مثل عبد وعبيد ، وكلب وكليب ، ومَعْز ومعيز . ويقال قد يدَيْتُه أى أصبت يَده ، وقد يدِىَ من يده إذا شلَّ منها . وحدَّثنى الأثرم عن أبى عبيدة قال :

---

(١) هو ضمرة بن ضمرة كما فى معجم الشواهد ٣٣٠ . « وينسب إلى الأعشى » ، وليس فى ديوانه .

(٢) يعنى أنه اسم جمع .

كنت مع أبى الخطاب عند أبى عمرو فى مسجد بنى عدىّ ، فقال أبو عمرو : لا تجمع أيدٍ بالأيادى ، إنّما الأيادى للمَعروف . قال : فلما قمْنا قال لى أبو الخطاب : أمَا إنّها فى علمه ولم تحضُره ، وهو أروَى لهذا البيت مِنّى :

ساءها ما تأمَّلَتْ فى أياديـ ـنا وإشناقُها إلى الأعناق[1] . انتهى

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : المحلِّم بكسر اللام ، يقال إنه من ملوك اليَمن[2] . وصفُ اليدِ وهى النِّعمة بالبياض ، عبارةٌ عن كرم صاحبها . وقوله : (عندَ محلِّم) أى لمحلِّم . يقال : عند فلانٍ عطيّةٌ أو مال ، أى له ذلك . كذا (فى المقتبس) . قلت : وجه التشبيه على ما ذكر غير ظاهر ، والأظهرُ أنْ يراد العضوان ، ويراد ببياضهما نقاؤهما وطهارتُهما عن تناول ما لا يحسُن فى الدِّين والمروءة . و (ضامَه) : ظلمه ، وكذا هضمه . (وضهده) : قهره . وقوله « أن تضام وتضهَدا » مفعول ثان لقوله : تمنعانك ، يقال منعه كذا ومنعه من كذا . وروى : « قد تنفعانك » وعليه فقوله أنْ تضام فى محلّ النصب على الظَّرف ، أى وقت كونك مظلومًا مقهورًا . والمعنى : لهذا الملك يدان طاهرتان عن مُوجِبات الذم ، وتمنعانك أيُّها المخاطب أن تكون مظلومًا بالنُّصرة على من يَظلمك والإعانة عليه . انتهى .

٣٤٩

(١) لعدى بن زيد فى ديوانه ١٥٠ .

(٢) وفى الاشتقاق ٢٨٧ : « واشتقاق محلم من قولهم : تحلمت يرابيع أرض بنى فلان ، إذا سمنت »

ورواه الجوهري :

يديَانِ بيضاوانَ عند محرِّق   قد تمنعانك منهما أنْ تهضما

ومحرِّق بكسر الراء المشددة ، قال صاحب العُباب : كان عمرو بن هند ملك الحيرة يلقّب بالمحرِّق ، لأنَّه حرَّق مائة من بنى تميم . ومحرِّق أيضا : لقب الحارث بن عمرو ملك الشّام ، من آل جَفْنة . وإنّما قيل له ذلك لأنّه أوَّل من حرَّق العرب فى ديارهِمْ . وهمْ يدعَوْن : آل محرِّق .

وروِى ابن الشجرى (١) :

..... عنــدَ محلِّــم   قد تمنعانك أن تذِلَّ وتُقهَرا

وأنشده ابن الأعرابى وأبو عُمَر الزاهد :

..... عنــد محلِّــم   قد تمنعانك بينهم أن تهضما

وروى أيضًا على غير ما ذكر .

ومع كثرة تداوله فى كتب اللغة والنحو لم ينسبه أحدٌ إلى قائله ولا ذكر تتمة له . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الخمسمائة (٢) :

٥٦٥ (فلو أنَّا على جُحْرٍ ذُبِحْنا   جَرَى الدَّميانِ بالخَبَرِ اليَقينِ)

على أنَّه جاء (دمَيان) فى تثنية دم .

---

(١) فى أماليه ٢ : ٣٥ . وكذا فى المقتضب ١ : ٣٣٢ ومجالس العلماء للزجاجى ٣٢٧ .

(٢) المقتضب ١ : ٢٣١ / ٢ : ٢٣٨ / ٣ : ١٥٣ ومجالس العلماء ٣٢٨ والمنصف ٢ : ١٤٨ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٤ والإنصاف ٣٥٧ وابن يعيش ٤ : ١٥١ ، ١٥٢ / ٥ : ٨٤ / ٦ : ٥ / ٩ : ٢٤ والمقرب ٨٠ وشرح شواهد الشافية ١١٢ والأشمونى ٤ : ١١٩ ويس ٢ : ٣٣٢ .

وهو شاذٌّ عند الجوهريّ ، لأنَّه واويّ . وما أورده الشارح المحقّق هو كلام صاحب الصحاح إلى قوله « فإن قيل » إلخ .

وصدرُ كلامه : الدمُ أصله دَمَوٌ بالتحريك ، وإنَّما قالوا دَمِيَ يدمَى ، لحال الكسرة التى قبل الياء ، كما قالوا : رضِيَ يرضَى ، وهو من الرِّضوان . وأنشد البيت .

وقال ابن السَّرَّاج (فى الأصول) : وأمَّا دَمٌ فهو فَعَل بالتحريك لأنَّك تقول : دَمِيَ يَدمَى دما ، فهو دَمٍ . فهذا مثل فَرِقَ يَفرَقُ فَرَقًا ، فهو فرِق . فدمٌ مصدر مثل بَطَر وحَذَر . وهذا قول أبى العباس المبرد [(١)] . وليس عندى فى قولهم دمى يدمى حجّة لمن ادَّعى أن دمًا فعل ؛ لأنَّ قولهم دمى يدمى دمًا إنما هو فِعْلٌ ومصدرٌ اشتقَّا من الدم ، كما اشتقّ ترِب يَتْرَبُ تَرَبًا [(٢)] من التُّراب . فقولهم دَمًا اسمٌ للحدث ، والدمُ : الشيء الذى هو جسم . ولكن قولَهم دَمَيان دلَّ على أنَّه فَعَل . قال الشاعر لمَّا اضطُرّ :

فلو أنَّا على جُحْرٍ ذُبحنا .... البيت

ثم قال : وأما دم فقد استبان أنَّه من الياء ، لقول بعض العرب دَمَيان . وقال بعضهم : دَمَوان . فممَّا دلَّ على أنَّه من الواو أكثر ، لأنَّهم قد قالوا هنوانِ وأخوانِ وأبوانِ . انتهى كلامه . وهذا مأخذ كلام الصحاح .

وقد ردَّ ابن جنى بعض هذا (فى شرح تصريف المازنى) وأيَّد مذهبَ سيبويه ، قال : وزن شاة فعْلة ساكنة العين . هذا هو الصواب . وكلَّمت بعض

---

(١) ط : « أبى العباس والمبرد » .

(٢) ط : « كما اشتق ترب من يترب تربا » . وقد رمج على « من » فى ش ليصح الكلام كما أثبت .

الشيوخ من أصحابنا بمدينة السَّلام فى العَين منها هل هى ساكنة أو متحرِّكة ؟ فادَّعى أنَّها متحرِّكة ، فسألته عن الدَّلالة على ذلك فقال : انقلابُها ألفًا يدلُّ على أنَّها متحركة ، لأنَّها لو كانت ساكنة لوجب إثباتها كما ثبتت فى حوض وثوب . فقلت له : أنا وأنت مجمعان على أنَّ سكون العين هو الأصل ، وأنَّ الحركة زائدة ، وحكم الزيادة أن لا تثبتَ إلَّا بدليل . فأمَّا قولك انقلابها دليلٌ على الحركة فغير لازم ، لأنَّ الحركة التى فيها إنَّما دخلتْها لمجاورتها تاء التأنيث ، وقد أجمعنا على أنَّ تاء التأنيث يُفتح ما قبلها ، وأنَّ سكون العين هو الأصل حتى تقومَ دلالةٌ على الحركة . وأمَّا انقلاب العين فإنَّما هو لما حدث فيها من الفتح عند مجاورتها تاء التأنيث ، فوقَفَ الكلام هناك . وكأنَّها (١) كانت شَوْهة فلما حذفت الهاء بقيت شَوْهٌ ففتحوا الواو (٢) لِتاءِ التأنيث ، فصار شَوَة ، فانقلبت الواو ألفًا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها .

٣٠

فإن قيل : ما تنكر أن تكون فَعَلة ، لأنَّ اللام لما ردّت وأُبدلت فى شاء همزة بقيت الألف بحالها . ولو كانت إنَّما انفتحت العينُ لمجاورتها التاءَ لوجبَ إذا رجعَت اللام وزالت التاء أن تعود إلى سكونها فيقال شَوْهٌ أو شَوءٌ (٣) إذا أبدلت الهمزة ؟ قيل : هذا لا يلزم ، لأنَّ العين لمَّا تحركت لمجاورتها التاء ثم

---

(١) ش : « وأنها » ، صوابها فى ط والمنصف ٢ : ١٤٧ .

(٢) فى المنصف : « ففتحت الواو » . وما بعده من الكلام إلى « وانفتاح ما قبلها » ساقط من المنصف .

(٣) ط : « وشوء » ، وأثبت ما فى ش والمنصف .

رُدَّت اللام بعد ذلك ، تُركت الفتحة فى العين بحالها قبل الردّ . وهذا مذهب سيبويه . ألا ترى أنّه لم يكن عندَه فى قول الشاعر :

* جَرَى الدَّمَيانِ بالخبر اليقين *

دلالةٌ على تحرُّك العين من دم ، لأنَّها لما أُجرى عليها الإعراب فى قولهم دمٌ ودمًا ودمٍ ، ثم رد اللام فى التثنية بقّى الحركة [(١)] فى العين على ما كانت عليه قبل الردّ ، كما قال الآخر :

* يديانِ بيضاوَان عند مُحلِّمٍ *

وقد أُجمعوا على سكون العين من يد . وقد تراه قال يَدَيان ، فحرَّكها عند الرّد ، لأنَّها قد جرت محركة قبل الرد [(٢)] . والقول فيه مثله فى الدَّميَان . وغيره من أصحابنا ، وهو أبو العباس ، يذهب إلى ترك العين من دم لأنَّه مصدر دَميت دَما ، مثل هويت هوى . قال أبو بكر بن السرَّاج : « وليس ذلك بشيء » .

ثم أورد ما نقلناه من كلام ابن السراج . وحاصل كلامه أنَّ دما أصله سكون العين ، وأنَّ لامه ياء لا واو . وبه جزم الزجاج (فى تفسيره) عند قوله : ﴿ يسومُونَكُم سُوءَ العذاب [(٣)] ﴾ الآية . قال : إنَّ الأخفش يختار أن يكون المحذوف من ابن الواو ، لأنَّ أكثر ما يحذف الواو لثقلها ، والياء تحذف أيضًا لأنَّها تثقل . والدليل على هذا أنَّ يدًا قد أجمعوا أنَّ المحذوف منه الياء ، ولهم

(١) ش : « بقيت الحركة » ، وما أثبت من ط يطابق المنصف .

(٢) فى المنصف : « متحركة قبل الرد » . وكلمة « محركة » ساقطة من ش .

(٣) من الآيات ٤٩ فى البقرة و ١٤١ فى الأعراف و ٦ من إبراهيم .

دليل قاطع من الإجماع . يقال يَدَيتُ إليه يدًا . ودم محذوف منه الياء ، يقال دمٌ ودميان . قال الشاعر :

* جرى الدَّميَانِ بالخبرِ اليقينِ *

والبنوّة ليس بشاهدٍ قاطعٍ فى الواو ، لأنّهم يقولون الفتوّة ، والتثنية فتيانِ ، فابنٌ [1] يجوز أنْ يكون المحذوف منه الواو والياء ، وهما عندى متساويان . ا هـ .

وقد حكى الخلاف ابن الشَّجرىّ (فى أماليه) فى كون العين محرَّكة أو ساكنة ، وفى كون اللام ياءً أو واوًا ، ورجَّح كونها ياء ، قال : ودم عند بعض التصريفيين دَمْىٌ ساكن العين قالوا : لأنَّ الأصل فى هذه المنقوصات أن تكون أعينها سواكن ، حتَّى يقوم دليلٌ على الحركة ، من حيث كان السُّكون هو الأصل ، والحركة طارئة . قالوا : وليس ظهور الحركة فى دَمَيان دليلا على أنَّ العين متحركة فى الأصل ، لأنَّ الاسم إذا حذفت لامه واستمرَّت حركات الإعراب على عينه ، ثم أعيدت اللام فى بعض تصاريف الكلمة ، ألزموا العينَ الحركة . وقال من خالف أصحابَ هذا القول : أصل دمٍ دَمَىٌ بفتح العين ، لأنَّ بعض العرب قلبوا لامه ألفًا فألحقوه بباب رَحًا ، فقالوا : هذا دمٌ ودمًا كرحا . وقال بعض العرب فى تثنيته دَمانِ فلم يردُّوا اللام ، كما قالوا فى تثنية يدٍ يدان . والوجه أن يكون العمل على الأكثر . وكذلك حكى قومٌ دمَوَان . والأعرفُ فيه الياء . وعليه أنشدوا :

٣٥١

* جَرَى الدَّميانِ بالخَبَرِ اليقينِ *

---

(١) فى النسختين : « فاين » . وانظر اللسان (بنى ٩٧) .

قال بعض أهل اللغة : من العرب من يقول الدَّمُّ بالتشديد ، كما تلفظ العامَّة ، وهى لغة رديّة . وأنشدُوا لتأبَّط شرًّا :

حَيثُ التقت بكرٌ وفَهْمٌ كلُّها والدَّمُّ يجرى بينهم كالجَدْوَلِ

والعامَّة تفعل مثلَ هذا فى الفم . ومن العرب [1] من يشدِّد الفم أيضًا . وإنَّما يكون ذلك فى الشِّعر ، قال :

* ياليتَها قد خرجَتْ منْ فُمِّهْ * انتهى

والجُحْر ، بضم الجيم وسكون الحاء المهملة : الشقُّ فى الأرض . وقوله : (جَرَى الدِّميان) إلخ أراد بالخبر اليقين ما اشتهرَ عند العرب ، من أنَّه لا يمتزج دمُ المتباغضين . وهذا تلميحٌ فى غاية الحسن ، أى لمَا امتزجا وعُرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابى : معناه لم يختلط دمى ودمُه ، من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمى يَمْنةً ودمُه يَسْرة . ويوضِّحه قولُ المتلمس من قصيدة :

أحارثُ إنَّا لو تُساطُ دماؤنا تزايَلْنَ حتَّى لا يمسَّ دمٌ دَما

وقال ابن قُتيبة فى ترجمة المتلمس (من كتاب الشعراء) : هذا البيتُ من إفراطه . يقول : إنَّ دماءَهم تناز من دماءِ غيرهم . وهذا محالٌ لا يكون أبدًا .

وكذا قال ابن عبدِ ربِّه (فى العقد الفريد [2]) .

و (تساط) بالسين المهملة ، يعنى تُخلَط . ومنه قول العامَّة : « لو خُلِط دمى بدمه لما اختلط » ، أى لباينَه من شدَّة العداوة ولم يمازجْه .

---

(١) فى أمالى الشجرى ٢ : ٣٥ : « ومن العرب العُرب » ، يعنى الخلص .

(٢) العقد ٥ : ٣٥٩ حيث قال : « وهذا من الكذب المحال » .

وقال الأندلسيُّ : معناه لو ذُبحنا على جُحْرٍ واحد لا متزجت دماؤُنا بدمائكم . يصف ما بينهما من العَداوة . وهذا خلاف المعنى ، والصواب : لَمَا امتزجت دماؤُنا .

ونقل بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) أن معنى البيت : لو ذُبحنا على جُحرٍ لعُلِمَ مَنِ الشُّجاعُ منَّا من الجبان ، بجرْيِ دمِه وجمودِه [1] ؛ لأنَّ من زعمهم أنَّ دم الشُّجاع يجرى ، ودم الجبان يجمُد . وتحقيقه : جرى دمى ودمك ملتبسين بالخبر اليقين . ولا يخفى أنَّ هذا المعنى غير صحيح هنا ، بدليل ما قبله ، وهو :

(لعمرُك إنَّنى وأَبا رياحٍ على حال التَّكاشُرِ منذُ حينِ
لَيُبغضُنى وأُبعضُه وأَيضًا يرانى دونَه وأَراهُ دونى
فلو أَنَّا على جُحرٍ ذُبحنا ....) البيت

هكذا روى الأبياتَ الثلاثة ابنُ دريد ، (فى كتابه المجتنى [2]) عن عبد الرحمن عن عمِّه الأَصمعىّ ، ونسبها لِعلىِّ بن بدَّال بن سُليم .

والتكاشر : المباسطة ، من الكَشْر ، وهو التبسُّم . وروى ابن دريد بدله (فى الجمهرة) : « على طول التجاور » . وعلى بمعنى مع .

وقد أُدخل هذه الأبياتَ الثلاثةَ صاحبُ (الحماسة البصرية) فى قصيدةِ المثقِّب العبدىّ . وأنشد بعدها :

---

(١) أى جمود دم عدوه .

(٢) فى النسختين : « المجتبى » بالباء ، وإنما هو بالنون . والكتاب مطبوع فى حيدآباد سنة ١٣٤٢ . يقول فيه ابن دريد فى ص ١٢ : « سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه طرائف الآثار ، كما تجتنى أطايب الثمار » . فهذا يقطع بأنه بالنون .

٣٥٢

(فإمَّا أَنْ تكونَ أخى بصدقٍ فأعرفَ منك غَثِّى مِنْ سمينى
وإلَّا فاطَّرِحْنى واتَّخذنى عدوًّا أتَّقيك وتَتَّقينى)

وتبعه ابنُ هشام (فى شرح شواهده) ، والعينىُّ أيضًا (فى شرح شواهد شروح الألفية) ، ولم يوردها أحد فى هذه القصيدة .

وقد رجعت إلى ديوانه فلم أجِدْها فى هذه القصيدة . ورواها المفضَّل (فى المفضليات) عاريةً عنها ، ولم ينبِّه عليها أحد من شرَّاحهم كابن الأنبارىّ وغيره .

وقال ابن المستوفى : رأيتُ [١] هذه الأبياتَ فى كتاب نحوٍ قديم منسوبةً للفرزدق . ووجدتها أيضًا فى نسخة قديمة ذكر كاتبُها أنَّها زياداتُ الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن فى ربيع الآخِر ، سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، ونسبها لِمِرداسٍ [٢] بن عَمْرٍو . وقال : وترُوَى للأخطل . ووجدتُها (فى نوادر اللِّحيانى أبى الحسن على بن حازم [٣]) قد أنشدها لأوس . انتهى كلام ابن المستوفى .

وابن دريد هو المرجع فى هذا الأمر ، فينبغى أَنْ يؤخذ بقوله . والله أعلم .

على بن بدال

وعلى بن بَدَّال ، بفتح الموحدة وتشديد الدال ، وآخره لام .

* * *

(١) ط : « فى رواية » وأصلح الشنقيطى بقلمه هاتين الكلمتين بلفظ « رأيت » ، وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) ط : « ونسبها المرداس » ، صوابه فى ش .

(٣) فى النسختين : « خازم » بالخاء المعجمة ، صوابه من كتب التراجم . وفى البغية : « على ابن المبارك ، وقيل ، ابن حازم ، أبو الحسن اللحيانى » . وفى طبقات الزبيدى ٢١٣ : « اللحيانى هو على بن حازم . وله كتاب فى النوادر شريف » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الخمسمائة [1] :

٥٦٦ (فلَسْنا على الأعقابِ تَدْمَى كُلومُنا
ولكنْ على أقدامنا يَقطُر الدَّمَا)

على أنَّ المبرِّد استدلَّ به بأنَّ الدمَ أصله فَعَل بتحريك العين ، ولامه ياء محذوفة ، بدليل أنَّ الشاعر لما اضطُّر أخرجه على أصله وجاء به على الوضع الأوّل . فقوله الدَّما بفتح الدال فاعل يقطر ، والضمة مقدَّرة على الألف ، لأنَّه اسمٌ مقصور ، وأصله دَمَيٌ ، تحرَّكت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا .

والدَّليل على أنَّ اللام ياءٌ قولهم فى التثنية : دميان ، وفى الفعل : دمِيَت يده . هذا محصَّل مدَّعاه ، وهو إنَّما يتمُّ على أنَّ فتح الميم قبل حذف اللام ، وعلى أنَّ الدمَا بمعنى الدم ، وعلى أنَّ يقطُر بالياء التحتية . وفى كلِّ واحد بحث .

أمَّا الأول فممنوع ، وإنَّما فتحة الميم حادثةٌ بعد حذف اللام ، وهو مذهب سيبويه ، وذلك أنَّ الحركةَ عنده إذا حدثت لحذفِ حرفٍ ثم ردَّ المحذوف ثبتت الحركة التى كانت قد جَرت على الساكن قبل دخولها عليه بحالها . ويشهد له قولهم : يديان ؛ فإنَّهم أجمعوا على سكون العين من يد من غير خلاف . وقد نراهم ، قالوا : يديان ، فحرَّكوا عند الرَّدِّ ، لأنَّها قد جرت محرَّكة قبل رد اللام .

---

(١) المنصف ٢ : ١٤٨ والتصحيف للعسكرى ٣٢٥ ومجالس العلماء للزجاجى ٣٢٥ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٤ ، ١٨٧ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ / ٥ : ٨٤ وشرح شواهد الشافية ١١٤ والحماسة بشرح المرزوقى ١٩٨ .

وأمَّا الثانى فممنوعٌ أيضًا ، لاحتمال أنَّه مصدر دمِىَ دمًا ، كفرح يفرح فرحا . قال ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) : دمًا : مصدر دميت يده ، لا بمعنى الدَّم . وأما قوله ، وأنشدَنيه [1] أبو على :

* ولكنْ على أقدامنا يقطُر الدَّما *

فالدَّما فى موضع رفع ، وهو مصدر مقصور على فَعل ، وتقديره على حذف مضاف . وكذا قول الشاعر [2] .

كأطومٍ فقدَتْ بُرغُزَها أعقبتها الغُبْسَ منه عَدما
غَفَلتْ ثم أتتْ ترقبُه فإذا هِى بعظامٍ ودَمَا

فإنَّه أوقع المصدر فيهما موقَع الجوهر ، وتأويله عندى على حذف المضاف ، كأنَّه قال : يقطر ذو الدَّمَى ، وإذا هى بعظام وذِى دَمًى . انتهى .

والأطوم ، بفتح الألف وضم الطاء : البقَرة الوحشيَّة . والبُرغز بضم الموحَّدة فالغين المعجمة ، وسكون الراء المهملة بينهما ، وآخره زاى ، هو ولدُها . والغُبْس : جمع أغبَس ، وهى الذئاب ، وقيل هى الكلاب . والدَّما فى الموضعين لاخفاءَ فى كونه بمعنى الدَّم ، والتأويل خلافُ الظاهر . ٣٥٣

وأما الثَّالث فقد روى أيضًا بالنون وبالتاء الفَوقيَّة .

أمَّا الأوَّل فقد قال العسكرى (فى كتاب التصحيف [3]) : اختلفوا فى نصب الدم ، ورواه أبو عبيدة :

* على أقدامنا تَقْطُر الدَّما *

---

(١) ط : « وأنشد فيه » صوابه فى ش والمنصف ٢ : ١٤٨ .
(٢) الشاعر مجهول . وانظر معجم شواهد العربية ٣٣٧ .
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٣٢٥ .

بالنون ، أى نقطر دمًا مِن جراحنا . انتهى .

فقَطَر على هذا متعدٍّ ، يقال قطر الدمُ وقَطَرته ، أى سال وأسلته . وأمّا الرواية بالتاء الفوقية فقد رواها شراح الحماسة وقالوا : قطر فعلٌ متعدٍّ مسنَدٌ إلى ضمير الكلوم . فالدَّما على هاتين الروايتين مفعول به ، يحتمل أنَّه مقصور كما قال المبرد ، ويحتمل أنَّه الدم منقوص وألفه للإطلاق . وحينئذ يسقط الاستدلال على أنَّه مقصور . وقال المرزوقى (فى شرح الحماسة) ، وتبعه التبريزى وغيره : وإن شئتَ جعلت الدم منصوبًا على التمييز ، كأنَّه قال : تقطر دما ، وأدخل الألف واللام ولم يعتدَّ بهما . وقال (فى شرح الفصيح) : وبعضهم يجعل الدَّما تمييزًا ، ولا يعتدّ بالألف واللام ، أراد تقطر كلومنا دمًا ، أى من الدم ، كما فى قوله :

* ولا بفَزارةَ الشُّعرِ الرِّقابا (١) *

وما أشبهه . ويجوز فى هذا الوجه أن تنصبه على التشبيه بالمفعول به ، كما يفعل بقوله : هو الحسَنُ وجها . انتهى .

أقول : قد خطَّأ أبو علىٍّ الوجه الأوّل (فى المسائل البصرية) قال : وحملُ الدَّما على التمييز خطأ . انتهى . وأما الوجه الثانى فليس على منوال ما مثّل به . وزاد ابن جنى (فى إعراب الحماسة) فقال : روىَ : « تَقطر الدما » ،

---

(١) ط : « بغزارة » تحريف ، صوابه فى سيبويه ١ : ٥٢ ، ٤٨٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٤٣ والإنصاف ١٣٣ والعينى ٣ : ٩ . والأشمونى ٣ : ١٤ . والبيت للحارث بن ظالم . وصدره :

* فما قومى بثعلبة بن سعد *

بفتح المثناة الفوقية وضمّها . أمّا الأوّل فلأنّ قطر متعدٍّ . وأما الثّانى فعلى أنّه منقول من قَطر الدمُ بالرفع ، وأقطرته ، كقولك : سال وأسلته . انتهى .

وقد جاء تَقطُر الدّما متعديًّا ناصبًا للدم ، فى قول العبّاس بن عبد المطلب لأبى طالب ، حين قتل خِداش بنَ علقمة بن عامر ، من أبيات عدَّتها ثلاثة عشر بيتا ، أوردها أبو تمام (فى آخر كتاب مختار أشعار القبائل) ، وهو :

أبى قومُنا أن ينصفونا فأنصفَتْ قواطعُ فى أيماننا تقطُر الدما [1]

وأورد السّيُوطى (فى الأشباه والنظائر) مجلس ثعلبٍ مع جماعة من النحويِّين ، نقله من كتاب غرائب مجالس النحويين للزجاجى قال : حدَّثنا أبو الحسن على بن سليمان قال : كنَّا عند أبى العباس ثعلب فأنْشدَنا :

فلسنا على الأعقاب تَدمَى كلومُنا ولكن على أقدامنا يقطُر الدَّما

فسألنَا : ما تقولونَ فيه ؟ فقلنا: الدم فاعلٌ جاء على الأصل . فقال : هكذا رواية أبى عُبيد [2] . وكان الأصمعىّ يقول : هذا غلط ، وإنّما الرواية : « تقطر الدما » منقوطة من فوقها ، والمعنى : ولكن على أقدامنا تقطر الكلوم الدما ، فيصير مفعولا به . ويقال قطر الماءُ وقطرته أنا . وأنشدنا :

* فإذا هى بعظام ودما * البيتين

---

(١) البيت أيضا من أبيات ثلاثة فى حماسة البحترى ٦٠ . وهو مع قرين له فى معجم المرزبانى ٢٦٢ .

(٢) وكذا فى الأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ٤٠ لكن فى مجالس العلماء للزجاجى ٣٢٥ : « رواية أبى عبيدة » .

وقال : كان الأصمعىّ يقول : إنّما الرواية بكسر الدال ، ثم قصر الممدود . انتهى .

وأما ما ادّعى المبرد أنّ لام الدم ياء لا واو ، فقد تقدم الكلام عليه فى البيت قبل هذا .

صاحب الشاهد

وهو من أبيات ثلاثة أوردها أبو تمام (فى الحماسة) للحُصين بن الحُمَام المرّىّ ، وأوردها الأعلم الشنتمرىُّ (فى حماسته أيضًا) ، وهى : ٣٥٤

أبيات الشاهد

(تأخّرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجدْ لنفسى حياةً مثلَ أنْ أتقدّما
فلسْنا على الأعقابِ تَدمَى كُلومُنا ولكنْ على أقدامنا تقطُر الدّما
نُفلّق هامًا من رجالٍ أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلَما)

وقوله : « تأخّرت أستَبقى الحياة » إلخ قال الطبرسىّ فى شرحه : يقول : نكصت على عقبى رغبةً فى الحياة ، فرأيت الحياة فى التقدُّم . وقال المرزوقى : يجوز أن يكون هذا مِثْلَ قولهم : « الشُّجاع مُوَقّى » ، أى تتهيَّبه الأقرانُ فيتحامَونه ، فيكون ذلك وقايةً له . وفى طريقته قولُ الآخر :

يخافُ الجبانُ ، يُرَى أنّه سيُقتَل قبل انقضاءِ الأجَل
وقد تدركُ الحادثاتُ الجبانَ ويَسلم منها الشُّجاعُ البطَلْ

ومثله قوله الآخر :

نُهين النُّفوسَ وهَونُ النُّفو سِ يومَ الكريهةِ أوقَى لها

ويجوز أن يقول : أحجمت مستبقيًا لعَيْشى فلم أجدْ لنفسى عيشًا كما يكون فى الإقدام ، وذلك لأنَّ الأُحدوثة الجميلةَ عند الناس إنّما تكون بالتقدُّم لا بالتأخُّر ، وبالاقتحام لا بالانحراف . ومن ذُكر بالجميل وتُحُدِّث عنه بالبلاء

حيٌّ ذكره واسمُه ، وإن ذهبَ أثره وجسمه . وقوله : « حياةً مثلَ أن أتقدَّما » ، معناه حياة تشبه الحياة المكتسبة فى التقدُّم وبالتقدُّم

وقوله : (فلسْنَا على الأعقاب) إلخ الأعقاب : جمع عقِب بفتح فكسر ، هو مؤخَّر القدم . والكلوم : جمع كَلم بفتح فسكون ، وهو الجُرْح . قال المرزوقى : أراد : لسنا بداميةِ الكلوم على الأعقاب . ولو لم يجعل الإخبار على أنفسهم لكان الكلام : ليست كلومنا بداميةٍ على الأعقاب . فيقول : نتوجَّه نحو الأعداء فى الحرب ولا نُعرِض عنهم ، فإذا جُرحنا كانت الجراحات فى مقدَّمنا ، لا فى مؤخَّرنا ، وسالت الدِّماء على أقدامنا ، لا على أعقابنا . ومثله قولُ القُطامىّ :

ليست تُجرَّحُ فُرَّارًا ظهورُهمُ وفى النُّحور كلومٌ ذاتُ أبلادِ(١)

انتهى .

وقد أورد ابن هشام صاحب السيرة هذا البيتَ (فى سيرته) ، وتبعه الشامىُّ فأورده (فى سيرته) أيضًا ، قالا : إن من جملة من فرّ يوم بدرٍ خالدَ ابنَ الأعلم ، وهو القائل :

ولسنا على الأعقابِ تدمَى كلومُنا ولكنْ على أقدامنا تقْطُر الدِّما

فما صدق فى ذلك ، بل هو أوّل من فرَّ يوم بدر فأُدرِكَ وأُسر . انتهى .

فظاهره أنَّه قائل هذا البيت . وليس كذلك وإنما قاله متمثلا به . وقوله : « نفلِّق هامًا » إلخ قال المرزوقى : يقول : نشقِّق هامات من

---

(١) قبله فى الديوان ٨٨ :

ثابت له عصب من مالك رجح عند اللقاء مساريع إلى النادى

رجالٍ يكرمُون علينا ، لأنَّهم منا ؛ وهم كانوا (١) أسبق إلى العقوق وأوفر ظلما ، لأنَّهم بَدءُونا بالشرّ وألجئونا إلى القتال ، فنحن منتقمون ومُجازُون . انتهى .

وقال الخطيب التِّبريزى : أصل العقوق القطع ، يقال عقَّ الرحِمَ كما يقال قطعها . وجمع العاقّ أعقّةٌ ؛ وهو جمع نادر . انتهى .

صاحب الشاهد ٣٥٥

وهذه الأبيات الثلاثة من قصيدةٍ عدتها واحدٌ وأربعون بيتا (٢) للحصين ابن الحُمام ، وهو شاعر جاهلى ، أوردَها المفضَّل (فى المفضليات) وليس البيتان الأوّلان مِن الثلاثةِ موجودَين فى رواية المفضَّل ، والبيت الثالث فى روايته إنّما هو : « يفلّقْنَ » بالنون ، لأنَّه ضمير السُّيوف فى بيتٍ قبله ، وهو :

(صَبَرْ نا وكان الصَّبْرُ منَّا سجِيَّةً بأسيافنا يَقْطَعْنَ كفًّا ومِعْصَما)

وقد تقدَّم أبياتٌ كثيرة منها مشروحةٌ مع ترجمته فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائتين ، من باب الاستثناء (٣) .

وقد أورد ابنُ الأنبارىّ (فى شرحه) منشأ هذه القصيدةِ فقال : كانت بنو سعد بن ذبيان قد أحلَبَتْ على بنى سهم مع بنى صِرْمة ، وأحلَبَتْ معهم مُحارب بن خَصَفة ، فساروا إليهم ورئيسُهم حُمَيضة بن حرملة الصِّرمى ، ونكصت عن حُصينٍ بن الحُمام قبيلتان ، وهما عَدْوان بن وائلة بن سهم ، وعبد غَنْم بن وائلة بن سهم ، فلم يكن معه إلّا بنو وائلة بن سهم والحُرَقة ،

---

(١) ط : « وان كانوا » ، وأثبت ما فى ش وشرح المرزوقى ١٩٩ .

(٢) ط : « أحد وأربعون بيتا » .

(٣) الخزانة ٣ : ٣١٨ – ٣٢٧ .

فسار إليهم فلقيَهم الحصين ومن معه بدارةِ موضوع ، فظفر بهم وهزمَهم ، وقَتل منهم فأكثر ، فلذلك يقول الحُصين بن الحمام :

ولا غرْوَ إلّا يوم جاءت محاربٌ يقودون ألْفًا كلُّهم قد تَكتَّبا[1]
مَوالى موالينا لِيَسْبُوا نساءنا أثعلبُ قد جئتم بنَكْراءَ ثعلبا

وإنّما سارت إليهم محاربٌ للحِلف الذى كان بينهم . فقال الحصين :

أيا أَخوينا من أبينا وأُمّنا إليكم وعند الله والرَّحِم العُذْرُ . انتهى

وأَحْلَبَ بالحاء المهملة ، قال (فى الصحاح) : يقال للقوم إذا جاءُوا من كل أُوب للنُّصرة : قد أَحلبوا . والمُحْلِب : الناصر . ويعجبنى من آخِرِ هذه القصيدة قولُه :

(فلستُ بمبتاع الحياة بسُبَّةٍ ولا مبتغٍ من رَهبة الموت سُلَّما)

يقول : لا أشترى الحياة بما أُسبُّ عليه وأُعَيَّر به ، ولا أَطلب النجاة من الموت ، لأنّى أعلم أنّ الموتَ لابدَّ منه . يعنى مَنْ طلب النجاةَ من الموت احتملَ الذّلّ ، ومن علم أنه ميت لا محالة لم يحتمل المذلة .

الحصين بن الحمام

والحُصَين ، بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين . والحُمَام ، بضم المهملة وتخفيف الميم . والمرّىّ نسبة إلى مُرّة ، وهو أبو قبيلة ، وهو مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وسهم وصرْمَة أَخوانِ ، وهما ابنا مرّة . ووائلة هو ابن سهم . والحصين من بنى وائلة ، وهو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن

---

(١) الغرو : العجب . ط : « ولا غزو » ، صوابه فى ش .

مساب بن حرام بن وائلة . وحميضة ، بالتصغير هو ابن حرملة بن الأشعر بن إياس بن مُرَيطة بن ضَرَمَة بن صِرْمَة بن مرة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الخمسمائة [٢] :

٥٦٧ (يارُبَّ سارٍ باتَ ما تَوَسَّدا إلَّا ذراعَ العَنْسِ أو كفَّ اليدا)

على أنَّ السِّيرافى استدلَّ به على أنَّ « يدا » أصله فَعَل بتحريك العين :

قال صاحب الصحاح : بعض العرب يقول للَيَدِ يَدًا ، مثل رحًى . وأنشد الشعر . وتثنيتها على هذه اللغة يدَيان مثل رَحَيان . قال الشاعر :

يديان بيضاوانِ عند محرِّق قد تمنعانك منهما أنْ تُهْضَما . انتهى .

وتبعه ابن يعيش بقوله : « والذى أراه أنَّ بعض العرب يقول فى اليد يدا » . إلى آخر ما ذكره صاحب الصحاح . ٣٥٦

وقال ابن الأنبارى (فى كتاب الأضداد) : أنشد الفراء :

* يارُبَّ سارٍ بات ما توسَّدا * إلخ

أى كانَ ذراعُ النَّاقة له بمنزلة الوسادة . وموضعُ اليد خفضٌ بإضافة الكفِّ إليها ، وثبتت الألف فيها وهى مخفوضة لأنَّها شبهت بالرَّحَى والفتى . وعلى هذا قالت جماعةٌ من العرب : قام أباك ، وجلس أخاك ، فشبَّهوهما بعصاك ورحاك . هذا مذهب أصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصبٌ

---

(١) فى القاموس (ضرم) : « وضرمة بن صرمة بكسر الصاد المهملة : جد لهاشم بن حرملة » وقد ضبطت « ضرمة » بفتح الضاد والراء . وانظر مختلف القبائل لابن حبيب ٤٥ .

(٢) رسالة الملائكة ١٦٥ وابن يعيش ٤ : ١٥٢ والهمع ١ : ٣٩ .

بكفّ ، وكفّ فعلٌ ماض من قولك : قد كفّ فلان الأذى عنّا . انتهى كلامُه . فتأمّل كلامَه .

و (يا) حرف تنبيه و (رُبَّ) حرف جر . و (سارٍ) : اسم فاعل من سَرى فى الليل . واسم بات ضمير سار ، وجملة ما توسَّدَا خبرها ، والجملة الكبرى صفةٌ لسارٍ . ويجوز أن تكون بات تامّة ، وجملة ما توسَّدا حالٌ من ضمير فاعلها . و (توسَّد) بمعنى اتَّخذ وسادة . و (العَنْس) بفتح العين وسكون النون : النَّاقة الشديدة . ويروى : « العِيَس » بالكسر وبالمثناة التحتيَّة ، وهى الإبل البيض التى يخالط بياضَها شىءٌ من الشُّقرة ، واحدها أَعْيَس والأُنثى عيساء . يقول : أُكثرُ من يسير اللَّيل لم يتوسَّد للاستراحة إلَّا ذراع ناقته المعقولة ، أو كفَّ يده . وجواب ربَّ محذوف ، تقديره لقيته ، أو مذكورٌ فى بيت بعده . ولا يصح أن يكون جوابها ما توسَّد . فتأمَّل .

وهذا الرجز لم أقف على قائله ولا تتمَّته . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الخمسمِائة [1] :

٥٦٨ (هُمَا خُطَّتَا إمّا إسارٌ ومِنَّةٌ وإمَّا دمٌ ، والقتلُ بالحرِّ أَجدَرُ)

على أنَّ نون التثنية قد تحذف للضرورة كما هنا ، فإنَّ الأصل : هما خطتان .

(١) الخصائص ٢ : ٤٠٥ والمغنى ٩٩ والعينى ٣ : ٤٨٦ والتصريح ٢ : ٥٨ والهمع ١ : ٤٩ / ٢ : ٥٢ والأشمونى ٢ : ٢٧٧ والحماسة بشرح المرزوقى ٨٩ واللسان (خطط) .

وهذا على رفع إسار . وأمَّا على جرِّه فخطَّتا مضاف إليه وحذفتَ النون للإضافة . قال ابن هشام (فى المغنى) : فى رفع إسار حذف نون المثنَّى من خُطَّتان . وفى جره الفصلُ بين المتضايفين بإمَّا . فلم ينفكَّ البيتُ عن ضرورة . انتهى

وقد تكلَّم على الوجهين ابن جنِّى (فى إعراب الحماسة) بكلامٍ لا مزيد عليه فى الحُسْن . قال : أمَّا الرَّفع فظريف المذهب [1] ، وظاهر أمره أنَّه على لغة من حذف نون التثنية لغير إضافة ، فقد حُكِى ذلك . ومما يعزى إلى كلام البهائم قولُ الحَجَلة للقطاة : « بيضُكِ ثِنْتا ، وبيضى مائَتا » ، أى ثنتان ، ومائتان . وقول الآخر [2] :

لنا أعنزٌ لُبْنٌ ثلاثٌ فبعضُها لأولادها ثنتا وما بيننا عَنْزُ

وذهب الفرّاء فى قوله :

لها مَتنتانِ خَظَاتا كَمَا أكبَّ على ساعدَيهِ النَّمِرْ [3]

إلى أنَّه أراد خظاتان ، فحذف النون استخفافًا . واستدلَّ على ذلك بقول الآخر [4] :

ومتنان خظاتانِ كزُحلُوف من الهَضْبِ

وقد تقصَّيت القول على هذا الموضع فى كتابى (سر الصناعة) . فعلى هذا يجىء قوله :

هما خطتا إمّا إسارٌ ومنّة وإمّا دم ....

---

(١) وكذا ورد فى إعراب الحماسة الورقة ٢١ بالظاء المعجمة .

(٢) الخصائص ٢ : ٤٣٠ وشرح القصائد السبع الطوال ٣٠٥ وشرح الحماسة للمرزوقى ٨١ .

(٣) لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٤ .

(٤) هو أبو دوّاد الأيادى . ديوانه ٢٨٨ واللسان (خظا) .

على أنه أراد : خطتان ، ثم حذف النون على ما تقدَّم .

فإن قلت : فإذا كان بالتثنية قد أثبت شيئين ، فكيف فسَّر بالواحد ، فقال : إمّا وإمّا ، وهما يثبتان الواحد كما تثبته أو [١] . ٣٥٧

فالجواب : أنَّه تصوّر أمرين ، واعتقد أنَّه لابدَّ من أحدهما ، وعلم أنَّ المحصول عليه أحدُهما لا كِلاهما ، ففسَّر ما تصوّره ، وهما شيئان ، بما يُحصَل عليه وهو الواحد ، كما يخص بعد العموم فى نحو قولك : ضربت زيدًا رأسه ، ولقيت بنى فلان ناسًا منهم .

فإن قلت : فهلَّا حملته على حذف المضاف فكان أقرب مذهبا وأيسر متوهَّما ، حتَّى كأنَّه قال : هما إحدى خُطَّتين ؟

قيل : يمنع من ذلك قوله هما ، وهما لا يكون خبره مفردًا . ألا تراك [٢] لا تقول : أخواك جالس ولا نحو ذلك . فلذلك انْصرَفْنا عن هذا الوجه إلى الذى قبله .

ويجوز عندى فيه وجهٌ أعلى من هذا ، لِضعفِ حذف نون التثنية عندنا ، وهو أن يكون على وجه الحكاية ، حتى كأنَّه قال : هما خُطَّتا قولِك : إمّا إسار ومنَّة وإمّا دم ، فتحذف النون على هذا للإضافة البتَّة .

وأمّا من جَرَّ إما إسار ومِنَّة ، فأمره واضح [٣] . وذلك أنَّه حذف النون للإضافة ولم يعتدَّ « إمَّا » فاصلًا بين المضاف والمضاف إليه . وعلى هذا تقول : هما غُلاما إمّا زيدٍ وإمّا عمرو ، وهذان ضاربا إمّا زيدٍ وإمّا جعفرٍ .

---

(١) ش : « كما ثبته أو » . وما فى ط يطابق ما فى إعراب الحماسة .
(٢) فى النسختين : « ألا ترى » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .
(٣) هذا الكلام إلى آخره موضعه فى إعراب الحماسة قبل الكلام السابق .

وأجود من هذا أن تقول : هما إمَّا خطتا إسارٍ ومِنَّه وإمّا دمٌ . وإن شئت : وإمّا خُطَّتا دم .

فإن قلت : إن إمَّا مثل « أوْ » فى أنَّ كلَّ واحدةٍ منهما توجب إحدى الشيئين ، فترجع بك الحال إذن إلى أنَّك كأنَّك قلت : هما خطتا أحدِ هذين الأمرين . وليس الأمر كذلك ، إنما هما خُطَّتان إحداهما كذا والأخرى كذا . وليست أيضًا كلُّ واحدة من الخطتين للإسار والدَّمِ جميعًا ، إنَّما أحدهما لأحدهما [(١)] على ما تقدَّم .

فالجواب : أنَّ سبب جوازِ ذلك هو أن كلَّ واحدٍ من الإسار والدم لمَّا كان مَعرِضا لكلِّ واحدةٍ من الخطتين ، يصلح أن يصير بصاحب الخطة إليه ، أُطلِقا جميعًا على كلِّ واحد منهما بأنْ أُضيفا إليه ، وجُعلَ مُفضًى له ومَظِنَّة مِنه . ونحوٌ منه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ومِنْ رحْمتِهِ جَعَلَ لكم اللَّيلَ والنَّهارَ لتَسكُنوا فِيه ولِتَبْتَغُوا مِنْ فضله [(٢)] ﴾ ولم يجعل كلَّ واحد من اللَّيل [والنَّهار [(٣)]] لكلِّ واحِدٍ من السُّكون والابتغاء ، وإنَّما جَعل الليل للسُّكون ، والنَّهارَ للابتغاء ، فخلط الكلام اكتفاءً بمعرفة المخاطَبين بوقت السُّكون من وقت الابتغاء . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أحد عشر بَيتًا لتأبَّط شرًّا ، أوردها أبو تمام (فى الحماسة) هكذا :

أبيات الشاهد

(إذا المرءُ لم يَحْتَل وقد جَدَّ جِدُّهُ ... أضاعَ وقاسى أَمْرَهُ وهو مُدْبِرُ
ولكنْ أخو الحزم الذى ليس نَازِلًا ... به الخطبُ إلَّا وهو للقَصْدِ مُبصِرُ

(١) فى إعراب الحماسة : « إنما لإحداهما » .
(٢) الآية ٧٣ من سورة القصص .
(٣) التكملة من إعراب الحماسة .

فذاك قَرِيعُ الدَّهرَ ما عاش حُوَّلٌ ... إذا سُدَّ منه مَنخِرٌ جاش مَنخِرُ
أَقول لِلحيانٍ وقد صفِرَتْ لهمْ ... وِطابِى ويومى ضَيِّق الحَجْر مُعْوِرُ (١)
هما خُطَّتا إِمَّا إسارٍ ومِنَّةٍ ... وإِمَّا دمٍ والقتلُ بالحُرِّ أَجدرُ
وأُخرى أُصادِى النَّفسَ عنها وإِنَّها ... لَمَوردُ حزمٍ إن فَعلتُ ومَصْدرُ
فَرَشْتُ لها صدرى فزلَّ عن الصَّفا ... به جؤجؤٌ عبْلٌ ومَتنٌ مخصَّرُ
فخالط سهلَ الأَرض لم يَكدحِ الصَّفا ... به كدحةً ، والموتُ خَزْيانُ يَنظُرُ
فأُبْتُ إلى فهمٍ وما كدتُ آيبًا ... وكَمْ مثلِها فارقْتُها وهى تَصفِرُ) ٣٥٨

وأورد صاحب الأَغانى أَولَ الأَبيات « أَقول للحيان » والأَبيات الثلاثة قبله ، بعد قوله : فأَبت إلى فهم ... البيت .

خبر الأبيات

وخبر هذه الأَبيات أَنَّ تأَبَّط شرًّا كان يشتار عسلًا فى غارٍ من بلاد هذيل ، وكان يأْتيه كلَّ عام ، وأَنَّ هذيلا ذُكِرَ لها ذلك ، فرصَدتْه لوقت ، حتَّى إذا هو جاء وأَصحابه تدلَّى فدخل الغار . فأَغارت هذيلٌ على أَصحابه وأَنفروهم ، ووقفوا على الغار فحرَّكوا الحبْل ، فأَطلع رأْسَه فقالوا : اصعدْ . قال : فعلام أَصعد ؟ على الطَّلاقة والفِداء ؟ قالوا : لا شرطَ لك . قال : أَفتُراكمْ آخِذِىَّ وقاتِلِىَّ وآكلى جَنائىَ (٢) . لا والله لا أَفعَل ! ثم جعل يُسيل العسلَ على فم الغار ، ثم عمد إلى زِقٍّ فشدَّه على صدره ثم لصِقَ بالعسَل ، ولم يزل يَتزلَّق عليه حتَّى جاء سليمًا إلى أَسفل الجبل ، فنهضَ وفاتَهم ، وبين موضعه الذى وقع فيهِ وبينهم [مَسيرةُ (٣)] ثلاثةِ أَيام .

(١) الحجر ، بفتح الحاء : الناحية ، ومثله الحجرة بالفتح . وفى المثل : « يربض حجرة ويرتعى وسطا » . شرح الحماسة للمرزوقى ٨١ .

(٢) ط : « جنائى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) التكملة من ش .

وقوله : « إذا المرء لم يَحْتَل » إلخ الحِيلةِ من حال الشيء ، إذا انقلبَ عن جهته ، كأنَّ صاحبها يريد أن يستنبط ما تحوَّل عند غيره ، ولذلك يقال : فلانٌ حُوَّلٌ قُلَّب . و « جَدَّ جِدُّه » : ازداد جِدُّه جدًّا . والجدّ ، بالكسر : الاجتهاد . وأضاع : وجد أمره ضائعا ، أو بمعنى ضيَّع . والمعنى عالج أمره مدبرًا فيه غير مقبل . أى إذا المرء لم يطلبْ رشدَه فى إصلاح أمره فى الوقت الذى يجب أن يفعله آل به أمره إلى الضَّياع .

وقوله : « ولكنْ أخو الحَزْم » ، يقول : صاحب الحزم هو الذى يستعدُّ للأمر قبل نزوله .

وقوله : « فذاك قَرِيعُ الدَّهر » إلخ يجوز أن يكون فى معنى مختار الدهر ، ويكون من قرعت أى اخترته بقرعتى . ويجوز أنْ يكون من قرعَه الدهر بنوائبه حتَّى جرَّب وتبصَّر . وقوله : « ما عاش » أى مدَّةَ عيشِه . وقوله : « إذا سُدّ منه منخِر » إلخ مَثَلٌ للمكروب المضيَّق عليه . وجاشَ : تحرَّك واضطرب . والمعنى لا يؤخذ عليه طريقٌ إلَّا نفذ فى طريقٍ آخر ، لافتنانه فى الحِيَل .

وقوله : « أقول لِلِحيانِ » إلخ لِحْيان : بطنٌ من هذيل ، خاطبهم لمَّا كانوا على رأس الغار الذى اشتار منه العسل . وقوله : « صفرت وطابى » الواو للحال . والوطاب هنا : ظُروف العسل ، وهى فى الأصل جمع وَطْب ، وهو سِقاء اللبن . وصفِرت : خلَتْ . أشار إلى ظُروف العسل التى صَبَّ العسلَ منها على الجانب الآخر وركبه متزلِّقا حتَّى لحق بالسهل . وقيل : معناه خلا قلبى من وُدِّهم ، يريد وِطابَ ودِّى .

وقيل : أُشرفتْ نفسى على الهلاك . فأَراد بالوطاب جسمَه . ومُعْوِر ، من أَعور لك الشيءُ ، إذا بدت لك عورته ، وهى موضع المخافة . وكلُّ ما طلبتَه فأَمكنك ، فقد أُعورَك وأَعورَ لك .

وقوله : « هما خطَّتا » إلخ هذا مقولُ القول . والخُطَّة : الحالة والشأْن . وكأَنَّهم كانوا يريدونه على الحالتين ، فأَخذ يتهكَّم عليهم ويحكى مقالتهم . والمعنى : ليس إلَّا واحدةٌ من خصلتين على زعمكم : إمّا استئسارٌ والتزامُ مِنَّتكم إنْ رأَيتم العفو . وإمّا قتلٌ وهو بالحرّ أُجدرُ مِمَّا يُكسبه الذل . فهاتان الخصلتان هما اللتان أُشار إليهما بقوله : « هما خطتا » . وقد ثلَّثهما بخطةٍ أُخرى ذكرها فيما بعد . وكلُّه تهكم وهُزءٌ . وقوله : « والقتل بالحرِّ أُجدر » اعتراضٌ بينَ ما عدَّه من الخصال .

وقوله : « وأُخرى أُصادى النفس » إلخ المصاداة : إدارة الرأْى فى تدبير الشىء والإتيان به . يقول : وههنا خصلة أُخرى أُدارِى نفسى فيها ، وإنَّها هى الموضع الذى يرِدُه الحزمُ ويصدُر عنه إن فعلت . وإنَّما قسَّم الكلام هذه الأَقسامَ لأَنَّه رآهم يبُتُّون [1] أُمره عليها ، ولأَنَّه نظر إلى جهتَى الجبل ، فعلم أَنَّه إنْ رضى ما أُراده بنو لحيان كان فيه إحدى الحالتين من الأَسر والقتل بزعمهم . وإن احتال للجهة الأُخرى فالحزم فيها وخلاصُه فيها ، وكان أَمرًا ثالثا .

٣٥٩

وقوله : « وإنَّها لمورد حزم » اعتراض أَيضا .

وهذه الأَبيات الثلاثة من باب التقسيم الذى هو من محاسن الكلام ، وهو أَن يقصد وصف شىءٍ تختلف أَحواله ، فيُقسِّمَ أَقسامًا محصورة لا يمكن

---

(١) أى يقطعون . وفى ط : « يبنون » ، وأثبت ما فى ش .

الزيادةُ عليها ولا النُّقصان ، كما قسَّم تأبَّط شرا أحواله مع بنى لحيانَ أقساما ثلاثة لا رابع لها . ومنه قول بشر بن أبى خازم :

ولا يُنْجِى من الغَمَراتِ إلّا ... بَراكَاءُ القتالِ أو الفِرارُ

وليس فى أقسام النَّجاة للمحارب قسمٌ ثالث .

ونحوه قولُ زهير :

وأعلم ما فى اليومِ والأمسِ قبلَه ... ولكنَّنى عن علم مافى غدٍ عَمِى

فقسَّم الأيام ثلاثة ، ولا رابعَ لها .

وقوله : « فرشْتُ لها صدرى » إلخ بيَّن بهذا كيفيَّة مزاولتِه لنفسه . والفَرْش : البسط . وضمير لها للخُطَّة التى عبَّر عنها بقوله : « وأُخرى » ، أى فرشت من أجل هذه الخُطَّة صدرى على الصَّفا . وهذا حين صَبَّ العسل فتزلَّق به عن الصَّفا ، أى بصدره . جُؤْجُؤٌ عبْل ، أى ضخم . ومتن مخصَّر ، أى دقيق . والصَّدر والمتن : صدره ومتنه ، ولكنَّه أخرجه مخرج قولهم : لقيت بزيدٍ الأَسَد ، وزيدٌ هو الأسد عندهم ، ووضَع فرشت موضع أُلقيت ووضعت . ويقال فرشت ساحتى بالأُجُرِّ . وأفرشت الشاة للذَّبح ، إذا أضجعتَها . كذا قال التِّبريزى .

وقوله : « فخالط سهلَ الأرض » إلخ الخلط ، أصله تداخُل أجزاء الشىء فى الشىء . والكَدْح بالأسنان والحجر : دون الكدم . يقول : وصلت إلى السهل ولم يؤثِّر الصَّفا وهو الصَّخر ، فى صدرى أثرًا ولا خَدْشا ، والموت كان قد طمع فىَّ ، فلما رآنى وقد تخلَّصت بقىَ مستَحيًا . وخزيان ، من الخَزَايَة وهى الاستحياء ، ويجوز أن يكون من الخِزْى ، وهو الفضيحة والهوان .

و « ينظر » خبر ثان أو حال من ضمير خزيان . وينظر : يتحيَّر . وقد حُمِلَ قولُه تعالى : ﴿ وأنتم حِينئذ تَنْظُرون [١] ﴾ على معنى تتحيَّرون .

وقوله : « فأُبت إلى فهم » . إلى آخره ، أُبت : رجَعت . وفهْم : قبيلة تأبط شرًّا . وقوله : « وكم مثلها » إلخ أى مثل هذه الخطة فارقتها بالخروج منها وهى مغلوبة تصفر وأنا الغالب . وقيل معناه : كم مثل لحيان فارقتها وهى تتلهَّف كيف أفلتّ .

وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على هذا البيت فى باب الفعل ، وفى أفعال المقاربة .

وقد تقدَّمت ترجمة تأبَّط شرا فى الشاهد الخامس عشر من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الخمسِمائة [٣] :

٥٦٩ (متَى ماتَلْقَنى فَرْدَينِ ترجُفْ رَوَانفُ أَليتَيكَ وتُسْتطَارا)

على أنَّه يجوز اتفاقا أن يقال أليتان بتاء التأنيث ، إلى آخر ما نقله عن أبى على .

وقد نقل عنه ابن الشجرىّ (فى المجلس الثالث من أماليه) خلافَ

---

(١) الآية ٨٤ من الواقعة .

(٢) الخزانة ١ : ١٣٧ - ١٣٩ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨ وإصلاح المنطق ٣٩٩ وابن يعيش ٢ : ٥٥ / ٤ : ١١٦ / ٦ : ٨٧ وشرح شواهد الشافية ٥٠٥ والعينى ٣ : ١٧٤ والتصريح ٢ : ٢٩٤ والهمع ٢ : ٦٣ وديوان عنترة ١٠٨ .

هذا ، قال : قال أبو على الحسن بن أحمد الفارسى : قد جاء من المؤنث بالتاء حرفان لم يلحق فى تثنيتهما التاء ، وذلك قولهم : خُصْيانِ وأَلْيان ، فإذا أفردوا قالوا : خُصْية وأَلْية . وأنشد أبو زيد : ٣٦٠

* يرتجّ أَلياهُ ارتجاجَ الوَطْبِ (١) *

وأنشد سيبويه :

كأنَّ خُصييْهِ من التَّدلدُلِ ظرفُ عجوزٍ فيه ثِنْتا حنظلِ (٢)

انتهى .

وقد جاءت فى قوله : « روانف أَليتيك » تاء التأنيث كما ترى ، فالعرب إذن مختلفةٌ فى ذلك . انتهى كلام ابن الشجرى .

وهذا كلام الصحاح ، قال : الأَلْيَة بالفتح : أَلية الشّاة . فإذا ثنّيتَ قلت أَليانِ ، فلا تلحقه التاء .

وأنشده الزمخشرى (فى المفصل) على أنّ الحال قد تجىء من الفاعل والمفعول معًا ، كفردين فإنّه حالٌ منهما فى تلقنى .

وكذا أنشده (فى الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿ أَنْ لا تكلّمَ النّاسَ ثلاثَةَ أيّامٍ إلّا رَمْزًا (٣) ﴾ فى قراءة من قرأ : ﴿ رُمُزًا ﴾ بضمتين ، وهو جمع رَموز كرسل جمع رسول . و ﴿ رَمَزًا ﴾ بفتحتين ، وهو جمع رامز

(١) نوادر أبى زيد ١٣٠ .

(٢) سيبويه ٢ : ١٧٧ . والرجز لخطام المجاشعى ، أو جندل بن المثنى ، أو سلمى الهذلية ، أو شماء الهذلية . معجم الشواهد .

(٣) الآية ٤١ من آل عمران . وقراءة « رمزا » بضمتين هى قراءة علقمة بن قيس ، ويحيى ابن وثاب . وبفتحتين قراءة الأعمش . وبفتحة سائر القراء . تفسير أبى حيان ٢ : ٤٥٣ .

كخدمٍ جمع خادم . قال : هو حالٌ منه ومن الناس دفعة [1] كما فى البيت ، بمعنى إلَّا مترامزِين ، كما يكلِّمُ الناسُ الأخرسَ بالإشارة ويكلِّمهم .

و (متى) جازمة ، و (تلقنى) شرطها ، و (ترجف) جزاؤها . وروى : « تُرعَد » بالبناء للمفعول . و (روانف) فاعل ترجف .

قال أبو على (فى المسائل البصرية) : وتستطارًا جزمٌ عطف على تُرعَد ، فحمَلْتَه على الأليتين أو على معنى الرَّوانف ، لأنهما اثنان فى الحقيقة . وهذا أحسن من أن تحمِلَه على أنَّ فى وتُستطارًا ضميرَ الرّوانف ، وتجعل الألف بدلًا من النون الخفيفة ، لأنَّ الجزاء واجب . وقد جاءَ :

* ومَهما تشأْ منه فَزارةُ تَمنَعا *

إلّا أنَّ هذا إن لم يَضطرّ إليه وزن كان بمنزلته فى الكلام . انتهى .

وتبعه ابن السِّيد (فى أبيات المعانى) قال : تستطارا جزمٌ بالعطف على ترعد بحملِه على الأليتين ، أو على معنى الروانف ، لأنهما اثنتان فى الحقيقة ، وإنّما جمعهما اتِّساعًا . وقال قوم : تستطار محمولٌ على الروانف ، وفيه ضميرها ، وكان الوجه أن يقول : تُستَطَرْ ، إلّا أنه أتى بالنون الخفيفة فانفتحت الراء ، فلم تسقط الألف التى هى عين الفعل ، وأبدل من النون ألفا . ومثله قولُ الآخر :

---

(١) ش : « وفقه » ، صوابه فى ط والكشاف للزمخشرى ١ : ١٤٤ .

* ومَهما تَشأْ منه فَزارةُ تَمنعَا (١) *

يريد : تَمنعنْ . والقول الأَوَّل اختيار أَبى علىّ ، لأَنَّه اضطُرَّ فى البيت الثانى ولم يُضطَّر فى تستطار ، لأَنَّ له حمَلَه على معنى التثنية ، فهو بمنزلته فى الكلام . انتهى .

وزاد ابن الشجرى (فى أَماليه) وقال : معنى تُستطار تستخَفّ . ويحتمل وجهين من الإعراب ، أَحدهما : أَن يكون مجزوما معطوفًا على جواب الشرط ، وأَصله تُستطاراِن ، فسقطت نونه للجزم . فالأَلف على هذا ضميرٌ عائد على الروانف ، وعاد إليها وهى جمعٌ (٢) ضميرُ تثنية ، لأَنَّها من الجموع الواقعة فى مواقع التثنية ، نحو قولك : وجوه الرَّجلين ، فعاد الضمير على معناها دون لفظها ، إذ المعنى رانفتا أُليَتيك . كما أَنَّ معنى الوجوه من قولك : حيَّا الله وجوهَكما ، معنى الوجهين ؛ لأَنَّه لا يكون لواحدٍ أَكثر من وجه ، كما أَنَّه ليس للأَلية إلَّا رانفة واحدة .

والجواب الثانى : أَن يكون نصبًا على الجواب بالواو ، بتقدير : وأَن تستطار ، فالأَلف على هذا لإطلاق القافية ، والتاء للخطاب ، وهى فى الوجه الأَوّل للتأْنيث . ويجوز أَن تجعل التاء فى هذا الوجه أَيضا لتأْنيث الرَّوانف ، وجاء الجواب بعد الشرط والجزاءِ كما يجىء بعد الكلام الذى ليس بواجب ، كالنهى والنفى . ومثله فى انتصاب الجواب بالواو بعد الشرط والجزاء قولُه

(١) لعوف بن عطية بن الخرع ، كما فى سيبويه ٢ : ١٥٢ . وصدره :
« فمهما تشأ منه فزارة تعطكم »

(٢) ط : « هو جمع » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢١ .

عز وجل : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فيظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ [(١)] ﴾ ثم قال : ٣٦١
﴿ أَوْ يوبِقْهُنَّ بما كَسَبُوا وَيَعْفُ عن كثيرٍ * ويَعْلَم الذين يُجَادِلون [(٢)] ﴾ . ومن
قرأَ ﴿ ويعلمُ ﴾ رفعا [(٣)] استأْنفه . ومثله قول النابغة :

فإن يهلِكْ أَبو قابوس يَهلِكْ ربيعُ النَّاسِ والشَّهْرُ الحرامُ
ونأْخذ بعدَه بِذِناب عيشٍ أَجبِّ الظَّهرِ ليس له سَنامُ

قد رُوِىَ : « ونأْخُذْ » جزما بالعطف على جواب الشرط ، وروى نصبًا
على الجواب ، وروىَ رفعًا أَيضًا على الاستئناف . انتهى .

وقال ابن الحاجب (فى أَماليه) : يجوز أَن يكون معطوفًا على ترجف
وأُلحقت به نون التوكيد الخفيفة فقُلبَتْ أَلفا فى الوقف ، إِلَّا أَنَّ إِلحاق نون
التوكيد فى جواب الشرط ضعيف . ويجوز أَن يكون منصوبًا على أَحد وجهين :
أَحدهما مذهب الكوفيين بالواو التى يسمُّونها واو الصرف ، مثلُها عندهم فى
قوله تعالى : ﴿ ويَعْفُ عن كثيرٍ * ويَعْلَمَ ﴾ فى قراءة الأَكثرين . والثانى مذهب
البصريين ، وهو أَنْ يكون معطوفًا على مقدَّر مثلَها عندهم فى قوله ويعلم ، أَى
لينتقِمَ ويَعْلم . إِلا أَنَّه لا يمكن التقدير لفعل منصوب ، لأَنَّه فى المعنى سبب ،
ولو قدِّر فعل منصوب لكان مسبَّبا ، فينبغى أَن يكون التقدير لاسمٍ منصوب
مفعول من أَجله ، كأَنَّه قيل : ترجف روانف أَليتيك خوفًا واستطارة .

(١) الآية ٣٣ من سورة الشورى .

(٢) الآية ٣٤ ، ٣٥ من سورة الشورى .

(٣) بعده فى أمالى ابن الشجرى : « وهو نافع وابن عامر » .

فلمّا أتى بالفعل موضع استطارةً وعطفَ على المقدَّر [١] ، وجب أن يكون منصوبًا مثله فى قولك : أُريد إتيانك وتحدُّثنى . والرَّوانف : أطراف الأليتين ، واحدته رانفة . وتُستطار بمعنى يُطلَبُ منك أَنْ تطير خوفًا وجبنا . والعرب تقول لمن اشتدَّ به الخوف : طارت نفسه خوفًا . ومنه قوله :

* أقولُ لها وقد طارت شَعاعا [٢] *

وقال ههنا : وتستطارا ، كأنَّه طُلب منه أن يطير من الخوف . والضمير فى وتستطارا للمخاطب لا للروانف ، إذْ لا تطلب من الروانف استطارة ، وإنَّما المقصود طلبُه من المخاطب . انتهى .

وقوله : « كأنَّه قيل ترجف روانف أَليتَيك خوفًا واستطارةً » ، هو أجود ممَّا نقله العينى ، بأنَّ نصبه بأَنْ فى تقدير مصدر مرفوع بالعطف على مصدر ترجف ، تقديره : ليكن منك رَجْف الرَّوانف والاستطارة .

وقال ابن يعيش : قوله وتستطارا يحتمل وجوها :

أحدها : أن يكون مجزومًا بحذف النون ، فالضمير للرَّوانف ، وعاد إليها الضمير بلفظ التثنية لأنَّها تثنية فى المعنى .

والثانى : أن يكون عائدًا إلى الأليتين .

---

(١) ش : « عطفا على المقدر » .

(٢) لِقطرىّ بن الفجاءة فى الحماسة بشرح التبريزى ١ : ٩٦ والحماسة البصرية ١ : ٩١ وحماسة الخالديين ١ : ١١٦ . وعجزه :

« من الأبطال ويحك لا تراعى »

والآخر : أن يكون الضمير مفردًا عائدًا إلى المخاطب ، والألف بدلٌ من نون التوكيد . انتهى مختصرًا .

ونقله العينىُّ بحروفِهِ ولم يعزه . ولا يخفى اختلاله ، فإنَّه قال : فيه وجوه . ولم يذكر غير الجزم ، وكان يجب أن يقابله بالنصب كما فعله غيره [1] ، ويقول بعده : والضمير للمخاطب والألف للإطلاق ، ويدرج عود الضمير إلى الأليتين فى صورة الجزم . أو يقول : وتستطارا مجزوم ، فى مرجع ضميره أوجه ثلاثة . وجعلُه تعدُّدَ احتمالِ مرجع الضمير وجوهًا مقابلة للجزم فاسد ، فإنَّ الثلاثة محتمَلة فى صورة الجزم . فتأمَّل .

وزاد العينى بعد هذا : ويقال الضمير المفرد عائد إلى الروانف ، تقديره : تستطارن هى . انتهى .

وهذا هو الأوَّل مما ذكره ابن يعيش بعينه ، فذكرُهُ تكرارٌ له [2] ٣٦٢

صاحب الشاهد والبيت من أبياتٍ عدّتها ثلاثةَ عشر بيتًا لعنترة العبسىِّ ، خاطب بها عُمارة بن زيادٍ العبسى . قال الأعلم (فى شرح شعره فى الأشعار الستّة) ، وابن الشجرى (فى أماليه) : كان عُمارة يحسد عنترة على شجاعته ، إلَّا أنَّه كان يظهر تحقيره ويقول لقومه : إنَّكم قد أكثرتم مِن ذِكره ، ولَوددْت أنِّى لقيتُه خاليًا حتَّى أُريحَكم منه ، وحتَّى أُعلِمَكم أنَّه عبد . وكان عمارة مع كثرة جُودِه كثيرَ المال ، وكان عنترة لا يكاد يمسك إبلا ، ولكن يعطيها إخوتَه

---

(١) ش : « كما فعل غيره » .

(٢) ش : « تكرارا له » أى قد ذكره مكررا له . وفى ط : « تكرار » بالرفع على أنه خبر لذكره .

وبقسمها فيهم ، فبلغه ما يقول عُمارة فقال الأبيات .

أبيات الشاهد وهذه أبياتٌ ستة منها ، ويأْتى إن شاء الله تعالى بقيَّتها (فى أفعل التفضيل) :

(أَحَولِى تنفُضُ استُكَ مِذْرَوَيها لِتقتلَنى فها أَنا ذا عُمـارا
مَتى ما تلقنى فَردينِ ترجُفْ روانفُ أَليتيكَ وتُستطـارا
وسيفى صارمٌ قَبضَتْ عليه أَشاجعُ لا ترى فيها انتشارا
حُسامٌ كالعقيقة فهو كِمْعِى سِلاحى لا أَفَلَّ ولا فُطارا
وكالورقِ الخِفَافِ ، وذاتُ غرْب ترى فيها عن الشِّرَع ازورارا
ومُطَّردُ الكعوب أَحصُّ صَدْقٌ تَخال سِنانه بالَّليل نارا)

وقوله : « أحولى تنفُضُ » إلخ الهمزة للاستفهام الإنكارى التوبيخى . وحولى : ظرف لتنفُض ، واستك فاعل تنفُض ، ومِذرويها مفعوله . والمعنى : أَتتوعَّدنى وتهدِّدنى واستُك تضيق عن ذلك . وتنفُض مِذرويْها مثلٌ لخفَّته بالوعيد وطَيشِه . يقال : جاء فلانٌ ينفض مِذرويه ، إذا جاء يتهدَّد . وقد شرح السيد المرتضى ، قدس الله روحه ، هذه الكلمةَ (فى أَماليه) أحسن شرح ، فى كلامٍ نقله للحسن البصرىّ ، وقع فيه : « ترى أحدَهم يملُخ فى الباطل مَلْخًا ، ينفض مذْرويه ويقول : ها أَناذا فاعرِفونى » . قال : المَلْخ هو التثنِّى والتكسُّر ، يقال ملخ الفرسُ ، إذا لَعِب . والمِذروانِ : فرعا الأَليتين . هذا قول أَبى عُبيدَةَ [1] ، وأنشد بيت عنترة . وقال ابن قتيبة رادًّا عليه : ليس المِذروان

(١) فى أمالى المرتضى ١ : ١٥٦ : « أبى عبيد » . وسيأتى فى النص ص ٥١٧ نقل أبى عبيد عن أبى عبيدة .

فرعَى الأَليتين بل هما الجانبان من كلّ شيء ، تقول العرب : جاء فلانٌ يضرب أُصْدَرَيه [١] ، ويضرب عطفيه ، وينفض مِذرويه ، وهما مَنْكباه . وذكر أنَّه سمع رجلًا من نصحاء العرب يقول : قَنَعَ مِذرويَه ، يريد جانبَىْ رأسه ، وهما فوداه . وإنَّما سمِّيا بذلك لأنَّهما يَذْرَيانِ أى يَشيبانِ . والذَّرى [٢] : الشيب . قال : وهذا أَصل الحرف ثم استعير للمنكبين والأَليتين والطَّرفين من كل شىء . وقال أُميّة بن أَبى عائِذ الهذَلىّ يذكر قوسا :

على عَجْسٍ هتَّافة المِذرويْـ ... ـنِ زوراءَ مضجَعةٍ فى الشِّمالِ

أَراد : قوساً ينبض طرفاها . قال : فلا معنًى لوصف الرجل الذى كره الحسنُ ، بأَنَّه يحرك أَليتيه ، ولا من شأْنِ من يبذَخ وينبِّه على نفسه ، يقول : ها أَناذا فاعرِفُونى ، أَن يحرِّك أَليتيه . وإِنَّما أَراد أَنَّه يضرب عِطْفيه ، وهذا مما يوصف به المرِح المختال . وربَّما قالوا : جاءنا ينفض مِذروَيه ، إِذا تهدَّد وتوعَّد ، لأَنَّه إِذا تكلَّم وحرَّك رأْسه نفضَ قرون فَودَيه ، وهما مِذرواه . قال المرتضَى قدَّس الله روحه : وليس الذى ذكره أَبو عبيدَة [٣] ببعيد ، لأَنَّ من شأْن المختال الذى يُزهَى بنفسه أَن يهتزَّ ويتثنَّى ، فتتحرَّك أَعطافه وأَعضاؤه . ومِذرواهُ من جملةِ ما يهتزُّ ويتحرَّك ، لأَنَّهما بارزان من جسمه فيظهر فيهما

٣٦٣

---

(١) ط : « بصدريه » : صوابه فى ش . والأصدران : العطفان ، أى جانبا الإنسان من لدن الرأس إلى الورك . وانظر ما سيأتى من الأقوال فى شرحه .

(٢) فى الأمالى : « الذرى والذروة » .

(٣) فى النسختين : « أبو عبيد » . وانظر حواشى الصفحة السابقة .

الاهتزاز . وإنّما خصَّ المذروان بالذكر مع أنّ غيرهما يتحرّك أيضًا على طريق التقبيح على هذا المختال ، والتهجين لفعله (١) .

وقول ابن قتيبة : ليس من شأن من يبذَخ أنْ يحرِّك أليتيه ، ليس بشيء ، لأنَّ الأغلب من شأن البَذّاخ المختالِ الاهتزازُ وتحريكُ الأعطاف . على أنَّ هذا يلزمه فيما قاله ، لأنّه ليس من شأن كلِّ متوعِّد أن يحرِّك رأسَه وينفُض مِذرويه . فإذا قال إنَّ ذلك في الأكثر قيل له مثله .

هذا ما أورده السيد المرتضى رحمه الله .

وقوله : جاء فلانٌ يضرب أصدَريه ، قال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق (٢)) بَدلَه : جاء يضرب أزدريه ، إذا جاء فارغا . قال شارحه ابن السِّيد : قوله : يضرب أزدريه ، إنّما أصله أصدَريه ، فأبدلوا مكان الصاد حرفًا يطابق الدال فى الجهر وعدم الإطباق ، وهو الزاى . والأصدران : عِرقان يضربان تحت الصُّدغين ، لا يفرد له واحد . ومعناه أنّه جاءَ فارغًا نادمًا خائبا ، يلطِم صُدغيه ، ويضرب أعلاهما إلى أسفلهما ، ندمًا وتحسرًا ، خدّيه (٣) . انتهى .

واعلم أنَّ كلام ابنِ قتيبة مأخوذٌ من كلام أبى مالك (٤) نقله عنه

---

(١) ط : « بفعله » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح ، وهو المطابق لما فى المرتضى .

(٢) إصلاح المنطق ٣٩٩ .

(٣) كذا فى النسختين .

(٤) ط : « من كلام مالك » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح . وهذا أبو مالك عمرو بن كركرة ، ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء ١٦ : ١٣١ ، ١٣٢ . ونقل عنه السيوطى فى بغية الوعاة قال : كان يعلم فى البادية . وورّق فى الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب . قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وأبو عبيدة فى نصفها ، وأبو زيد فى ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها .

أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على الغريب المصنَّف لأبى عبيد القاسم بن سلام) من تبيين غلطاته فيه . قال أبو القاسم : وروى عن أبى عُبيدَة : المِذْرَى : طرف الألية . والرَّانفة : ناحيتها . ثم قال إخبارًا عن نفسه : يقال المذروان أطراف الأليتين ، وليس لهما واحد ، وهذا أجود القولين ، لأنَّه لو كان لهما واحدٌ فقيل مِذرًى لكان فى التثنية مِذريَان بالياء . وما كانت فى التثنية بالواو . قال أبو القاسم : كان يجب عليه إذ سمَتْ به نفسُه إلى الردِّ على أبى عبيدة معمرِ بن المثنى ، أن يَضبط ما يروِى أوَّلًا ، وإلَّا فهو كالذى لم يُتمّ . والمذروان والرانفان بمعنًى واحد ، وقد فرق بينهما فجعل المذروين الطَّرفين ، وعبَّر عنهما بالأطراف ، وجعل الرانفة الناحية ، وليس كذلك قال أبو عبيدة وغيره . وكلام أبى مالك أحكا (١) ، لأنَّه أتمُّ . المذروان : أعالى الأليتين وأعالى القرنين أيضًا ، وكذلك أعالى المنكبين . وكذلك الرَّوانف ، الواحدة رانفة . وأنشد بيت عنترة . ففى هذا القول دليلٌ على أنَّ المذروين ليس باسمٍ لشيءٍ واحد . ومع هذا فقد قال أبو يوسف بنُ السكيت فى (باب المثنى) : جاء ينفُض مِذرويه ، إذا جاء يتوعَّد . وجاء يضرب أَزْدَرَيه ، إذا جاء فارغا ، ويقال بالصاد أيضًا .

وهذا وإن كان غيرَ ما قال أبو مالك فإليه يَرجِع ، لأنَّ تحريك المنكبين من فعال المتوعِّد ، فيريد أنَّه متوعِّدٌ هذا فِعالُه ، ومحرِّكٌ منكبيهِ ، إنَّما تتحرَّك له فروعهما وأعاليهما ، كما قال أبو مالك . وما حكاه فى واحد المِذروين كلام

---

(١) من قولهم : حكأ العقدة وحكاها ، أى شدها وأحكمها .

أبى عمرو الشيبانى ، فلم ينسبْه إليه . انتهى كلامُه (١) .

قال ابن الشجرى : وهذا الحرفُ مما شذَّ عن قياس نظائره ، وكان حقُّه أن تصير واوه إلى الياء كما صارت إلى الياء فى قولهم : مَلهَيان ومَغزَيَان ، لأَنَّ الواو متى وقع فى هذا النحو طرفًا رابعًا فصاعِدًا استحقَّ الانقلابَ إلى الياء ، حملًا على انقلابه فى الفعل نحو يُلهِى ويُغزى . وإنَّما انقلبت الواو ياءً فى قولك : مَلهيان ومغزَيان وإنْ لم تكن طرفا لأنَّها فى تقدير الطَّرَف ، من حيث كان حرف التثنية لا يحصِّن ما اتَّصل به ، لأَنَّ دخوله كخرُوجِه . وصحَّت الواو فى المذروين لأَنَّهم بنَوْه على التثنية ، فلم يُفرِدوا فيقولوا مِذرًى كما قالوا مَلهًى ، فصحَّت لذلك كما صحَّت الواو والياء فى العِلاوة والنِّهاية ، فلم يقلبا إلى الهمزة لأَنَّهم بَنَوْا الاسمين على التأْنيث . وكما صحَّت الياءُ فى الثِّنايَين من قولهم : عقَلته بثنايَيْن ، إذا عقلت يديه جميعًا بطرفَىْ حبل ، لأَنَّهم صاغوه مثنًّى . ولو أَنَّهم تكلموا بواحِده لقالوا ثِناء مهموز ، كرداء ، ولقالوا فى تثنيته : ثِناءين ، كرِداءين . انتهى .

وقوله : (فها أَناذا عُمارا) أَراد : يا عمارة ، فرخَّم وأَلحق أَلف الإطلاق .

وعُمارة هو أَحد بنى زياد العبسِىّ ، وهم : الربيع ، وعمارة ، وقَيسٌ ، وأَنس ، كلُّ واحد منهم قد رأَس فى الجاهلية وقاد جيشًا . وأُمُّهم فاطمة بنت الخُرشُب الأَنمارِيّة ، وكانت إحدى المُنْجبات . وهى التى سئلت : أَىُّ بنيكِ أَفضل ؟ فقالت : الربيع ، بل عُمارة ، بل قيسٌ ، بل أَنس . ثم قالت :

---

(١) كلامه ، ليست فى ط .

« ثكِلْتُهم إن كنت أدرى أيُّهم أفضل ، هم كالحَلْقة المفرَغة لا يُدرَى أين طرفاها » . وكان لكلٍّ واحد منهم لقبٌ ، فكان عُمارة يقال له : الوهَّاب ، وكان الرَّبيع يقال له : الكامل ، وقيسٌ يقال له : الجواد ، وأنس يقال له : أنسُ الحِفاظ . وكان عُمارة آلى على نفسه أن لا يسمع صوتَ أسيرٍ ينادِى فى الليل إلَّا افتكَّه .

وقوله : (متى ما تلْقَنِى فَرْدينِ) أى منفردين أنا وأنت خاصّة ، ليس معى مُعِين وليس معك معين . وما زائدة .

قال ابن الشجرى : والرانفة : طرف الألية الذى يلى الأرض إذا كان الإنسان قائمًا . وروى بدل فردين : « خِلْوَين » بالكسر ، أى خاليين . وروى أيضًا : « بِرْزَين » بالكسر ، أى بارزين .

و « سيفِى صارم » إلخ الصارم : القاطع . والأشاجع : عصب ظاهر الكفّ ، واحدها أشجع . قال ابن الشجرى : هى عروق ظاهرِ الكفّ ، واحدها أشجع ، وبه سمِّىَ الرجل . وهو قبل التسمية مصروفٌ كما ينصرف أفكلٌ . ويقال : رجل عارى الأشاجع ، إذا كان قليل لحم الكفّ . انتهى .

وقوله : « لا ترى فيها انتشارا » ، قال الأعلم : يصف أنّه سليم العصب شديد الخلق . والانتشار : انتشار العصب ، وهو انتفاخها ، كانتشار الفرس فى يديه [2] .

---

(١) المحبر لابن حبيب ٣٩٨ ، ٤٥٨ والاشتقاق ٢٧٧ وجمهرة أنساب العرب ٢٥٠ والأغانى ١٤ : ١٩ والمعارف ٣٧ والعقد ٣ : ٣٥١ .

(٢) كلمة « الفرس » ساقطة من ش .

وقوله : « حسامٌ كالعقيقة » إلخ يقول : هو صافٍ برّاق كالقِطعة من البرق ، وهى العقيقة . ويقال العقيقة : السّحابة تنشقّ عن البَرْق . والكِمْع ، بكسر الكاف وسكون الميم : الضجيع . يقول : هو ملازمٌ لى وإن كنت مضطجعًا . وقوله : « لا أَفلّ » أراد سلاحى لا فَلّ فيه ولا فُطارا . والأفلّ : الذى فيه فلول . والفُطَار بضم الفاء : المشقّق . يقول : هو حديد السّلاح تامُّها . وقال ابن الشجرىّ : العقيقة الشُّقّة من البرق ، وهى ما انعقّ منه . وانعقاقه : تشقُّقه . والكِمْع والكميع : الضَّجيع ، وجاء فى الحديث النَّهى عن المُكامَعة ، والمكاعمة . والمكامعة : أن يضطجع الرجلان فى ثوب واحد ليس بينهما حاجز . والمكاعمة : أن يقبِّل الرجل الرجل على فيه .

وقوله : « لا أَفلّ ولا فطارا » أى لا فَلّ فيه ولا فَطْر . والفلّ : الثّلم . والفَطْر : الشق . وموضع قوله كالعقيقة وصفٌ لحسام ، ففى الكاف ضمير عائد على الموصوف . وانتصاب أَفلّ على الحال من المضمر فى الكاف ، والعامل فى الحال ما فى الكاف من معنى التشبيه ، والتقدير : حسامٌ يشبه العقيقة غيرَ منفلٍّ ولا منفطر . انتهى .

٣٦٥ وقوله : « وكالوَرَق الخِفاف » إلخ يعنى سهامًا جعل نصالها بمنزلة الوَرق فى خِفَّتها . وأراد : بعضُ سلاحى سِهامٌ مثل الوَرق الخِفاف بكسر الخاء ، جمع خفيف ضِدّ الثقيل . وقوله : « وذاتُ غرب » يعنى قوسًا . وغَربها : حدُّها بفتح الغين المعجمة وسكون المهملة . والشِّرَعُ ، بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة : جمع شِرْعة بكسر فسكون ، وهى الأوتار . والازورار : الميلان .

يقول : هى محنيَّة ففيها ميْلٌ عن وترها . وكُلّما [١] مالت عنه وبعدت كان أمضَى لسهمها وأنفذ .

وقوله : « ومطَّردُ الكعوب » يعنى رمحًا طويلا . وكعوبه : رءُوس أنابيبه . واطِّرادها : تتابُعُها واستقامتها . والأحصّ ، بهملتين : الأملس الذى لا لحاءَ عليه ولا عُقدة . والصَّدْق ، بفتح الصاد ، وهو الصُّلب المستقيم . وشبَّه سنانه بالنار لصفائه وحدَّته . يقول : إذا نظرتَ إليه ليلًا أضاء لك الظلامَ ، فكأنَّه نار .

وقد تقدَّمت ترجمة عنترة فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكِتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الخمسمائة [٣] :

٥٧٠ (بلَى أيرُ الحِمار وخُصيتاهُ ... أَحبُّ إلى فزارةَ مِنْ فَزارِ)

لما تقدَّم قبله ، وسيأتى ما يتعلَّق به قريبًا .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ ثلاثة للكميت بن ثعلبة ، وهى :

(نَشدتُك يا فَزارُ وأنت شيخٌ ... إذا خُيِّرتَ تخطئُ فى الخِيارِ

أَصَيحانيّةٌ أُدِمَتْ بسمنٍ ... أَحبُّ إليك أم أَيرُ الحمارِ

بَلى أَيرُ الحمار وخُصيتاه ... أَحبُّ إلى فزارةَ من فَزارِ)

وقوله : « نشدتك » ، أراد : نشدتك بالله ، أى ذَكَّرتك به

(١) فى النسختين : « وكل ما » ، صواب كتابتها بالاتصال .

(٢) الخزانة ١ : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) الدرة الفاخرة لحمزة الأصبهانى ٨٧ وجمهرة العسكرى ٢ : ١٦ والميدانى ١ : ١٠٠ والمحاسن والأضداد ٨٨ والمحاسن والمساوى ١ : ٤٠٧ .

واستعطفتك به ، لتخبرَنى عمَّا أَسأَلك . ويقال أَيضًا نشدتك اللهَ من باب نصر . وجملة « تخطئ » فى محلّ رفعٍ صفة لشيخ ، من الخطإِ ضدّ الصواب . وإِذا ظرف له . والخيار هو الاختيار .

وقوله : « أَصيحانيّة أُدِمت » إلخ الهمزة للاستفهام ، وصيحانية صفة لموصوف محذوف ، أَى أَتمرة صيحانية . والصَّيحانىُّ : تمرٌ معروف بالمدينة . ويقال كان كبشٌ اسمه صَيحان بمهملتين ، شُدَّ بنخلةٍ فنُسبت إِليه وقيل صَيحانيّة . وأُدِمت بالبناء للمفعول من الإِدام ، يقال أَدمت الخبزَ ، إِذا أَصلحت إِساغته بالإِدام ، وهو ما يؤتدم به ، مائعًا كان أَو جامدًا .

وقوله : (بلى أَيْرُ الحِمار) قد وقعتْ بلى هنا جوابًا للاستفهام المجرَّد من النفى وشِبهه . وهذا يشكل على اتِّفاقهم بأَنَّها لايجاب بها الإِيجاب . وقد وقع مثله فى أَحاديثَ من صحيحى البخارىّ ومسلم ، نقلها ابن هشام (فى المغنى) . وبنو فزارة يُرمَوْن بأَكل أَير الحمار .

وقد بيَّن مثلَه الجاحظُ فى مساوى البخل (من كتاب المحاسن والمساوى [(١)]) قال : المثل السائر « هو أَبخَلُ من مادر » ، وهو رجلٌ من بنى هلال . وبلغ من بخله أَنَّه كان يسقى إِبلَه فبقىَ فى أَسفل الحوض ماءٌ قليل ، فسلحَ فيه ومدَرَ الحوض به ، فسمِّى مادرا .

وذكروا أَنَّ بنى فَزارة وبنى هلال تنافروا إِلى أَنس بن مُدرك ، وتراضَوْا به ، فقالت بنو هلال : يا بنى فزارة أَكلتم أَير الحمار . فقال بنو فزارة : لم نعرِفْه .

---

(١) صوابه : « المحاسن والأضداد » . انظر منه ص ٤٤ – ٤٥ .

وكان سبب ذلك أنّ ثلاثة اصطحبوا : فزاريٌّ ، وتغلبيٌّ ، وكِلابيٌّ ، فصادفوا حمارَ وحش ، ومضى الفزارى فى بعض حوائجه ، فطبخا وأكلا وخَبَّئا للفزاريّ أير الحمار ، فلمّا رجع قالا له : قد خبّأنا لكَ حِصتّك فكُلْ . وأقبل يأكل ولا يُسيغه ، فجعلا يضحكان ، ففطن وأخذ السَّيف وقام إليهما وقال : لتأكلانّ منه وإلّا قتلتكما ! فامتنعا فضرب أحدَهما فقتله ، وتناوله الآخر فأكل منه !

٣٦٦

فقالت بنو فزارة : منكم يا بنى هِلال من سَقَى إبلَه فلمّا روِيَتْ سلحَ فى الحوض ومَدَره بُخْلا .

فنفّرهم أنس بن مدرك على الهلاليّين ، فأخذَ الفزاريون منهم مائةَ بعير ، وكانوا تراهنو عليها .

وفى بنى هلال يقول الشاعر :

لقد جلَّلت خِزيًا هلالُ بن عامر ... بنى عامر طُرًّا لسلحة مادرِ [1]
فأفٍّ لكم لا تذكروا الفخرَ بعدها ... بنى عامر ، أنتم شِرارُ العشائرِ

هذا ما أورده الجاحظ ، ونقله حمزة الأصفهانى ، والميدانى ، والزَّمخشرى فى أمثالهم [2] .

الكميت بن ثعلبة

والكميت بن ثعلبة : شاعر إسلاميٌّ فقعسى أسدىّ . ويقال له الكميت الأكبر . وهو ابن ثعلبة بن نوفل بن نَضْلة بن الأشتر بن حَجْوان [3] ابن فقعس الأسدى . وهو جدُّ الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر . وهو القائل فى قصّة ابن دارة وقتْلِه :

---

(١) فى جميع المراجع المتقدمة : « بسلحة مادر » .

(٢) الدرة الفاخرة ٨٦ والميدانى ١ : ١٠٠ والمستقصى ١ : ١٣ .

(٣) بتقديم الحاء المهملة . قال ابن دريد : اشتقاقه من حجا يحجو بالمكان ، أى أقام به ، أو من حج الشيء يحجه حجا ، إذا سحبه . الاشتقاق ١٠٤ وجمهرة ابن حزم ١٧٨ ، ١٩٥ .

فلا تُكثروا فيها الضَّجاج فإنَّه ... محا السَّيفُ ما قال ابنُ دارةَ أجمعا

ومِن شِعْرِ الكميتِ ابنِ ابنِه – وله ديوان مفرد ، ولم يذكر الجمحى (فى طبقات الشعراء) غَيرَه ممن اسمه كميت [١] –:

فقلت له تالله يَدرى مسافرٌ ... إذا أضمرته الأرضُ ما اللهُ صانعُ [٢]

أَسلَم فى زمن النبى ﷺ ، ولم يجتمع معه ، وقد أورده ابن حجر فى قسم المخضرمين (من الإصابة) عن أبى عبيدة والمرزبانى [٣] .

وأما الكميت بن زيد مادحُ آل البيت فقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادسَ عشر من أوائل الكتاب [٤] . وهو أسدىٌّ أيضًا .

وأمَّا أنَس بن مدركة الخَثْعمى فهو من الصَّحابة رضى الله عنهم [٥] .

* * *

(١) الحق أنه ذكرهم جميعا فى ١٦٣ وإن يكن قد خص الكميت بن معروف بالعناية . والنص فيه : « والثالث الكميت بن معروف ، وهو شاعر ، وجده الكميت بن ثعلبة شاعر ، والكميت بن زيد شاعر ، والكميت بن معروف الأوسط أشعرهم قريحة . والكميت بن زيد أكثرهم شعرا » ، ثم أنشد أبياتا للكميت بن معروف .

(٢) يدرى ، أى لا يدرى ، وحذف النفى بعد القسَم كثير فى كلامهم ، وفى الكتاب العزيز : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » ، أى لا تفتأ . والرواية فى طبقات ابن سلام :

فقلت لها : والله ما من مسافر ... يحيط له علم بما الله صانع

ومات سنة اثنتين وعشرين ومائة .

(٤) الخزانة ١ : ١٤٣ – ١٤٧ .

(٥) فات البغدادى أن ينبه على أنه قد سبقت ترجمته فى الشاهد ١٧١ . انظر الخزانة ٣ : ٩١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الخمسمائة [١] :

٥٧١ (يرتَجُّ أَلياهُ ارتجاجَ الوَطْبِ)

على أَنَّه قيل أَليانِ فى تثنية أَلية ، مِن ضرورة الشعر ، والقياس أَليتانِ .

قال القالى (فى المقصور والممدود) : قال أَبو حاتم : ربَّما حذفت العربُ هاء التأْنيث من أَلية فى الاثنين ، فقالوا : أَليتان وأَليان . وأَنشدونا :

(كأَنَّما عطيَّةُ بن كعبِ   ظعينةٌ واقفةٌ فى ركْبِ
يرتجّ أَلياهُ ارتجاجَ الوطْبِ)

وأَورد أَبو زيد (فى نوادره) هذه الأَبياتَ الثلاثة ولم يزدْ عليها شيئًا . قال الجواليقى (فى شرح أَدب الكاتب) : الظعينة : المرأَة . والرَّكب : أَصحاب الإبل . والارتجاج : الاضطراب . والوَطْب : سِقاء اللبن . ا هـ .

قال ابن السِّيد (فى شرحه أَيضًا) : وصفه بأَنَّ كَفَله عظيم رِخوٌ يرتجُّ ، لعظمه ورَخاوته ، ارتجاجَ الوطب ، وهو زِقُّ اللبن . وارتجاجه : اضطرابه . وهذا كقول الآخر : ٣٦٧

فأَمَّا الصُّدور لا صدورَ لجعفرٍ   ولكنَّ أَعجازًا شديدًا ضريرها [٢]

---

(١) نوادر أبى زيد ١٣٠ والمقتضب ٣ : ٤١ والمنصف ٢ : ١٣١ والاقتضاب ٣٩٣ وابن الشجرى ١ : ٢٠ وابن يعيش ٤ : ١٤٣ ، ١٤٥ والمقرب ٨٠ .

(٢) ابن يعيش ٧ : ١٣٤ / ٩ : ١٢ واللسان (ضرر ١٥٦) .

يقول : قوَّتهم ليست فى صدورهم ، إنَّما هى فى أكفالهم ، فهم يلقون منها ضريرًا ، أى ضررًا ومشقَّة [١] . والظعينة : المرأة ، سمِّيت بذلك لأنَّه يُظعَن بها . وكان يجب أن يقال ظعين بغير هاء ، لأنَّها فى تأويل مظعون بها . وفعيل إذا كان صفة للمؤنَّث فى تأويل مفعول كان بغير هاء ، نحو امرأة قتيل وجريح ، ولكنَّها جرت مجرى الأسماء حتَّى صارت غير جاريةٍ على موصوف ، كالذبيحَة والنطيحة . ووصَفَها بأنَّها واقفةٌ فى ركب لأنَّها تتبختر إذا كانت كذلك وتعظِّم عجيزتَها لترِىَ حُسنَها . ألا ترى إلى قول الآخر :

تخطِّط حاجِبَها بالمدادِ وتَربِط فى عَجْزِها مِرفَقَه . اهـ

قوله : وفعيل إذا كان صفة للمؤنَّث فى تأويل مفعول كان بغير هاء ، أقول : هذا إذا كان جاريًا على موصوفه كما مثَّل . فأمَّا إذا كان لِموصوف غير مذكور فيجب التأنيث لئلَّا يلتبس بالمذكر . فظعينة هنا واردةٌ على القياس .

وهذا الرجز مع كثرة الاستشهاد به لم يُعلم قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده [٢] :

(كأنَّ خُصْيَيهِ من التَّدلدُلِ ظرفُ عجوزٍ فيهِ ثِنْتا حَنْظَلِ)

لما تقدَّم قبله .

ومثلَه [٣] قال سيبويه : من قال خصيانِ لم يثنِّه على الواحد

---

(١) الذى فى اللسان أن الضرير هو الصبر على الشىء والمقاساة له .

(٢) سبق تخريجه فى الشاهد ٥٨٢ فى هذا الجزء ص ٤٠٠ .

(٣) الكلام بعد هذا إلى قوله « فقلت خصية » ورد فى ش بين كلمة « فسكنه » وكلمة « ونقل الأمام المرزوقى » التاليتين .

المستعملِ فى الكلام ، يعنى أنَّ خُصيين تثنية خُصْى لا يستعمل فى الكلام .

ومثله قول ثعلب ، قال (فى فصيحهِ) : وتقول . هما الخصيانِ ، فإذا أفردت أدخلت الهاء فقلت خصية [١]

وهو فى (نوادر أبى زيد) . ومن أبيات أدب الكاتب :

قد حلفَتْ باللهِ لا أُحبُّه أن طال خُصياه وقَصْرَ زُبُّه

أراد : [قَصُر [٢]] ، بضم الصاد ، فسكَّنه .

ونقل الإمام المرزوقى (فى شرح الفصيح) عن الخليل أنَّه قال : الخصية تؤنَّث ما دامت مفردة [٣] ، فإذا ثنَّوها أنَّثوا وذكَّروا .

ونقل اللَّبلىُّ (فى شرحه أيضًا) عن ابن خالويه قال : أجمعت العرب على إثبات الهاء فى واحِدها فقالوا خصية ، فإذا ثنَّوا فمنهم من يقول الخصيان بغير هاء ، وهى المختارَةُ . ومنهم من يقول خصيتان . قال : فمن أثبت الهاء فى الاثنين فلا سؤالَ معه فى الفرع على الأصل . ومن قال : هما الخصيانِ ، بناهُ على لفظِ من قال : هما الأنثيان ، لأنَّ الأُنثيين لا واحدَ لهما من لفظهما ، فلما لم تلحق العلامة فى الأُنثيين فى ذلك أسقطها من هذه .

وقال القالى (فى المقصور والممدود) : قال أبو حاتم : وربَّما حذفت العرب هاء التأنيث فى الاثنين من الخصية فقالوا : خُصيَتان وخُصيان . وأنشد

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) التكملة من ش . وانظر أدب الكاتب ٣١٧ .

(٣) ش : « ما دامت مؤنثة » ، صوابه فى ط .

هذين البيتين عن أبى زيد . ثم قال : قال أبو زيد : لا يقال للواحد خُصْى بغير هاء .

وكذا قال أبو عثمان المازنى (فى التصريف الملوكى) ، قال : وأما الصَّلاية والعَباية فلم يجيئوا بهما على الصلاء والعباء ، كما أنَّهم حين قالوا خصيانِ لم يجئْ على الواحد ، ولو جاء على الواحد لقالوا : خصيتان [(١)] .

٣٦٨ وقال ابن جنى (فى شرحه) : العَباية والصَّلايةُ بنيت فى أوَّل أحوالها على التأنيث ولم تجئ على المذكَّر ، ولو جاءتْ عليه لقالوا : عَباءة وصلاءة ، كما أنَّ خصيان لو جاء على خصية لقيل خصيتان ، ولكنَّه بُنى على التثنية فى أوَّل أحواله وإن كانت فرعا ، كما بنيت العباية على التأنيث فى أوَّلِ أحوالها وإنْ كانت فرعا .

قال أبو العباس : يقال خصية وخصْىٌ . فمن قال خصية قال خصيتان . ومن قال خُصْىٌ قال خُصيان . ومثله ألْيَة وألْى . فمن قال ألية قال أليتان . ومن قال ألى قال أليان . قال الرَّاجز :

* يرتجّ ألياهُ ارتجاجَ الوطبِ *

وقال آخر [(٢)] :

أُخُصْيَىْ حمارٍ بات يَكدِم نَجْمَةً [(٣)] أتؤخذ جاراتى وجارُك سالمُ

---

(١) وكذا فى المنصف ٢ : ١٣١ . وفى ش : « الخصيتان » .

(٢) هو الحارث بن ظالم المرى ، كما فى المفضليات ٣١٣ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٦٨ واللسان (نجم ٤٥) .

(٣) فى جميع المراجع : « أخصيى حمار » بالتثنية . وفى ط : « أخصى » بالإفراد تحريف ، وصححت فى ش بالتثنية . و « نجمة » هى فى ط : « لحمة » وقد صححت بذلك فى ش . والنجمة : واحدة النجم من النبات ، وهو هنا نبت بعينه ، وهو الثيل الذى ينبت على شطوط الأنهار .

وقال آخر :

* يا بأبى خُصياك من خُصْىٍ وزُبّْ *

وقال آخر :

كأنَّ خُصييه من التَّدلدلِ .... البيت

فثنّى الخُصْىَ على خُصيين . اهـ

وإلى هذا ذهب أبو القاسم على بن حمزة البصرى (فيما كتبه على إصلاح المنطق) . قال ابن السكيت فى (إصلاحه) : تقول : ما أعظم خُصيتَه وخُصيتَيه ، ولا تكسر الخاء . قال الراجز :

* كأنَّ خُصيَيْهِ من التَّدلدُلِ *

الواحدة خُصية . وقالت امرأة من العرب [1] :

لستُ أُبالى أن أكونَ مُحْمِقه إذا رأيتُ خصيةً معلَّقه

وقال أبو القاسم المذكور : هذا قولٌ أصاب فى بعضه وسها فى بعضه . الواحدة من الخصيتين خُصْية ، ومن الخصيين خُصْى . قال الراجز :

يا بأبى أنتَ ويافوقَ البِـيَبْ يا بأبى خُصياك من خُصْىٍ وزُبّ [2]

وقال الفرزدق :

أتانِى على القعساء عادلَ وطبِهِ بخُصىِ لئيمٍ واستِ عبدٍ تُعادِلُه [3]

---

(١) مجهولة . وانظر معجم شواهد العربية ٥٠٧ .

(٢) لآدم مولى بلعنبر ، فى البيان ١ : ١٨٢ واللسان (أبا) .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٣٧ . وانظر سيبويه ١ : ٨٤ . ولم يرد فيما طبع من كتاب التنبيهات . وانظر منه ص ٢٩١ .

والسابق إلى هذا المذهب أبو الحسن على اللِّحيانى (فى نوادره) كما نقله عنه اللَّبْلى (فى شرح الفصيح) قال : حكى اللحيانى فيما جاء مثنّى من كلام العرب : أَلى وخُصْى ، وأَلية وخصية ، وفى التثنية أَليان وأَليتان ، وخُصيان وخُصيتان ، قال : هما لغتان . ا هـ

ونقل ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) عن أَبى عمرو الشَّيبانى أَنَّه قال : الخصيتان : البيضتان . والخُصيانِ : الجلدتان اللتان فيهما البيضتان . وأَنشد البيتَ الشاهد .

قال شارح أَبياته ابن السيرافى : التدلدل : تحرُّك الشىء المعلَّق واضطرابُه . وظَرف العجوز : الجراب الذى تَجعل فيه خُبزَها وما تحتاج إليه . وظرف العجوز خَلَقٌ فيه تشنُّج لقدَمه . شبَّه جلد الخُصية به للغضون التى فيه ، وشبَّه الأُنثيين فى الصَّفن بحنظلتين فى جِراب . اهـ

وكذا قال المرزوقى : هذا البيت [1] أَن يكون شاهدًا للصَّفن أَولى ، لأَنَّه شبه موضع البيضتين بظرف جراب ، والبيضتين بالحنظلتين . ا هـ

وهذا التأْويل وإن أَمكن حمله فى البيت هنا فلا يمكن حمله فى الأَبيات السابقة .

صاحب الشاهد

وقد تقدّم فى الشاهد الثامن والأَربعين بعد الخمسمائة من باب العدد [2] أَنَّهما من رجزٍ لخِطامٍ المُجاشعى . ونسبهما أَبو سهل الهَرَوىّ (فى شرح الفصيح) إلى جندل . وقيل قائلهما دُكين . وأَنشد قبلهما :

رِخْوِ يدِ اليُمنى من الترسُّلِ   مِن الرضا جَنْعَدِلِ التَّكتُّلِ

(١) ش : « هذا البيت يحتمل » ، وكلمة « يحتمل » مقحمة .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٤٠٣ من هذا الجزء .

ويقال : مرَّ فلان يتكتَّل ، إذا مرَّ وهو يقارب الخطْوَ ويحرِّك مَنكِبيه . ا هـ ٣٦٩

وقال اللَّبْلى [١] (فى شرحه) : قال السِّيرافى : هذان البيتان لشمَّاءَ الهذلية . وأَنشدَ الشعر هكذا :

تقـول يـاربِّ ويـاربِّ هَلِ هل أَنتَ من هذا مُخَلٍّ أَحبُلى
إمّا بتطليقٍ وإلّا فاقتلِ [٢] أَو ارْمِ فى وَجْعائه بدُمَّلِ
كأَنَّ خصييه من التَّدلدلِ ظرف عجوز فيه ثِنْتا حَنظلِ

شبَّه خصييه فى استرخاء صَفَنهما ، حين شاخ واسترخت جلدةُ استهِ بظرفِ عجوزٍ فيه حنظلتان . وخصَّ العجوز لأَنَّها لا تستعمل الطِّيب ولا تتزيَّن للرجال فيكون فى ظرفها ما تتزيَّن به ، ولكنها تدَّخر الحنظل ونحوه من الأَدوية . ويحتمل الشعر أَنْ يكون مدحًا فى وصف شجاع لا يجبُن فى الحرب فتتقلَّص خصيتا . قال : ويحتمل أَن يكون هجوًا . ووجهُه أَنْ يصف شيخًا قد كبر وأَسنَّ ، ولذلك قال : ظرف عجوز ، لأَنَّ ظرفها خلَقٌ منقبض [٣] ، فيه تشنُّج لقدمه ، فلذلك شبَّه جِلد الخُصْية به ، للغُضون التى فيه . والأَولى أَن يكون هجوًا ، لِذكْره العجوزَ والحنظلتين ، مع تصريحه بذكر الخُصيتين .

قال التُّدْميرى [٤] : ويروى : « من التهدُّل » ، وهو استرخاء جِلدة

---

(١) سبقت ترجمته فى ١ : ١٩ .

(٢) رسمت فى ش بالباء والتاء معا لتقرأ بالوجهين .

(٣) كذا وردت بالنون فى النسختين .

(٤) نسبة إلى تدمير ، بضم التاء وفتحها ، مع سكون الدال وكسر الميم ، وهى كورة بالأندلس شرقى قرطبة ، وينسب إليها جماعة . والذى يعنيه هنا هو شارح الفصيح أحمد بن عبد الجليل ابن عبد الله التدميرى ، كما فى بغية الوعاة ١٣٨ وكشف الظنون . توفى بفاس سنة ٥٥٥ . وفى ط : « الدميرى » تحريف .

الخصية . قال : وظرف العجوز : مِزْودها الذى تخزُن متاعها فيه . والحنظل نباتٌ معروف ، ويقال العلقم . ورُوى عن أبى حاتم أنَّه قال : الحنظل ههنا : الثُّوم . ا هـ

وتقدَّم ما فيه . وقوله إنَّ الشِّعر لشمَّاء الهذلية ينافيه أوله :

* تقول ياربٌ ويارِبٌ هلِ *

وقوله :

* لستُ أُبالِى أن أَكون مُحمِقه *

يقال أُحمقت المرأةُ ، إذا ولدت ولدًا أحمق . قال التُّدميرى [١] : معنى الشِّعر أنَّ هذه المرأة كانت تلاعب ابنًا لها صغيرًا وترقِّصه ، وتنظر فى أثناء ذلك إلى خصيَتَيه [٢] فتفرح بكونه ذكرًا ، فقالت : لست أُبالى إذا ولدت الذكور أنْ يكون أولادى حمقَى ، وأن أكون أنا محمقة أى ألِدُ الحمقى . وذلك كله فِرارًا من البنات وكراهيةً لهنَّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الخمسمائة [٣] :

٥٧٢ (كَأَنَّهُ وجْهُ تُرْكِيَّينِ إِذْ غَضِبَا)

على أنَّه إذا أُضيف الجُزءانِ لفظًا ومعنًى إلى متضمِّنيهما المتَّحدين بلفظ واحد ، فلفظ الإفراد فى المضاف أولى من لفظ التثنية ، كما فى

(١) ش : « الدميرى » ، صوابه فى ط . وانظر ما سيأتى فى ص ٥٣٣ .

(٢) ط : « خصيته » ، صوابه فى ش .

(٣) ابن يعيش ٤ : ١٥٧ وديوان الفرزدق ٣٧١ . وجاء غير منسوب وبقافية « تدبيب » فى معانى الفراء ١ : ٣٠٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٢ .

البيت ، فإن تركيبين متضمّنان ولفظهما متّحد ، لجزأيهما ، وهما الوجهان ، فإنّ وجه كلّ أحدٍ جزء منه ، فلما أضيف إليهما أضيف بلفظ المفرد ، وهو الوجه . وهذا أولى من أن يقول : كأنّه وجها تركيّين . وجمعُه أولى من الإفراد . فلو قال : كأنّه وجوه تُركيّين كان أولى من وَجْه تركيّين . هذا محصَّل كلامه .

وإيضاحُه أنّ كل ما فى الجسد منه شىءٌ واحد لا ينفصل كالرأس والأنف واللسان والظهر والبطن والقلب فإنّك إذا ضممت إليه مثله جاز فيه ثلاثة أوجه :

(أحدها) : الجمع ، وهو الأكثر نحو قوله تعالى : ﴿ فقد صَغَتْ قُلُوبُكما [1] ﴾ . وإنما عبَّروا بالجمع والمراد التثنية لأنَّها جمع . وهذا لا يلبس . وشبَّهوا هذا النّوع بقولهم : نحن فعلنا . قال سيبويه [2] : وسألت الخليل عن : ما أحسنَ وجوهَهما فقال : لأنَّ الاثنين جميع ، وهذا بمنزلة قول الاثنين : نحن فعلنا ذاك ، ولكنَّهم أرادوا أن يَفرِقوا بين ما يكون منفردا وبينَ ما يكونَ شيئًا من شىء . اهـ ٣٧٠

يريد أنَّهم قد استعملوا فى قولهم : ما أحسنَ وجوهَ الرجلين الجمعَ موضع الاثنين ، كما يقول الاثنان : نحن فعلنا ، ونحن إنّما هو ضميرٌ موضوعٌ للجماعة . وإنَّما استحسنوا ذلك لما بين التّثنية والجمع من التقارب ، من حيث كانت التثنية عددًا تركَّب من ضمٍّ واحدٍ إلى واحد . وأول الجمع وهو الثلاثة تركَّب من ضمّ واحدٍ إلى اثنين ، فلذلك قال : لأنَّ الاثنين جميع .

---

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٢) سيبويه ٢ : ٤٨ من نسختى .

وقوله : « ولكنَّهم أرادوا أن يفرقوا » إلخ ، معناه أنَّهم أعطوا المفرد حقَّه من لفظ التثنية فقالوا فى رجُل رجلان ، وفى وجهٍ وجهان ، ولم يفعل ذلك أهل اللغة العليا فى قولهم : ما أحسن وجُوه الرجلين ، وذلك أنَّ الوجه المضاف إلى صاحبه إنَّما هو شئٌ من شىء . فإذا ثنَّيت الثانىَ منهما عَلم السامع ضرورةً أنَّ الأوّل لا بدّ أن يكون وَفْقه فى العِدّة [1] فجمعوا الأوّل كراهة أن يأتوا بتثنيتين متلاصقتين فى مضاف ومضاف إليه . والمتضايفان يجريان مجرى الاسم الواحد ، فلما كرهوا أن يقولوا ما أحسن وجْهَى الرَّجلين ، فيكونوا كأنهم قد جمعوا فى اسم واحد بين تثنيتين ، غيَّروا لفظ التثنية الأولى بلفظ الجمع ، إذ العلم محيط بأنه لا يكون للاثنين أكثر من وجهين ، فلما أمنوا اللبس فى وضْع الوجوه موضع الوجهين استعملوا أسهلَ اللفظين . كذا فى أمالى ابن الشجرى .

وهذا علَّة البصريين .

وقال الفراءُ : إنَّما خصَّ هذا النوع بالجمع لأنَّ الشىء الواحد منه يقوم مقام الشيئين ، حملًا على الأكثر ، فإذا ضم إلى ذلك شئٌ مثله كان كأنَّه أربعة ، فأتى بلفظ الجمع .

وهذا معنًى حسنٌ من معانى الفراء .

قال ابن يعيش : وهذا من أُصول الكوفيين . ويؤيِّده أنَّ ما فى الجسَد منه شىء واحد ففيه الدية كاملةً كاللِّسان والرأس . وأمَّا ما فيه شيئانِ كالعين فإنَّ فيه نصفَ الدية .

---

(١) ط : « العدد » ، وأثبت ما فى ش . وفى أمالى ابن الشجرى ١ : ١٣ : « فى جميع العدة » .

وهذه عبارة الفراء ، نقلناها تبرُّكًا . قال فى تفسيره ، عند قوله تعالى : ﴿ والسَّارقُ والسَّارقةُ فاقطَعُوا أَيديَهُمَا (١) ﴾ : وفى قراءة عبد الله : ﴿ والسارقون والسَّارقات فاقطَعُوا أَيمانَهما ﴾ وإنَّما قال أَيديَهُما لأَنَّ كلَّ شيءٍ موحّد من خلق الإنسان إذا ذُكر مضافًا إلى اثنين فصاعدًا جمع ، فقيل : قد هشَّمت رءُوسهما ، وملأْت (٢) ظهورهما وبطونهما ضربًا . ومثله : ﴿ فقد صَغت قُلوبُكما (٣) ﴾ . وإنَّما اختير الجمع على التثنية لأَنَّ أَكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين فى الإنسان : اليديْن ، والرجْليْن ، والعينين (٤) فلما جرى أَكثره على هذا ذُهب بالواحد (٥) منه مذهب التثنية . وقد يجوز هذا فيما ليس من خَلْق الإنسان ، وذلك أَن تقول للرجلين : خلَّيتما نساءَكما ، وأَنت تريد امرأَتين ، وخرقتما قُمصكما . وإنَّما ذكرتُ ذلك لأَنَّ من النحويين من كان لا يجيزه إلَّا فى خَلْق الإنسان . وكلٌّ سواء . ا هـ

وكذا قال ابن الشجرى فى هذا ، قال : وجَرَوا على هذا السَّنَن فى المنفصل عن الجسد ، فقالوا : مدَّ الله فى أَعمارَكما ، ونسأَ الله فى آجالكما . ومثله فى المنفصل فيما حكاه سيبويه : ضَعْ رحالهما (٦) . اهـ

أَقول : كذا (٧) فى الشرح أَيضًا . وحكاه سيبويه (فى أَوائل

---

(١) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) ط : « وملئت » ، صوابه فى ش ومعانى الفراء ١ : ٣٠٦ .

(٣) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٤) هذا ما فى ش ومعانى القرآن ١ : ٣٠٧ . وفى ط : « اليدان والرجلان والعينان » .

(٥) فى معانى القرآن : ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين .

(٦) سيبويه ٣ : ٦٢٢ من نسختى وكذا ٢ : ٢٠١ بولاق .

(٧) ش : « أقول كهذا » .

كتابه (١)) : وَضَعا رحالَهما بالماضى لا بالأمر . قال : وقالوا : وَضَعا رحالهما ، يريد رحلَىْ راحلتين . وحدّ الكلام أن يقول : وضعت رحلَى الرّاحلتين . وقال (فى أواخر كتابه) : زعم يونس أنّهم يقولون : ضَعْ رحالهما وغِلمانهما ، وإنّما هما اثنان .

٣٧١

هذا حكم ما كان منه فى الجسد شىءٌ واحد ، فإن كان اثنين كاليد والرجل فتثنيتُه إذا ثنيت المضاف إليه واجبة ، لا يجوز غيرها . تقول : فقأت عينَيهما ، وقطعت أُذنيهما ، لأنّك لو قلت أعينهما ، وآذانهما لا لتبس بأنّك أوقعت الفعل بالأربع .

فإن قيل : فقد جاء فى القرآن : ﴿ فاقطعُوا أيديَهما (٢) ﴾ فجمَع اليد وفى الجسد يدان ، فهذا يوجب بظاهر اللفظ إيقاع القطع بالأربع . فالجواب أنّ المراد فاقطعوا أيمانهما . وكذلك هى فى مصحف عبد الله بن مسعود [رضى الله عنه (٣)] . فلمّا عُلم بالدّليل الشرعى أنّ القطع محلّه اليمين وليس فى الجسد إلّا يمينٌ واحدة ، جرت مجرى آحاد الجسد ، فجُمعت كما جمع الوجه ، والظهر ، والبطن .

(الثانى) من الوجوه الثلاثة (٤) : الإفراد . ولم يذكر سيبويه هذه

---

(١) ش : « فى كتابه » فقط . وهو يشير إلى ما ورد فى سيبويه ١ : ٢٤١ كما أن قوله التالى « فى أواخر كتابه » ، يشير به إلى ما ورد فى ٢ : ٢٠١ .

(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٣) التكملة من ش . وفى أمالى ابن الشجرى : « فى مصحف عبد الله » فقط . ومما هو جدير بالذكر أن هذا الحوار مأخوذ من أمالى ابن الشجرى . ولم يصرح البغدادى هنا بالأخذ .

(٤) انظر ما سبق فى أول الكلام على الشاهد من قول البغدادى : « جاز فيه ثلاثة أوجه : أحدها الجمع » . فهذا هنا استمرار ذكر هذه الأوجه .

المسألة ، وذلك نحو قولك : ما أحسن رأسهما ، وضربت ظهر الزيدين ، وذلك لوضوح المعنى ، إذ لكلّ واحد شىءٌ واحد من هذا النوع ، فلا يشكل ، فأُتى بلفظ الإفراد إذْ كان أخف .

قال الفراء فى تفسير تلك الآية : وقد يجوز أن تقول [1] فى الكلام : السَّارق والسَّارقة فاقطعوا يمينَهما ، لأنَّ المعنى اليمينَ من كلِّ واحدٍ منهما ، كما قال الشاعر [2] :

كُلوا فى نصفِ بطنكمُ تعيشُوا ... فإنَّ زمانَكم زَمَنٌ خَميصُ

وقال الآخر [3] :

الواردون وتَيمٌ فى ذرا سبأٍ ... قد عضَّ أعناقَهمْ جِلدُ الجواميسِ

من قال « ذُرا » بالضم جعل سبأً جبلا ، ومن قال « ذَرًا » بالفتح أراد موضعًا [4] .

ويجوز فى الكلام أن تقول : ائتِنِى برأس شاتين ورأسَىْ شاة [5] .

---

(١) ط : « يقول » ، وأثبت ما فى ش ومعانى الفراء ١ : ٣٠٧ .

(٢) البيت مجهول القائل . وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٠٨ كما أنه هو الشاهد ٥٧٥ من شواهد الخزانة .

(٣) هو جرير . ديوانه ٣٢٥ ومعجم الشواهد ٢٠٠ .

(٤) لم يذكر فى معانى القرآن ١ : ٣٠٨ الضبط بالضم فى الأولى وبالفتح فى « ذرا » الثانية . وقد وجهه محققا معانى القرآن على هذا الوجه : « من قال ذرى جعل سبأً جبلا » مع ضبط « ذرى » هنا فى الفتح وقراءة « جيلا » بالياء ، بمعنى القبيلة ، أى إن تيما يحتمون بسبأ ويمتنعون بها . ثم أتبعا ذلك بقراءة « من قال ذرى أراد موضعا » مع ضبط « ذرى » هنا بضم الذال .

(٥) فى معانى القرآن : « ورأس شاة » . وبعده : « فإذا قلت برأس شاة » .

فإذا قلت : رأسَىْ شاة فإنّما أردت رأس هذا الجنس . وإذا قلت برأس شاتين فإنّك تريد بِه الرأس من كلّ شاة . قال الشاعر فى ذلك :

كأنّه وجهُ تركيَّينِ قد غضِبا مُستهدفٌ لِطِعانٍ غير تذبيبِ . ا هـ

وقوله : « رأسَىْ شاة » هذه مسألة زائدة على ما ذكروا فى هذا الباب ، استُفيد جوازها منه .

قال ابن خلف : وقرأ بعض القراء : ﴿ فبدَتْ لهما سَوءَتُهما [(١)] ﴾ بالإفراد [(٢)] . والعجَب من ابن الشجرىّ فى حمله الإفراد على ضرورة الشعر ، فإنّه لم يقل أحدٌ إنّه من قبيل الضرورة . قال : ولا يكادون يستعملون هذا إلّا فى الشعر . وأنشدُوا شاهدًا عليه :

كأنّه وجه تركيَّين قد غضبا .... البيت

وقال فى آخره : ذبَّ فلانٌ عن فلان [(٣)] : دفع عنه . وذبَّب فى الطعن والدَّفع ، إذا لم يبالغ فيهما . ا هـ

وتبعه ابن عصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) ، والصحيح أنَّه غير مختصّ بالشعر .

(الثالث) : التثنية . وهذا على الأصل وظاهرِ اللفظ . قال سيبويه [(٤)] : وقد يثنُّون ما يكون بعضًا لشىء . زعم يونُس أنَّ رؤبة كان يقول :

---

(١) الآية ١٢١ من طه . وفى الأعراف ٢٢ : « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما » بدون فاء .

(٢) هى قراءة الحسن . إتحاف فضلاء البشر ٢٢٢ .

(٣) ط : « على فلان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٢ .

(٤) سيبويه ٢ : ٤٨ من نسختى .

ما أحسن رأسَيْهما . وقال الراجز [(١)] :

* ظهراهما مثلُ ظهور التُرْسَيْن *

قال الفراء فى تفسير تلك الآية [(٢)] : وقد يجوز تثنيتُهما . قال أبو ذؤيبِ الشاعر :

فتخالسا نَفْسَيهما بنوافذ كنَوافذ العُبُطِ التى لا تُرقَع . اهـ

وقال ابن الشجرىّ : ومن العرب من يُعطى هذا حقَّه كلَّه من التَّثنية ، فيقولون : ضربتُ رأْسيهما ، وشققتُ بطنَيْهما ، وعرَفت ظهريكما ، وحيَّا الله وجهيكما . فممَّا ورد بهذه اللغة قولُ الفرزدق : ٣٧٢

* بما فى فؤادَينا من الشَّوقِ والهوى [(٣)] *

وقول أبى ذؤيب :

فتخالَسَا نفسيهما بنوافذٍ .... البيت

أراد : بطَعَناتٍ نوافذَ كنوافذ العُبط : [جمع العبيط [(٤)]] ، وهو البعير الذى يُنحر لغير داء . ا هـ

والجمع فى هذا الباب هو الجيِّد المختار ، وبه نزل القرآن العظيم [(٥)] .

---

(١) هو خطام المجاشعى ، كما فى سيبويه .

(٢) يعنى آية « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » . انظر معانى القرآن ١ : ٣٠٧ .

(٣) ديوان الفرزدق ٥٥٤ والنقائض ٥٥٣ . وتمامه :

* فيبرأ منهاض الفؤاد المشعف *

(٤) التكملة من ش وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٢ .

(٥) اقتبسه البغدادى من قول ابن الشجرى : « والجمع فى هذا ونحوه هو الوجه ، كما جاء فى التنزيل : قالا ربنا ظلمنا أنفسنا » .

والبيت الشاهدُ قافيته رائيَّة لا بائية

صاحب الشاهد

وهو من قصيدة عِدَّتُها ستةَ عشرَ بيتًا للفرزدق ، هجا بِها جريرًا تهكَّم به وجعَله امرأة . وهذه عشرةُ أبيات بعد ستَّةٍ من أوَّلها :

أبيات الشاهد

(ما تأمرونَ عِبادَ الله أسألُكم ... بشاعرٍ حوله دُرجانِ مختمرِ [(١)]

لئنْ طَلبتم به شأْوِى لقد علمَتْ ... أنِّى على العَقْب خرَّاجٌ من القَتَرِ

ولا يُحامِى على الأنساب منفلق ... مقنَّع حين يُلقَى فاترُ النظرِ [(٢)]

هَدَرتُ لمَّا تلقَّتْنى بجُونتها ... وخَشخشَتْ لى حفيفَ الرِّيحِ فى العُشَرِ

ثم اتَّقتنى بجَهمٍ لا سلاحَ له ... كمَنخِرِ الثَّور معكوسًا من البقرِ

مُغْلَنْكسِ الكَيْنِ مجلومٍ مشافره ... ذِى ساعدينِ يسمَّى دارةَ القمَرِ

كأنَّه وجهُ تركيَّين قد غضبا [(٣)] ... مستهدفٌ لطِعانٍ غَيْرُ منحجرِ

كأنَّ رُمّانةً فى جوفه انفلقَتْ ... يكادُ يوقِدُ نارًا ليلةَ القُرَرِ

هل يَغلِبن بظرُها أيرى إذا اطَّعنا ... والطَّاعن الأوَّل الماضى من الظَّفَرِ

إنِّى لقومِى سنانٌ يَطعنُون به ... وأنتِ أُختَ كُليب عَيْبَةُ الكمَرِ)

قوله : « ما تأْمرون عبادَ الله » إلخ ما استفهامية ، وعبادَ الله منادًى ، والباء من قوله « بشاعر » متعلِّق بقوله « تأْمرون » ، أو هو بمعنى عن متعلِّق بأسأَلكم . وأَراد بالشاعر جريرًا . ومختمر صفة ثانية له ، اسم فاعل من اختمرتِ المرأَة ، أى لبِست الخمار بالكسر ، وهو ثوبٌ تغطِّى به المرأَة رأْسَها . وجملة « حوله دُرجانِ » صفةٌ أُولى لشاعر . نسبَه إلى أنَّه امرأَة :

---

(١) ديوان الفرزدق ٣٧٠ – ٣٧١ .

(٢) فى الديوان : على الأحساب » . وستأْتى هذه الرواية فى التفسير .

(٣) حورت فى ش إلى : « إذ غضبا » ، وهى رواية الديوان .

والدُّرج بالضم ، وهو وعاء الطِّيب ، كالحُقَّة والعُلْبة .

وقوله : « لئن طلبتم به شأْوى » إلخ به أَى بهذا الشاعر . والشَّأْو : بفتح الشين وسكون الهمزة : الغاية والسَّبق . يقول : إن أردْتم منه أَن يبلغ غايتى ، أَو يسبقنى . واللام فى لئن موطِّئة للقسم ، وجملة لقد علمَتْ : جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف يدلُّ عليه جواب القسم . وفاعل علمت ضمير شاعر ، والمراد به امرأَة [١] . وعلى بمعنى مع . والعَقْبُ بفتح العين وسكون القاف : جرْىُ الفرسِ بعد جريه الأَوَّل . والخَرَّاج : مبالغة خارج . والقَتَر بفتح القاف والمثناة الفوقية : الغُبار . يقول : لا يمكن أَن تبلغ شأْوِى فضلًا عن السَّبق ، فإنَّها تعلم أَنَّى كثيراً ما خرجت من الغُبار ، أَى إذا كان أَحدٌ سابقًا شققت غباره فسبَقْته وخرجتُ من غُباره . وهذا بعد التَّعب والجرى الكثير ، فكيف أَكون فى أَوَّل جَريٍ .

وقوله : « ولا يحامى على الأَحساب [٢] » ، أَراد بالمنفلق : ذاتٌ لها انفلاق ، وهو كناية عن ذات الفرج . والانفلاق : الانشقاق . ومقنَّع : ذات قِناع . وحين متعلِّق بمقنَّع . ويُلقَى بالبناء للمفعول ، من اللُّقِىّ . وفاتر النَّظَر ، أَى ضعيف النظر . وهذه الأَوصاف الثلاثة من أَوصاف النِّساء .

وقوله : « هدَرْتُ لمَّا تلقَّتنى » إلخ الجُونة ، بضم الجيم : العُلبة ، ٣٧٣

---

(١) ش : « المراد به امرأة » بإسقاط الواو .

(٢) هى رواية الديوان . وإن كان البغدادى قد رواه : « على الأنساب » فى الإنشاد المتقدم .

ودُرْج الطِّيب . والخشخشة : صوت السِّلاح ونحوه . وحَفيف مفعول مطلق ، أى خشخشتُه كحفيف الريح . والحَفيف ، بالحاء المهملة وفاءين ، وهو صوتُ الريح إذا مرَّت على الأشجار . والعُشَر بضم ففتح : شجر عظيمٌ له شوك . والهدير : صوت شِقشِقة الجمل . يقول : لما برزَتْ لمحاربتى وكان سلاحُها جُونتها ، وكان صوتها مؤنَّثًا ضعيفًا كصوت الريح المارَّة بالأشجار ، هدَرتُ عليها كالفحل الهائج فأدهشتها .

وقوله : « ثم اتَّقتنى بجهمٍ لا سلاح له » إلخ الجهم : الغليظ الثخين ، وهو هنا كناية عن فرجها . وأراد بالسِّلاح الشعرَ النابت حوله ، وشبَّهه بمنخر الثَّور حالة كونه معكوسًا . والعكس : أنْ يشدَّ حبلٌ فى منخره إلى رُسغ يدَيه ليذلّ ، وحينئذ يُرى شَقُّه أوسعَ . وأصله فى البعير .

وقوله : « معْلنكِسِ الكَيْن » المعلنكس : الكثيف المجتمع . وقال شارح ديوانه : هو الكثير اللَّحْم . والكَيْن بالفتح : لحم الفرج من داخِل . والمَشَافر : جمع شُفْر بالضم على خلاف القياس ، وشُفر كلِّ شيء : حرفُه . والمجلوم : المقصوص شعرُه بالجَلَم بفتح الجيم واللام ، وهو المِقَصّ ونحوه . ومعلنكس ومجلوم كلاهما بالجرّ صفتان لجهم ، وكذا قوله : « ذى ساعدين » ، وجملةُ يسمَّى إلخ . وأراد بالسَّاعدين الأسكتين ، أى حرفيه ، وسمَّاهما ساعدين لغِلَظهما وطولهما .

وقوله : (كأنَّهُ وَجْهُ تركيين) إلخ أى كأنَّ ذلك الجهم ، المراد به الفرج . شبَّه كل فِلقة منه بوجهِ تركىّ . والأتراك غِلاظ الوجوه عراضُها

حُمْرها . وإذا ظرفٌ عامله ما فى كأنَّ من معنى التشبيه . وعند غضَبهم تشتدُّ وجوههم حُمرةً . وروى الفراء وغيره : « قد غَضِبا » فتكون الجملة حالًا من تركيين ، على طَرْز قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحدُكم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ ميْتًا (١) ﴾ . ومستهدف صفة لوجه ، وهو اسم فاعل من استهدف . قال صاحب العباب : واستهدف ، أى انتصب . قال النابغة فى صفة فرج :

وإذا طعنتَ طعنتَ فى مُستهدِفٍ رابِى المجسَّةِ بالعبير مُقَرْمَدِ

وشىء مستهدِف ، أى عريض . ا هـ

(والطِّعان) بالكسر : مصدر طعنه بالرمح طَعْنًا وطِعانًا . وغيرُ بالرفع صفة لمستهدف . و (المنجحر) : اسم فاعل من انجحر ، أى دخلَ جُحره ، بضم الجيم وسكون المهملة ، يقال أَجْحرته ، أى أَلجأْته إلى أن دخل جُحْره ، فانجَحَر .

وقوله : « كأنَّ رمّانة » إلخ ، يريد أنَّ داخل ذلك الفرج محمرٌّ شديد الحرارة . ويُوقِد : يُشعِل . والقُرَر : جمع قُرّة بالضم : البرد ، كَغُرْفة وغُرَف .

وقوله : « هل يَغْلِبَنْ بَظْرُها » إلخ يَغلبن مؤكد بالنون الخفيفة . والبَظْر : لحمة بين شُفرى الفرج تقطعها الخاتنة . والمرأة التى لم يختن بظرها يقال لها بَظْراء . ومنه قولهم فى الشتم : يا ابنَ البَظْراء ! واطَّعنا أَصله ، تطاعنَّا ، والأَلف ضمير البظر والأَير . وقوله : « والطاعن الأَوَّل » إلخ ، أى من يطعن أَوّلًا هو

---

(١) الآية ١٢ من سورة الحجرات .

الذى يذهب بالظَّفَر ويغلب . ومعلوم أَنَّ الذكر هو الذى يبدأُ بالطَّعْن للأُنثى .

وقوله : « إنى لقومى سِنانٌ » إلخ يقول : إنِّى لقومى كالسِّنان يطعنُون بى نحُورَ الأَعداء . ويطعنُون بضم العين . وقوله : « وأَنتِ أُختَ » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأَنتِ مبتدأ ، وعَيْبة خبره . وأُختَ منادًى . لمَّا جعل جريرًا امرأَة قال له : يا أُختَ كليب ، أَى يا امرأَةً من قبيلة كُليب . والعَيْبة بالفتح : خُرجٌ صغير توضع فيه الثِّياب . والكمَرُ : جمع كمَرةٍ بفتحتين ، كقصب جمع قصبة ، وهو الذكر والأَير ، وأَصله الحشَفة ، ويطلق عليه مجازًا ، تسمية للكلِّ باسم الجزء . ٣٧٤

وترجمة الفرزدق قد تقدمت فى الشاهد الثلاثين من أَوائل الكتاب [١] .

* * *

وأَنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٥٧٣ (ظَهراهُما مثلُ ظهورِ التُّرْسَيْنْ)

على أَنَّه قد جمع بين اللغتين ، فإِنَّه أَتى بتثنية المضاف فى ظهراهما ، وبجمعه فى ظهور الترسين .

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ – ٢٢٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٤١ / ٢ : ٢٠٢ . وانظر البيان ١ : ١٥٦ والجمل ٣٠٣ وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٧٨٧ والمخصص ٩ : ٧٠ وابن يعيش ٤ : ١٥٥ ، ١٥٦ وشرح شواهد الشافية ٩٤ والعينى ٤ : ٨٩ والهمع ٢ : ٦٢ والمغنى ٣١٦ والأشمونى ٣ : ٧٤ ويس ٢ : ١٢٢ .

واستشهد به سيبويه على تثنية المضاف على الأصل ، فى موضعين من كتابه

الموضع الأول : فى الرُّبع الأوّل ، فى باب ما جرى من الأسماء التى من الأفعال وما أشبهها ، من الصفات التى ليست بفعلٍ . وتقدَّم نقل كلامه فى البيت الذى قبل هذا .

والموضع الثانى : أوّل الرُّبع الرابع بين أبواب جموع التكسير ، فى بابٍ ترجمته : هذا باب ما لُفظ به مما هو مثنًّى كما لفظ بالجمع . قال : وهو أن يكون كلُّ واحدٍ منهما بعضَ شيءٍ مفرد من صاحبه ، وذلك قولك : ما أحسن رُءُوسَهما وأحسنَ عواليَهما . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكما [١] ﴾ ، ﴿ والسَّارِقُ والسَّارقة فاقْطَعُوا أيديَهما [٢] ﴾ . فرقوا بين المثنَّى الذى هو شيءٌ على حدة وبين ذا . وقال الخليل : نظيره قولك : فعلنا ، وأنتما اثنان ، فتَكَلَّمُ به كَمَا تَكَلَّمُ به وأنتم ثلاثة . وقد قالت العرب فى الشيئين اللذين كلُّ واحدٍ منهما اسمٌ على حِدَة وليس واحدٌ منهما بعضَ شيء ، كما قالوا فى ذا ، لأنَّ التثنية جمعٌ ، فقالوهُ كما قالوا : فعلنا . زعم يونس أنَّهم يقولون : ضَعْ رحالهما وغِلْمانهما ، وإنَّما هما اثنان [٣] . إلى أن قال : وزعم يونس أنَّهم يقولون : ضربت رأسيهما . وزعم أنه سمع ذلك من رؤبة أيضًا ، أجرَوْه على القياس . قال هِمْيانُ بن قُحافة :

---

(١) الآية ٤ من التحريم .

(٢) الآية ٣ من المائدة .

(٣) ط : « وأنهما » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وكتاب سيبويه ٢ : ٢٠٢ .

* ظهراهما مثلُ ظهورِ التُّرسيْنْ *

وقال الفرزدق :

* هما نفثا فى فىَّ مِنَ فَمَوَيهما (٢) *

وقال أيضًا :

بما فى فؤادَينا من الشَّوقِ والهوى فيُجبرَ مُنْهاضُ الفؤادِ المعذَّب (٢)

انتهى كلامه .

قال الأَعلم : الشاهد فيه تثنية الظهرين على الأَصل ، والأَكثرُ فى كلامهم إخراجُ مثل هذا إلى الجمع ، كراهةً لاجتماع تثنيتَينِ فى اسمٍ واحد ، لأَنَّ المضاف إليه من تمام المضاف ، مع مافى التثنية من معنى الجمع ، وأَنَّ المعنى لا يشكل ، ولذلك قال : مثل ظهور التُّرسين ، فجمع الظَّهر .

قال الزجاج (فى تفسير آية السارق) : قال بعض النحويين : إنَّما جُعلتْ تثنية ما كان فى الإنسان منه واحدٌ جمعًا لأَنَّ أَكثر أَعضائه فيه منه اثنان ، فحُمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلك . قال : لأَنَّ للإنسان عينين ، فإذا ثَنَّيت العينين قلت عيونهما ، فجُعلت « قلوبكما » و « ظهوركما » فى القرآن كذلك ، وكذلك « أَيديهما » . وهذا خطأ ، إنَّما ينبغى أَن يفصل بين ما فى الشيء منه واحد وبين ما فى الشيء منه اثنان . وقال قوم : إنَّما فعلنا

---

(١) عجزه :

« على النابح العاوى أشد رجام »

(٢) صوابه « المشعف » كما أشار إلى ذلك الشنتمرى . وانظر ما سبق من التعليق فى ص ٣٧٢ .

ذلك للفصل بين ما فى الشيء منه واحدٌ وبين ما فى الشيء منه اثنان ، فجعل ما فى الشيء منه واحدٌ تثنيتُه جمعًا ، كقول الله : ﴿ فقَدْ صغت قلوبكما [١] ﴾ . قال أبو إسحاق : حقيقة هذا الباب أنَّ ما كان فى الشيء منه [واحدٌ [٢]] ، لم يثنَّ ولفِظَ به على لفظ الجمع [٣] لأنَّ الإضافة تبيِّنه . فإذا قلت : أشبعتُ بُطونَهما عُلم أنَّ للاثنين بطنين فقط . وأصل التثنية الجمع ، لأنَّك إذا ثنيت الواحدَ فقد جمعت واحدًا إلى واحد . وكان الأصل أن يقال اثنا رجال ، ولكنْ رجلانِ لا يدلُّ على جنس الشيء وعددِه ، فالتثنية يحتاج إليها للاختصار فإذا لم يكن اختصارٌ ردَّ الشيء إلى أصله ، وأصله الجمع ، فإذا قلت قلوبهما فالتثنية فى هما قد أغنتك عن تثنية قلبٍ ، فصار الاختصار ههنا تركَ تثنية قلب . وإن ثُنِّىَ ما كان فى الشيءِ منه واحدٌ فذلك جائز عند النحويِّين . قال الشاعر : ٣٧٥

* ظهراهما مثلُ ظُهورِ التُّرسَينْ *

فجاء بالتثنية والجمع فى بيتٍ واحد .

وحكى سيبويه أنَّه قد يجمع المفرد الذى ليس من شيءٍ إذا أردت به التثنية . وحُكى عن العرب : وضَعا رحالَهما ، يريد : رحْلَى راحلتيهما . انتهى .

وأنشده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جنَّتَان [٤] ﴾ قال : ذكر المفسِّرون أنَّهما بستانان من بساتين الجنة . وقد يكون فى العربية جنَّة تثنِّيها العرب فى أشعارها . أنشدنى بعضهم :

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٢) تكملة يفتقر اليها الكلام .

(٣) ط : « لم يثن لفظ به على الجمع » ، وصوابه فى ش .

(٤) الآية ٤٦ من سورة الرحمن .

ومهمهيـــنِ قَذَفين مَرْتَيْـــن قطعتُه بالسَّمْتِ لا بالسَّمتيْنْ (١)

وأَنشدنى آخر :

يسعَى بكبداءَ ولَهْذَمينِ قد جعل الأَرطاةَ جنَّتينِ

وذلك أَنَّ الشِّعر له قوافٍ تقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام .

قال الفراء : الكَبْداء (٢) : القوس . ويقال لَهذَم ولِهْذِم ، لغتان (٣) ، وهو السَّهم . انتهى .

صاحب الشاهد

والصحيح أَنَّ هذين البيتين من رجزٍ لخِطامٍ المُجاشعى ، وهو شاعر إسلامٌى ، لا لهميان بن قحافة . كما تقدَّم نقلُ أَبياتٍ كثيرة من هذا الرجز فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة (٤) . والرواية الصحيحة كذا :

أشطار الشاهد

(ومَهْمهينِ قَذَفينِ مَرْتَيْنْ ظَهراهُما مثلُ ظُهور التُّرسيْنْ
جُبْتُهما بالنَّعتِ لا بالنعتيْنْ على مُطارِ القلبِ سامى العينيْنْ)

والواو فى مهمهين واو ربَّ . والمهمهُ : القفر المخُوف . والقَذَف ، بفتح القاف والذال المعجمة بعدها فاءٌ : البعيد من الأَرض . وقال العينى :

(١) لخطام المجاشعى ، أو هميان بن قحافة . معجم الشواهد ٥٤٣ .

(٢) فى معانى الفراء ٣ : ١١٨ : « الكيداء » ، وكذا فى الرجز « بكيداء » ، وما هنا صوابه . وفى اللسان : « وقوس كبداء : غليظة الكبد شديدتها . وقيل قوس كبداء ، إذا ملأ مقبضها الكف » . وكبد القوس : فُوَيق مقبضها حيث يقع السهم .

(٣) ضبط فى اللسان والقاموس بوزن جعفر فقط .

(٤) الخزانة ٢ : ٣١٣ - ٣١٨ .

هو المكان المرتفع الصُّلب . قال : ويروى « فَدْفَدين » . والفَدفد : الأَرض المستوية . قاله الجوهرى .

والمرت ، بفتح الميم وسكون الراء المهملة بعدها مثناة فوقية : الأَرض التى لا ماء فيها ولا نبات . والظَّهر : ما ارتفعَ من الأَرض . شبَّهه بظهر تُرسٍ فى ارتفاعه وتعرِّيه من النبت . كما قال الأَعشى :

وفلاةٍ كأَنَّها ظهر تُرسٍ ليس إِلَّا الرَّجيعَ فيها عَلاقُ

وقال الأَعلم : وصَفَ فلاتين لا نبتَ فيهما ولا شخصَ يُستَدَلُّ به ، فشبَّههما بالتُّرسين .

وقال العينى : مثل ظهرَى التُّرسين فى الاستواء والامِّلاس ، وعدم المرافق فيهما ، من نبتٍ للرَّاعية ، أَو علَمٍ هادٍ للناس . وجبتهما : قطعتهما ، وهو جواب ربَّ المقدَّرة . يقال جاب الوادى يجُوبه جوبا ، إِذا قطَعه بالسَّير فيه . وروى : « قطعته » بإفراد الضمير .

٣٧٦ نقل العينىُّ عن أَبى على أَنَّه قال : أَفرد الضمير وهو يريد المهمهين ، كما قال تعالى : ﴿ نُسْقِيكُمْ ممَّا فى بطونه [1] ﴾ . ويقال التقدير : قطعت ذلك . ويقال : إنما أفرد الضَّميرَ لأَنَّه أراد المهمهَ ، وإِنَّما ثنَّاه تنبيهًا على طوله واتصال المشْى لراكبه فيه ، كما قال رؤبة :

* ومهمهٍ أَطرافُه فى مهمهِ * انتهى

وهذا يؤيِّد ما قاله الفراء . وقوله : « بالنعت لا بالنعتين » أَى نُعتا لى مرَّةً واحدة ، فلم أَحتج إلى أَن يُنعتا لى مرَّة ثانية . وصَف نفسه بالحِذق والمهارة . والعربُ تفتخر بمعرفة الطُّرق ، وتعيِّر الجاهلَ بها .

(١) الآية ٦٦ من سورة النحل .

وأمّا رواية « قطعته بالسَّمْت لا بالسمْتين » فهو من رجزٍ لشاعر آخر ، أنشده الفارسى (فى تذكرنه) ، وذكر قبله :

ومهمهٍ أعورِ إحدَى العينيْنْ　　بصيرِ الاخرَى وأَصمِّ الأُذْنيْنْ

* قطعتُه بالسَّمت لا بالسَّمتيْنْ *

قال : كانت فى هذا الموضع بئران ، فعوِّرت إحداها وبقيت الأخرى ، فلذلك قال : أَعور إحدى العينين . وقوله : « وأَصمّ الأُذْنين » يعنى أنَّه ليس به جبل فيُسمعَ صوت الصدى .

وقوله : « بالسمت » إلخ أى قيل لى مرّةً واحدة فاكتفيت . انتهى

وقال : السَّمْت : السَّير بالحَدْس . وقال ابن يسعون : يريد بالسمت إلخ بإشارةٍ واحدةٍ [1] ، ولم أُحتج إلى تكرير النظر ، لحذقى ومعرفتى بالطريق .

وقوله : « على مُطارِ القَلب » متعلّق بجُبتهما . أَراد : على فرسٍ جيِّد هذه صفته .

وترجمة خِطام المجاشعىّ تقدّمت فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة [2] .

* * *

(١) ط « بإشارة واحد » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تغيير .

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الخمسمائة [1] :

٥٧٤ (وعَيناىَ فى رَوْضٍ من الحُسْنِ تَرْتَعُ)

على أنَّه قريبٌ من وقوع المفرد موقع المثنَّى [2] ، فيما يصطحبان ولا يفترقان ، كقولك : عينى لا تنام ، أى عيناى ، وإنَّما قال « قريب منه » لأنَّ المثال وقع فيه المفرد فى موقع المثنى ، والبيت وقع فيه المثنَّى وهو عيناى فى موضع المفرد ، لأنَّ خبره ترتع ، وليس فيه ضمير اثنين .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : قال أبو عمرو : وإذا كان الاثنان لا يكاد أحدُهما ينفرد من الآخر مثل اليدين والرجلين والخُفَّين ، فإن تقدَّم مثنَّاه جاز لَكَ فى الشعر والكلامِ ، أنْ توحِّد صفته فتقول : خفَّان جديدٌ وجديدان ، وعينان ضخمةٌ وضخمتان ، لأنَّ الواحد يدلُّ على صاحبه إذَا كان لا يفارقه . وأنشد الفراء :

سأجزيك خِذلانًا بتقطيعىَ الصَّفا إليك وخُفًّا واحدٍ يقطرُ الدَّما

فقال : يقطر ، ولم يقل : يقطران . انتهى .

والمصراع عجزٌ ، وصدرُه :

(حشاىَ على جمرٍ ذكىٍّ من الغضا)

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لأبى الطيِّب المتنبِّى ، مطلعُها :

(حُشاشة نفس وَدَّعَتْ يومَ ودَّعوا فلم أدر أىَّ الظاعِنينَ أُشيِّعُ)

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٢٠ ، ١٢١ وديوان المتنبى بشرح العكبرى ١ : ٣٨٤ .

(٢) ط : « الشيء » ، صوابه فى ش .

قال الواحدى فى شرحه : الحشا : ما فى داخل الجوف ، ويريد به القلبَ ههنا . يقول : قلبى على جَمرٍ شديد التوقُّد من الهوى ، أى لأجل توديعهم وفراقهم . وعينى ترتع فى وجه الحبيب فى روضٍ من الحسن .

والبيت من قول أبى تمام :

٣٧٧ أفى الحقِّ أن يُضحى بقلبىَ مأْتمٌ من الشَّوق والبلوى ، وعيناىَ فى عُرْسِ

وإنَّما لم يقل ترتعان لأنَّ حكم العينين حكمُ حاسَّةٍ واحدة ، ولا تكاد تنفرد إحداهما برؤيةٍ دون الأخرى ، فاكتفى بضمير الواحدة ، كما قال الآخر [(١)] :

* بها العينانِ تنهلُّ [(٢)] * انتهى

وقال صدر الأفاضل ، عند قول المعرّىّ [(٣)] :

كأنَّ أُذْنيهِ أعطَتْ قلبَه خبرًا عن السَّماءِ بما يلقى من الغِيَرِ

فإن قلت : كيف لم يبرز الضمير فى أعطت مع إسناده إلى ضمير الاثنين ؟ قلت : إمَّا لأنَّه قد نزَّل العضوين منزلة عضوٍ واحد ، لأنَّ المقصود بهما منفعةٌ واحدة . وعليه قولُ امرئ القيس :

وعَيــنٌ لها حَدرةٌ بدرةٌ شُقَّتْ مآقيهِمَا من أُخُرْ [(٤)]

ألا ترى أنَّه عنى بالعين العينين ، حتَّى صرف إلى ضمير الاثنين . وقول أبى الطيب :

---

(١) هو امرؤ القيس . ملحقات ديوانه ٤٧٢ . وانظر ما سيأتى فى ص ٥٥٦ .

(٢) صدره :

« لمن زحلوقة زل »

(٣) شروح سقط الزند ١٤٦ .

(٤) ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

وتكرّمت رُكُباتُها عن مَبْرَكٍ   تقعانِ فيه وليس مِسكًا أذفرا

لأنَّه جعل كلَّ رُكبتين كركبةٍ واحدة حتَّى قال : تقعان . وإمَّا لأنَّه قد عامل المثنى معاملة الجمع . ومنه قول عنترة :

متى ما تلقنى فَردينِ تَرجُف   روانـفُ أليتـيْكَ وتُستطـارا

وقال آخر [٢] :

* أقراب أبلقَ يَنفِى الخيلَ رمَّاح [٢] *

ألا ترى أنَّه قد سمَّى الزّانفتين والقُرْبين روانف وأقرابًا .

ومثله فى احتمال الوجهين قوله [٣] :

كأنَّ فى العينين حَبَّ قَرَنفُلٍ   أو سُنْبلًا كحِلَتْ به فانهلَّتِ

وقولُ الفرزدق :

* ولو بَخِلتْ يداىَ بها وضنتْ [٤] *

هذا وقول أبى الطّيب :

* وعيناىَ فى روضٍ من الحسن تَرتعُ *

مع تمكُّنه من أن يقول : وعينىَ — دليلٌ على أنَّه لا فى مقام الضرورة .

انتهى .

---

(١) هو أوس بن حجر . ديوانه ١٥ .

(٢) ط : « سعى الخيل » ، صوابه فى ش والديوان . وصدره :

* كأن ريقه لما علا شطبا *

(٣) هو سلمى بن ربيعة ، كما فى الحماسة ٥٤٦ بشرح المرزوقى . ونسب فى الأصمعيات ١٦١ إلى علباء بن أرقم .

(٤) عجزه كما فى الديوان ٣٦٤ :

* لكان لها على القدر الخيار *

وقد تكلَّم ابن الشجرى (فى أماليه) على البيت ، وجعل المسألة رُباعيّة ، فلا بأس بنقل كلامه تتميمًا للفائدة . وقال بعد إنشاد البيتِ : الحشا : ما بين الضِّلَع التى فى آخر الجنب إلى الورك ، والجمع أحشاء . وذَكت النار تذكُو : اتَّقدت وارتفعَ لهبُها . والرَّوضة : موضع يتَّسع ويجتمع فيه الماء ، فيكثُر نبْته . ولا يقال لموضع الشَّجر روضة . والرُّتوع فى الأصل للماشية ، وهو ذهابها ومجيئها فى الرِّعى . وكثر ذلك حتَّى استعمل للآدميِّين . وفى التنزيل : ﴿ نرتَعْ ونَلْعَبْ [1] ﴾ . ومن قرأ : ﴿ نرتَعِ ﴾ بكسر العين فهو نفعل من الرَّعى . وأصل رتَع : أكل ما شاء . ومنه قولُ سُويد بن أبى كاهل :

ويُحَيِّينى إذا لاقيتُه وإذا يخْلو له لحمِى رتَعْ [2]

وإنَّما قال عيناى فثنى ثم قال ترتع فأخبر عن الاثنين بفعل واحدة ، لأنَّ العضوين المشتركينِ فى فعلٍ واحد مع اتفاقهما فى التسمية يجرى عليهما ما يجرى على أحدهما . ألا ترى أنَّ كل واحدةٍ من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية دون الأخرى . فاشتراكهما فى النظر كاشتراك الأُذنين فى السمع ، والقدمين فى السَّعى . ويجوز أن يعبَّر عنهما بواحدةٍ ، تقول : رأيته بعينى ، وسَمِعته بأُذنى ، ٣٧٨

(١) الآية ١٢ من سورة يوسف . وهذه قراءة أبى عمرو ، وابن عامر ، بالنون وسكون العين . وأما قراءة « نرتع » بالنون وكسر العين فهى قراءة البزى ، كما قرأ قنبل : « نرتعى » بإثبات الياء . وقراءة عاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف : « يرتع ويلعب » بالياء وسكون العين من الرتوع . وقرأ نافع وأبو جعفر : « يرتع ويلعب » من الارتعاء . إتحاف فضلاء البشر ٢٦٢ .

(٢) المفضليات ١٩٨ .

وما سَعتْ فى ذاك قدمى . فإنْ قلت بعينَىَّ وأُذنىَّ وقدمىَّ فثنَّيت ، فهو حقُّ الكلام ، والأوَّل أخفّ وأكثرُ استعمالًا .

ولك فى هذا الباب (١) أربعةُ أوجهٍ من الاستعمال :

أحدها : أن تستعمل الحقيقة فى الخبر والمخبر عنه ، وذلك قولك : عيناى رأتاه ، وأُذناى سمعناه ، وقدماى سَعَتا فيه .

والثانى : أن تعبِّر عن العضوين بواحدٍ وتفرد الخبر ، حملًا على اللفظ تقول : عينى رأته ، وأُذنى سمعتْه ، وقدمى سعَتْ فيه . وإنَّما استعملوا الإفرادَ فى هذا تخفيفا ، وللعلم بما يريدون . فاللفظ على الإفراد والمعنى على التثنية . فلو قيل على هذا :

* وعَينىَ فى روضٍ من الحسن ترتَعُ *

كان جيّدًا .

والثالث : أن تثنِّىَ العضو وتفرد الخبر ، لأنَّ حكم العينين أو الأذنين أو القدمين حكمُ واحدةٍ ، لاشتراكهما فى الفعل ، فتقول : أُذُناى سَمعتْه ، وعيناى رأَتْه ، وقدماى سَعَت فيه ، كما قال :

* وعيناىَ فى روضٍ من الحُسن تَرتَعُ *

ومنه قوله سُلمىّ بن ربيعة السِّيدى (٢) :

فكأَنَّ فى العينين حب قرنفل ... أو سُنبلا كُحِلت بها فانهلَّتِ (٣)

---

(١) كذا فى النسختين ، وهو الوجه . والذى فى أمالى ابن الشجرى ١ : ١٢١ : « فى هذا البيت » .

(٢) نسبة إلى بنى السيد بن ضبة ، كما فى شرح التبريزى للحماسة ٢ : ١١٩ . وفى ش : « السدى » تحريف .

(٣) كذا فى النسختين ، وإن كان الشنقيطى قد جعلها بقلمه « كحلت به » ، وهى رواية أبى تمام ، كما فى شرح التبريزى والمرزوقى ٥٤٧ .

ومنه قول امرئ القيس :

لمن زُحلوفةٌ زُلُّ بها العينان تنهَلُّ

وللفرزدق :

ولو بخلت يداىَ بها وضنَّت لكان علىَّ للقدَرِ الخيارُ

والرابع : أن تُعَبِّرَ [١] عن العضوين بواحد وتُثَنِّىَ الخبر [٢] ، حملًا على المعنى ، كقولك : أُذنى سَمِعَتاه ، وعينى رأتاه . ومنه قول امرئ القيس ، وهذا قليل [٣] :

وعينٌ لها حَدْرةٌ بدْرةٌ شُقَّت مآقيهما مِن أُخُرْ

وقول الآخر :

إذا ذكرتْ عينى الزَّمانَ الذى مضَى بصحراءِ فَلْجٍ ظلتا تَكِفانَ

فأمَّا ما أنشده ابن السكيت من قول الراجز :

* والسَّاقُ منى باردات الرِّيْرِ [٤] *

فكان الوجه أن يقول باردةٌ حملًا على لفظ الساق ، أو باردتان ؛ لأنَّ المراد بالساق الساقان ، ولكنه جمع فى موضع التثنية . ويشبه ذلك قولك : ضربتُ رءُوسهما . ويمكن أن تكون الألف فى باردات إشباعًا ، كقول القائل :

---

(١) ط : « أن يعبر » ، وما أثبت من ش يطابق أمالى ابن الشجرى .

(٢) ط : « ويثنى الخبر » ، وأثبت ما فى ش وأمالى ابن الشجرى .

(٣) والبيت فى ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

(٤) قبله فى اللسان (رير) :

أقول بالسبت فُوَيق الدير إذا أنا مغلوب قليل الغير

وأَنتَ من الغوائل حينَ تُرمَى ومن ذمِّ الرجال بمنتَزَاحِ [١]

أَراد : بمنتزح ، فأَشبع الفتحة فنشأَت عنها الأَلف . ويقال مخٌّ رارٌ ورِيرٌ ، للرَّقيق منه .

وقوله : (من الغضى [٢]) مفسِّر للجمر . وكذلك قوله : (من الحسن) مفسِّر للرَّوض ، فمن متعلقة بمحذوف وصفٌ للمفسَّر . وقال (حشايَ) والمراد ما جاور الحشا ، وهو القلب . والعرب تعبِّر عن الشيء بمجاوِرِهِ ، فالمعنى : قلبى على جمرٍ من الغضى ، شديدِ التَّوقُّدِ ، لفراقهم ، وعينى ترتع من وجه الحبيب فى روضٍ من الحسن . واستعار الرُّتوع للعين لتصويب النَّظر وتصعيدِه فى محاسن المنظور إليه . واستعارَ لحسنه روضًا تشبيهًا لعينيه بالنَّرجِس ، ولخدَّيه بالشَّقيق ، ولثغره بالأُقحُوَان .

ومعنى البيت ناظرٌ إلى قول أَبى تمَّام :

أَفى الحقّ أَن يمسى بقلبى مأْتمٌ من الشَّوق والبلوى ، وعينايَ فى عُرْسِ

٣٧٩

وأَنشِدْتُ للرضىّ :

* فالقلب فى مأْتم والعين فى عُرُسِ [٣] *

---

(١) لإبراهيم بن هرمة فى ديوانه ٨٧ وشرح شواهد الشافية ٢٥ .

(٢) الذى فى أمالى ابن الشجرى فى نص البيت وتفسيره : « من الهوى » ، ولكن البغدادى ذكر رواية « الغضى » هنا وفى متن البيت .

(٣) صدره فى ديوانه ١ : ٤٢٥ :

« تلذ عينى وقلبى منك فى ألم »

وقبله :

كم نظرة منك تشفى النفس عن عرض وترجع القلب منى جد منتكس

واستعمال المأتم لجماعةِ النساء فى المناحة خاصّة مما لم تُرده العرب ، ولكنّه عندهم لجماعةٍ فى المناحة وغيرها . قال أَبو حيَّة :

رمتْه أَناةٌ من ربيعةِ عامرٍ نَئُومُ الضُّحى فى مأْتمٍ أَىِّ مأْتمِ

وقول امرىء القيس فيما ذكرته شاهدًا وصَفَ به عينَ فرس . ومعنى حَذْرة : مكتنزة ضخمة . وبَدْرة : تبدُر النَّظر . وشقت مآقيهما من أُخُر ، أى اتَّسعت مِن آخرهما .

والبيت من ثالث البحر المسمَّى بالمتقارب [١] ، عروضه سالمة وضربه محذوف ، ووزنه فَعُل ، وقد استعمل فيه الخرم الذى يسمى الثَّلم فى أَوّل النصف الثانى ، وقلَّما يوجد الخرم إلَّا فى أَوّل البيت .

وقوله : « لمن زحلوفة [٢] الزحلوفة : الزلّاقة التى يتزَلَّج فيها الصِّبيانُ فيزْلَقُون . ويروى : « زحلوقة » بالقاف . انتهى كلام ابن الشجرى .

وترجمة المتنبِّى قد تقدَّمت فى الشاهد الحادى والأَربعين بعد المائة [٣] .

* * *

(١) كتب مصحح طبعة بولاق : « قوله عروضه سالمة ، فيه أن العروض محذوفة مثل الضرب » . وقد فات البغدادى أن ينبه هنا على هذا الخطأ الذى وقع فيه ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١٢٣ .

(٢) كلمة « الزحلوفة » ساقطة من ش .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٤٧ – ٣٦٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الخمسمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٥٧٥ (كُلُوا فى بعضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا فإنَّ زَمانَكُمْ زمنٌ خَميصُ)

على أنَّ فيه قيام المفرد مقام الجمع ، وهو « بطونكم » ، لأنَّه يريد : بطن كلِّ واحدٍ منهم .

وظاهره أنَّه غير ضرورة . ونصَّ سيبويه على أنَّه ضرورة .

قال سيبويه (فى مسائل التمييز من باب الصفة المشبهة من أوائل الكتاب) :

قال بعضهم فى الشعر ما لا يستعمل فى الكلام [٢] . قال علقمة بن عَبَدَة :

به جِيَفُ الحسْرَى فأمَّا عظامُها فبيضٌ وأمَّا جلدُها فصليبُ [٣]

وقال :

لا تُنكروا القتلَ وقد سُبينا فى حَلقكمْ عظمٌ وقد شَجِينا [٤]

(١) فى كتابه ١ : ١٠٨ . وانظر معانى الفراء ١ : ٣٠٧ والمقتضب ٢ : ١٧٢ والمحتسب ٢ : ٨٧ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣١١ / ٢ : ٢٥ ، ٣٨ ، ٢٤٣ وابن يعيش ٥ : ٨ / ٦ : ٢١ ، ٢٢ والهمع ١ : ٢٥ .

(٢) فى كتاب سيبويه : « وليس بمستنكر فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم فى الشعر ما لا يستعمل فى الكلام » .

(٣) الرواية فى سيبويه والشنتمرى والمفضليات ٣٩٤ وديوان علقمة ١٣٢ : « بها جيف الحسرى » . وما قبله من الأبيات يجيز الروايتين ، فإن فيها : « فأوردتها ماء » ، وفيها : « بمشتبهات هولهنّ مهيب » .

(٤) الرجز للمسيب بن زيد مناة الغنوى ، كما فى الشنتمرى واللسان (شجا) . ونسب فى المحتسب ٢ : ٩٧ إلى طفيل . وفى ش : « لا تنكر » فى جميع المواضع ، وكذا فى أصول سيبويه ، وصوابه ما أثبت . وانظر حواشى سيبويه ١ : ٢٠٩ من نسختى .

إلى أن قال : وممّا جاء فى الشعر على لفظ الواحد يراد به الجمع :

كلُوا فى بعض بطنكم تعِفّوا .... البيت

وقوله : « به جيف الحَسْرى » إلخ ، هو جمع حَسِير ، وهى النّاقة التى أعيَتْ ، من الإعياء والكلال .

قال الأعلم : وصف طريقًا بعيدًا شاقًّا على مَن سلكه . والصّليب : اليابس ، وقيل هو الودَك . أى قد سال ما فيه من رطوبةٍ لإحماء الشّمس عليه . يقول : أُكلت السباعُ ما عليها من اللّحم فتعرّت ، وبدا وضَحُ العظام .

وقوله : « لا تنكروا القتل » إلخ قال الأعلم : وصف أنّهم قَتلوا من قومٍ كانوا قد سَبَوْا من قومه ، فيقول : لا تنكروا قتلنا لكم وقد سَبَيتم مِنّا ، ففى حلوقكم عظمٌ بقتلنا إيّاكم ، وقد شجِينا نحن ، أى غُصِصنا بسبْيكم لمن سبيْتم منّا . والبيت للمسيّب بن زيد مناة الغنَوىّ .

وقوله : (كلوا فى بعضٍ) إلخ قال الأعلَم : وصف أنّهم قُتلوا من شدّة الزّمان وكَلَبِه [١] ، فيقول : كلوا فى بعض بطونكم ولا تملئوها حتّى تعتادوا ذلك تعفّوا عن كثرة الأكل وتقنعوا باليسير ، فإنّ الزمان ذو مَخمَصة وجَدْب . والشاهد أنّه وضع الجِلد موضع الجُلود ، والحلقَ موضع الحلوق ، والبطنَ موضع البطون ؛ لضرورة الشعر . ٣٨٠

ونقل ابن السَّرّاج كلامَ سيبويه فى باب التمييز ، وتبعهما ابن عصفور (فى كتاب ضرائر الشعر) .

---

(١) الذى فى الشنتمرى : « وصف شدة الزمان وكلبه » فقط .

وذهب الفراء (فى تفسيره) إلى أنَّه جائزٌ فى الكلام غير مختصٌ بالشّعر . وقد تقدَّم النقل عنه قبل هذا ببيتين . وقال أيضًا فى تفسير سورة النحل عند قوله تعالى : ﴿ يتفيَّؤُ ظِلالُه عن اليمين والشَّمائل [١] ﴾ ، قال : وحَّدَ اليمين وجمَع الشمائل ، وكلُّ ذلك جائزٌ فى العربيّة . قال الشاعر :

بِفِى الشَّامِتِينَ الصَّخرُ إنْ كان هدَّنى رزيَّةُ شبْلَىْ مُخْدرٍ فى الضَّراغِمِ [٢]

ولم يقل بأفواه الشامتين . وقال الآخر [٣] :

* قد عضَّ أعناقَهم جِلدُ الجوامِيسِ [٤] *

ولم يقل جلود . وقال آخر [٥] :

فباستِ بنى عبسٍ وأستاهِ طيِّئٍ وباستِ بنى دُودَانَ حاشا بنى نصرِ

فجمعَ ووحَّد . وقال آخر :

كُلوا فى نصفِ بطنِكُمُ تعيشُوا فإنَّ زَمانَكم زمنٌ خميصُ

وجاز التوحيد [٦] لأنَّ أكثر الكلام يواجَه به الواحد ، فيقال : خذْ عن يمينك وعن شِمالك ؛ لأن المكلَّم واحد والمتكلِّم كذلك ، فكأنَّه إذا وحَّد ذهب إلى واحدٍ من القوم . وإنْ جمع فهو الذى لا مسألة فيه . انتهى .

---

(١) الآية ٤٨ من سورة النحل .

(٢) البيت للفرزدق فى ديوانه ٧٦٤ يرثى ابنين له . وفى الديوان « إن كان مسنى » .

(٣) هو جرير . ديوانه ٣٢٥ .

(٤) صدره كما فى معانى الفراء ٢ : ١٠٢ ، وما سبق فى ٥٣٧ :

* الواردون وتيم فى ذرى سبأ *

(٥) فى معانى القرآن : « الآخر » ، والكلام بعده إلى « آخر » التالية ساقط من ش .

(٦) فى معانى القرآن : « فجاء التوحيد » .

وتبعه جماعة منهم ابن جنى (فى المحتسب) قال فى سورة المؤمنين : قرأ ﴿ عَظْمًا ﴾ واحدًا ﴿ فكسَوْنا العِظَام ﴾ جمَاعةً : السُّلمىُّ ، وقتادة ، والأعرج ، والأعمش ، واختُلف عنهم . وقرأ : ﴿ عِظامًا ﴾ جماعةً ﴿ فكسونا العظْم ﴾ واحدًا : مجاهدٌ . قال أبو الفتح : أمَّا من وحَّد فإنَّه ذهب إلى لفظ إفراد الإنسان والنُّطفة والعَلقة . ومَن جمع فإنَّه أراد أنَّ هذا أمرٌ عامٌّ فى جميع الناس [١] .

وقد شاع عنهم وقوعُ المفرد فى موضع الجماعة ، نحو قول الشاعر :

* كلوا فى نِصْفِ بطنكمُ تعِفُّوا *

وقال آخر [٢] :

* فى حَلْقكم عَظْمٌ وقد شَجِينا *

وهو كثير ، وقد ذكرناه . إلَّا أنَّ من قدَّم الإفراد ثم عقَّب بالجمع أشبَهُ لفظًا ، لأنَّه جاورَ بالواحد لفظ الواحد الذى هو إنسان ، وسُلالة ، ونطفة ، وعَلَقة ، ومُضغة ، ثم عقَّب بالجماعة ، لأنَّها هى الغَرَض . ومَنْ قدَّم الجماعة بادر إليها ، إذْ كانت هى المقصود ، ثم عاد فعامل اللفظَ المفردَ بمثله . والأوَّل أجرَى على قوانينهم . ألا تراك تقول : من قامَ وقعدُوا إخوتك ، فيحسُن لانصرافه عن اللفظ إلى المعنى . وإذا قلت : مَن قاموا وقعدَ إخوتك ، ضعُف ، لأنَّك قد انتحيت بالجمع على المعنى ، وانصرفت عن اللفظ . فمعاودة اللَّفظ

(١) انظر لتوضيح هذا المحتسب ٢ : ٨٧ .

(٢) هو طفيل ، أو المسيب بن زيد مناة . وانظر ما سبق فى حواشى ٥٥٩ .

بعد الانصراف عنه تراجعٌ ، وانتكاثٌ [١] . فاعرفْه وابنِ عليه ، فإنَّه كثيرٌ جدًّا . انتهى .

ومنهم الزمخشري (في كشَّافه) قال عند قولِهِ تعالى : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قلوبِهِم وعلى سَمْعِهِم [٢] ﴾ : فإنَّه وحَّد السَّمع مع جمع القلوب ، كما وحَّد الشاعر البطْن مع جمع كُلوا . ومقتضى الظاهرِ أسماعهم وبطونكم ، لكنْ لمَّا كان المراد سمعَ كلِّ واحد منهم وبطنَ كلِّ واحدٍ مع أمْن اللبس جاز ، فإنَّه من المعلوم أنَّ لكلِّ واحدٍ منهم سمعًا واحدًا وبطنا .

وقد أورد البيت في عدَّة مواضع (من الكشاف) ، وأورده أيضًا (في المفصَّل) في باب التمييز ، ولم يقل شُرَّاحُه كابن يعيش : إنَّه ضرورة .

٣٨١ ومنهم صاحب اللباب قال : وقد يقع الواحد موقع الجمع نحو قوله تعالى : ﴿ فإنْ طِبْن لكمْ عَنْ شيءٍ منهُ نَفْسًا [٣] ﴾ . ونظيره :

* كُلوا في بَعْضِ بطنكمُ تعِفُّوا *

وقوله : (كُلوا في بعضِ بطنكم) ، قال صاحب الكشَّاف : أكل في بعض بطنه ، إذا كان دون الشِّبَع ، وأكل في بطنه إذا امتلأ وشبع . وأراد بعض بطونكم . وقوله : (تعِفُّوا) مجزوم بحذف النون في جواب الأمر . قال ابن السيرافي : الخميص : الجائع . والخمص [٤] : الجُوع . أراد بوصفه الزَّمن

---

(١) في ش والمحتسب ٢ : ٨٨ : « والانتكاث : الانصراف عن الشيء » ، وفي اللسان : « وطلب فلان حاجة ثم انتكث لأخرى أي انصرف إليها . » وفي ط : « وانتكاب » بالباء ، ولا وجه له ، فإن الانتكاب إلقاء الكنانة أو القوس على المنكب .

(٢) الآية ٧ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٤ من سورة النساء .

(٤) الخمص ، بالفتح وبالتحريك أيضا .

بخميص أنَّه جائعٌ مَنْ فيه ، فالصِّفة للزمن والمعنى لأهله . يقول لهم : اقتصروا على بعض ما يُشبعكم ولا تملئوا بطونَكم من الطَّعام فينفَدَ طعامُكم ، فإذا نفِدَ احتجتم إلى أن تسألوا الناس أن يُطعموكم شيئًا . وإن قَدَرتم لأنفسكم جزءًا من الطَّعام عَفَفتم عن مسألة الناس . انتهى .

قال شارحُ اللُّباب ، وبعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) تعفُّوا : من العِفَّة . ويروى : « تعيشوا » . كانوا يتلصَّصُون ويتغاورون ، لأنَّهم فى زمن قحط ، فقال لهم ذلك . والمعنى : كلوا قليلًا تكونوا أعفَّاء لا يصدُر منكم فعلُ قبيح كالإغارة والتلصُّص . أو تعيشوا ، ولا تموتوا ، فإنَّ زمانكم زمنُ قحط أهلهُ جائعون . انتهى .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعلم قائلها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الخمسمائة [١] :

٥٧٦ (لنا إبلانِ فيهما ما عَلمتُمُ)

على أنَّه يجوز تثنية اسم الجمع على تأويل : فرقتين ، وجماعتين .

قال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : القياس يأبى تثنية الجمع . وذلك أنَّ الغرضَ من الجمع الدلالةُ على الكثرة ، والتثنية تدلُّ على القلة ، فهما معنيان متدافعان ، ولا يجوز اجتماعها فى كلمةٍ واحد . وقد جاء شىء من ذلك عنهم على تأويل الإفراد ، قالوا : إبلانِ ، وغَنَمَانِ ، وجمالان . وحكى سيبويه :

---

(١) انظر الأصمعيات ١٦٧ .

لقاحان سوداوان ، وإنَّما لقاح جمع لِقْحة . هذا كلامه .

أقول : المراد من تثنية الجمع تضعيفه بجعله مثلَين من نوعين ، فلا تدافع بين التثنية والجمع ، إلَّا إذا توجَّها إلى مفرد . وقد تقدم ما يتعلَّق به فى الشاهد الثلاثين [١] .

وأنشده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ فالتَقَى الماءان [٢] ﴾ من سورة القمر فى قراءة التثنية [٣] ، على أنَّ المراد نوعان : ماء السماء وماء الأرض ، كما يقال : تمران وإبلان .

وهذا المصراع وقعَ فى شعرين : أحدهما ما أنشده أبو زيد (فى نوادره [٤]) ، وهو المشهور فى كتب النحو والتفسير ، وتمامُه :

* فعن أيَّة ما شئْتُمُ فتنَكَّبُوا [٥] *

وهو بيت مفرد لم يذكر غيره ولا قائله .

ونسبه الصَّاغانى (فى العباب) لشُعبه بن قُمير — وهو شاعر شعبة بن قمير

(١) الخزانة ١ : ٢٠٥ .

(٢) الآية ١٢ من سورة القمر .

(٣) قراءة « الماءان » لم ينسبها الزمخشرى ، وقد نسبها أبو حيان ٨ : ١٧٧ إلى على ، والحسن ، ومحمد بن كعب ، والجحدرى . وقرئ بالتثنية مع الواو « الماوان » وهى قراءة ثانية للحسن كما فى الكشاف وتفسير أبى حيان ، وعن الحسن أيضا : « المايان » بالياء ، كما فى تفسير أبى حيان .

(٤) نوادر أبى زيد ١٤٣ . وإيراده فيها يوهم أو يرجح أنه لشعبة بن قمير ، لأن أبا زيد أورده بعد أبيات لشعبة بن قمير ، مماثلة فى الوزن والروى .

(٥) أشير فى النوادر وشرحها إلى رواية : « فعن أيه » بإضافة أى الى الهاء .

مخضرم ، أسلم فى زمن النبى ﷺ ولم يره . ذكَره ابنُ حجر (فى الإصابة ، فى قسم المخضرمين) ، وقال : الإبل لا واحد لها من لفظها ، وهى مؤنَّثة ، لأنَّ أسماء الجموع التى لا واحدَ لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، والجمع آبال . وإذا صغَّرتها أدخلتها الهاء فقلت أُبَيْلة ، كما تقول غنيمة . وإذا قالوا [١] : إبلان فإنَّما يريدون قطعتين من الإبل . انتهى .

ومثله ما أنشده أبو تمام (فى الحماسة) من شعرٍ للمُساوِر بن هند ، وهو :

إذا جارةٌ شُلَّت لسعدِ بن مالك   لها إبلٌ شُلَّت لها إبلانِ [٢]

٣٨٢

أراد : إذا جارةٌ لسعد بن مالك شُلَّت إبلٌ لها شُلَّ من أجلها قطيعانِ من الإبل . والشَّلّ : الطَّرد .

قال ابن المستوفى : قالوا فى نحوه : إبلانِ وغَنَمانِ ولقاحانِ . ونحوهُ أنَّهم أرادوا به قطعتين : قطعة فى جهة ، وقطعة فى أخرى ، أو قطعتين من الإبل والغنم ، أو إبلا موصوفة بصفة غير الإبل الأخرى لتفيد التثنيةُ معنًى ما . وقوله : (عن أيَّةٍ) بالتنوين ، والأصل عن أيَّتهما ، فلما حُذف المضاف إليه عوِّض عنه التنوين . والمشهور فى الكتب « فعَنْ أيِّها » بتأنيث الضمير ، على أنَّه راجع إلى فِرْقة وقِطْعة . وروى : « وعن أيْهما » بضمير التثنية مع تخفيف

---

(١) ط : « أرادوا » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) فى الحماسة ١٦٦٣ بشرح المرزوقى : « شلت بها » أى بسببها ولمكانها .

أىّ . وهذه الرواية واضحة . قال صاحب العباب : وانتكب الرجل كنانته أو قوسه ، إذا ألقاها على منكبيه ؛ وكذلك تنكبها . وتنكَّبهُ : تجنَّبه . انتهى .

قال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : الإبلان : جماعتان من الإبل . ولفظ الإبل فى عُرفهم عبارةٌ عن مائة بعير ، وإن جاز استعمالُه فى أكثر منه . وقوله : (فيهما ما علمتم) قال صاحب الكتاب ، يعنى الزَّمخشرى : أى ما علمتم من قِرى الأضياف وتحمُّل الغرامات والدِّيات . والتنكُّب : التجنُّب . وتنكَّبَ القوسَ : ألقاها على مَنكِبِهِ . ولا يدرى مم أخذ ما فى البيت [1] . نقله كلَّه [2] عن المقتبس .

قلت : أخذه من الثانى ، وضمَّنه معنى الأخذ . والمعنى : لنا قطيعان من الإبل فيهما ما علمتم من قِرى الأضياف وتحمُّل الغرامات ، فخذوا عن أيِّهما ما شئتم وأردتم ، فإنَّها مباحةٌ غير ممنوعة . ولا يبعد أن يريد : فتجنبوا عن أيِّهما ما دام لكم مشيئة أى أبدًا . فتجنَّبوا فإنَّها محفوظة بنا . وفى هذا الوجه يكون البيت مشتملًا على السَّماحة والحماسة والقصدِ إلى وصف أربابها بالعزَّة والقوة ، وأنَّ أحدًا لا يقدر على التعرُّض لإبلهم . هذا كلامُه .

وقال خَضْر الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين) : تنكَّبوا : اجعلوه فى مَنكِبِكم . وعن للمجاوزة ، لأنَّ القطعة المُتنكَّبة [3] قد انفصلت عن الباقى ، مِن تنكَّب القوسَ : ألقاها على مَنكبه ، أو من نكَّب عن الطريق :

---

(١) أى من أى المعنيين . ش : « مم أخذها فى البيت » .

(٢) ط : « نقل كله » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) ط : « المنتكبة » ، بتقديم النون ، والوجه ما أثبت من ش .

عدل عنه ، أى اعدِلوا عن أيِّها شئتم . وما زائدة ، على معنى أنَّ فى كل طائفة منها ما يدلُّ على أنَّها للأجواد ، فانصرفوا عن أيِّها شئتم ، خائبين عاجزين عن مجاراتنا [١] . انتهى .

والظاهر أنَّ المعنى هو هذا الأخير . ويمنع المعنى الأوَّل شيئانِ : أحدهما : لفظىٌّ وهو تعديةُ تنكَّب بعن ، فإنَّ المعنى على الانصراف والمجاوزة عنهما . والثانى : معنوىّ [٢] وهو أنَّ الإبل لا يمكن حملُها على المَنكِب عادةً . والله أعلم .

ثم رأيت (فى شرح أبيات إيضاح الفارسى ، لابن بَرّىّ) المصراعَ الثانىَ : « فَعْن أيِّها » ، بإفراد الضمير وتأنيثه . وقال : قبله :

(غداةَ دعا الداعى فكان صريخُه نجيحًا إذا كرَّ الدُّعاءَ المثوِّب
بكلِّ وآةٍ ذاتِ جِدٍّ وباطلٍ وطِرْفٍ عليه فارسٌ متلبِّبُ
وجمعٍ كرامٍ لم تَمَزَّرْ سَراتُهم حُسَى الذُّلِّ لا دُردٌ ولا متأشِّبُ [٣]

الصريخ : الإجابة ، وهو فى معنى مُصْرِخ الذى هو مصدر ، كالإصراخ . يقال أصرخته ، إذا أغثته . ونجيحا : مُنْجِحا . والمثوِّب : المنادِى . والوآة ، بفتح الواو وهمزة ممدودة فهاءٍ : الفرسُ السريعة المقتدرة الخلق ، كأنَّها تضمن لَحاق المطلوب وتعدِّيه لسرعتها وقوَّتها . والطِّرف : الحِصان الكريم . ٣٨٣

---

(١) ط : « مجازاتنا » بالزاى ، صوابه بالراء كما فى ش .

(٢) ش : « والثانى معنى » .

(٣) لم تمزر ، من التمزر ، وهو الشرب قليلا قليلا . ومثله التمزز . وفى نوادر أبى زيد ١٤٣ : « والتمزر وهو الشىء الذى تجزأ به » . وفى النسختين : « لم يزر » ، وصوابه من النوادر . والحسى : جمع حسوة ، بالضم ، وهى الشىء القليل من الشراب ، أو ما كان ملء الفم . وفى النسختين : « حشى » بالشين ، صوابه من النوادر . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى لا أسنان له . والمتأشب : المختلط

والمتلبِّب : المتحزِّم المشمِّر . وقوله : « فعَن أَيِّها » أَعاد الضَّمير على مجموع الإبلين لأَنَّها جماعة . وأَراد بقوله « ما علمتم » المنيَّة ، ويجوز أَن تكون الهاء تنبيهًا ، والتقدير : فعَنْ أَيِّها شئتم فتنكَّبوا . وعدَّى تنكَّبوا بعن ، لأَنَّه بمعنى اعدلوا ، ومعناه التحذير والإرشاد ، أَى تنكبوا ما شئتم من ذلك فهو خيرٌ لكم . انتهى كلامه .

وقال شارحٌ آخر لأبياتِ الإيضاح [1] : الهاء من أَيِّها راجعة إلى الأَصناف الثلاثة التى ذكرها قبل ، وهى راكبُ كلِّ وآة ، وراكبُ كل طِرف ، والجمعُ الكرامُ . ومراده الإِيعادُ والتَّهديد ، لا صريح الاستفهام ، كأَنَّه قال : فعن أَيِّها ما شئتم فتنكَّبوا هذه الإبل إن استطعتم ، أَى إِنَّكم لا تقدرون على ذلك . هذا كلامه .

والشعر الثانى هو شعر عَوف بن عطيَّةَ [بن [2]] الخرِع التَّيمى .

والمصراع أَوَّل قصيدةٍ عدَّتُها سبعةَ عشرَ بيتا . وهذه أَربعة أَبياتٍ من أَوَّلها :

(هما إبلانِ فيهما ما علمتُمُ ... فأَدُّوهما إن شئتمُ أَنْ نُسالِما
وإن شئتمُ أَلقحتمُ ونَتَجتمُ ... وإن شئتمُ عينًا بعينٍ كما هما
وإن كان عقلًا فاعقلوا لأَخيكُما ... بناتِ المَخاضِ والبكارَ المَقَاحما
جزَيتُ بنى الأَعشى مكانَ لَبونهم ... كرامَ المَخَاضِ واللِّقاحَ الرَّوائما)

قال أَبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى (فى شرح ديوانه) : أَقبلَ أَهلُ بيتٍ من ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وهم بنو الأَعشى ، حتَّى نزلوا وسطَ الرِّباب ، فأَغار عليهم بنو عَبدِ مَناة بن بكر بن سعد بن ضَبَّة ،

(١) ط : « وقال شارح آخر أبيات الايضاح » ، صوابه فى ش .

(٢) التكملة من ش .

فأخذوا إبلهم ، فقال بنو الأعشى : انظُروا رجلًا من الرِّباب له مَنعةٌ وعزٌّ فادَّعُوا عليه جوارَكم لعلَّه يمنعُكم ، وتُلبِسُوا بين القوم شرًّا ! فأتوا عوف بن عطيَّة بن الخرع فقالوا : يا عوف ، أنت والله جارُنا ، وقد أخبرْنا قومَنا أنَّا نريدك . فانطلق عوفٌ إلى عبد مناة فقال : أدُّوا إلى هؤلاء إبلَهم . فأخذوا يضحكون به ، وقالوا : إن شئتَ جمعْنا لك إبلًا ، وإن شئت عَقَلنا لك . قال : أمَا عندكم غيرُ هذا ؟ قالوا : لا . فانصرفَ عنهم فقال لبنى الأعشى : اتبعوا مصادِرَ النَّعم . حتَّى إذا أوردوا قال : يا بنى الأعشى لا تقصِّروا ، خذوا مثلَ إبلكم . فأخذوا ثمَّ انطلقوا حتَّى نزَلوا معه على أهله ، فجاءه بنو عبدِ مناة فقالوا : يا عوفُ ، ما حملك على ما صنعت ؟ قال : الذى صنَعتم حملنى . فأخذ يلعبُ بهم وقال : إنْ شئتم جمعنا لكم ، وإن شئتم عقَلنا لكم . فقال عوف فى ذلك هذه القصيدة

وقوله [1] : (هما إبلان) إلخ أى إبل بنى الأعشى وإبلُكم . وأدَّى الأمانة إلى أهلها ، إذا أوصلَها . والاسم الأَدَاءُ [2] والتأدية .

وقوله : « وإن شئتم ألقحتم » إلخ قال السكَّرى : يقول : إن شئتم فردُّوها ، أو تلقحونها وتُنتِجونها وتردُّونها بأولادها . و « عين بعين » أى ردُّوها بأعيانها حتَّى نردَّها بأعيانها . ويقال قد نَتجت الفرسَ والناقةَ فهى منتوجة . وفرس نتوجٌ : فى بطنها ولد . انتهى

ويقال ألقح الفحلُ الناقةَ إلقاحًا : أحبلها . والنِّتاج : اسمٌ يشمل

(١) بدله فى ش : « وما » !

(٢) ط : « الأدى » ش : « الادا » ، والوجه ما أثبت كما فى المعاجم .

وضعَ البهائم من الغنم وغيرِها . وإذا وَلِىَ الإنسان ناقةً أو شاة ماخضًا حتّى تضع قِيلَ : نتجها نتجًا ، من باب ضرب . فالإنسان كالقابلة ، لأنه يتلقّى الولدَ ويُصلح من شأنه ، فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة . ٣٨٤

وقوله : « وإن كان عقلًا فاعقِلوا » إلخ يقال عَقَلت عنه : غرمت عنه مالزمه من ديَة وَجناية . وابن مخَاض : ولد النَّاقة يأْخذ فى السنة الثانية ، والأُنثى بنتُ مخاض ، والجمع فيهما بنات مَخَاض . والبكار : جمع بَكرة ، ككلاب جمع كلبة . والبَكرة : الصَّغيرة الشابَّة من النُّوق ، والذكر بَكْر . والمَقَاحم : جمع مُقْحَم بضم الميم وفتح الحاء : البعير الذى يُرْبِع ويُثْنى فى سنةٍ واحدة ، فيُقحَم [1] سنًّا على سنّ . قال الأَصمعى : وذلك لا يكون إلَّا لابن الهرِمَين . قال السكرى : يقول : إن صار الأَمر إلى عقلِ أَخيكم الذى أُخِذت إبله فاعقِلوا بناتِ المخاض والبكارَ المقاحم ، أَى اجمعوا له الرُّذالةَ فأَدُّوها إليه . وهذا هزءٌ بهم [2] .

وقوله : « جَزيتُ بنى الأَعشى » إلخ يريد أَنَّه عوَّضهم إبلًا خيرا من إبلهم . قال السكرى : والمَخَاض : الحوامل ، واحدتها خَلِفة . واللِّقاح : ذوات الأَلبان ، واحدتها لِقْحة بكسر فسكون . ويقال أَيضًا لَقُوح ، والجمع لُقُح بضمتين . والرَّوائم : جمع رائم ، وهى التى أَحبَّت ولدها وعَطفت عليه . يقال قد رئمتْه أُمُّه رِئْمانًا . ورأْمها : ما عُطفت عليه من ولد غيرها أَو بَوٌّ . انتهى .

(١) فى النسختين : « فتقحم » ، ووجهه ما أثبت .

(٢) رسمت فى ش : « هزؤ بهم » .

وعوف بن عطيّة بن الخرع تقدّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والسبعين بعد الأربعمائة [(١)] .

تتمّة

من أمثلة تثنية اسم الجمع : قومان . قال الفرزدق :

وكلُّ رفيقَىْ كلِّ رحلٍ وإن هما   تَعاطَى القنا قومَاهُما أَخَوَانِ

واستشهد به ابن عصفور (فى شرح الجمل الكبير) على تثنية قوم . وكذا ابن مالك (فى شرح التسهيل) . فقوماهما فاعل تعاطَى ، وحذف نون التثنية للإضافة إلى هما .

وفيه شاهدٌ أيضًا على تثنية المضاف إلى اثنين المرجوحة ، فيكون من قبيل :

* ظهراهُما مثلُ ظهورِ التُّرسيْن [(٢)] *

ومعنى البيت أَنَّ كل رفيقين فى السَّفر أَخوانِ وإن تعادى قوماهما وتعاطَوُا المطاعنة بالقنا . ورحْلُ الشخص : مأْواه فى الحضَر ، ثم أُطلق على أَمتعة المسافر ، لأَنَّها هناك مأْواه .

وهذا البيت مع وضوح معناه قد حرَّفه أَبو علىّ الفارسى (فى المسائل البغداديات) بتنوين قوم ، وزعم أَنَّه مفرد منصوب ، فاختلَّ عليه معنى البيت وإعرابه ، فاحتاج إلى أَن صَحَّحَه بتعسُّفات وتمحُّلات كان غنيًا عنها ،

---

(١) ش : « الواحد » بدل « الحادى » . وانظر الخزانة ٦ : ٣٧٠ .

(٢) انظر ما سبق فى ٥٤٤ .

ومقامُه أعلى وأجلُّ من أن يُنسب إليه مثل هذا التحريف ، ولكن هو كما قيل :

* كفى المرءَ نبلًا أن تُعدَّ معايبُه (١) *

وقد تبعه على هذا التحريف والتخريج ابنُ هشام (فى مغنى اللبيب) ولخَّص كلامه من غير أن يعزوَه إليه . وأنقلُ لك كلامَهما حتَّى لا تقضىَ العجبَ منهما .

قال أبو علىّ (فى البغداديات) : ينشد بيت الفرزدق وهو :

وكل رفيقَىْ كلِّ رحل .... البيت

وفيه غير شيء من العربيَّة . فمنه : قال تعاطى وقد تقدَّمه اثنان ولم يقل تعاطيا . فإنْ قلت : إنه حذف لام الفعل من تعاطى لالتقاء الساكنين ولم يردَّه إلى أصله للضَّرورة فيقول تعاطيا ، فهو قولٌ . وهذه الضرورة عكسُ ما فى قول امرئ القيس :

* لها متنتانِ خظاتا (٢) *

لأنَّ هذا البيت اللام فى موضعٍ وجب حذفُها ، مثل رَمَتا ، لأنَّ الحركة للتاء فى رَمَتا غير لازمة ، والفرزدق حذفَه فى موضع وجب إثباته ، لأنَّك تقول

(١) البيت ليزيد بن محمد المهلبى ، كما فى زهر الآداب ٥٥ ونهاية الأرب ٣ : ٩٤ والتمثيل والمحاضرة للثعالبى ٩٣ . وورد فى جمهرة الأمثال للعسكرى ٢ : ٢٨٣ والتنبيه على أمالى القالى ص ١٥ بدون نسبة . وصدره :

* ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها *

(٢) لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٤ . وقد سبق فى ص ٥٠٠ . والبيت بتمامه :

لها متنتان خظاتا كما أكب على ساعديه النمر

تعاطيا وتراميا . وإن قلت تعاطى تفاعلَ ، والألف لام الفعل ليست بضميره ، وفى الفعل ضميرُ واحدٍ وإن كان فى اللفظ مثنًّى ، فهو فى المعنى كناية عن كثرة ، وليس المراد بالتثنية هنا اثنين فيحمل الكلام عليها ، ولكنَّه فى المعنى ٣٨٥ يرجع إلى كل ، فحملت الضمير على كلّ ، فهو قول [1] . ويقوِّى هذا : ﴿ وإنْ طائفَتانِ من المؤمنين اقتتَلُوا [2] ﴾ . ألا ترى أنَّ الطائفتين لمَّا كانتا فى المعنى جمعًا لم يرجع الضمير إليهما مثنًّى لكنه جمع على المعنى . وكذلك تعاطى ، أفرد على المعنى إذْ كان لكلّ ، ثم حَمل بعدُ الكلامَ على المعنى فقال : هما أخوان . فالقول فى هما أنَّه مبتدأ فى موضع خبر الابتداء الأول وهو كلّ ، وثنَّاه وإن كان فى المعنى جمعًا للدلالة المتقدّمة أنَّ المراد بهذه التثنية الجمع . ألا ترى أنَّ قوله كلُّ رفيقَىْ كلِّ رحل ، جمع ؟! ونظيره قوله ﴿ بَيْنَهُمَا ﴾ بعدَ : ﴿ وإن طائفتانِ من المُؤمِنين اقتَتَلُوا ﴾ .

فإن قال قائل : إنَّ هُما يرجع إلى رفيقين على قياس قولهم فى قوله تعالى : ﴿ والذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكم وَيَذَرُونَ أزواجًا يتربَّصْنَ [3] ﴾ فهو عندنا مخطئٌ ، لأنَّ الاسم الأوّل يبقى متعلّقًا بغير شىء . وهذا القول ينتقض فى قول من يقول به ، لأنَّه عندهم يرتفع بالثانى ، أو بالرَّاجع إليه ، فإذا لم يكن له ثانٍ كان إيَّاه فى المعنى ولم يعد إليه شىء ، وجب أن لا يجوز ارتفاعه به عندهم . والجملة التى هى هما أخوان رفعٌ خبر لكل . ولا أستحسن أن يكون هما فصلاً

---

(١) فهو قول ، ساقط من ش .

(٢) الآية ٩ من الحجرات .

(٣) الآية ٢٣٤ من البقرة .

لو كان المبتدأُ والخبر معرفتين ، لأنِّى وجدت علامة ضمير الاثنين يُعنَى به الجمع فى البيتِ والآيةِ ، وفى قول الآخر (١) :

إنَّ المنيَّة والحُتوفَ كلاهما يُوفى المَخارمَ يرقُبان سَوادِى

وقوله : ﴿ أَنَّ السَّمواتِ والأَرضَ كانتا رَتْقًا ففتقناهُما (٢) ﴾ ، ونحو هذا . ولم أَجد الاثنين المظهرين يُعنَى بهما الجمع والكثرة . فإنْ كان كذلك جعلت هما مبتدأ وجعلت أُخوان خبره ، وحملته على لفظِ هما دون معناه . ولو جعلت هما فصلًا وكان الاسمان معرفتين وما قرب منهما ، وجعلت أُخوان خبر كلّ لم يمتنع ، لأَنَّ الاثنين المظهَرين قد عنى بهما الكثرة أَيضًا . أَلا ترى أَنَّ فى نفس هذا البيت : وكلّ رفيقَىْ كلِّ رحل ، وليس الرفيقان باثنين فقط ، وإنَّما يراد بهما الكثرة . فكذلك يراد بأَخَوَانِ الكثرة . إلا أَنَّ قوله : « وكل رفيقَىْ » فى الحمل على الجمع أَحسن من حَمل أَخوان على الجمع ، لأَنَّ المعنى فى قوله : وكلُّ رفيقى كلِّ رحل : كلُّ الرفقاء ، إذا كانوا رفيقين رفيقين فهما أَخَوَانِ وإنْ تعاطى كُلُّ واحد مغالبة الآخر ، لاجتماعهما فى السَّفرة والصُّحبة . فالقول الأَوَّل فى هذا هو الوجه . ومثل هذا قولهم : هذان خير اثنين فى الناس ، وهذان أَفضل اثنين فى العلماء . فيدلُّك على أَنَّ الاثنين فى قولنا : هذان خير اثنين فى الناس ، والرفيقين فى هذا البيت ، ما يذهب إليه سيبويه ، من أَنَّ المعنى : إذا كان الناس اثنين اثنين فهذا أَفضلهم ، وإضافة رفيقين فى هذا البيت إلى كلِّ رحل ، لو كان المراد بهما اثنين فقط لكانت هذه

(١) هو الأسود بن يعفر النهشلى . المفضليات ٢١٦ .

(٢) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

الإضافة مستحيلة ، لأنَّ رفيقين اثنين لا يكونان لكلِّ رحل . ففى هذا البيت دليلٌ على أنَّ رفيقين يراد بهما الكثرة . وفيه أنَّه حمل هما على معنى كلّ ، وفيه الوجهان اللذان حمَّلناهما تعاطى .

فأمّا قوله قومًا فيحتمل ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون بدلا من القنا ، لأنَّ قومهما من سببهما وما يتعلَّق بهما . ويحتمل أن يكون مفعولًا له ، وكأنه قال : وإن هما تعاطيًا القنا للمقاومة ، أى لمقاومة كلِّ واحد منهما صاحبَه ومغالبتِه . ويحتمل أن يكون مصدرًا من باب ﴿ صُنْعَ الله [1] ﴾ و ﴿ وعْدَ الله [2] ﴾ لأنَّ تعاطىَ القنا يدلُّ على مقاومة . فتحمل قوما على هذا كما حملت ﴿ وعد الله ﴾ على ما تقدَّم فى الكلام ، مما فيه وعْدٌ . هذا آخر كلامه .

٣٨٦

وقال ابن هشام (فى المغنى) : هذا البيت من المشكلات لفظًا ، وإعرابًا ، ومعنًى . فلنشرحه .

قوله : كلّ رحل ، كلّ هذه زائدة ، وعكسُه حذفها فى : ﴿ على كلِّ قلبِ متكبّر [3] ﴾ فيمن أضاف . وتعاطى أصله تعاطيا ، فحذفت لامُه للضَّرورة . وعكسه إثبات اللام للضرورة فيمن قال :

* لها مَتْنتَانِ خظاتا *

إذا قيل إنَّ خظاتا فعل وفاعل ، أو ألف تعاطى لامُ الفعل ووحَّد الضمير لأنَّ الرفيقين ليسا باثنين معيَّنين ، بل هما كثير ، كقوله تعالى :

---

(١) من الآية ٨٨ فى سورة النمل .

(٢) من الآية ١٢٢ فى سورة النساء ، وآيات أخرى .

(٣) من الآية ٣٥ من سورة غافر .

﴿ وإنْ طائفتان مِنَ المُؤْمنينَ اقتَتَلُوا (١) ﴾ ، ثم حمل على اللفظ إذ قال : هما أَخَوَان ، كما قِيلَ : ﴿ فأَصلِحُوا بينهما (٢) ﴾ . وجملة هما أَخوان خبر كلّ . وقوله: قومًا إمّا بدل من القنا لأَنَّ قومهما من سببهما إذ معناه تقاوُمُهما ، فحذفت الزوائد فهو بدل اشتمال . وإمّا مفعول لأَجله ، أى تعاطيا القنا لمقاومةِ كلٍّ منهما للآخر ، أو مفعول مطلق من باب ﴿ صُنْعَ اللهِ ﴾ لأَنَّ تعاطىَ القنا يدلُّ على تقاوُمهما . ومعنى البيت : أَنَّ كلَّ الرُّفقاء فى السَّفر ، إذا استُقْرُوا رفيقينِ رفيقينِ فهما كالأخوين ، لاجتماعهما فى السَّفر والصُّحبة ، وإن تعاطى كلٌّ منهما مغالبةَ الآخر . انتهى كلامه .

وهذا كلُّه كما ترى فاسدٌ لفساد أَساسِه . وقد تنبَّهَ له الدمامينىُّ (فى الحاشية الهندية) إلَّا أَنَّه لم يقف على كلام أَبى على ، وقال : أَطال المصنف ، يعنى ابن هشام ، فى تقرير ما يزيل الإشكال الذى ادَّعاه ، وكله مَبنيٌّ على حرف واحد ، وهو ثبوت تنوين قومًا من جهة الرواية ، ولعلها ليست كذلك . وإنَّما هى « قوماهُما » تثنية قوم ، والمثنَّى مضافٌ إلى ضمير الرفيقين . ولا إشكالَ حينئذٍ لا لفظًا ، ولا إعرابًا ، ولا معنى . وقد رأَيت فى نسخة (من ديوان الفرزدق) هذا البيتَ مضبوطَ الميم من « قوماهما » بفتحة واحدة ، وملكت هذه النسخةَ فى جِلدين . وضَبط هذا البيتِ هو الذى كان باعثًا على شرائها . ولله الحمد والمنّة . انتهى .

(١) من الآية ٩ فى سورة الحجرات .

(٢) من الآية السابقة .

وقد نقل العينىُّ (١) كلام ابن هشام بعينه (فى شرح شواهد الألفيّة) من غير عَزوٍ إليه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للفرزدق خاطب فيها ذئبًا أتاه وهو نازلٌ فى بعض أسفاره ، وكان قد أوقدَ نارا ، ثم رمى إليه من زاده . وقال له : تعشَّ ، وينبغى أن لا يخون أحدٌ منَّا صاحبَه حتى نكونَ مثل الصَّاحبين .

وقال أبو عبيدة (فى كتاب الضِّيفان (٢)) : ضاف الفرزدقَ ذئبٌ (٣) ، ومعه مسلوخ ، فألقى إليه رُبع الشاة ، وأراد أصحابه طردَه فنهاهم ، ثم ألقى إليه الرُّبع الآخر فشبع ، فقال الفرزدق هذه القصيدة ، وهذه أبياتٌ منها (٤) :

أبيات الشاهد

(وأطلسَ عسّالٍ وما كان صاحبًا ... دعوتُ لنارى مَوهنًا فأتانى (٥)

فلمَّا أتانى قلتُ دونك إننى ... وإيَّاك فى زادى لمُشتركانِ

فبتُّ أقدُّ الزَّادَ بينى وبينه ... على ضوءِ نارٍ مرّةً ودُخانِ

فقلت له لما تكشَّر ضاحكًا ... وقائمُ سيفى فى يدِى بمكانِ (٦)

تَعشَّ فإنْ عاهدتَنى لا تخونُنى ... نكنْ مثلَ من ياذئبُ يصطحبانِ (٧)

٣٨٧ وأنت امرؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كنتما ... أُخَيَّينِ كانا أُرضِعا بِلِبَانِ

(١) العينى : ٤٦٣ عرضا .

(٢) هذا النص نقله أيضا فى العينى ١ : ٤٦١ .

(٣) يقال ضافه وتضيفه : نزل به وصار له ضيفا .

(٤) ديوان الفرزدق ٩٧٠ والعينى ١ : ٤٦٢ .

(٥) فى الديوان : « دعوت بنارى » .

(٦) الديوان : « من يدى » .

(٧) فى الديوان : « فان واثقتنى لا تخوننى » .

ولو غَيرَنا نبّهتَ تلتمس القِرى رماكَ بسهمٍ أو شَباةِ سِنَانِ [١]
وكلُّ رفيقَىْ كلِّ رحلٍ وإن هما تعاطَى القنا قوماهُما أخوانِ)

والأطلس : الأغبر من الذئاب . والواو واو ربّ . وعسّال : صفة مبالغة من العَسَلان ، وهو مَشْى الذئب باضطرابٍ وسرعة . والمَوْهن ، بفتح الميم وكسرِ الهاء : ساعة تمضى من اللّيل . وأقدُّ : أقطع طولا . والتكشُّر : ظهور الأسنان عند الضحك . وتعشَّ : أمر من تعشّى . والبيت شاهد لإطلاق مَنْ على اثنين ، لقوله يصطحبان . وأُخيِّين : مصغَّر أخوين . واللِّبان بالكسر : لبن الآدمىّ . وشَباة كلّ شيء : حدُّه ، وهو بفتح الشين المعجمة والموحدة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الخمسمائة [٢] :

٥٧٧ (لأصبَحَ الحىُّ أوبادًا ولم يَجِدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فى الهَيْجَا جِمَالَيْنِ)

على أنَّه يجوز تثنية الجمع المكسَّر ، فإنَّ جِمالين مثنى جِمال ، أى قطيعين من الجمال .

وأورده صاحبُ الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ربُّ السَّمواتِ والأرض وما بينهما [٣] ﴾ على تثنية الضمير مع أنَّ المرجع السموات والأرض ، بإرادة ما بين الجنسين .

---

(١) فى الديوان : « أتاك بسهم » .

(٢) مجالس ثعلب ١٧١ والأغانى ١٨ : ٤٩ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ والمقرب ٨٠ والهمع ١ : ٤٢ .

(٣) الآية ٦٥ من سورة مريم و ٢٤ من الشعراء و ٥ من الصافات و ٦٦ من ص و ٧ من الدخان و ٣٧ من النبأ .

وقال (فى المفصل) : وقد يُثنَّى الجمع على تأْويل الجماعتين والفريقين . أَنشد أَبو زيد :

* لنا إبلانِ فيهما ما علمتم [١] *

وفى الحديث : « مثَل المنافق كالشاة العائرة بين الغَنَمين [٢] » . وأَنشد أَبو عبيدٍ :

لَأَصبحَ الحيُّ أَوبادًا ولم يجدوا .... البيت

وقالوا : لِقاحانِ سَوداوانِ . وقال أَبو النَّجم :

* بين رماحَىْ مالكٍ ونهشَلِ [٢] * انتهى

والحديث رواه نافعٌ عن ابن عمر ، والمرويّ فيه : « مثل المنافقِ مَثَلُ الشاةِ العائرة بين غنمين ، تَعير إلى هذه مرّةً وإلى هذه مرة ، لا يُدرَى أَيَّهما تتَّبع » . والعائرة بالعين المهملة : المتردِّدة ، مِنْ عار الفرُس ، إذا ذهبَ هُنا وهنا . شبَّه المنافقَ فى تردُّده وعدم ثباتِه على جانبٍ بالشاة المتردِّدة بين قطيعين من الغنم ، لا تستقرُّ فى قطيع . ويقال : سهم عائر وحجر عائر ، إذا لم يُعلم من أَين هو ، ولا مَنْ رماه .

ولم يقيِّد الجمعَ بالمكسَّر [٣] كما قيَّده الشَّارح المحقِّق به ، احترازًا من الجمع المصحَّح ، لئلَّا يجتمع فيه إعرابانِ بالحروف ، وهو ممتنِعٌ لوضوحه .

---

(١) انظر الشاهد السابق .

(١) رواه النسائى فى كتاب الإيمان وشرائعه ٨ : ١٢٤ ، كما رواه أحمد فى ٢ : ٣٢ ، ٤٧ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٤٣ ، ٢٨٣ أولى ، من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) شرح شواهد الشافية ٣١٢ وابن يعيش ٤ : ١٥٥ . وانظر الخزانة ٢ : ٣٩٤ .

(٣) يعنى الزمخشرى فى المفصل .

واللِّقاح : جمع لَقوح ، وهى النّاقة ذاتُ اللَّبن ، مثل قِلاص وقَلوص . وقال ثعلب : اللِّقاح جمع لِقْحة بالكسر ، وإن شئتَ لَقوح ، وهى التى نُتجتْ ، فهى لقوحٌ شهرين أو ثلاثة ، ثم هى لَبُونٌ بعد ذلك . وتقدَّم شرح قوله :

* بين رماحىْ مالكٍ ونَهْشَلِ *

فى باب الندبة [1] .

وقوله : (لأصبَح الحىُّ أوبادًا) البيت ، قبله :

سَعى عِقالًا فلم يترُك لنا سَبَدًا فكيفَ لو قد سَعَى عمرٌو عِقالينِ)

أنشدهما أبو عبيد القاسم بن سلَّام البغدادىُّ (فى أمثاله) وقال : استعملَ معاويةُ بنُ أبى سفيان ابنَ أخيه عمرَو بن عُتبة [2] بن أبى سفيان ، على صدقات كلب ، فاعتَدى عليهم ، فقال عمرُو بن العَدّاء الكلبىُّ هذا الشِّعر .

صاحب الشاهد

و (سعى) فى الموضعين ، من سَعَى الرجلُ على الصدقة ، أى الزكاةِ يسعَى سعيًا : عمل فى أخذها من أربابها . وعقالًا وعقالين منصوبان على الظرف ، أراد : مدّة عِقال ، ومدّةَ عِقالين . والعِقال : صدَقة عام . قال الأصمعىّ : بُعِث فلانٌ على عِقال بنى فلان ، إذا بُعث على صدقاتهم . قال أبو عبيد : هذا كلام العرب المعروف عندهم . فأمَّا ما روىَ أنَّ عمر كان يأخذ مع كل فريضة عقالًا ورواءً ، فإذا دخلَتْ إلى المدينة باعها ثم تصدَّق

٣٨٨

(١) هو الموضع الذى سبقت الإشارة إليه من الخزانة ٢ : ٣٩٤ .

(٢) ش : « عمرو بن أبى عتبة » تحريف . وقد كتب ناسخ ش تعليقا بخطه : « كذا بخط المؤلف ، وصوابه عمرو بن عتبة » . وانظر لعمرو بن عتبة جمهرة ابن حزم ١١٢ ، وقد ذكر أنه قتل مع ابن الأشعث ، وأن عقبه بالبصرة . منهم العتبى الشاعر . وانظر المعارف ١٥١ .

بتلك العُقُل والأَروِيَة ؟ فالعقال : الحبل الذى يُعقَل به البعير ، والرِّواء : الحبل الذى يُقرن به البعيران .

وقالوا فى قول أبى بكر : « لو منعونى عِقالًا ممَّا أَدَّوْا إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم عليه » : يعنى بالعقال صَدقةَ عام ، وقيل أراد الحبل الذى كانت تُعقل به الفريضةُ المأخوذة فى الصَّدقة . وهو بالحبل أَولَى فى هذا الموضع ، لأَنَّ الإنسان إنما يذكر فى مثل هذا الموضع الأَقلَّ لا الأَكثر ، بناء على قوّة العَزْمة فى الأَدنى ، فكيف فى الأَعلى . انتهى .

وقال المبرد (فى الكامل [1]) ، بعد نقل كلام أبى بكر ، رضى الله عنه : قوله : « لو منعونى عقالًا » على خلاف ما تتأَوَّلهُ العامة . ولقول العامة وجهٌ قد يجوز ، فأَمَّا الصحيح فأَنَّ المصدِّق إذا أَخذ من الصَّدقة ما فيها ولم يأْخذ ثمنًا قِيلَ : أَخذ عقالا . وإذا أَخذ الثمن قيل : أَخذ نقدا .

وقال الشاعر :

أَتانا أَبو الخطاب يَضرِب طَبْلَه　　　فرُدَّ ولم يأْخذْ عِقالًا ولا نَقْدا [2]

والذى تقول العامّة تأْويلُه : لو مَنعونى ما يُساوى عِقالًا فضْلا عن غيره . وهو وجه . والأَوّل هو الصحيح ، لأَنَّه ليس له عليهم عِقال يُعقَل به البعير فيطلبه فيُمنَعه ، ولكن مجازه فى قول العامَّة ما ذكرنا . وهو من كلام

(١) الكامل ٢٢٢ ليبسك .

(٢) بعده فى حواشى الكامل : « كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول » .

العرب [١] : أتانا بجَفْنَةٍ يقعدُ عليها ثلاثة ، أى لو قعد عليها ثلاثة لصَلَح . انتهى .

وقال ثعلب (فى أماليه) : العِقال : صدقة سَنةٍ فى خبر أبى بكر : « لو مَنَعونى عِقالًا » . وأنشد البيتين .

والسَّبَد ، بفتحتين ، الشَّعر والوبر .

وقال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) : إذا قِيلَ : ما له سَبَد ولا لَبد ، فمعناه ماله ذو سَبَد ، وهى الإبل والمَعْز ، ولا ذو لَبَد ، وهى الغنم . ثم كثر ذلك حتى صار مثلًا مضروبًا للفقر ، فقيل لكل من لا مالَ له أىَّ شىء كان . ففيه مجازٌ من وجهين :

أحدهما : إيقاعهم النفىَ على السَّبَد واللَّبد ، وهم يريدون نفىَ ما له السَّبَد واللبد .

والثانى : استعمالهم ذلك فى كلّ من لا مال له ، وأصله أن يكون فى الإبل والمعز والغنم خاصّة . انتهى .

وقوله : « فكيف » هو ظرف مع عامله المحذوف فى محل الرفع على أنَّه خبر لمبتدأ محذوف ، أى كيف حالنا . وهذه الجملة دليلُ جواب لو . يقول : تولَّى هذا الرجل علينا سَنةً فى أخذ الزكاة منَّا فلم يترك لنا شيئًا لظلمه إيَّانا ، فلو تولَّى سَنتين علينا على أىِّ حال كنَّا نكون ؟

وقوله : « لأصبح الحىُّ » إلخ ، اللام فى جواب قسَمٍ مقدَّر [٢] . وزعم

---

(١) كلمة « هو » ليست فى الكامل .

(٢) ط : « جواب القسم » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

خضرٌ الموصلى (فى شرح شواهد التفسيرين [١]) أنَّ اللام فى جواب « لو » المتقدِّمة . وهو ذهولٌ عما قبله . والحىّ : القبيلة . والأوباد : جمع وَبَد بفتحتين ، قال الجوهرى : الوبد بالتحريك : شدَّة العيش وسوءُ الحال ، مصدرٌ يوصف به فيستوى فيه الواحد والجمع ، ثم يجمع فيقال أوباد ، كما يقال عَدْلٌ وعدول ، على توهُّم النعت الصحيح . وأنشد البيت .

وقال ابن بَرّىٌّ (فى شرح أبيات الإيضاح للفارسى) : الوجه أن يكون جمع وَبِد ، وهو السيِّئُ الحال ، كفخذ وأفخاذ . انتهى .

٣٨٩ والهيجاء : الحرب ، قال ابن ولّاد (فى المقصور والممدود) : الهيجاء تُمدُّ وتُقصَر . قال الشاعر [٢] :

* يا رُبَّ هَيجا هى خيرٌ من دَعَه *

وقال آخر [٣] :

* إذا كانت الهيجاءُ وانشقَّت العصا [٤] * انتهى .

وهى مؤنَّثة كما فى البيتين .

---

(١) ط : « التفسير » ، صوابه فى ش . والتفسيران هما تفسير الزمخشرى المسمى بالكشاف ، وتفسير البيضاوى المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل .

(٢) هو لبيد . ديوانه ٣٤٠ والأغانى ٤ : ٩١ والعمدة ١ : ٢٧ والهمع ٢ : ٢٥ .

(٣) البيت مجهول القائل . وانظر ابن يعيش ٢: ٤٨ ، ٥١ والمغنى ٥٦٣ .

(٤) عجزه كما فى المراجع المتقدمة ، والمقصور والممدود لابن ولاد ١١٧ :
« فحسبك والضحاك سيف مهند »

وهذه الكلمة مع شهرتها لم يوردها القالى (فى المقصور والممدود) مع أنه استقصَى النوعين [١] فى كتابه .

وثنّى الجمالَ لأنه جعلها صِنفين : صِنفًا لترحُّلهم يحملون عليها أثقالَهم ، وصنفًا لحربهم يركبونه إذَا جَنَبوا خيلَهم . ويؤيِّده روايةُ أبى الفرج : « يومَ الترحُّل والهيجا [٢] » . و (أوبادًا) : خبر أصبح إن كانت ناقصة ، وحالٌ من القوم إن كانت تامّة . وروى أبو الفرج : « لأصبح الحىُّ أوقاصًا » ، وهو جمع وَقَص بفتحتين ، وقد تسكَّن القاف : ما بين الفريضتين من نُصُب الزكاة ممّا لا شىء فيه . فعلى هذه الرواية حذفُ مضاف ، أى لأصبح مالُ الحىِّ أوقاصًا ، أى لا يوجد عندهم فى العام الثانى ما يجب فيه الصَّدَقة .

وعَمْرو بن عَدّاءِ الكلبىّ : شاعرٌ إسلامىّ . عمرو بن عداء

* * *

تم بعون الله تعالى وحسن تيسيره الجزء السابع
من خزانة الأدب بتقسيم محققها

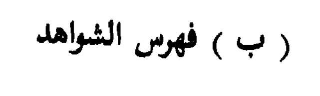
(١) ش : « مع استقصاء الدوعين » .

(٢) ط : « والهيجاء » ، صوابه بالقصر كما فى ش والأغانى ١٨ : ٤٩ . ولا يستقيم الوزن بمد الهيجاء .

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

* * *



(ب) فهرس الشواهد

بقية باب الظروف

٥٠١	أَمَا تَرَى حَيْث سُهَيلٍ طالعا		٣
٥٠٢	فشدَّ ولم تَفْزَع بيوتٌ كثيرةٌ	لدى حيثُ أَلقت رحلَها أُمُّ قشعَمِ	٨
٥٠٣	للفتَى عَقــلٌ يعــيش به	حيث تَهـدِى سَاقَهُ قَدَمُه	١٩
٥٠٤	ترفعُ لى خِندفٌ واللهُ يرفعُ لى	نارًا إذا خَمَدتْ نِيرانهمْ تَقِدِ	٢٢
٥٠٥	إذا قصُرتْ أَسيافنا كان وصلُها	خطانا إلى أَعدائنا فنضاربُ	٢٥
٥٠٦	حتّى إذا أَسلكوهمْ فى قُتائدَةٍ	شَلًّا كما تَطردُ الجمَّالة الشُّرُدا	٣٩
٥٠٧	فأَضحَى ولو كانت خراسان دُونَه	رآها مكانَ السُّوق أَوهى أَقربا	٥٠
٥٠٨	فبينا نَسوق النَّاسَ والأَمرُ أَمرُنا	إذا نحن فيهم سُوقةٌ نَتنَصَّفُ	٥٩
٥٠٩	بينَا تَعنُّقِهِ الكمـاةَ ورَوغِـهِ	يَومًا أُتيـح له جرىءٌ سَلْفَـعُ	٧١
٥١٠	فقام أَبو ليلَى إليه ابنُ ظالم	وكان إذا ما يَسْلُلِ السَّيفَ يضربِ	٧٧
٥١١	مِن أَينَ عشرون لها مِنْ أَنَّى		٨٣

باب النكرة والمعرفة

باب العلم

أسماء العدد

باب المذكر والمؤنث

بـــاب المثنى

رقم الإيداع : ١٩٨٢/٣٣٠٩